



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي  
جامعة باتنة - 1



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية اللغة و الأدب العربي و الفنون

# القصة في الحديث النبوي \_ دراسة أسلوبية \_

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية وآدابها  
\_ تخصص أدب قديم \_

إشراف الأستاذ الدكتور:

عيسى مدور

إعداد الطالبة:

كريمة حجازي

أعضاء لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
محمد فورار	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
عيسى مدور	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مشرفا ومقررا
أحمد جاب الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضوا
حميد قبائلي	أستاذ محاضر	جامعة خنشلة	عضوا
لقمان شاعر	أستاذ محاضر	جامعة أم البواقي	عضوا
عبد الحليم كبوط	أستاذ محاضر	جامعة قسنطينة	عضوا

السنة الجامعية: 1438هـ - 1439هـ / 2017م - 2018م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي  
جامعة باتنة - 1



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية اللغة و الأدب العربي و الفنون

# القصة في الحديث النبوي \_ دراسة أسلوبية \_

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية وآدابها  
\_ تخصص أدب قديم \_

إشراف الأستاذ الدكتور:

عيسى مدور

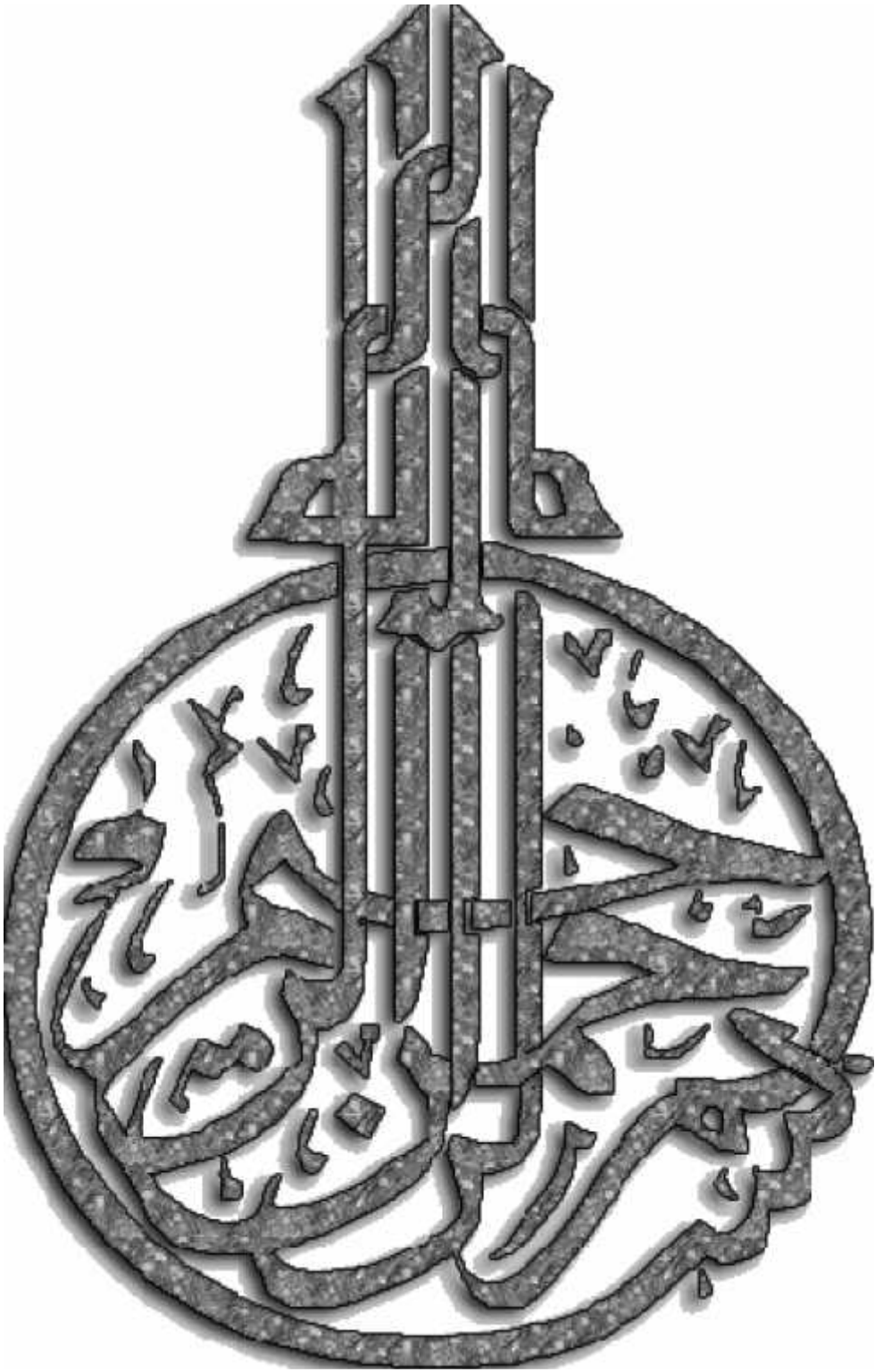
إعداد الطالبة:

كريمة حجازي

أعضاء لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
محمد فورار	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
عيسى مدور	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مشرفا ومقررا
أحمد جاب الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضوا
حميد قبائلي	أستاذ محاضر	جامعة خنشلة	عضوا
لقمان شاکر	أستاذ محاضر	جامعة أم البواقي	عضوا
عبد الحليم كبوط	أستاذ محاضر	جامعة قسنطينة	عضوا

السنة الجامعية: 1438هـ - 1439هـ / 2017م - 2018م



**مقدمة:**

تتحلى روح الدعوة في تلك النماذج القرآنية والنبوية، التي جاءت تحت لواء القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ذلك أنّ الغاية والقصد منها: هي إرساء تعاليم الإسلام، والتعريف بهذا النظام الرباني الجديد، الذي أرسى دعائم الحق، ورفع حواجز الكفر والجهالة والبهتان.

فاستساغ العربي هذه النصوص الدينية التي أثرت في نفسه وبدلت عقليته، وأخرجته في صورة قريبة من الكمال والمثالية، التي دعت إليها هذه الرسالة السماوية.

ثم توالى هذا التأثير النصي على العقول الإسلامية، فجعلت من نفسها مادة مستهدفة البحث والاستقصاء، فظهرت الدراسات القرآنية والشروح النبوية وكان لهذه الدراسات الفضل في توسيع مجال التشريع والدعوة، ولعل من أبرز النماذج التي تعرض لها الدارسون بالبحث، تلك المعنونة في إطار الصور القصصية القرآنية التي نحا إليها الشارع الحكيم باعتبارها قوالب فنية عُرفت منذ القدم، عند العرب وغيرهم من الأمم السابقة، قصص حملت المعاني وأدركت المقاصد، فكانت ساحة لعرض المشاهد وسير الأغوار السالفة والآنفة، عن حياة السابقين من الأنبياء والرسل والأمم الغابرة.

ولعل هذه النماذج قد دعمتها تلك القصص النبوية، التي جاءت بلسان من لا ينطق عن الهوى ﷺ دعماً للحجة القرآنية وشرحاً لتفسيرها وتوثيقاً لغاياتها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه القصص النبوية، لم يكن لها الحظ من الدراسة كتلك القرآنية، ما جعلها مطمحا لبحثنا المتواضع، ومنهلا في طرح إشكاليتنا.

ولعل من أهم الأسباب التي تدفع إلى دراسة هكذا موضوع، تعود إلى عدة محطات تحتاجها الدراسة، من حيث الموضوع في حدّ ذاته؛ إذ يتناول جانبا من أحاديث النبي (عليه الصلاة والسلام)، والتي تتعلق بالفن القصصي الذي رواه (عليه الصلاة والسلام) عن

الأقدمين في قضاياهم، وحوادثهم وأزماتهم...، وما يدفع إلى كل تساؤلٍ عنهم، في شتى ميادين حياتهم دينية كانت أم اجتماعية أم سياسية... وهذا ما جعل القصة النبوية تفتح هذه الآفاق الواسعة، أمام كل من يقرأ ويتناول هذا النوع من القصص بالدراسة والبحث والتحليل.

ثم أيضا فن القصة في حد ذاته، والذي طغت عليه الرواية والمسرحية في الدراسات الحديثة وعزف عنه أكثر الباحثين، وراحوا يتناولون الأنواع الأخرى، دون أن يلتفتوا بشكل جدي ومنظم للقصة، خاصة القصص النبوي، الذي تحدث عنه المتحدثون، كقصص في الجوانب الشرعية للدلالة على الأبعاد الأخلاقية التي تنظم سلوك المجتمع، وتعطي النماذج للناس من خلال سير القدماء، وما حلَّ بهم، للاتعاظ والعبرة لا غير ...

أمَّا ما يتعلق بالدراسة الفنية التي تتناول جوانب الأساليب والقيمة الجمالية ، فإنها قليلة، ولا تكاد تُذكر في الدراسات الأكاديمية، التي تبحث في مثل هذه الجوانب الدالة والهادفة، إن على مستوى الصوت أو اللغة أو التراكيب والدلالات، التي تصنع المشهد الجمالي للقصة النبوية، خاصة إذا كانت هذه الأساليب بلسان النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي لا يضاهيه ولا يماثله أي جانب فني وأسلوب آخر.

ثم أيضا استعراض الجوانب اللغوية في محطاتها، بالنسبة للأحداث والشخوص والزمان والمكان والعقدة وحلها، بما تتضمنه كلها من قوالب وقواعد لها أثرها ودلالاتها في المنظومة القصصية ككل، وخصوصا القصص النبوي المحكم البناء والهادف في التقبل والمسيرة.

ولهذه الأسباب وُسم البحث بعنوان: " القصة النبوية -دراسة أسلوبية- " قصد الإمام بالبنيات المتعددة: الصوتية والدلالية والتركييبية والتصويرية، من خلال طرح مجموعة من الإشكالات، حاولت الدراسة الإجابة عنها في مختلف مراحلها:

- 1- حول ماهية القصة النبوية أنواعها وخصائصها، ومميزاتها؟
  - 2- فيما يكمن دور هذا النوع من القصص، وما مقامه في الحديث النبوي الشريف؟
  - 3- إلى أيّ مدى استطاعت الأصوات أداء دور دلالي في هذه القصص؟
  - 4- هل هناك انزياحات في لغة القصة المحمدية، ودلالة ألفاظها ونظام تراكيبيها، وهل هذه الانزياحات من قبيل خرق نظام القواعد الأساسية للغة، أم أنّها ضرورة استوجبتها الرسالة الدعويّة؟
- وللإجابة على هذه التساؤلات تمّ تتبع خطة، قسّمت البحث إلى: تمهيد وخمسة فصول، وخاتمة وعليه جاءت خطة البحث كالتالي:
- تمهيد: وكان الطرح أولاً في التمهيد حول مقام القصة في الحديث النبوي الشريف، ووقف البحث عند هذه المكانة التي حظيت بها القصة، بما لها من أثر قوي في النفس الإنسانية، بوصفها وسيلة من الوسائل المثيرة للفكر الإنساني، والمربية للنفس البشرية، فأضحت من أهم أساليب الدعوة، والإرشاد إلى الخير والصلاح، وهذا ما أدركه (عليه الصلاة والسلام)، ما جعلها جزءاً لا يتجزأ من الحديث النبوي الشريف.
- وجاء الفصل الأول بعنوان: "مسار القصة وأهدافها في القرآن والسنة"، وفيه جرت الدراسة حول تعريف القصة لغة: في أهم معاجم اللغة، وتعريفها اصطلاحاً عند العرب والغرب، ثم جاء الحديث عن مسارها، وخُلص البحث إلى أن العرب عرفوا القصة، فكانت حاضرة في تراثنا القديم، وهذا من خلال عرض أهم الآراء التي تناولت هذه القضية بالعبارة والاهتمام.

أما الجزء الثاني من هذا الفصل، فقد كان حول الحديث عن أنواع القصة، ومحاولة تعريف كل نوع على حدى، وتمثلت هذه الأنواع في: القصة البشرية، القصة القرآنية، القصة النبوية، هذه الأخيرة التي خصها البحث بالتعمق في خصائصها، ومميزاتها وأهدافها، وأهم موضوعاتها.

وكان الفصل الثاني، الموسوم بـ"المستوى الصوتي": محاولة للوقوف على تعريف موجز للأسلوب والأسلوبية والفرق بينهما، وتعريف الصوت عند علمائنا العرب القدماء.

وجاء الشق الثاني من هذا الفصل محاولة للتعرف على أهم السمات الفونيمية للأصوات من جهر وهمس ومدّ وصوامت وصوائت، وإبراز علاقة مخارج الحروف بالفكرة والحالة النفسية، التي كانت تتلازم مع نوع من المقاطع كل حسب السياق الواردة فيه.

ثم جاء الفصل الثالث بعنوان: "المستوى الدلالي"، فبني بتتبع مختلف الحقول الدلالية في القصص النبوية، حيث كشفت الدراسة على أكثر من مجال دلالي، كانت له علاقة بالعقيدة والإيمان والأخلاق، إضافة إلى دلالة اللفظة في السياق، ومدى مناسبتها للغرض والمقصد والهدف.

وقد اختص الفصل الرابع: "المستوى التركيبي"، بدراسة الجملة بأنواعها الاسمية والفعلية، إضافة إلى دراسة الأساليب الخبرية والإنشائية ودلالاتها، والكشف عن أكثر الأساليب التي اعتمدها (عليه الصلاة والسلام)، كما تمّ فيه تتبع أهم المظاهر التركيبية، المتمثلة في عملية الخروج عن النظام اللغوي المألوف في إطار ما يسمى بالانزياح التركيبي، الذي يرصد فيّات التحايل على اللغة، بخلخلة ترتيب التركيب (التقديم والتأخير)، أم بحذف عناصر منه (الحذف).



وجاءت الصورة مع الفصل الخامس المعنون بـ: "المستوى البلاغي"، لتُبيِّن قدرته وتمكنه ﷺ من التعبير بإحكام، مع جو من الصور والمشاهد تضيفي على النص وكذلك المعنى مزيداً من الوضوح والقرب أكثر، وتنوعت الصور فمنها: الحسية المعتمدة على الحواس، ومنها المرتكزة على الفنون البيانية؛ تشبيها واستعارة ومجازاً وكناية، بلاغة نبوية أضفت لونا قشيباً على النص، فتمتع المتلقي وتوضح له المقصد بأكثر دقة وتفصيل.

أما الخاتمة فقد جُمعت فيها النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

والمنهج فرضته طبيعة البحث، وهو المنهج الأسلوبي، الذي تحلله بعض التحليل، قصد الوصول إلى المبتغيات وما ورائيات القصة، التي ترجمتها معاني تلك المستويات التي عُنت بالدراسة، إن على مستوى الشكل أو المضمون.

ولقد اعتمد البحث جملة من المصادر والمراجع، كان لها أكبر الأثر في جمع المادة ودراستها وتحليلها، وقد توزعت مصادر البحث ومراجعته بين أدبية وتاريخية ودينية، كان من أهمها طبعاً، صحيح البخاري وصحيح مسلم، وصحيح القصص النبوي للدكتور عمر سليمان عبد الله الأشقر، وصحيح القصص النبوي تأليف صلاح الدين محمود السعيد، بالإضافة إلى كتب الشروح، كشرح الطيبي على مشكاة المصابيح للطيبي، وشرح صحيح البخاري لان بطلال، وشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، وشرح النووي، وغيرها...

ومن المصادر كذلك البيان والتبيين للجاحظ، أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، ومن المراجع استفدت من بعضها ككتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، والحديث النبوي الشريف من الوجهة

البلاغية لدكتور- كمال عز الدين، والتصوير الفني في الحديث النبوي، لدكتور- محمد الصباغ، والتصوير الفني في القرآن للسيد قطب.

ومن الموضوعات والدراسات السابقة التي اتفقت وموضوع البحث في القصة النبوية، إلا أنّها لم تشكل حيزاً كبيراً من بحثنا إلا في قضايا جانبية، مثل: دراسة الدكتور محمد بن حسن الزبير، وهي دراسة فنية وموضوعية لموضوع القصص النبوي، والموسومة بـ القصص في الحديث النبوي (دراسة فنية موضوعية)؛ اقتصر فيها صاحبها على إيراد البنية العامة للقصة، واستنطاق النواحي الجمالية من زاوية أدبية فنية، دون النظر إلى الجوانب البلاغية، والمستويات الأسلوبية، ودراسة أخرى لسهام سديرة، الموسومة بـ "بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف"، وركزت الباحثة على دلالة الزمان والمكان وأهميتهما في مثل هذه القصص.

أما الصعوبات التي صادفت البحث وحاولت تذليلها، فهي قلة الدراسات الحديثة التي تناولت القصة النبوية من الجوانب الصوتية والدلالية والتركيبية والبلاغية، ولكن هذا الأمر لم يمنعنا من العودة إلى أمهات الكتب والمصادر التي جمعت القصص النبوي، مما سبق ذكره.

فجاء البحث رغم صعوبة مقامه ودراسته ثمرةً لمجهود ولا أحسبه إلا متوافقاً، مع أستاذي الفاضل، أ.د/ عيسى مدور الذي تسامح وأمدّ عونه، فجزاه الله خير الجزاء.

ولا يسعني في الأخير سوى العرفان بالفضل للأستاذ المشرف، الذي تكفل بالإشراف على هذا العمل، بإبداء توجيهاته وتصويباته، ليصير إلى ما هو عليه، والشكر موصول لأعضاء اللجنة الفاضلة الذين تكبدوا عناء قراءته وتقييمه.

# تمهيد

مقام القصة في الحديث النبوي الشريف

تعد القصة من أهم الأجناس التي تتفاعل مع المقوم النفسي والفكري للإنسان ؛ إذ أن القارئ يتتبعها متفحصاً: «أحداثها ومشاهدها وأبطالها، وما يفعلون به ويفعلونه»<sup>1</sup> فتتجسد أمامه، بأحداثها وشخصياتها، فيسائر تطوراتها، وهو يحمل مشاعر متعددة منها: القلق، الاضطراب، الشفقة، الاعتاض والاعتبار، إلى أن ينتهي الأمر به إلى نقطة النهاية، التي يحددها موقف القاص، اتجاه قصته؛ فالقصة إذن هي: «مرآة متعددة السطوح، وكل قارئ يلقي بناظره، على السطح الذي يعكس صورته، بأمانة ودقة، أو لعلها كالبناء الضخم، ذي الكوى العديدة، ولكل قارئ أن يطل من الكوة التي يختارها له ذوقه ومزاجه وطبيعته»<sup>2</sup>.

لذلك فإنها ، تعد فناً من الفنون الأدبية المتميزة، بل يمكن القول أنها من أعرق الفنون النثرية وأقدمها على وجه الإطلاق، وذلك يعود إلى جملة من الأسباب ولعل من أهمها: أن القصة هي المشوار الذي يواكب الظرف الإنساني في أكثر التعابير والتقارير نشاطاً له، ودلالة عليه فعند تشارلتن هي: «حكاية تروي نثراً وجهاً من وجوه هذا النشاط والحركة في حياة الإنسان»<sup>3</sup>، فالإنسان هو الكائن الوحيد المنتج للدلالات المعبرة عن سيرورة حياته وواقعه، في جملة من العلامات الموجهة للإدراك لدى المتلقي والمحددة لآفاق التأويل وأبعاده لديه، متلقي مرتبط بأنساق ثقافية وفكرية راسخة في ذهنه ومستقرة في لاوعيه، ونتيجة لهذا تصبح القصة طريقة فذة للتعبير على سيرة الإنسان وحياته في عالم الواقع المتكرر كل يوم.

<sup>1</sup> - ميشال عاصي، الفن والأدب، مؤسسة نوفل، بيروت، ط3، 1980، ص157.

<sup>2</sup> - د. يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة بيروت، ص30.

<sup>3</sup> - د. خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية (منهجها وأسس بنائها)، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ص124.

وإذا عدنا إلى البدايات الأولى، تمثلنا نشأة الخلق (خلق آدم) ﷺ، الذي كان بداية سرد قصصي من خلال مرحلة ما قبل الخلق، وتبقى قصة خلقه ترمز إلى علم الله الواسع وإرادته الأزلية الحكيمة في عمارة الأرض بذريته، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال إني أعلم ما لا تعلمون<sup>1</sup>، أضف إلى ذلك مرحلة البناء والخلق ومرحلة المعاشة والأحداث التي مرت به مع الملائكة، وإبليس والجنة والخروج منها حين الغواية وحواء... الخ. وقوله تعالى: ﴿ومن الأحداث التي دلت عن تفاصيل عديدة متعددة حول نشوء الإنسان والمعترك الحياتي الذي خاضه ومن ثم المهمة الرسالية التي كلف بها في الوجود يقول تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>3</sup>.

لذلك فإن القصة مرتبطة ارتباطاً روحياً بالإنسان، فوجودها منطقي لوجوده كوئها نشأت معه، وكانت تتطور في مناحيها الفنية والخصائية مع هذا الكائن الذي وجد فيها المتنفس المعبر عن حاجاته، والمعادل لحالته وسيرته وتطلعاته، إن على مستوى القدرات أو الأفكار، أو حتى الخيالات المبدعة السارحة في عوالم الغيب ومجاهيل الفرضيات والحياة، وفي هذا الشأن يقول الدكتور عبد الحق طه: «يتفق الباحثون على حاجة الإنسان إلى رواية الأحداث التي تقع له، ودفع الآخرين إلى مشاركته، والتجاوب فيما شعر به، وهو يعيش

<sup>1</sup> - سورة البقرة، الآية 30.

<sup>2</sup> - سورة الحجر، الآية 28.

<sup>3</sup> - سورة ص، الآية 26.

حياته في ألم ولذة، غريزة إنسانية عريقة في القدم، والتسليم بهذه الحقيقة يدفع إلى الاعتراف، بأنَّ الأشكال الروائية والقصصية نشاط إنسان مغرق في القدم»<sup>1</sup>.

وهذا نسلم بأن القصة إذا وليدة الإنسان، وهو بطلها ومحور صانعها مرة، وراويها مرة أخرى، تقوم على خدمته وتعبر عنه.

وإن واقع الإنسان وطبيعة تكوينه، تجعل منه ذلك الكائن الذي يميل إلى فن الحكيم والقص، للنظر في حوادث الماضي، واستشراف ما يصلح لخدمة المستقبل، يقول ابن خلدون: «إن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم، وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه، في أحوال الدين والدنيا»<sup>2</sup>، فالإنسان في هذه الحالة وهو يتناول قصص التاريخ، إنما ليتعظ ويتسلى ويتفنن بجماليات العبقرية الهادفة، والمثيرة للتشويق.

إنَّ القصص بمفهومه الرسالي، هو إنتاج بعد التاريخ وبعد المعرفة وبعد التقويم، وتحقيق الأهداف والغايات.

وإن القصة هي السرد الذي يحمل أبعاد التذوق والجمالية بما يغرسه من أنماط فكرية ودلالية، تسعى من ضمن ما تسعى إليه إلى إيجاد فكر يقظ، لا يترك للصدفه مجالاً للاختراق ولا للتسرع والهية والندم؛ فالسرد إعادة متجددة للحياة، تجتمع فيه أسس منها أحداث وشخصيات، تتحرك وفق ما يراه القاص ملائماً لخدمة الهدف العام للبناء القصصي الفني، وفق زمان ومكان يؤطرهما معاً، وتدخّل في صراع يحافظ على حياة السرد، وسيرورة

<sup>1</sup> - د. عبد الحق طه، القصة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف، بيروت، ص281.

<sup>2</sup> - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط5، 1402هـ-1982م، ص9.

الحكي، وفق تعدد لغوي وإيديولوجي وفكري، يتسع ليشمل خطابات متعددة ومختلفة، فالسرد كما يقول بارت: «فعل لا حدود له يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية، يبدعه الإنسان أينما وجد، وحيثما كان، يمكن أن يؤدي الحكي بواسطة اللغة المستعملة شفاهية كانت أو كتابية، وبواسطة الصورة، ثابتة أو متحركة، وبالحرارة، وبواسطة الامتزاج المنظم لكل هذه المواد، إنه حاضر في الأسطورة والخرافة والأمثلة والحكاية والقصة والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما، والملهة، والإيماء، واللوحه المرسومة، وفي الزجاج المزوق والسينما والأنشوطات والمنوعات والمحادثات»<sup>1</sup>.

من خلال هذا يمكن معرفة سر وجود القصص القرآني بمثل هذه المساحة الواسعة، التي تعطي إشارة المعرفة والمهدف والغاية وحتى بعد التداول في القصة القرآنية، إنما هو بُعدٌ لزيادة الإيضاح والتذكير بحجم التصورات والأفعال التي حركت دواليب التاريخ للتعبير والإشارة: «ليس في القصص القرآني تكرار، ولكن في هذه الإعادة يكمن أسلوباً جديداً وإخراجاً جديداً يناسب السياق الذي وردت فيه القصة، حتى لكأننا أمام قصة جديدة لم نسمع بها من قبل»<sup>2</sup>؛ إنها القصة التي تتجدد بتجدد الزمان وتنوع القراء، وزيادة فقههم وتدوقهم لها.

وأكثر الأنواع القصصية ميزة وترابطة وجاذبية، القصص القرآني والنبوي، فالقصص يقع في القرآن الكريم والمروي النبوي موقع الدال الحقيقي على ما وقع للأقوام والأمم السابقة، من أحداث ومواقف وتبعات ونتائج... كانت كلها من أفعال أصحابها، أو نتائج لأعمالهم وأفكارهم وكل ما انتهى إليه أمرهم، إنما من صنيع أيديهم وما اقترفت جموعهم من آثام أو ما صار إليه حالهم بعد الإيمان واليقين: «ومن المعلوم -أيضاً- أن القصص القرآني، وإن

<sup>1</sup> - سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1997، ص19.

<sup>2</sup> - ابن الشيخ الحسين، المعجزة القرآنية، دار المعارف بيروت، ط1، 1405هـ-1985م، ص192.

تكفل بذكر طائفة كبيرة من حوادث الأمم ووقائع الرسل مع أقوامهم وملوك قراهم، فإن طريقة عرضه لها تنبئ بخضوعها، وملاءمتها لما تهدف إليه الدعوة القرآنية ذاتها، فقد اختيرت الحوادث، وحكيت لتؤدي نفس الأغراض التي قدر للقرآن أن يعتني بها في المرحلة المكية، من إرساء لعقيدة التوحيد وإثبات لحقبة البعث، ومن ترغيب وتبشير للمؤمنين، وإنذار وترهيب للمعرضين، ومن تدليل على ضرورة النبوة، وتثبيت لقلب الرسول الكريم، ومن بيان لمهمة الرسالة، وما تحمل من تكاليف فردية واجتماعية»<sup>1</sup>.

ومنه فإن القضايا التي حظيت بأكثر حيز في هذا المقام هي: العناية بمسألة الألوهية ومقتضيات التوحيد، وإثبات الرسالة، والتأكيد على ضرورتها، والتدليل على البعض حق لا محالة.

ومن القصص: قصة آدم عليه السلام، وقصة موسى عليه السلام وقصة مريم (البتول) وولادة عيسى عليه السلام وقصة يوسف عليه السلام... إنها من القصص التي قال عنها العلماء وأهل الدراية والمعرفة والكتابة، أنها من درر ما تمت قراءته من قصص في بلاغتها وبيانتها، فهي حقل للمعرفة، وتجارب للذات، واستنهاض للمستقبل مع الرجاء والأمل.

والقصص النبوي الشريف ينطبق عليه في الواقعية والأسلوب والمكانة والتميز ما ينطبق على القصص القرآني؛ لأن الله هو الذي أوحى لنبينا (عليه الصلاة والسلام) به؛ كونه عليه السلام «علمه شديد القوى»<sup>2</sup>.

ويعد القصص النبوي من المناير التي اعتمد عليها الرسول عليه السلام، لنشر دعوته، وبيان ما جاء به في رسالته المحمدية، لإيقاظ الشعور والعاطفة، وترسيخ القيم الأخلاقية في المجتمع؛

<sup>1</sup> - د. محمد التومي، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1407هـ-1986م، ص71.

<sup>2</sup> - سورة النجم، الآية:5.



بما رواه ﷺ عن الأقدمين في قضاياهم وحوادثهم وأزماتهم، وما يدفع إلى كل تساؤل عنهم، في شتى ميادين حياتهم دينية كانت أم اجتماعية، أم سياسية.

والقصة النبوية تفتح أفقاً واسعة أمام كل من يقرأها، لأنها تعبر عن الحياة وما يحيط بالإنسان في المجتمع إذ تستميل قلوب قرائها بأحداثها وشخصها ووقائعها وأزماتها، وأمكنتها، لما تحتويه من معاني ذهنية وأدوات ذوقية ونفسية، و«مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، والدروس التلقينية والإلقائية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة، ولذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعاً وأكثر فائدة، وفي القصص النبوية مادة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزيادة تهذيبي، من سيرة النبيين وأخبار الماضين»<sup>1</sup>.

هي قصص بمثابة دروس حية لها بالغ الأثر في سيرة الدعوة، من جانبها التأثيري واستنهاض التاريخ للعبارة والعظة: «في صورة من السرد أمينة، احتفظت سور القرآن بوقائعها، لتكون سجلاً ناطقاً بالهداية والعظة والعبارة وتقرير قواعد هذه الهداية في النفوس»<sup>2</sup>.

ولذلك حفل القرآن الكريم بجانب هام من القصص كونه، يتحدث عن أخبار الأولين ويحمل ما كان عليه حالهم وهم يتلقون دعوات أنبيائهم والمرسلين إليهم، وكيف كانت ردات أفعالهم، وما حدث لهم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي

<sup>1</sup> - صلاح الدين محمود السعيد، صحيح القصص النبوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1434هـ-2013م، ص6.

<sup>2</sup> - طول محمد، البنية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر.

الألباب<sup>1</sup> ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ور  
لقوم يؤمنون<sup>1</sup>.

وكذلك كان (عليه الصلاة والسلام) يسرد على أصحابه قصص الأولين، التي كانت بمثابة تاريخ صادق، يبين حال المؤمنين، وهم يتبعون الرسل والأنبياء، وحال الفاسقين وهم يعصون الله ما أمرهم، وبالتالي ينالهم خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة، وهو لم يعرض قصصه هذا العرض الفني المتميز ليشغل العقول بأحداثها كقضايا تاريخية تعيش لحساب العلم والمعرفة، ولكن للتأثير بعبرها والهداية بتوجيهاتها، وقد تضافر على تحقيق هذه الغاية المضمون والشكل؛ فلمثل هذه النصوص طبيعة إبداعية منفردة.

فالمأمل لكلامه ﷺ يجد أسمى درجات الخطاب الرفيع المبني على البيان والمستعين بالبلاغة والفظنة، وقد وظف الرسول ﷺ القصة، في الحديث لتقريب الناس للإسلام، وبحق كانت القصة إحدى وسائل الدعوة والهداية، ومرتبة القصص النبوي في الفضل تأتي بعد مرتبة القصص القرآني، وإذا كان القرآن كلام الله فإن القصص النبوي أكثره وحي من عند الله، ولذلك فقد اشتركا في الفضل والغاية، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى إنما وحي يوحى، فما دام الغرض واحد فالمسيرة واحدة، قصص سلبت العقول وسحرت الناس، بفضيح بيائها وروعة معانيها الخالدة، هز النفوس وتأثر فيها أيما تأثير.

ومما لا شك فيه أن للقصة أثراً قويا على النفس الإنسانية، فهي وسيلة من الوسائل المثيرة للفكر الإنساني، والمرية للنفس البشرية، اختارها عز وجلّ بالتحديد، لأنها وليدة الإنسان، هو بطلها وصانعها وراويها، لتصبح فنا يحمل رسالة الدعوة والتذكير والتوجيه إلى

<sup>1</sup> - سورة يوسف، الآية: 111.

عبادة الله عز وجل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هـ  
مِن قَبْلِهِ لِمَنِ الْعَافِيْنَ﴾<sup>1</sup>.

فهو اللطيف الخبير، الذي قصَّ على رسوله ﷺ أحسن القصص، في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل، فكانت بحق رسالة أخلاق بل رسالة حياة، تحكي سيرة العظماء كالأنبياء والرسل، وهذا أصبحت لها مكانة عميقة في المجتمع لا ينازعها منازع، ولا يشك في بلاغتها ناقد: «ولما كان البيان النبوي امتداداً وبياناً للقرآن الكريم كان لذلك النوع الأدبي فيه نصيب متميز، يعمق به النبي ﷺ طائفة من المفاهيم والقيم التي تعد من المسائل الكبرى في النماذج الكلية من حياة الإنسان»<sup>2</sup>.

و إن كان الهدف منها في القرآن الكريم، تتبع الأحداث الماضية وإبراز جانب العبرة فيها، للرسول ﷺ لتثبيت فؤاده وليستفيد منها دروساً يتعامل عن طريقها مع قومه المنصرفين عنه.

ومن ثم استعان الرسول ﷺ بكل الوسائل الممكنة للوصول إلى إقناع كل من توجه إليهم بدعوته، ومن الوسائل انتهاجه النهج نفسه؛ النهج القصصي لتحقيق أهدافه الدينية والتي تتمثل في الدعوة إلى الله، والحث على عبادته وتوحيده، وأهداف تربوية تتلخص في تربية الضمير وإيقاظ الحواس، وترهيب الكفار، والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش، واجتماعية تتمثل في تنمية العلاقات، وتأكيد روح الجماعة وغرس مبدأ الحس والشعور بالآخر، ونشر المحبة وتقوية الصلات بين أفراد المجتمع، والهداية إلى مواقع الخير وإرشادهم إلى ما فيه الخير والصلاح: «إن القصة النبوية واحدة من النصوص والمعالم التي أعجزت أهل

<sup>1</sup> - سورة يوسف، الآية:3.

<sup>2</sup> - كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار إقرأ، (د.ط)، (د.ت)، ص459.

السرد والقصص، وعليه راحوا يتناولونها بالشرح والتوضيح والتفصيل، وتبيان العبر والدلالات لما لوقعتها على النفس من تذكير وبيان في المعنى، وجمالية لغوية وإجرائية في المبنى حيث الفصاحة والبيان ومما زادها رونقا وجمالية ومنتعة، أمَّا تناولت قصص الأمم السابقة، وأخبرت عن الحال والمآل والمصير... وكيف تضاربت بأولئك الناس الأحوال والصروف والظروف»<sup>1</sup>.

والعبرة في هذه الحال تتعدى حدود المكان والزمان في الفعل، إلى شساعة الزمان والمكان فيما سيؤول إليه أمر الناس فيما بعد؛ لأن البقاء على الحيرة والضلالة غفلة، يجب الانتباه إليها والخروج من دوائرها بالإيمان والصلاح والتقوى.

ولهذا فمكانة القصة في الحديث النبوي الشريف متميزة في مقام الدعوة إلى الله، والتي توضح المعالم والظروف والصروف والأحداث... التي يعيشها الإنسان، في كل حين وآن؟ في مختلف الأزمنة والأماكن والأعراف والأجناس والألسنة والبيان، لأن نبينا الكريم (عليه الصلاة والسلام) الذي وصفه تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>2</sup>، هو الذي قصَّ هذا القصص عن السابقين، ليكون ذلك عبرة وعظة للاحقين بوحى من علام الغيوب سبحانه وتعالى، وفيه من مواطن الجمال والروعة والإبداع وأسرار البيان ما فيه، وهو ضرب من ضروب الأدب يصغي إليه الإنسان، فتترسخ عبره وأمثاله في النفس لحلاوته وعدوبة كلماته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>3</sup>.

والقصص النبوي هو بعد القصص القرآني في المكانة والرسالة، كون القصة: "فن أدبي قسم صاحب الأمم من عهد البداوة وإلى عهد ذروة الحضارة، ومكانته ممتازة بين الفنون

<sup>1</sup> - د. محمد حجازي، المظاهر السردية والسيمايائية في القصص النبوي (دراسة في المباني والمعاني)، مجموعة مقالات الندوة الدولية، 2012، جامعة كيرالا قسم اللغة العربية، الهند، ص 261.

<sup>2</sup> - سورة النجم، الآية: 3-4.

<sup>3</sup> - سورة يوسف، الآية: 111.

الأدبية لمرونته واتساعه للأغراض المختلفة، ولجمال أسلوبه، وخفته على النفوس، وقد بلغ به القرآن ذروة السمو والكمال»<sup>1</sup>.

ولذلك فإن منزلة الحديث الشريف، تأتي بعد منزلة كلام الله تعالى الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>2</sup>.

ولأن التشريع العام يحتاج إلى توضيح وبيان يتوافق ومنهج الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، تصحيحاً لحياة الإنسان على مستويات حياته الشخصية والعامة والتي يحياها في محيطه الخاص، أو مع بقية الناس الذين يعاشونهم، ويشاركونه الحياة، بمختلف أضرهما الحياتية المتعددة، وفي ديننا لكل مقامه واحترامه ومعاملته المتميزة والخاصة: «عبرت القصة في القرآن الكريم عن منهج الحكمة في مواجهة المصائب والتحلي بالصبر الواثق عن الشداد والأزمات، وعبرت عن منهج اقتصادي فذ وقلبت بتأني وإمعان جوانب النفس البشرية في حالات متباينة، عندما تعميها الغريزة وعندما يضيئها نور الإيمان، عندما يملأها الحقد وعندما تسيورها الرحمة والأخلاق الفاضلة إلى هذه الأغراض»<sup>3</sup>.

وعليه جاء الحديث الشريف ليبين ويوضح مقامات التكليف والمتابعة لقواعد الانضباط السلوكي و المعرفي في الدلالة و الوقف، ويفتح السبيل أمام الناس لمعرفة حقيقة دينهم وديناهم، ليتسلحوا بمكارم الأخلاق ونبل العواطف والاتجاهات، ويحققوا قول الله تبارك وتعالى: ﴿...﴾<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أ.د عمر سليمان الأشقر، قصص الرسول ﷺ وأصحابه في صحيح الحديث النبوي، دار النفائس، عمان الأردن، ط1، 1427هـ-2007م، ص 15.

<sup>2</sup> - سورة فصلت، الآية: 42.

<sup>3</sup> - د. خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية، ص126.

<sup>4</sup> - سورة الحجرات، الآية: 13.

وتنوعت أغراض الحديث وموضوعاته من تشريع ودعوة وتوضيح وشرح وإثبات وتميز في البلاغة والسرد، وكل ما له علاقة بالإعجاز العلمي واللغوي المتين والرصين، والمتسم بالجماليات البيانية الساحرة والتعابير المعجزة، «لقد ترك لنا رسول الله ﷺ دستوراً إسلامياً أزلياً خالداً أو نظاماً دقيقاً تاماً متكاملًا، يتمثل في كتاب الله العزيز والحديث النبوي الشريف»<sup>1</sup>.

وتعد القصة النبوية، واحدة من المعالم الهامة التي ميزت الحديث الشريف، بمفاتيح البلاغة والتميز البياني الرصين والفصيح، الدال والممتع في آن واحد، بما يحمله من مظاهر سردية وسيميائية وأسلوبية جعلت الدارسين يتناوبون على دراسة حقائقه وفضاءاته المعرفية المتميزة بقيمة صدقه، وتحاوبه مع الأحداث زمانية كانت أو مكانية، فهو قد أوتي جوامع الكلم، وليس يصعب عليه أن يختار المفردة التي تأخذ من السامع موقعها، من قاموس اللغة العربية الثري، لأن كل ما ينطق به قانون يسيّر نظام الحياة لجملة البشر.

والقصة إحدى نوافذه الدلالية الهادفة وهي عبرة وعظة لكل مسلم أخلص لعقيدته السمحة التي جاءت للعالمين تبياناً للحق وموعظة لصاحب كل لب وعقل، «يجب أن يتحول ذكر القصص للمسلمين، من قبل الكاتبين والمتحدثين والواعظين، من كونه هدفاً أساسياً، إلى جعله وسيلة ضرورية، لتحقيق هدف إسلامي أصيل، ويجب أن يتحول هدفنا من الحديث عن قصص السابقين، فلا نهدف إلى مجرد «إمتاع أسماع» السامعين، وتقديم روايات وأقاصيص يطربون منها ويتلذذون بها، ويشبعون بها حاستهم الفنية، بل نهدف إلى

<sup>1</sup> - محمد نايف الدليمي (دراسة وتحقيق)، جمهرة وصايا العرب، وصايا صدر الإسلام والدولة الأموية، دار النضال، بيروت، ط2، ج2، ص12.

أن نجعلهم، يتفكرون فيما يسمعون، فيستخرجون منه دروساً في الإيمان والدعوة والجهاد والثبات، إن ذكر القصص وسيلة لا بد منها من وسائل الدعوة، وأسلوب ضروري لإحقاق الحق ومحاربة الباطل، إن السامعين يفرقون بين رجلين من المتحدثين: بين رجل يعرض أفكاره ودعوته عليهم من خلال القصص، وبين رجل آخر يعرض الأفكار نظرية مجردة مثالية جافة، إنهم يتفاعلون مع الأول منها، ويتأثرون به وينقادون إليه»<sup>1</sup>.

وهذا فتوظيف القصة في الحديث النبوي يعد أسلوباً من أساليب الدعوة، بل وأسلوباً ضرورياً لأن الإنسان يصغي إليه، فتترسخ عبره وأمثاله في النفس، لحلاوته وعذوبة كلماته، ولأنها تنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر.

والقصة النبوية حملت كل عناصر التشويق، التي حملتها القصة القرآنية ذات الدلالات العميقة والأبعاد التفسيرية؛ التي وضحت كل المعالم وبينت كل الدلالات، وأجابت عن كل التساؤلات: « إن أول غايات القصص الحق تبيان الصراع الحتمي الدائر منذ الأزل بين الخير والشر، الصراع بين الإنسان ونفسه، بين الإنسان والظروف المحيطة به، صراع بين الطين والروح...»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، دار القلم دمشق، ط5، ص25-26.

<sup>2</sup> - أحمد محجت، أنبياء الله، دار الشروق بيروت، القاهرة، ط11، 1403هـ-1983م، ص24.

لذلك فإن فن القصص القرآني والنبوي جاء لسرد أحوال وأخبار السابقين، ومن ثم فهو عظة وعبرة للاحقين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه: « فالقصص يحمل من العظات والعبر ما يعبر عن الحياة الإنسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ويكشف عمّا فيها من جوانب مشرقة وأخرى معتمة ، من خلال أساليب الخير، وأساليب الشر؛ فهو مرآة تعكس لأهل كل عصر ما وقع في العصور التي سبقتهم، وتجلي لهم ، بوضوح خطر ما هم عليه وخبر ما هم فيه من خير وشر، تذكيراً وتحذيراً وبلاغاً ، لكل من أراد أن يتذكر ويعتبر وينبئ أهل كل عصر بما سيأتي بعدهم من مثلات وأحداث إلى أن تقوم الساعة، بل تنبؤهم بما يجري على الناس بعد قيام الساعة، من حشر ونشر وحساب وعقاب وثواب، إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار»<sup>1</sup>.

ولهذا السبب استطاعت القصة أن تأخذ مكانتها في كتاب الله عز وجل، وأن تشغل حيزاً واسعاً، ومساحة كبيرة في الحديث النبوي الشريف: « فالقصص القرآني لا يقل الحيز الذي شغله من كتاب الله تعالى عن الربع إن لم يزيد قليلاً، فإذا كان القرآن ثلاثين جزءاً فإن القصص يبلغ قرابة الثمانية أجزاء، من هذا الكتاب الخالد وإذا كان المصحف الذي بيده ثمانمائة صحيفة فإنك تجد أن القصص يشغل منه ما يزيد عن المائتين ولا تعجب من ذلك،

<sup>1</sup> - د. محمد بكر إسماعيل (عن مقال له بعنوان): تأملات في قصص القرآن، مجلة منبر الإسلام، العدد 1، شعبان 1414هـ - ديسمبر 1996م، ص 16.



لأن القصة القرآنية لم تأت لتقرر هدفاً واحداً، بل إنّ هذا القصص كانت أهدافه كثيرة وغاياته متعددة»<sup>1</sup>.

والأمر أيضاً بالنسبة للقصص النبوي، فقد شغل بموضوعاته وبلاغته وأساليبه الكثير من المفكرين والكتاب والباحثين لمدى استخدامه ﷺ لهذا الفن النثري في أحاديثه الشريفة، فدرسوا جوانب متعددة فيه، بالرغم من أن مجالات الدراسة في القصص القرآني أكثر بكثير من القصص النبوي الذي يبقى متفتحة على الدراسات والبحوث وذلك لخصائصه الكثيرة وأساليبه المتنوعة، فهو قصص يجمع بين العبرة والجمالية ومتفتح على الكثير من الآراء والشروح والتعليقات.

<sup>1</sup> - د. فضل حسن عباس، القصص القرآني (إجاءه ونفحاته)، شركة الشهاب للنشر والتوزيع الجزائر، ص 10.

# الفصل الأول:

مسار القصة وأهدافها في القرآن والسنة

أولاً: القصة في المفهوم

أ- لغة

ب- اصطلاحاً

1- عند العرب

2- عند الغرب

ثانياً: في المسار

ثالثاً: أنواع القصة

1- القصة البشرية

2- القصة القرآنية

3- القصة النبوية

أ- خصائص القصة النبوية

ب- أهدافها

ج- أنواعها

د- موضوعاتها

## أولاً: القصة في المفهوم :

تعد القصة فنا من الفنون الأدبية الهامة، ووسيلة من وسائل التبليغ والتعبير عن الأفكار والرؤى، التي توجه الإنسان في جميع ميادين الحياة، سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو فكرية ؛ حيث تعبر عن مكنوناته، وحوالجه، واتجاهاته نحو سبل الحياة، وأضرها المتعددة والمتنوعة، إنها القصة التي تتجدد بتجدد الزمان وتنوع القراء، وزيادة فقههم وتدوقهم لها، وعليه إن التعريف بها يقتضي العودة إلى أمهات المعاجم.

## أ- لغة:

يشكل المفهوم اللغوي في كل بحث أهمية كبرى، ويتطلب ذلك من كل دراسة أن تضبطه بشكل جيد ، فصاحب اللسان يقول عن مفهوم القصة اللغوي بأنها:

«الخبر، وهو القصص، وقصَّ عليَّ خبره، يَقْصُهُ قِصَاً وقِصْصاً أوردته، والقصص، الخبر المقصوص بالفتح، والقِصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب، ويقال تقصص الخبر أي تتبعه، والقصة الأمر والحديث، واقتصصت الحديث رويته، على وجهه، والقاص الذي يأتي بالقصة على أوجهها كأنه يتبع معانيها وألفاظها»<sup>1</sup>، فالقصة هنا بمعنى الخبر ورواية الأمر والحديث.

أما الفيروز أبادي فيقرر أن القصص هي الأخبار المتتبعة، فجاء معناها في القاموس المحيط قوله: «وقصَّ آثارهم وتقصَّصها تتبعها بالليل، وكذلك اقتصَّ أثره وتقصص أي تتبع، يقول أمية بن أبي الصلت: قالت لأخت له: قصيه عن جنب وكيف يقفو بلا سهل ولا جدد»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت، ط1، 1405هـ-1985م، ص192.

<sup>2</sup> - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار العلم للملايين، بيروت، مادة (قصص)، ج2، ص313.

وعند ابن سيده تعني كذلك تتبع الأثر: «قص آثارهم يقصها، قصا وقصصاً، وتقصصها تتبعها بالليل، وقيل هي تتبع الأثر أي وقت كان».<sup>1</sup>  
وفي تاج العروس: «القاص يقص القصص، لأتباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً».<sup>2</sup>

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت: 395هـ): «القاف والصاد، أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم، قص الشيء يقصه قصصاً، وقصصا بمعنى تتبعه لأمر وغاية ينتهي إليها من ذلك التتبع، ومن ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبعته».<sup>3</sup>  
وقد جاء الجوهري (ت: 398هـ) بعده بشيء من المعاني الدالة على المعنى الإصطلاحي بعد أن ذكر ما جاء عند ابن فارس فيقول: «والقصة الأمر والحديث، وقد اقتصصت الحديث رويته على وجهه...».<sup>4</sup>

وجاءت اللفظة في معجم الألفاظ والأعلام القرآنية بمعنى: قص الثوب وغيره قطعه بالقص، وقص الشيء: تتبع أثره، وقص القصة رواها، ويقال قص عليه الرؤيا: أخبره بها، وأقص فلان من نفسه، مكن غريمه من الاقتصاص منه، والقصص رواية الخبر والقصة: الحكاية الثرية الطويلة والجمع قصص».<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية 2000، ج6، ص101.

<sup>2</sup> - الزبيدي محمد مرتضى، دار صادر، بيروت، مادة قصص، مج 04، ص423.

<sup>3</sup> - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح وشرح: ع/السلام هارون، مكتبة ومطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط3، 1405هـ-1980م، مج5، ص11، مادة (قص).

<sup>4</sup> - سماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح. أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1399هـ-1979م، ج3، ص1053.

<sup>5</sup> - محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، مادة (قصص)، ط2، 1969، ص140.

وعلى هذا الأساس فالتأمل في الدلالات اللغوية للقصة والخبر في التراث المعجمي القديم لا يجد من يفصل بين القصة والخبر فصلا دقيقا مبينا طبيعة كل منهما، وذلك يرجع إلى طبيعة تلك البيئة المعجمية المهمة بشأن المفردات وبيان مرادفاتها على نحو عام، دون البحث في الفروق الدقيقة.

ومنه وجب تتبع مفهوم القصة في القرآن الكريم لفهم دلالة هذه اللفظة في سياق الآيات القرآنية، ومنه قوله تعالى في حديث أم موسى مع أخته، حين التقطه آل فرعون ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ<sup>1</sup> فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: 11) أي تتبعي أثره لتعلمي خبره، وفي قصة موسى عليه السلام مع فتاه، وقد ذهب للبحث عن الخضر، امثالاً لأمر الله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ<sup>2</sup> فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف 64). والمقصود أن موسى وفتاه رجعا من الطريق الذي سلكاه يتبعان الأثر، ويقصانه حتى ينتهي **بهما** السبيل إلى المكان المنشود لهما، الذي نسيا فيه الحوت.

وقد يأتي القص بمعنى البيان ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ﴾ (يوسف 03) أي: نبين لك أحسن البيان.

كما ورد الفعل قص بمعنى بين، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (النمل: 76) أي: يبين لهم ما اختلفوا فيه.<sup>1</sup>

وقد يرد بمعنى الإنباء ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (غافر: 78) أي أنبأناك بأخبارهم<sup>1</sup>. ولم تطلعك على ما كان من شأن آخرين منهم.

<sup>1</sup> - البغوي الحسن بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، ج3، ص 512.

و المتأمل في أسلوب التعبير القرآني، عن الفضاء الدلالي لمعنى "القص"، يجد تحديداً دلالياً دقيقاً، معبراً عن قيمة المفهوم للقصة؛ إذ يحيل القرآن الكريم الفعل "قص" على معنى الخبر والنبأ والإبلاغ عن واقعة إخبارية معينة.

وفي السنة، جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة في مقتل حبيب بن عدي، والتسعة الذين كانوا معه، متوجهين بأمر من رسول الله ﷺ، ليكونوا عيوناً على المشركين جاء فيه: «حتى إذا كانوا بالهدّة بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يُقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل، رام فاقتصوا آثارهم، حتى وجدوا ماكلهم التمر في منزل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم»<sup>2</sup>، والشاهد في هذا الحديث استعمال لفظة "فاقتصوا آثارهم"، وذكر ما يرادفها ثانية في قوله: "فاتبعوا آثارهم"، ويتضح مفهوم القص في الحديث على أنه؛ إيراد الخبر، وتتبع الأثر لمعرفة المكان الذي نزل به أصحابه أو سلكوه، وهذا هو المعنى الأصلي للفعل قصّ، ووجه الشبه بين من يلقي القصة وبين من يتتبع الأثر؛ هو في كون القاص يتتبع الأحداث فيخبر بها.

وعليه فالقاص هو من يأتي بالقصة، وتقول إحدى الباحثات: "تناقل المؤرخون أمثال الطبري وابن الأثير والمسعودي كلمة الأخبار للدلالة على ما في بطون هذه الكتب من قصص

<sup>1</sup> - القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ج 18، ص 384.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر من كلام رسول الله وسننه وأيامه، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ط1، 1400هـ، كتاب المغازي، باب (إني لفي الصف يوم بدر ...) حديث رقم 3767.

وأسمار، فالإخباري عندهم هو القاص<sup>1</sup>. وقد أكد باحث آخر: «أن الخبر أو الاخبار هو فن قصصي بامتياز، وأن القدماء استعملوا الأول للإدلال به على كل ما يرتبط بالقص»<sup>2</sup>.

ومن هذا تتبع للتعريفات اللغوية للقصة، يتبين لنا أن القصة تعني الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى، لا يخلو من العبرة والعظة، أو هي مجموعة أحداث مرتبة ترتيباً سببياً منطقياً، تدور حول موضوع عام هو التجربة الإنسانية، فجوهر القصة هو الحياة بما فيها من نماذج بشرية، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>3</sup>؛ أي: نقص عليك أخبارهم، للعبرة والعظة للمعتبرين، وازدجار للظالمين، وموعظة للمتقين.

كما يتضح معناها أيضاً من خلال مدلولها اللغوي على أنها: «الحكاية عن خبر وقع في زمن مضى، لا يخلو من بعض عبرة مع شيء من التطويل»<sup>4</sup>، وهذا نفس ما جاء به العسكري عند تعريفه للقصص ومحاولة تمييزه عن أشكال السرد والنقل بقوله: «الفرق بين القصص والحديث أن القصص ما كان طويلاً من الأحاديث متحدثاً به عن سلف ومنه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ وقال: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾، ولا يقال لله قاص، لأن الوصف بذلك قد صار علماً لمن يتخذ القص صناعة...

<sup>1</sup> - د. عزة الغنام، الفن القصصي العربي القديم من القرن الرابع إلى القرن السابع، الدار الفنية للنشر، القاهرة، 1411هـ-1991م، ص23.

<sup>2</sup> - سعيد جبار، الخبر في السرد العربي الثوابت والمتغيرات، شركة النشر والتوزيع الدار البيضاء، ط1، 1424هـ-2004م، ص38.

<sup>3</sup> - سورة الأعراف، الآية:101.

<sup>4</sup> - عبد الحافظ عبد ربه، بحث في قصص القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1972، ص41.

وسمي الخبر الطويل قصصاً لأن بعضه يتبع بعضاً حتى يطول، وإذا استطال السامع الحديث قال: هذا قصص»<sup>1</sup>.

أما القصة أو القصص عند ابن الجوزي: «القاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها، وذلك القصص وهذا في الغالب عبارة عمّن يروي أخبار الماضين، وهذا لا يذم لنفسه؛ لأن في إيراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر، وعظة لمزدجر، واقتداء بصواب ملتبع»<sup>2</sup>.

فالقصة أو القصص إذن هو: «رواية الحديث أو الخبر وبيانه والإعلام به وتتبع أجزائه جزءاً جزءاً من بدايته حتى نهايته، يغلب عليه أن يكون متعلقاً بماضين سالفين، كما يغلب عليه الامتداد الزمني نسبة إلى غيره من أنواع السرد الأخرى، كأن يسرد مساراً كاملاً: قصة حياة مثلاً أو معظم أجزاء هذه الحياة، حياة شخص أو مسار ظاهرة أو ما إلى ذلك»<sup>3</sup>.

ولهذا سمي القرآن الكريم أخبار السالفين من أنبياء ورسل وأمم، بالقصص لطول هذه الأخبار، وتقصي أحداثها وتغطية أهم مسارات من تعلق بهم.

### ب- اصطلاحاً:

إن القصة من الفنون الأدبية الهامة التي لم تستقر على مفهوم محدد وثابت، نظراً لتطورها المسير لتطور حياة الإنسان وظروفه ولذا نجد أن هذا الفن له العديد من التعاريف التي تختلف من كتاب لآخر.

<sup>1</sup> - العسكري، أبو هلال، الفروق في اللغة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1979، ص33.

<sup>2</sup> - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، كتاب القصص والمذكرين، قدّم له وحققه وعلق عليه وأعدّ فهرسه د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م، ص157-158.

<sup>3</sup> - إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنىات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 1429هـ-2008م، ص28.



## 1- مفهوم القصة عند الكُتّاب العرب:

يرى الدكتور محمد يوسف نجم أن: " القصة مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات انسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفاتها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثير والتأثير".<sup>1</sup>

ويعرف سيد قطب القصة على أنها: «التعبير عن الحياة بتفصيلاتها وجزئياتها كما تمر في الزمن ممثلة في الحوادث الخارجية، والمشاعر الداخلية، بفارق واحد هو، أن الحياة لا تبدأ من نقطة معينة، ولا تنتهي إلى نقطة معينة... أما القصة فتبدأ أو تنتهي في حدود زمنية معينة وتتناول حادثة أو طائفة من الحوادث بين دفتي هذه الحدود».<sup>2</sup>

ويرى شوقي ضيف: «أما عمل كبير، بسطت فيه الحياة بجميع عناصرها الواقعية والإنسانية».<sup>3</sup>

أو هي على حد قول علي بوملحم: «سرد حوادث متسلسلة، تجري لأشخاص مختلفين في بيئة معينة».<sup>4</sup>

أمّا محمد كامل حسن يرى أن القصة: «هي وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة أو عددا من الحوادث، بينها ترابط سردي ويجب أن تكون لها بداية ونهاية».<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - د. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ص9.

<sup>2</sup> - سيد قطب، النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، دار الفكر العربي، بيروت، ص7.

<sup>3</sup> - شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف بمصر، ط5، 1997، ص227.

<sup>4</sup> - علي بوملحم، في الأدب وفنونه، المطبعة العصرية، صيدا، لبنان، 1970، ص120.

و جبور عبد النور يعرفها « على أنها أحداث شائعة مروية أو مكتوبة يقصد بها الإمتاع والإفادة».<sup>2</sup>

ويرى محمود تيمور: أنها: « مرآة عصرها، لفظا ومعنى، شكلا وموضوعا، أو شكلا ومضمونا، كذلك كانت، وكذلك تكون، فإن لم تكن كذلك فهي تزوير على المجتمع الذي تتناوله، إن سلمت من أن تكون تزويرا على الإنسان بإطلاق».<sup>3</sup>

و د. خالد أحمد أبو جندي: يعرف القصة على أنها: « وسيلة من وسائل التعبير الفني ينشرها الكاتب فيبرز بها ما يشغل الناس من أمور الحياة، وما تتصف به نفوسهم من خلال وأخلاق، لينصح أو يرشد أو يعظ أو ينقد أو يلاحظ، وهي بهذا لوحة فنية جميلة تتمدد على صفحاتها ألوان حياة البشر وأنماط سلوكهم وصور أفعالهم بكل أنواعها المتقاطعة والمتوازنة، المتطابقة والمتضادة، ومرآة صافية للحياة، إذا أحسن نصبها أعطت أفضل المناهج لتقويم الحياة و نخلها من الشوائب».<sup>4</sup>

وهي حسب محمد زغلول سلام: « نموذج فني يتصل بكثير مما يهم الناس، مما قد يُضمّنهُ الفنان عمله، فالقصة على هذا الرأي تجمع الفن إلى شيء آخر هام، فهي تعطي اللذة، والمتعة الجمالية التي يعطيها كل عمل فني إلى جانب ما لها هي من خاصية أخرى، تتصل بما يشغل الناس، ويهمهم في الحياة».<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - محمد كامل حسن، القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية، ط1، ص9.

<sup>2</sup> - د. جبور عبد النور، المعجم العربي، دار العلم للملايين، 1987، ص272.

<sup>3</sup> - محمود تيمور، القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، ص13.

<sup>4</sup> - د. خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية منهجها وأسس بنائها، دار الشهاب، باتنة، ص126.

<sup>5</sup> - د. محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة - أصولها اتجاهاتها أعلامها - منشأة المعارف بالاسكندرية، ص5.

و الدكتور طه حسين بلور مفهوم القصة بقوله: « ليست القصة حكاية للأحداث، وسردا للوقائع، كما استقر على ذلك عرف النقاد والكتاب، وإنما هي فقه حياة الناس، وما يحيط بها من ظروف، وما يتتابع فيها من الأحداث».<sup>1</sup>

## 2- عند الغرب:

بسط كثير من المنشغلين في العمل القصصي من الغرب مفاهيم كثيرة للقصة، وهذا حسب مفهوم خاص بكل أديب منهم. ومن أبرز المفاهيم الغربية، تعريف الكاتب الإنجليزي - تشارلتن TCHARLETON - للقصة يقول هي: « حكاية تروى نثرا وجها من وجوه هذا النشاط والحركة في حياة الإنسان، فخير لها أن تقص قصة عادية عن حياة الإنسان العادي الحقيقي، كما تجري حياته في عالم الواقع المتكرر كل يوم ».<sup>2</sup>

فالقصة تسلط الأضواء على الجوانب الأصيلة التي تخص الفرد في مادته الروحية وما ينطوي عليها من جوانب إيجابية أخرى، فهي موجة دافعة لحركة المد والجزر التي تميز الحالة النفسية للإنسان فتعينه على الثبات في غور النفس والحس، أما تولستوى عرفها على أنها: « تخيل غير اعتيادي تماما للحياة، وولوج في غيابة العصور المنصرمة، وتقصي لأحاسيس الأبطال، أفراحهم، مآسيهم، قناعاتهم، شكوكهم، ونقل لتجارب الأجيال البائدة »<sup>3</sup>، ففيها يلتقي القاص بذات معنوية خفية مفعمة بالأحداث المترفعة وتعاليم الحياة المتسعة، فتوحد أفكاره وخیالاته عن الأمم السابقة في دوائر الرؤيا لخفايا الأسرار، فتجعله أمام مشهد حسي معنوي؛ حتى يلامس الصورة الحقيقية فيختفي ضباب طيفها وتحضر مجسدة لتجارب

<sup>1</sup> - خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية (مناهجها وأسس بناءها)، (مرجع سابق)، ص 126.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 124.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 124.

الأجيال متناسقة، تعكس جوانب دهر انقضى وتجدد، فتوحي بفكرة وحل سريع، فيتواري بذكرها في مستويات التردد غموض كثيف.

وحدها الرومانطقيون الفرنسيون: «أما إبراز للإطار الاجتماعي وتقديم لأبطال أقل كيفية واتفاقاً وأكثر حياة، واهتمام وطيد لاستخدام الملاحظة الجادة، والخيال الحي، ثم بفنية أكثر ليونة ورهافة في تدبر الفوائد»<sup>1</sup>.

أما الناقد الإنجليزي: (والتر ألن WALTER ALLEN) فيراها أكثر الأنواع الأدبية فعالية في عصرنا الحديث بالنسبة للوعي الأخلاقي، فهي عن طريق فكرتها وفتياتها تتمكن من جذب القارئ إلى عالمها، فتبسط الحياة الإنسانية أمامه، بعد أن أعادت صياغتها من جديد. وهي في صورتها العامة عند (فورستر) حكاية فحسب تتابع أحداثها في حلقات مثلما تتسلسل فقرات الإنسان.<sup>2</sup>

فكان لكل وجهة نظر طابعها الخاص، مبنية على الممارسة الفعلية والقولية لهذا الفن، وطريقة تناوله ودرجة الميول الأدبي له، فكان الاهتمام به، الأمر الذي مكنه من احتلال مركز متميز على مستوى الأجناس الأدبية وشيوعه في العالم، فأكسبه هذا دوراً حيويًا وهامًا، في طرق الإيصال ووسائل الإبلاغ والإعلام، فجاء الاهتمام به شكلاً ومضموناً، فقد اعتبر (بيدي) أن القصة كيان حي ينمو نحو نواة ثابتة فقال: «هي كيان حي، وما دام كذلك فهو يخضع لعدد من الشروط من أجل أن يحافظ على حياته... إنه أساس يتكون من مجموعة من الأعضاء، بحيث لا يمكن المساس بأي منها دون أن يتم القضاء عليه»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 124.

<sup>2</sup> - ينظر د. محمد زغلول سلام: دراسات في القصة العربية الحديثة- (أصولها اتجاهاتها إعلامها)، ص 3.

<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو، منطق السرد: دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 134.

وبرزت القصة في أوساط ضيقة ثم انتشرت بشكل ملحوظ فتلقفها الأدباء والكتاب باهتمام بالغ، ورعاية كبيرة؛ باعتبارها فناً قريباً إلى أنفسهم، لصيقاً بجمهور المتلقين للتعبير عن مسيرات حياتهم وواقعهم المعيشي، وكل ما يطرأ على دروهم من تغيرات وتطورات، إنها وسيلة من وسائل التعبير الفني ينثرها الكاتب فيبرز بها، ويسيطر من خلالها ما يشغل الناس من أمور الحياة، وما تتصف به نفوسهم وما يعتملها أو يكتنف ذواتهم من مشاعر أو سلوكيات مختلفة، وهي بهذا لوحة فنية معبرة تتمدد على صفحاتها ألوان الحياة بكل ما تحويه من صور متقاطعة ومتوازية، متطابقة أو متضادة<sup>1</sup>.

والقصة فن مترابط محكم العناصر يكتمل بناؤها باكتمال عناصرها، والإخلال بأحدها يؤدي إلى اختلال توازنها تقوم على « سرد حادثة أو مجموعة من الحوادث مستمدة من الواقع أو من الخيال، أو منهما معا، وتبنى على أسس معينة من الفن الكتابي، والقواعد الجمالية»<sup>2</sup>.

ومن هذا المنطلق فإن القصة قد تكون واقعا أراد كاتبها أن يعكس من خلاله قضية تتعلق به، أو تخص المجتمع الذي ينتمي إليه، باستخدام إيجازات وجماليات معبرة عما طرحه في ثنايا قصته. أو تكون خيالا من نسج الكاتب، ومن توقيع بصماته الخيالية الخاصة، لا يسعى سوى لشد التفات القارئ، وجذب انتباهه، ومنحه فرصة لشق محاور الخيال وعالمه فسيحا، وغالبا ما تكون لاستحضار مجالات رحبة لا يتسع لها المقام في عالم الكون وفسحة الأمل بها يحاول محاكاة تأملاته وتسليط الضوء على أفكار من يحيطون به وعكس

<sup>1</sup> - بتصرف عن: د. خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية، ص 126.

<sup>2</sup> - إميل يعقوب، بسام بركة، مي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1، 1987، ص 317.

أحاسيسهم ورغباتهم، سعيًا منه لإرضاء فضول القارئ بما يقتضيه الحال، وكل ذلك بأسلوب فني شائق وتجسيده على أسس جمالية معينة بمتعة ومشاركة وإغراء جذاب.

والقصة النبوية ليست خواطر مستوحاة، أو وقائع تتراوح بين الواقع والخيال فترسو على مرافئ هذا ثم ترحل إلى ذلك، إنما هي الواقع ومعاركة الحقيقة التي لا مجال فيها للخيال، ولا اختراق لأسواره أو تبني ركائزه، إنما العالم النافذ بأحقيقته إلى أعماق الصدق، واحتواء كل الحق واتخاذها مبدأ للانطلاق ومركزًا للإشعاع.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>1</sup>.

وما وصف القصة القرآنية في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾<sup>2</sup>. بالأحسن لم يكن هباءً أو عبثًا، « فلقد كانت الأحسن والأصدق مطلقًا ويكفي أنها عبّدت للناس طرقًا وشقت لهم مناهج يسلكونها في حياتهم في جميع المناحي »<sup>3</sup>. ترصد الحقيقة الإنسانية بكل حذافيرها ومن ثم فقد كانت المرجعية الصحيحة والمنهل الأصيل، ينهل منه الأدباء ويلتف حوله الكتاب، يأخذ منه المؤلفون كل ما يخدم أعمالهم، وينمي ويقوي ما تجود به قرائحهم وأقلامهم، وكذلك كانت القصة النبوية.

### ثانيًا: في المسار:

القصة فن محبب للناس، لما تتركه من أثر في نفوسهم، ومن هنا كانت مساحة القصة واضحة في القرآن الكريم؛ وكانت مجالًا من مجالات الدعوة التي اعتمد عليها الرسول (عليه

<sup>1</sup> - سورة يوسف، الآية: 111.

<sup>2</sup> - سورة يوسف، الآية: 3.

<sup>3</sup> - بتصرف عن: د. خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية، ص 130.

الصلاة والسلام) ، والتي حوت في صدرها رسالة الحياة والأخلاق وسيرة العظماء، كالأنبياء والرسل وقصصهم، وسير حياتهم في دعوتهم وتبليغها للخلق، وهذا أصبحت لها مكانة في المجتمع، لا ينازعها منازع، ولا يشك في بلاغتها ناقد.

وتعد القصة عموماً من الفنون الأدبية الأكثر حضوراً في المجالات السردية، سواء الأدب العربي أو الغربي، فكان هذا الفن محط إعجاب الكثير من الكتاب في كتابتها والقراء في قراءتها، كما يقول د. علي نجيب عطوي: « اتخذت القصة في نفسي مكانة رفيعة منذ حداثة عهدي بالقراءة، فكنت شغوفاً بجمع القصص، والاحتفاظ بها، والعمل على إحاطتها بعناية كبيرة؛ ذلك لأنني كنت أعود بين الحين والآخر، لأرفه عن نفسي من مشاكل الحياة، وضغط المادة، فتكون السبيل إلى راحتي النفسية، واطمئنائها».<sup>1</sup>

فالقصة شديدة الصلة بحياة الإنسان اليومية منذ فجر التاريخ، فلا تكاد تخلو منها حياة أي شعب من الشعوب، سواء كانت مدونة أم مروية شفاهاً.

ويعود تطور فن القصة على معظم الفنون الأدبية الكتابية الأخرى إلى قدرتها الكبيرة، على استيعاب الحياة الإنسانية، بأحداثها الأليمة والمفرحة وتطلعاتها إلى تصوير حياة الإنسان، في أدق تصرفاته، وأرق أحاسيسه.

والقصة حاضرة في تراثنا القديم، وتراوحت آراء الباحثين بين النفي القاطع والاعتراف بعدم وجودها، بمستوياتها الفنية، في الأدب قبل العصر الحديث، اختلافاً يصل إلى حد التناقض، فمنهم من ينكر وجودها، إنكاراً تاماً ومن هؤلاء الدكتور : محمد غنيمي هلال في كتابه (النقد الأدبي الحديث)، حيث قال: « لم يكن للقصة قبل العصر الحديث عندنا

<sup>1</sup> - د. علي نجيب عطوي، تطور فن القصة اللبنانية والعربية بعد الحرب العالمية الثانية، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1402هـ-1982م، ص7.

شأن يذكر، بل كان لها مفهوم خاص، لم ينهض بها ويجعلها ذات رسالة اجتماعية وإنسانية، ولا بد أنه كانت للعرب حكايات يتلهون بها ويسمرون، ولو أن عددنا مثل هذه الحكايات قصصاً لكانت القصة أقدم صورة للأدب في العالم، لأن كل الشعوب الفطرية تستمر على هذا النحو البدائي، ولكن مثل هذه القصص إذا كانت لها دلالة شعبية، فليست لها قيمة فنية حتى تعد جنساً أدبياً، على أن مثل هذه الحكايات لم يتوافر لها من الرواية، ما يجعلنا نحفل بها هنا»<sup>1</sup>.

ويظهر من خلال رأيه؛ أن الحكاية في سمر الشعوب قديماً كانت موجودة؛ ولكنها بمستوياتها التقنية والخصائية لم تكن معروفة، إلا في العصر الحديث، بعد استواء الآداب العالمية على سوقها، يقول في كتابه الأدب المقارن: «أما في الأدب العربي، فلم يكن في قديمه للقصة شأن يذكر، وكان لها مفهوم خاص، لم ينهض بها، ولم يجعلها ذات رسالة اجتماعية أو إنسانية، على أن القصة... لم تكن من جوهر الأدب، (كالشعر والخطابة والرسائل مثلاً) بل كان يتخلى عنها كبار الأدباء لغيرهم من الوعاظ وكتاب السير والوصايا»<sup>2</sup>.

ومن المنكرين لوجود القصة عند العرب قديماً، الأستاذ أحمد حسن الزيات، في قوله: «القصص فن من فنون الأدب الجليلة، يقصد به ترويح النفس باللهو، وتثقيف العقل بالحكمة، وله عند الفرنج مكانة مرفوعة، وقواعد موضوعة، أما عند العرب فلا خطر له ولا عناية به... ظل في حكم العدم، أزمان الجاهلية و صدر الإسلام، حتى آخر الدولة الأموية، حين وضع ابن المقفع الفارسي مناهج النثر وفكر في تدوين شيء من القصص»<sup>3</sup>، كون

<sup>1</sup> - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مؤسسة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1997، ص491-492.

<sup>2</sup> - د. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1987، ص220.

<sup>3</sup> - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار مؤسسة مصر للطبع والنشر الفجالة، القاهرة، ص393.



العربي القديم منغلق الذات، قليل التفكير، في حاضره ومستقبله، كثير التأمل في ماضيه، ليس ببعيد عن بيئته، وقبيلته التي تأويه، عكس الغربي المنفتح التفكير فيما حوله.

ومنهم كذلك أحمد أمين، الذي يرى أن عقلية العربي، الأول كانت تستسيغ الشعر ونبرته الصوتية، دون اللجوء إلى الأنماط الإلقائية الأخرى حتى القصص منها « وكان من عيوب طريقتهم واقتصارهم على الشعر المتعارف، والنثر المسجوع، وتعصبهم لهذا النظر، أن كان الشعر الجاهلي كأنه وحي، إذ لم يتذوقوا القصص كثيرا؛ لأن الجاهليين لم يتذوقوه وخصوصا القصص، الذي ورد عن الأمم الأخرى، كألف ليلة وليلة، فإننا لم ندرك قيمتها، إلا بعد أن رأينا المستشرقين يمجّدونها، فأخذنا نقلدهم كأننا عباد تقليد فقط»<sup>1</sup>.

وهذا ما يثبت الأنوية المغلقة للفرد العربي الأول، المرتبطة بمحيطة البسيط فقط، دون محاولة الخروج إلى اللامألوف على حد قول أحمد أمين.

ومنهم من يؤكد وجودها، ويرفعها إلى مستوى قصصي راقٍ ومن هؤلاء الأستاذ محمود تيمور الذي أكد على أن العرب كغيرهم من الأمم كانت لهم قصصهم، وكان لها شكل خاص، يصور عادات الإنسان العربي وطباعهم وغرائزهم، يقول: «سارعنا إلى الإنكار على الأدب العربي أن فيه قصة، وما كان ذلك الإنكار، إلا لأننا وضعنا نصب أعيننا القصة الغربية في صياغتها الخاصة بها وإطارها المرسوم لها، ورجعنا نتخذها المقياس والميزان، وفتشنا عن أمثالها في أدبنا العربي، فإذا هو خلو منها أو يكاد، وشد ما أخطأنا في هذا الوزن أو المقياس، فللأدب العربي قصص ذو صبغة خاصة به وإطار مرسوم له، وهو يصور نفسية

<sup>1</sup> - أحمد أمين، النقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1371هـ-1952م، ج1، ص249.

المجتمع العربي»<sup>1</sup>، وهذا يفند النظرة الخاطئة على أن القصة في مجتمعنا العربي، ينقصها الخيال، وأن ما تركه لنا العرب في هذا الميدان شيء ضئيل في بعده الفني.

وفي ذات السياق يبدي محمد مفيد الشوباشي استنكاره من أنه: «لا يزال بيننا أناس ينكرون على العرب كل ميزة حضارية، وينظرون بعين الاستهانة والازدراء إلى آياهم الباهرة في ميادين الأدب والفن والعلم، وقد شملت استهانتهم وزرايتهم، فيما شملت القصة العربية القديمة، وسندهم في هذا أن قصص العرب، كانت إما أخبارا أو حكايات أو شعرا روائيا، فهي لا تشبه القصة»<sup>2</sup>.

وهذا الارتباك في الآراء حول القصة، يعود إلى حتمية النظرة التوافقية حولها، وذلك لكون الكتاب، كلٌ نظر إليها بما يتوافق والمفاهيم التي علقت بفكره، حول المنظومة السردية العربية بين قديمها وحديثها، ولعل ذلك يعود إلى نظرة البعض لكل السردية، مهما كان مستواها، على أنها قصة فنية وأيضا نظرة البعض على أن القصة يجب أن تحاط بكل الصور الفنية التي يجب أن تتماثل لها، حتى تصير فنية في طابعها السردية.

ومن الذين حرصوا على إثبات وجود القصة في أدبنا العربي القديم الدكتور عبد الحلیم محمود.<sup>3</sup> والدكتور عبد الحلیم إبراهيم، وهو يرد على كل ممن سبق ذكرهم، كالأستاذ الزيات، وتوفيق الحكيم وأحمد أمين، هذا الأخير الذي حكم على العربي أن: «خياله محدودة وغير متنوع، فقلما يرسم له خياله عيشة خيرا من عيشته، وحياة خيرا من حياته... وقلما يسبح

<sup>1</sup> - محمود تيمور، محاضرات في القصص في آداب العرب ماضيه وحاضره، معهد الدراسات العربية العالية القاهرة، 1958، ص 26.

<sup>2</sup> - محمد مفيد الشوباشي، القصة العربية القديمة، دار القلم القاهرة، 1964، ص 03.

<sup>3</sup> - عبد الحلیم محمود، القصة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط 2، 1979، ص 61.

خياله الشعري في عالم جديد يُسقى منه معنى جديداً<sup>1</sup>، يقول الدكتور عبد الحميد إبراهيم: «بعد هذا الاستطراد الذي لا بد منه لهدم الأساس الذي بنى عليه من رمى الأدب العربي بالجدب، وعدم التنوع في الأفانين الأدبية... فالحقيقة أن القصة واكبت الأمة العربية في سيرها التاريخي، وفي كل عصر كانت أداة فنية، تعبر عن حاجات العرب، وتشف عن ظروفهم التي كانوا يمرون بها»<sup>2</sup>.

هي منظومات قصصية كانت أداة للتعبير عن تجارب إنسانية ممزوجة بخيال يعكس انتماءه لصحرائه، وناقته، وحرابه، فقد قصَّ عن الجان والحيوان، واللاهوت، قصَّ قصص عنزة بن شداد، وسيف بن ذي يزن، وفتوح اليمن مع بطولات عمرو بن معدي كرب الزبيدي والكثير من المفاخر والبطولات، التي كان لها سند في واقع الإنسان العربي، غير أنه حوّل هذه الوقائع إلى خيالات، زادت من نشوة الانتصار والتحدي.

إن المنكرين لوجود القصة في الأدب العربي القديم، متأثرون إلى حد كبير، بنظرية الكاتب الفرنسي (تين) التي تقوم على أساس «أن هناك عوامل نفسية وطبيعية، ترجع إليها خصائص كل شعب، في أدبه وفنّه، وهذه العوامل هي: الجنس والبيئة والقوة الموجهة للعصر، والمكتسبة فيه والجنس هو أهم العوامل؛ إذ هو الاستعدادات الفطرية التي تميز مجموعة من الناس، انحدروا من أصل واحد»<sup>3</sup>.

وطبقاً لهذه النظرية فإن التفاوت بين الأجناس تفاوت متضارب «فهذا جنس آري ممتاز وذلك جنس سام أقل منه، هذا جنس آري قد منحه الله الدهشة نحو العالم، وأفاض عليه العاطفة المشبوبة، والخيال الواسع، فأخرج للإنسانية القصص الرائعة، والمسرحيات

<sup>1</sup> - أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط10، 1969، ص37-38.

<sup>2</sup> - عبد الحميد إبراهيم، قصص العشاق النثرية في العصر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987، ص27-28.

<sup>3</sup> - د. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص55-56 بتصرف.

الدائعة، وذاك جنس سام لم يوسع الله عليه، فحرمه الخيال المبتكر، والعاطفة الخلاقة، فلم يبتكر قصة، ولم يخلق مسرحية»<sup>1</sup>.

وبالرغم من شذوذ هذا الرأي، الذي يتبنى أفضلية الأجناس في التفكير والإبداع وهذا ما لا يقره عقل ولا يستقيم له صواب، فإن رد الدكتور محمد غنيمي هلال، يتوافق مع النتيجة التي توصل إليها تين حين يقول: «ويمكن أن تفيد من نظرية "تين"، في النقد العربي فيما يخص، تأثير الجنس، ذلك أن الجنس السامي، والعربي منه بخاصة، لم يهتم بالأدب الموضوعي، أدب القصص، ثم أدب المسرحيات والملاحم»<sup>2</sup>.

فلا جدال أن أسلوب أو مبدأ الحكيم والقصص، هو غريزة فطرية عند الإنسان، منذ أن رأى نور الدنيا، خلقت معه مجموعة من التساؤلات، الناتجة عن تأمله في هذه الطبيعة وهذا الكون الرحب، وعجز فهمه عن إدراك كنهه، وما يحمله من خفايا يفاجئه بها، كل هذا أثار اهتمامه، وولد ما يعرف بالقصة هذا الفن الذي وجد مع وجود الإنسان، «بل ابتدأت كما ابتدأ غيرها بالميثولوجية والأساطير، وروايات أحلام الإنسان البدائي، وتخيلاته عن الآلهة والعالم وعن علاقات الفرد بالمجتمع والطبيعة وما وراءها»<sup>3</sup>.

فمثل هذا النوع من القول يمكن تفسير الحكيم في مساره التاريخي، بأنه: نوع من الأساطير التي تعاطاها الإنسان منذ فجر التاريخ؛ وبالتالي فهي ترمز إلى حقيقة وجوده، ومستوى التفكير لديه في زمن ولى بعيدا عن زماننا.

<sup>1</sup> - عبد الحميد إبراهيم، قصص العشاق الثرية في العصر الأموي، ص 22.

<sup>2</sup> - د. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص 60-61.

<sup>3</sup> - أحمد أبو أسعد، الفنون الأدبية (فن القصة)، منشورات دار الشروق الجديد، بيروت، ص 47.

« فالمزاج القصصي غير قاصر على شعب دون آخر من بني الإنسان، فالقصة تراث إنساني شائع، في كل الأمم قديما وحديثا، وقد عرف العرب القصة منذ العصور الأولى وخلفوا لنا آثارا باقية تدلنا على ما كان لديهم من القصص والأساطير».<sup>1</sup>

أما الأمر الثاني، الذي نقر من خلاله وجود القصة في أدبنا العربي، أن القرآن الكريم فيه ما يبده هذه المزايم، ويثبت في الوقت ذاته أن العرب الأوائل كانوا يعرفون القصص، وإلا ما جاءت آية تأمر الرسول (ص) أن يقص على مسامع قومه القصص البناء، الذي يحرك العقل من رقدته، ويوقض الفكر من سباته، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ائْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ<sup>ع</sup> فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ<sup>ع</sup> ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا<sup>ع</sup> فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) ﴾.<sup>2</sup>

« يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ أي لعل بني إسرائيل العالمين بحال بلعام وما جرى له في إضلال الله إياه وابعاده من رحمته، بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه في تعليمه الاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب في غير طاعة ربه، بل دعا به على حزب الرحمن وشعب الإيمان».<sup>3</sup>

وكذلك قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَفْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا<sup>ع</sup> قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا<sup>ع</sup> وَعَرَّتْهُمْ حَيَاتُهُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ ﴾.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، (أصولها، اتجاهاتها، أعلامها) (مرجع سابق)، ص 63.

<sup>2</sup> - سورة الأعراف، الآية: 175-176.

<sup>3</sup> - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، ط 1، ج 2، ص 845.

<sup>4</sup> - سورة الأنعام، الآية: 130.

« أي أقرنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك، وأن هذا اليوم كائن لا

محالة». <sup>1</sup>

ومن الثابت ضمناً أن الرسالات السماوية السابقة، تضمنت قصصاً للعبارة والموعظة، قصد الوصول إلى غاية التبليغ والأخذ بأسباب الاعتقاد بالوحدانية لله تبارك وتعالى، وخصوصية الأنبياء والرسل في تبليغ الرسالات التي كلفوا بها، من قبل الباريء سبحانه وتعالى.

والسنة النبوية الشريفة مثلها مثل القرآن الكريم، حفظت لنا مقداراً من القصص الذي رواه المصطفى (عليه الصلاة والسلام) عن الأقوام السابقة بما أوحاه الله إليه عنهم، وعن حالهم، وحياتهم وما وقع بينهم من أحداث، وما كان عليه أمرهم في شأن الاعتقاد، بالوحدانية والربوبية لله تبارك وتعالى، وكيف آمن منهم فريق، وعصى وجحد منهم فريق آخر، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (26) <sup>2</sup>، فالديار دلالة على الماضي، وما يحمله من مضامين تفصيلية، وأحداث تاريخية واجتماعية وسياسية خصت أقوام السلف.

« إذ نجد في الحديث النبوي الشريف أخباراً كثيرة، كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يرويها كلما استدعت الحاجة، ذلك في معرض تبليغه، الدين الجديد وتعليم أصوله وقواعده وأخلاقه وآدابه» <sup>3</sup>، استخدمها الرسول ﷺ؛ لأنه كان يعرف أهمية القصة في التأثير على النفوس والسيطرة على الأفتدة، وأنها تشكل عاملاً مهماً في إنجاح أية دعوة من الدعوات التي يراد بثها، في أفتدة الناس، ولهذا فإن « لفظ القصة ومفهومه كانا موجودين

<sup>1</sup> - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 762.

<sup>2</sup> - سورة نوح، الآية: 26.

<sup>3</sup> - إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، ص 73.

معروفين، لدى العرب قبل الإسلام، يدل على ذلك أنه لم يثبت أن يسأل أحد الصحابة الرسول ﷺ، عن معنى اللفظ، وما ذلك إلا لأنه واضح مبين<sup>1</sup>.

فالعرب كانت لديهم معرفة بالقصص منذ العصور الأولى لحياتهم، ولكن ليست بالصورة الفنية المتكاملة والمعروفة، بل كانت عبارة عن سرد لقصص وأخبار تتحدث عن أيام العرب، ووقائعهم وحروبهم، أسمارا يرويها الخلف عن السلف، بل ونجد أن هذا الفن القصصي قد انصب في قوالب من القصائد الشعرية يتغنون من خلالها عن مسيرة حياتهم ومعاناتهم ووصف لمشاعرهم وعواطفهم وتغزلهم فيها بمن تعلقت قلوبهم، وفي هذا الصدد يقول د. عبد المالك مرتاض: «والقصة الشعرية، من أجل ذلك، أسبق من القصة النثرية في الآداب على اختلافها... عُرِفَت القصة في الأدب العربي قبل الإسلام، ولكنها قصة من لون آخر حيث أهما عولجت بالشعر لا بالنثر»<sup>2</sup>.

وأول هذه القصص الشعرية الجاهلية الغزلية التي عرفها أدبنا العربي القديم قصة امرئ القيس مع ابنة عمه فاطمة في غدير (دار جلجل) ومع نساء أخريات والتي مطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل<sup>3</sup>

فالقصة في الشعر الجاهلي كانت بغرض إشباع الأنا والخضوع للآخر، وإرضائه، أما القصة في الإسلام اتسمت بالجدية في القول قصد إعلاء راية الإسلام ونشر الدعوة، والجدية هي العظة والعبرة وقول الحق، فحقا إن: «اهتمام القرآن في تثبيت العظة والعبرة أو في بث

<sup>1</sup> - عبد الملك مرتاض، القصة في الأدب العربي القديم، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1968، ص20.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص39.

<sup>3</sup> - امرئ القيس، الديوان، طبعه وصححه/ الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط5، 1425هـ-2004م، ص110.

معاني الدعوة الإسلامية في صدور العرب، دلالة على تذوق العرب لهذا الفن، بل وتقديرهم له وحبهم ومدى تأثرهم به»<sup>1</sup>.

والأمر الثالث أن من الخطأ، بل من الظلم أن يعالج الباحثون أسس القصة القديمة وفقاً لمقاييس القصة الحديثة وقواعدها، وهي مقاييس لم توضع إلا في القرن الثامن عشر في أوروبا، فالقصة الحديثة عمرها حوالي مأتي عام، ولا ذنب للأدب العربي القديم في أنه لم ينتج من القصص ما يتفق وتلك القواعد الفنية الحديثة، والغاية أن هذه القصص كانت تعبر عن المجتمع الذي نشأت فيه عن عاداته وقيمه، وسلوك أفراده - ولا شأن للباحثين بعد ذلك- إن كانت تتفق مع القصة الحديثة أو تختلف.

وفي العصر الأموي نجد الفن القصصي، نما وازدهر فيه لوانان من القصص هما القصص الوعظي وقصص العشق، ولكن جانب الفن فيهما كان خافتاً « فكثير من هذا القصص مجرد أخبار وأحاديث لا قيمة لها من الناحية الفنية، أو مجرد مجموعة مواقف أو مجموعة حالات ليس بينها رابط إلا إدماجها تحت اسم واحد»<sup>2</sup>.

إلا أن شاعراً هو عمر بن أبي ربيعة، فإن له قصائد نجد فيها القصة تكاد تكون مكتملة الهيكل من تمهيد وعقدة وحل، وحوار ففاق به من تقدمه وأحرز السبق على معاصريه.

وأوضح مثال على شعر عمر القصصي رائيته الشهيرة ومطلعها:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر      هداة غد أم رائح فمبهر<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - محمد زعلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، ص 63.

<sup>2</sup> - د. عبد الحميد إبراهيم، قصص العشاق النثرية في العصر الأموي، ص 164.

<sup>3</sup> - ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار صادر، بيروت، ص 120.



ومع العصر العباسي ظهر أدب مبتكر، وتحركت القصة وتطورت واختلفت أشكالها، وظهر ما يعرف بالنادرة، وأول كاتب عربي كان له الفضل في تأليف كتاب في هذا المجال "الجاحظ" في كتاب "البخلاء"، الذي صور فيه طبقة أو فئة من فئات هذا المجتمع وهم البخلاء، وذلك في طابع من الفكاهة والسخرية « فأحاديث البخلاء، كانت مرحلة أولية لفن الأصوصة في الأدب العربي، أما أحاديث أو أقاصيص ابن دريد فإنها كانت تشكل المرحلة الثانية في هذا الأدب، على حين أن المرحلة الثالثة والتي بلغت من النضج درجة مهمة تتمثل في المقامات لبديع الزمان الهمداني»<sup>1</sup>.

فالجاحظ كان بارعا في تصوير الشخصيات والنفوس إلى حد كبير، فأصبح لا يباريه أحد في وصف الحركات الجسدية والمشاعر النفسية؛ ولعل نزعة الجاحظ واختياره موضوعات قصصه من المجتمع، ما جعله ينزل بالقصة إلى عالم الواقع وجعل السخرية جزءا منها.

ومزجه بين المتعة والخيال، كانت السبب الرئيس الذي أدى إلى ظهور فن قصصي، جديد في أدب العربية. ويعد بذرة من البذور التي أنتجت القصة الحديثة، ذلك الفن هو المقامة، وأول من اخترع هذا الفن في العربية هو بديع الزمان الهمداني (ت:398هـ)، وتبعه الحريري (ت:516هـ) ولكن الهمداني هو الذي أقام هيكل المقامة التي امتازت بعناصر أهمها:

1- الراوي والبطل معا.

2- السجع والمحسنات البديعية.

3- معالجة مشكلات من المجتمع، واختلاف الموضوع من قصة إلى أخرى.

<sup>1</sup> - عبد المالك مرتاض، القصة في الأدب العربي القديم، ص171.

فأصبحت القصة وليدة المجتمع منه وإليه، كون المجتمع يحمل في ثناياه أحداثا مختلفة متراكبة، تشكل بذاتها أو في مجموعها قصصا ولوحات مقامية أدبية.

فالمقامات كانت من أول بذور النثر القصصي في الأدب العربي، كما يؤكد د/ محمد رشدي حسن يقول: «لما كان كل فن من فنون الأدب له جذوره الضاربة في أعماق التاريخ الأدبي، ولما كان التغيير أو التطور لا يأتي إلا على أساس من القديم، فإننا لا نجد في نشأة القصة الحديثة التي بدأت بشكل مقامات، إلا دليلا على هذه الدعوى، بل إننا لا نرى أن القصة الفصحى الحديثة كان يمكن أن تنشأ إلا في ظل هذا التراث القديم، من المقامات والقصص الشعبية وال نوادر...»<sup>1</sup>.

إن دور المقامة في ميلاد القصة الحديثة لم يقف عند حدود القصة العربية، بل تعداها إلى القصة الأوروبية، فبعد اتصال العرب بأوروبا في العصور الوسطى، كان للمقامات تأثير واسع في الآداب الأوروبية « فساعد على موت قصص الرعاة وعلى تقريب القصة من واقع الحياة، ثم على ميلاد قصص العادات والتقاليد في معناها الحديث، وهي التي تطورت فكانت هي قصص القضايا الاجتماعية فيما بعد »<sup>2</sup>.

وقد كان هذا التراث القصصي رافدا مهما للقصة في العصر الحديث يقول محمود تيمور: « وفي خلال نصف القرن الأخير أصبح تراث القصص العربي القديم مجالا للاستيحاء والاستلهام إلا مجرد المحاكاة والاقتراء، فالدكتور طه حسين كما في كتابيه على هامش السيرة، والوعد الحق، وتوفيق الحكيم كما في كتابيه أهل الكهف، وحياة معدة، ومحمد فريد أبو حديد كما في كتابيه الملك الضليل، وملكة تدمر، وشوقي كما في كتابيه مجنون ليلى،

<sup>1</sup> - محمد رشدي حسن، أثر المقامة في نشأة القصة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، ص9.

<sup>2</sup> - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص496.

وعنترة، وعزيز أباضة كما في كتابيه شجرة الدر، وقيس ولبنى، وكاتب هذه السطور كما في كتابيه اليوم خمرة، وابن جلا، هؤلاء وأمثالهم من القصاصين كانوا يستنزلون الوحي من سماء الشرق، ويستلهمون روح الشخصيات العربية التي استفاض حديثها في القصص والأساطير ويصورون ذلك في قصص فني الصياغة والإطار»<sup>1</sup>.

ومع هذا التأثير الفعال فإن كثيرا من الدارسين نظروا إلى القصة الحديثة على أنها خلق أروبي بحت، واختراع غربي المولد والنشأة والنمو، واستورده العرب وحاكوه دون أن يكون لهم دور في بنائه.

وعلى أية حال صار للعرب عالمهم القصصي الرحب المتنوع، وصار للقصة العربية مقوماتها الفنية الواضحة التي يسير عليها المبدعون والنقاد في إبداعهم ونقدهم، وإن كان من الملاحظ أن بعض هذه المقومات ما زال محل أخذ ورد إلى يومنا هذا، إلا أن هناك مقومات أساسية لا يستغني عنها أي نوع من الأنواع الشكلية للفن القصصي من:

أقصوصة، قصة قصيرة، قصة ورواية هذه المقومات الأساسية هي:

- الشخصية: وهي أهم المقومات، إذ تعتمد على المقومات الأخرى إلى حد كبير، ولا بد أن تكون الشخصيات في العمل القصصي مقنعة فنيا، وكلما كانت الشخصية القصصية متفردة كانت أدخل إلى عالم الفن.

- الحدث: وهو مرتبط بالشخصيات إلى حد كبير، فالشخصيات هي المحرك للأحداث، وهي المنفصلة بها في الوقت نفسه، ويتميز كاتب عن آخر بطريقة عرضه للأحداث وتطويرها.

<sup>1</sup> - محمود تيمور، دراسات في القصة والمسرح، مكتبة الآداب ومطبتها، مصر، ص 81-82.

- **الأسلوب:** وهي الوسيلة اللغوية والصيغة الفنية التي يدير بها الكاتب حركة الشخصيات، ويرسم ملامحها الداخلية والخارجية، كما يعرض لها أحداث عمله القصصي ويتنوع الأسلوب في القصة بين الحوار والسرد، يزاوج بينهما الكاتب على أن لا يطغى أحدهما على الآخر، وهناك بعض المقومات الأخرى مثل: الزمان، المكان، البيئة، الحكمة القصصية، العقدة، الحل وغيرها، ولكل منها ضوابطها التي وضعها النقاد.

### ثالثاً- أنواع القصة:

القصة في أبسط تعريفاتها: «أحدوثة شائعة، مروية، أو مكتوبة، يقصد بها الإمتاع أو الإفادة»<sup>1</sup>، وترادف بهذا التعريف الحكاية والخبر والرواية، والقصة القصيرة، إلا أن مصطلح الرواية والقصة القصيرة ينصرف أكثر ما ينصرف إلى مفهوم هذا الفن المقتبس من الآداب الأجنبية بشكله الحديث، وهذا المفهوم الدلالي فإن القصة تروي حدثاً بلغة أدبية راقية عن طريق الرواية، أو الكتابة، ويقصد بها الإفادة أو خلق متعة ما في نفس القارئ عن طريق أسلوبها، وتضافر أحداثها وأحوالها التخيلية والواقعية.

والقصة بمفهومها العام شديدة الصلة بحياة الإنسان اليومية تتمتع بتأثير قوي في وجدان المتلقي ومشاعره، «صاحبت الإنسان منذ العصور الموعلة في فجر التاريخ، إذ اتخذ منها وسيلة للتعبير عن تاريخه الطويل في هذه الحياة»<sup>2</sup>.

إن مبدأ القص لا تختص به أمة دون غيرها، من الأمم منذ اتضح ملامحه الأولى إلى اليوم، لأن تداول الأخبار يكاد يكون غريزة في الإنسان جبل عليها، والأمة العربية مثل غيرها من الأمم عرفت منذ القدم تداول الأخبار بين أطراف بيئتها، كما نقلت أخبار غيرها

<sup>1</sup> - جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، مادة قصّ.

<sup>2</sup> - العرابي لحضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص34.

من الأمم المحاورة، وقد حفظ لنا التراث الأدبي الذي وصلنا شؤوننا كثيرة عن حياة الأمم الأخرى.

وفي القرآن الكريم، نجد كثيرا من القصص الديني الراقي، فالأنبياء والرسل والأمم الغابرة وما تقلبت به الأحداث، معروض في نسق قصصي شائق كقصة نوح عليه السلام وقومه، وقصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وقصة يوسف، وقصة موسى وفرعون، حتى إن سورة كريمة تحمل هذا العنوان "القصص".

وإن ما يميز قصص القرآن الكريم والسنة النبوية، أنه لا يقصد بهما الجانب الفني لذاته، وإنما جيء بهما «لغرض ديني محض، هدفه الوعظ والإعبار»<sup>1</sup>.

ولم يخل حديث الرسول ﷺ من الجانب القصصي، إذ يروى عنه أنه كان يروي لنسائه بعض القصص، كقصتي: حديث خرافة وقصة أهل الكهف، كما كان يجذب الاستماع لبعض القصص، ومنها قصة الجساسة والدجال، هذا ما أكده الدكتور محمد زغلول سلام يقول: «وهناك لمحات كثيرة تشير إلى وجود عنصر القصة في الحياة العربية الجاهلية والإسلامية، وسمع على النبي ﷺ، يقص على نسائه، حديث خرافة، ويستمع إلى قصة الجساسة والدجال»<sup>2</sup>.

ثم حرص الخلفاء الراشدون «على الاهتمام بالقصص، فعمر بن الخطاب أذن لقاص بأن يقص للناس يوما في الأسبوع، وأمر بترجمة قصص العدل والسياسة، وأذن عثمان لقاص بأن يقص للناس يومين في الأسبوع، وأجاز علي بن أبي طالب للحسن البصري أن يقص

<sup>1</sup> - د. محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مكتبة الفارابي دمشق، ط5، 1977، ص232.

<sup>2</sup> - د. محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، ص65.

في المسجد، وفي عهد الدولة الأموية أجاز معاوية القص لجماعة من القصاصين، كما أنه اصطفى شيخاً من شيوخ القصص وأمره بتدوين ما يرويه، ثم اتخذ قاصلاً له<sup>1</sup>.

فالقصة العربية قديمة قدم الأمة العربية ذاتها: «بل هي قوام الأدب المنشور كله»<sup>2</sup>، كما هو الشأن عند اليونان؛ فهم أول أمة أحدثت هذا الفن الأدبي، القصصي، ومثلت بذلك سجلاً لحضاراتهم وموروثاً لفكرهم، تنطق بذلك أساطيرهم الدينية التي جسموا فيها الآلهة، ومظاهر الكون والطبيعة، فأضفوا على المعنويات أثواباً مادية، وقد اتخذ الفن القصصي في الأدب اليوناني عندهم من الشعر قالباً فنياً مشتملاً على ثلاثة أنواع هي: الشعر الديني، الملحمي والأدب الوجداني والأدب الحماسي، ويعتبر الشعر الملحمي في الأدب اليوناني هو أول أنواع الشعر من حيث التاريخ، وقد حفظت لنا الآثار التاريخية بعض قصائدهم الملحمية، كالإلياذة والأوديسة. «وظهرت بشائر القصة في الأدب اليوناني كذلك في أشعار الرعاة، وفي حكايات الرحالة عن الإسكندر الأكبر»<sup>3</sup>.

فالمرجعية التاريخية للفن القصصي، كانت عرضة لمتغيرات يحدثها القاص، من جهة والظروف المتعلقة بإلقاء وكتابة القصة من جهة أخرى، عكس ما هو مثبت في القصص القرآني والنبوي المتسم بالمطلقية والمصادقية، كيف لا وهو كلام الله الحق، الذي «وضع القصة في إطارها الصحيح، وفي صدقها وجمالها وتأثيرها ودورها الفائق في الهداية والتوجيه والعبارة»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 65 بتصرف.

<sup>2</sup> - د. محمد حسنين هيكل، ثورة الأدب، دار المعارف القاهرة، 1978، ص 71.

<sup>3</sup> - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 465.

<sup>4</sup> - نجيب الكيلاني، حول القصة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1412-1992، ص 31.

والقصة النبوية قصة دينية، جاءت خاضعة للغرض العقائدي ذلك الذي يجعل من الإنسان خليفة الله في الأرض، هذا الأخير (الإنسان) قد كون لنفسه خلفية أدبية تنطلق من ذاته، وصولاً إلى الحياة أو الواقع، ما يترجم اليوم في مفهوم الرواية البشرية؛ حيث انطلق من الأسطورة إلى الخرافة وما بينهما من معتقدات، مطورا في ذات القصة وفي هيكلتها، وصولاً إلى نتاج الرواية البشرية الحديثة، ذات الطابع الإنساني.

### 1- تعريف القصة البشرية:

هي: القصة التي جاءت من منطلق فكري بشري خام، معدّل وفق مؤثرات زمانية تاريخية، سياسية وحتى جغرافية، هي: «حكاية تتسلسل أحداثها في حلقات كحلقات فقرات الظهر، ويتضمن تطور الأحداث في زمن متتابع يلعب أبطالها أدوارها على مسرح البيئة أو الوسط»<sup>1</sup>، فهي: «لا تروي الواقع كما هو، بل تؤلف بين الواقع بناء يعمل فيه الخيال عمله، فأبطالها وإن كانوا حتماً من الناس العاديين في أحوالهم وحياتهم اليومية، ولكن تربطهم شبكة من الأحداث كاملة الخيوط ومحكمة التسييج»<sup>2</sup>. فالقصص البشري، يتعامل ويتفاعل مع التخيل وأضرب المزايدات، وحرّج الصدق والكذب، وتعاقبهما على هذا النوع من النصوص السردية القصصية؛ فهي لا تقف عند الحقيقة التاريخية، بل تعتمد على كثير أو قليل من عنصر الخيال، الذي من شأنه أن يلون الأحداث، بألوان غير ألوانها، وأن يبدل ويغيّر في صورها وأشكالها، وكذلك لكي تبدو الأحداث مختلفة في جوهرها عما ألف الناس أن يروها في الواقع.

<sup>1</sup> - محمد زغلول سلام، النقد الأدبي الحديث - أصوله واتجاهاته ورواده-، ص 108.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 108-109.

أما بالنسبة للنوع الثاني فهو مرتبط بالجانب الديني والمتمثل في القصص القرآني والنبوي.

## 2- تعريف القصص القرآني:

هي: « واسطة بيانية تبليغية لناموس سماوي غايته تحذير العقيدة وتوطيد نظام حياة متكامل للإنسانية <sup>1</sup>؛ فهي تشير في الذهن إلى إدراكات ثابتة وحقيقية انطلاقاً من الأحداث والمواقف والعواطف التي تتسم بإبرازها وتصويرها، لما لها من دور فعال في نشر الدعوة، ولاحتوائها على ما يرهف الأحاسيس، ويغني العقول، ويسمو بالسلوك ويعمق اليقين.

وحاول د. محمد قطب تحديد أهدافها بقوله: « القصة في القرآن ذات هدف ديني بحت، فهي مسوقة للموعظة والتربية والتوجيه، ولكنها مع ذلك تفي بكل مطالب الفن القصصي الخالص <sup>2</sup>، توجه البشرية وتبدد حيرتهم، وتهديهم إلى الطريق المستقيم، وتغرس القيم الأصيلة في النفوس، وتبين حال أهل الصلاح وأهل الفساد، ويظهر هذا من خلال العناصر الأساسية التي يحويها الفعل القصصي المتميز بالدلالات والإيحاءات وأضرب الزمان والمكان والأحداث والعقدة وحلّها إنّما تمثل متعة الهدف والغاية والغرض، لأنّها جاءت وفق « الأحداث والوقائع والقضايا والمشكلات، التي جاء القرآن العظيم ليعطي فيها العبرة والموعظة أو الحكم أو الحل أو يكشف سرّ أصحابها من براءة أو خيانة أو صدق أو كذب،

<sup>1</sup> - د. خالد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية، ص 130.

<sup>2</sup> - محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، ط6، 1403هـ-1983م، ص 156.



ووفاء وغدر<sup>1</sup>، كونه مخلوق مكرم، له أنماط من السلوك سعت إلى تهذيبها، بتأثيرها في نفسيته فيستجيب لدعواها؛ لأن مصدرها هو الخالق.

فهي « تتبّع لأحداث ماضية واقعة، تعرض منها ما ترى عرضه، ومن هذا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن الكريم قصصاً، مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ، وقد استخدم القرآن الكريم الخبر والنبأ بمعنى التحدث عن الماضي<sup>2</sup>، فهي تلتزم بمجارية الناموس الكوني في جماله وتناسقه وتوازنه، لإنشاء إنسان صالح، يتوافق معه فلا ينحرف عن الصراط الذي رسمه الله له.

فالقصة القرآنية تقدم للبشر النموذج المثالي للسلوك والأخلاق، والقذوة المتعالية عن الدنيا والأخطاء، وهو سلوك يقتضيه سلوك آخر، فيولد صراع بين الإثنين ينتج عنه غلبة السلوك المثالي منهما، والذي يصبح منهجاً يحتذى، يمثل فئة الرشد والحكمة والموعظة الحسنة، والتي يتخذها الفرد منارا في ظلمات الحياة.

فالحق مثلا يدمغ الباطل والإيمان يسود في النهاية، لأن قوى الخير مصيرها البقاء وقوى الشر مآلها الفناء، وأبطال هذا الصراع المصيري هم الأنبياء والرسل فهم منبع الإيمان، ومصدر العقيدة، يصورون القيم الإنسانية في شتى مستوياتها وبمختلف معانيها وأبرز دلالاتها، فالقصة القرآنية « ذات منحنى واقعي إنساني، نزلت لتشد أذهان الناس على أحداث، ووقائع عاشها أنبياء آخرون بذات القساوة وذات النضال، اللذين عاشهما الرسول محمد-صلى الله عليه وسلم- وأتباعه .. إن هذه القصص وهي تساق ضمن نصوص

<sup>1</sup> - أحمد محمد جمال، القصص الرمزي في القرآن، مكتبة رحاب، الجزائر، ط5، 1407هـ-1987م، ص5.

<sup>2</sup> - محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط2، 2003، ص166.

القرآن، أصطبغت بخصائص نابغة من أبنية التبليغ القرآني، من حيث القوة البيانية، والانسجام التعبيري، والملاءمة الموضوعية ضمن الأغراض العامة للسياق الذي وردت فيه»<sup>1</sup>. فالقصص القرآني يمثل القصص الصادق الذي لا ينكره لا العقل ولا الحس، إذ أن صورته واضحة ليست مبهمة واقعية وليست خيالية، مدركة من قبل الإنسان، و بالتالي فإن تعريف القصة كما تواضع عليه كثير من رجال فنهما، لا ينطبق كل الانطباق على مفهوم القصة القرآنية فهي أولاً: "ليست خاطرة في ذهن الله ولا هي، ثانياً: تسجيل لتجربة مرت بها مخيلته، ولا هي ثالثاً: بسط لعاطفة اختلجت في صدره فأراد أن يعبر عنها بكلام، ليحدث أثراً في نفوس القارئ، مثل أثرها في نفسه، وليست القصة القرآنية لونا من ألوان الأقصوصة أو القصة أو الرواية أو الحكاية بالمعنى المتواضع عليه، فهي لا تحمل من العناصر الفنية ما حملها نقاد العصر الحديث»<sup>2</sup>.

فهي تقدم لنا وتعرض صورة حية لحياة بشرية، بفكرة أصيلة وعميقة، لا تتعارض مع فطرة الإنسان بل تجعله يشاق للوصول إلى الهدف المرجو منها، فتصور القيم الإنسانية على أنها سنة كونية تشتهي النفس بلوغها وتزيدها جمالا، وتعبّر عن الأجيال التي مرت، كما تحمل أنباء الغيب، ويلاحظ أن «القصص القرآني يجيء بالماضي البعيد في عرض أحداثه دون أن يكون فيه شيء من واقع الحال أو متوقعات المستقبل»<sup>3</sup>، فالقصة بكاملها تكون استرجاعاً أو استباقاً.

<sup>1</sup> - سليمان عشراقي، الخطاب القرآني: مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 67.

<sup>2</sup> - د. بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط4، 1400هـ-1980م، ص 216.

<sup>3</sup> - محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط2، 2003، ص 167.

وعبرت القصة في القرآن عن منهج الحكمة، في مواجهة المصائب والتحلي بالصبر عند الشدائد، فهدفها ديني مسوق للموعظة والتربية والتوجيه، وإضافة لذلك تفي بكل مطالب الفن القصصي الخالص.

فالقصة القرآنية تسمو إلى درجة الكمال، ولا تخضع لقوانين وضعها البشر، كما أن الله أوحاها إلى سيدنا محمد ﷺ، في كتابه الحكيم بشكل ناموس كوني كامل صادر عن الكامل الذي تسمو صفاته وتعدد، العالي عن صفات البشر الكامل من كل نقص، المنفرد بكلامه، الذي يعلم ما في نفوس البشر لا نعلم ما في نفسه سبحانه عما يصفونه وتعالى علوا كبيرا.

ولأنها وحي يهتدى به، فهي لا تحمل ما حمله لها نقاد العصر الحديث من عناصر فنية، هذا ما يجعلها تتميز بموضوعاتها التي تضم مزيج بين العمل الفني والديني والعلمي، فيكسبها طابع القداسة ويجعلها قصة مشرعة وريانية وسامية الأسس والمنهج، فهي بذلك ليست عملا مستقلا بذاته في موضوعه وطريقة عرضه وإبراز حوادثه وتسلسلها، إنما هي وسيلة لإبراز الأغراض الدينية التي تكفل السعادة للإنسان، في الحياة الدنيا والخلود في الجنة، معبرة بذلك على الصورة الشاملة لواقع الإنسانية الأكبر بما يحويه من خير أو شر، فتجعل أهم المشاهد واللحظات البطولية جديرة باتخاذها منهاجاً يتوجه إليه من عاش ذلك الحدث، وعانى من ذروته، وتراكم الضغوط على نفسيته، فيتجه إلى ما شابه حاله في موقع الحكمة المعجزة، التي تتجلى خلالها العلية السببية بصورة الكمال المطلق.

فطبيعتها مغايرة لفنون القص الأخرى، فهي قصة نابغة من الشعور الصادق بعيدا عن الأوهام لأنها تتناول الوحي، وتعتبر وسيلة من « إحدى وسائل الدعوة إلى الله وبيان وحدانيته والإقرار بالتوحيد عبر مواقف وأحداث وأشخاص وصراع وجدل وحوار، وأسلوب

وتعبير، وتصوير وتنسيق، ما يعطي لها الأثر المكين في النفوس. كما أن القرآن الكريم قد حفظ للقصة مكانتها، بحيث تصبح أداة فعالة في التوجيه والتربية والإعلام الإسلامي، ذلك لأنها سجل كامل حافل بكل أنواع التعبير الأدبي من حوار وسرد ووصف... وإحياء للشخصيات... وجودة الدقة لتبيان الملامح<sup>1</sup>. ثم تأتي اللحظة الحاسمة التي تخترق فيها القصة القلب الإنساني بوسائل انسيابية فتجعله يتوجه وجهة إسلامية خالصة، فهي تصون الإنسان من مطامع الشيطان، وتنزهه عن السفاهة وظلم نفسه وغيره، فيعرض عن أخطائه ويكره ما يسوقه إليها بقناعة أساسها الحجة البليغة والإبانة في بديع نظم القرآن من خلال براعة اللفظ ودقة التصوير وجمال المعاني.

فالقصة القرآنية، جاءت لتهديب الفرد وتربيته وإرشاده وتوجيهه إلى ما هو نافع وصالح، وتثبيت العقيدة في النفوس، بذكر صفات الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، لتكون حافزاً للفرد على أن يسلك هذا الطريق، ولقد اهتمت بالجانب الروحي للإنسان وعملت على رفعه إلى أعلى درجة، وجسدت لنا التناقضات التي عاشها الإنسان من ظلم وبغي و استبداد، وهذا الصراع الذي يعيشه الإنسان بين الخير والشر.

فينجلي الستار ويرفع الحوار بلفظة مقدسة، تستعرض تحديها، وإعجازها، وتتخذ من صلتها بغيرها بيئة لظاهرة تقتضي الدوام، والبقاء الأبدي، فتمكث في ذاكرة المعاملات، من خلال سمو اللفظة، وفصاحتها في زمن مليء بالمناظرات البيانية، لتسود في الأخير كمظهر لقدرة تعالى: «لها جماليتها ومذاقها الخاص، ولها قداستها وهماؤها، وهو أمر لا يتحقق في القصص التي يؤلفها البشر»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - محمد قطب، القصة في القرآن-مقاصد الدين وقيم الفن- دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص162.

<sup>2</sup> - نجيب الكيلاني، حول القصة الإسلامية، ص38.

و الواقع أن السرد القرآني هو في بعض مظاهره سرد تاريخي فعلا، ولكنه لا يسرد الحادثة التاريخية بتفاصيلها، بل يضم أغلب حياها ويختزل الأحداث اختزالا ليرز العطات والعبر الكامنة فيها، فالتفاصيل التاريخية «ليست من المقاصد التعليمية في قصص القرآن، لأن قرب الحادثة أو بعدها، في الزمان والمكان، لا يؤثر فيما تحمل من عبر»<sup>1</sup>.

فالخطاب القرآني إذن يتناول التاريخ بحرية وانتقائية تتجلىان - كما يقول محمد أحمد خلف الله- في «اختيار بعض الأحداث التاريخية دون بعض... وإهمال مقومات التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث»<sup>2</sup>، لكن "خلف الله" يضيف وجها آخر من أوجه تعامل القصة القرآنية مع التاريخ وهو «القرب أو البعد عن الواقع التاريخي»<sup>3</sup>، أي أن السرد القرآني قد يخالف الحقائق التاريخية وهذه المخالفة تخرجه من الميدان التاريخي وتدخله «في ميدان الأدب والبلاغة لأن القصد ليس إلا الإيحاء والتأثير واستثارة العاطفة والوجدان»<sup>4</sup>، والواقع أنه يتوهم وجود اختلاف بين قصص القرآن الكريم وحقائق التاريخ ولكنه يخشى أن يقول ذلك حرفيا<sup>(i)</sup>، ولهذا نراه يتخفى وراء أطروحته التي تتلخص في أن القصص القرآني «يصح أن يفهم فهما أدبيا بلاغيا، وأنه لا يجوز أن يفهم فهما تاريخيا»<sup>5</sup>.

إن مثل هذا الموقف يعيننا هنا لأنه يجعل الأدبية مناقضة تماما للتاريخية، بمعنى أن التاريخ لا يمكنه أن يشكل مادة حقيقية أو واقعية في "القصة الفنية"، فهذه الأخيرة حسب

<sup>1</sup> - سعيد عطية علي مطاوع، الإعجاز القصصي في القرآن، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006، ص45.

<sup>2</sup> - محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، يليه عرض وتحليل بقلم خليل عبد الكريم، سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي، لندن، بيروت، القاهرة، ط4، 1999، ص77. وتنظر كذلك ص81 وما بعدها.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص78.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص178.

\* - ينظر مثلا تحليله لقصص لوط، ص156 وما بعدها، وذي القرنين وأهل الكهف، ص172 وما بعدها.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص360.

"خلف الله" هي: « ذلك العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيل القاص لحوادث وقعت من بطل لا وجود له، أو لبطل له وجود ولكن الأحداث التي دارت حوله في القصة لم تقع»<sup>1</sup>.

والذي يعيننا هنا تحديدا هو هذا التلازم المفترض، في نظر "خلف الله"، بين السرد الأدبي والتخيل، فهل السرد الأدبي لا يقوم فعلا إلا على التخيل، وبالتالي، فالسرد القرآني هو سرد أدبي لأنه "تخييلي"؟

إن واقعية الأحداث التاريخية في السرد لا تنافي بالضرورة الأدبية أو على الأقل، ليس ثمة إجماع بين النقاد على هذا الرأي، وإن كان الواقع الأدبي، قديما وحديثا، يحفل بالشواهد البينة على تلاحق السرد الأدبي والتاريخ، فكثير من الأدباء صاغوا سيرهم الذاتية بأسلوب روائي كحنا مينه في "المستنقع" و"بقايا صور"، وتوفيق الحكيم في كتابه "حياتي"، و طه حسين في "الأيام". ولا ننسى هنا "أدب الرحلات" فهو ذو طبيعة سردية خالصة ويقدم "دوما إلى القارئ" "معاملة" معينة للواقع التاريخي"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 152 .

<sup>2</sup> - ميشيل زيرافا، الرواية - ضمن كتاب الأدب والأنواع الأدبية - مجموعة من الأساتذة، ترجمة: طاهر حجار، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1985، ص 131.

إن الأحداث التاريخية، حسب "هيدن وايت"، تمتلك البنية نفسها التي يمتلكها الخطاب السردى «...ولأن الأحداث التاريخية تمتلك بنية سردية، فللمؤرخين الحق في اعتبار القصص تمثيلات صادقة على هذه الأحداث»<sup>1</sup>.

فحين يقول التاريخ (فتح العثمانيون القسطنطينية بقيادة السلطان محمد الثاني الفاتح سنة 1453م) فإننا نستطيع من خلال ذلك الخبر التاريخي أن نتعرف على أركان الحدث التاريخي، فالحدث التاريخي له زمان ومكان وأبطال، أي له ثلاث أضلاع، وتكتمل بالضلع الرابع وهو الهدف من رواية الحادثة التاريخية، العظة والاعتبار، وفي الخبر التاريخي السابق نجد (الزمان) سنة 1453 و(المكان) هو القسطنطينية و(الأبطال) وهم العثمانيون والبيزنطيون.

أَمَا فِي قَوْلِهِ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿

رُوجَ لِأَعْدَاؤِ لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ اللَّهَ انبَعَثَهُمْ فَتَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46) (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا يَبْعَثُكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47) ﴿(سورة التوبة: 46)، والمفهوم أن هناك من المنافقين من كره الخروج مع المسلمين إلى إحدى الغزوات وكان في ذلك خيرا للمسلمين، لأنهم لو خرجوا مع المسلمين لأوقعوا الفتنة بين جند المسلمين، وفي المسلمين من يستمع إليهم؛ وليس هنا تحديد للزمان أو للأشخاص المنافقين أو لأشخاص المسلمين الذين هم "سماعون" للمنافقين، أو بمعنى آخر فالقصص القرآني لا يلتزم بمنهج الرواية التاريخية في تحديد أسماء الأشخاص (الأبطال) أو تحديد (الزمان) أو (المكان) ويقول تعالى عن تاريخ ماض: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13)

إِلَيْهِمْ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِتَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ (14)﴾ (سورة يس: 14) ولا نجد

<sup>1</sup> - هيدن وايت: ميتافيزيقا السردية، الزمان والرمز في فلسفة التاريخ عند ريكور، ضمن كتاب: الوجود والزمان والسرد - فلسفة بول ريكور، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي. المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص 189.

هنا أيضا تحديدا لأسماء الأبطال فقد ذكر عز وجل (القرية، المرسلون، الثلاثة) ولا نجد تحديدا (لموقع) القرية ولا (للزمن) الذي حدثت فيه الواقعة، غابت في القصص القرآني الأركان الواقعية للحدث التاريخي من الزمان والمكان والإنسان، ولكن برزت في القصة القرآنية وتكثفت أهمية العبرة والعظة، وذلك هو: **منهج القصص القرآني**.

إن التاريخ هو تسجيل حركة الإنسان على الأرض بالتعمير أو بالتدمير، وذلك تسجيل يتحدد فيه الزمان والمكان وأسماء الأشخاص المؤثرين في الحدث والقائمين عليه، ثم يأتي العنصر الرابع وهو العبرة ليكون اختياريا، مع ضروريته القصوى، لكي يستفيد الإنسان من ماضيه ويتقدم في حاضره ومستقبله، والقرآن الكريم ليس كتابا في التاريخ، بل إن مادة " أرخ " لم تأت في القرآن مطلقا.

إن القرآن هو كتاب في الهداية، وقد استعمل شتى الأساليب للهداية من ضرب الأمثلة وحكاية القصص للعبرة والعظة والإتيان بالحقائق العلمية، ولم يكن القرآن موجها للعرب وحدهم، وإنما هو لهداية البشرية منذ نزل إلى قيام الساعة، ولذلك نرى القصص القرآني حين يتحدث عن وقائع تاريخية معاصرة لنزول الوحي - نراه يجرد الواقعة من آثار الزمان والمكان وأسماء الأشخاص ويرتفع بها إلى مستوى الإنسانية، لتكون عظة للبشر جميعا في كل زمان ومكان ولتنطبق على كل إنسان أينما كان..

لكن أهم مدخل لفهم أدبية السرد القرآني وتوكيدها هو أدبية النص القرآني نفسه، فهذا النص الإلهي لم يؤمن به المسلمون الأوائل لأنه تشريع جديد، أو لأنه تاريخ للأمم الماضية، أو لما حفل به من أنباء الغيب فحسب؛ لقد صدمتهم لغته الجديدة فأمنوا به "بوصفه نصا بيانيا امتلكهم: آمنوا به... لأهم رأوا فيه كتابة لا عهد لهم بما يشبهها"<sup>1</sup>، وإذا

<sup>1</sup> - أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، 1993، ص22.



كان النص القرآني يجيب عن أسئلة الوجود والكون ولهذا "يجيب بشكل جمالي وفني، ولهذا يمكن وصفه بأنه نص لغوي"<sup>1</sup>.

لقد كان النص القرآني معجزا للعرب، تحداهم وأربكهم حين أبدع لغة جديدة بأساليب جديدة، ومفردات جديدة لا عهد لهم بها مثل: "عليين، كتاب، مرقوم، الفلق، سامدون..". وكذلك أسماء الله الحسنى ومفردات اليوم الآخر... الخ.

كان القرآن الكريم باختصار تحديا بيانيا لأمة شاعرة، والسرد كمكون بارز للنص القرآني لا شك أنه من أدوات ذلك التحدي، بل يذهب (فاروق خورشيد) إلى أبعد من ذلك، فهو يرى أن معركة القرآن البلاغية لم تكن مع الشعر بل مع النثر، يقول: «جاء الإسلام ليقاوم عقائد فاسدة، وليقاوم مبادئ فاسدة، وليقاوم مثلا للحياة فاسدة.. وهذه العقائد والمبادئ والمثل إنما تتمثل في تراث كبير يملأ عقول الناس وقلوبهم، فكان على الإسلام أن ينزع هذه العقائد نزعا، وأن يزيلها ليحل محلها ما يشاء.. فكيف حارب القرآن هذه العقائد والمثل الخاطئة... لقد لجأ القرآن إلى القصص يستخرج منها العبر ويرسم بها المثل ويشرح بها الخير والشر»<sup>2</sup>.

ومهما كان موقفنا من الطرح الذي يدافع عنه خورشيد، فإننا مضطرون إلى التسليم معه بأهمية السرد القرآني وبأدبيته الخالصة التي لا غبار عليها، فهو جزء بارز من النص القرآني الكريم، وحيثما ورد ألفيناه مندجما في السياق العام للسورة، منسجما مع ما يسبقه وما يلحقه دلاليا وبلاغيا. ومثال هذا ما ورد في النص القرآني في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَّفَالًا سَفَعْنَاهُ لِيلًا مِّمَّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (57)

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 20.

<sup>2</sup> - فاروق خورشيد، في الرواية العربية - عصر التجميع -، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط3، 1402هـ - 1982م، ص 50.

الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ  
يَشْكُرُونَ ( 58 ) أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ  
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (60)  
قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (61)

(62) أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ  
لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ<sup>1</sup> ، فالاعتماد كان على القص قصد إيراد تلك الدلالات  
الفنية المحتملة في صورة القلب المؤمن والروح (الخبیثة) الكافرة، وما يجمع بينهما من مكانية  
شهدت وقائع تلك الحكمة.

إن القصة القرآنية، رحلة ممتدة التفكير والبحث والتعمق؛ فقد وضح أنها دعوة  
للإنسان لكي يفتح عقله وقلبه وعينه وحواسه على العالم من حوله، ويتمعن في سنن  
الكون، وعبر الأحداث والأزمان، ويبقى بعد هذا أن نقول إن: «في القصة القرآنية مظاهر  
فنية ولكنها ليست المظاهر الفنية في القصة الأدبية، بمفهومها الحديث»<sup>2</sup>.

### 3- القصص النبوي:

لقد ذخرت السنة النبوية بالكثير من النصوص ذات الطابع القصصي، لترشد الناس  
نحو مبادئ الدين وتعاليمه السامية، متعاونة في هذا مع وسائل الدعوة الأخرى في إيجاد  
الفرد الصالح والمجتمع السليم، كما أسهمت القصة في التأكيد على كثير من مبادئ العقيدة  
والعبادة والأخلاق. حيث يمكن لأي إنسان، أن يستلهم من نصوص السنة القصصية  
الصحيحة ما ينفعه في دينه ودنياه، ولم يكن غريباً أن تحتذي السنة النبوية بالقرآن الكريم في  
اشتمالها على عدد كثير من القصص؛ لأن القصة النبوية امتداد لغايات وأهداف القصص

<sup>1</sup> - سورة الأعراف، ص 57-63.

<sup>2</sup> - مأمون فريز جزار، خصائص القصة الإسلامية، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية-جدة، ط1، 1988، ص58.

القرآني، لما للقصة من قدرة على توصيل المعلومات، وتحقيق جملة من الفوائد، والتأثير في السامع والقارئ على حد سواء و«الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السمع، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضيين كان حب الاستطلاع لمعرفة ما من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس»<sup>1</sup>.

ما تقصر عنه سائر فنون النثر؛ لأن الإنسان بفطرته يميل إلى القص، ويتابع الأحداث بحرص شديد ينتظر نهاية لها وغالبا ما تحمل النهاية غاية وعظة وعبرة، وتقوم سلوكا أخلاقيا، و« ما من شك في أن إقبال الناس على القصص وتعلقهم بأحداثها يعمق مضامينها، في نفوسهم ويمكنهم الاستيعاب الجيد، والتأثر بالأحداث... فكان القصص هو أسلوب، التربية العملية الذي يكبح جماح الشهوات المنطلقة، ويشد من أزر المتمسكين بالحق والثابتين عليه، أسوة بمن سبقوهم على الطريق»<sup>2</sup>، وهذا يبين الدور الرسالي الهام الذي تضطلع به القصة، سواء القرآنية أو النبوية محل الدراسة.

وبوحي من الله تعالى، إذ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، يضاف لذلك ما تتمتع به من بعد سردي وتميز معرفي يجعلها من المحطات السردية التي تفتح شهية القارئ على الإقبال عليها، ومن ثم تذوق الجوانب السردية فيها، بما تحمله من خصائص في غاية الإبداع والتميز.

شغلت القصة حيزا كبيرا في صفحات القرآن الكريم، وصدر الأمر الإلهي لنبيه الكريم، بأن يتخذها وسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية، وتأسيس عقيدة التوحيد في نفوسهم، وتربية الناس على المبادئ والقيم و الآداب الربانية، والتجاوب مع تشريعات الإسلام

<sup>1</sup> - صلاح الدين محمود السعيد، صحيح القصص النبوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1434هـ-2013م، ص5.

<sup>2</sup> - أ.د. طلعت محمد عفيفي سالم، القصص الصحيح في السنة النبوية، دراسة تحليلية تربوية، مكتبة الإيمان العجوزة، ط1، 2002م، ص16.

وأحكامه. « فالقصة لا تنتهي بانتهاء آخر كلمة فيها، بل تدخل إلى العقل المتلقي ووجدانه، يفكر ويتحاور مع ذاته، إنها تعيش وتنمو في داخله، وتظل تراوده، وتشغله وتترك بصماتها على تصوراته وحركته في الحياة»<sup>1</sup>.

ومفهوم القصة النبوية لا يخرج عن مفهومها كما عرفها العرب، وكما جاءت في القرآن الكريم، تتجلى تجليا باهرا، بتنوع أدائها وعميق معناها، وروعة سياقها، وبأحداثها وشخصياتها، المثيرة للاهتمام، والمحركة للمشاعر والعقول، قصص تنبض بالحياة والصدق والجمال التعبيري المعجز، وهي تتبع للأحداث الماضية كما يبرز جانب العبرة فيها، تتناول أخبار الماضين وأحداث الأولين، سواء كانوا من الأنبياء، أو من أقوامهم، «نجد الرسول ﷺ يتخذ من القصة أسلوبا مهما من أساليب الدعوة يحملها قيم الإسلام، ومعانيه، ويربي عليها الصحابة من رجيل الإسلام الأول، ويوجههم من خلالها إلى استلهام هذا الدين عقيدة في الفكر، و التصور وطريقة السلوك»<sup>2</sup> لأن إعداد الإنسان الصالح الذي يعمل بما يتفق مع منهج الإسلام، وتعاليمه ومبادئه، ويكون لديه قناعات ثابتة بقيم معينة، كالصدق والصبر، والوفاء ونحوها ، لابد من غرسها في نفسه بأسلوب يضمن بقاءها واستمرارها.

ونختصر القول أن القصص النبوي تأتي مصورة لحدث أو أحداث متكاملة لها بداية ووسط ونهاية، تدور حول مواضيع إنسانية شتى جوهرها تصوير الحياة، بما فيها من نماذج بشرية، وتحليل أحاسيسها ومعرفة نفسياتها وتشريحها، سبقت لتحقيق أغراض دينية بحتة، كإثبات الوحي والرسالة والبعث وتعميق العقيدة في النفوس وتبصير العقول، حيث جاءت مفسرة وشارحة لكل ما جاء في القرآن الكريم، لتكون «لونا بيانيا ونوعا أدبيا من ألوانه

<sup>1</sup> - نجيب الكيلاني، حول القصة الإسلامية، ص9.

<sup>2</sup> - محمد بن حسن الزير ، القصص في الحديث النبوي -دراسة موضوعية فنية-، دار المطبعة السلفية، ط1، 1398هـ، ص53.

وأنواعه التي تتعاقب في تقرير الدين، وتتجاذب لتمكين مبادئه السامية في قلوب البشر»<sup>1</sup>، سبقت لتحقيق أغراض دينية بحتة، وغرس القيم والسلوك، بمضمون هادف تحمله القيمة الجمالية، للبنية السردية، والرؤية الفنية لدلالات النسق المعرفي، فالقصة عالم سيميائي، تعتبر موضوعاً للمعرفة، فهي تحوي على الخطوط العريضة والمهمة بل والأساس بجميع مواضيع الخطاب الديني وأهدافه ومغازيه.

فحينما نتحدث عن القصة النبوية فنحن نتحدث عن وسيلة من وسائل الدعوة التي اعتمدت في التعليم والتوجيه والإرشاد، كما أن الواقع الذي تجري فيه يحمل في ثناياه، أوجه التقاء مع القصة المعاصرة في عناصرها الأصلية وصورها العامة، من مثل سوقها في أسلوب قصصي يتتبع الحوادث، ويوردها في إطار من التشويق والإثارة، في عرض تترتب فيه الحوادث في مواضعها، وتتحرك الشخصيات في مجالها، ويدرك القارئ أو المستمع لها أنه أمام مشاهد تعبر عن زاوية من زوايا الحياة، أو جانب من جوانب الفكر.

#### أ- خصائصها:

#### 1- الصدق والواقعية: القصة النبوية منطلقها الصدق والواقعية فكلاهما القصص

القرآني و النبوي، تحكي الواقع كما هو، ليس حديثاً يفتري: **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** (سورة النجم 3-4)، **"وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ"** (سورة يس الآية 69)، هي دلالة على أن الرسول ﷺ لم ينطق بكلام هوى ولا غوى، بل كانت القصة دعامة لتلك الحقائق والبيانات التي ساهمت في ترسيخ العقيدة، **﴿عَلَيْكَ نَبَأُهُم بِالْحَقِّ﴾** (الكهف الآية 13)، كما جاء في سورة آل عمران قوله تعالى: **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾** (آل عمران الآية 62).

<sup>1</sup> - كمال عزالدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، (مرجع سابق)، ص 450.

إن القصص في القرآن وفي صحيح الحديث صدق كله وواقع جله، وحق مبلغه، يحكي أخبارا وقعت، إما وقائعا تاريخية أو في شكل تنبؤات مستقبلية، أو غيبات أخروية، أو أحداث واقعية. « ومتى أيقن العباد أن ما يتلى عليهم من قصص القرآن وما بلغهم من حديث الرسول ﷺ كله حق وصدق، فإنه سيكون له أثر عظيم في تقويم نفوسهم وتهذيب طباعهم وأخذهم العبر والعظات من هذه القصص»<sup>1</sup>.

لما لها من تأثير نفسي، فقد كانت مزيجا من العقيدة، ومن العاطفة والفكر والحق والجمال، لأنها اشتملت على فصول من القيم والأخلاق مما يهذب النفوس، ويرقق القلوب و يجعل منطلقات الديانة التي يدعو إليها خارجة من أعماق النفس، استدلل بها القصص القرآني والنبوي، ليصنع رجالا لا أن يلقي مواعظ وليبني أمة لا أن يقيم فلسفة. «وهي كقصة الأصل لا تنجح إلى الخيال الشارد الجموح، ولا للتعلمق المفلسف الغامض، ولا للسطحية الفارغة الجوفاء المغطاة بقشرة خالية من بديع العبارة، وليست هي القصة التي وضع الغرب لها عشرات القواعد والشروط، ولكن هي القصة التي تقوم على سلامة فطرة القاص، وتكفي كل الكفاية في تقرير الغرض، وتروع كل الروعة في تسلسل الأحداث ولباقة الحوار، وتصوير الأشخاص، وتتبع فكرها من أجناس النفوس، الكائنة الحية، فلا تعالج أنماطا منها في عالم الجهول، فإن جنحت إلى عالم غير منظور بنته على تبشير الحاضر الشاهد به، فربطت بينهما بسببية تمنع الطفرة، وبألفة تأنس بالرحلة وهي في ذلك كله وفي غيره، الوسيلة المشتهاة للنفس الطلقة، والأسلوب الرائع المخدر للوجدان، تجوس معه حكمة

<sup>1</sup> - د. عمر سليمان عبد الله الأشقر، صحيح القصص النبوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1418-1997، ص14-15.

الطبيب الرؤوف في القلب وتقطع وتصل ليصحو في صورة حلم ورحلة على حقيقة قلب وصحة واعتقاد»<sup>1</sup>.

واستخدام القصة بالتحديد لأنها أداة سهلة الفهم، تحظى بالقبول من العامة والخاصة على السواء، وما من شك هنا أن إقبال الناس على القصص النبوي وتعلقهم بأحداثها ما يعمق مضامينها.

في نفوس الناس وما يمكنهم من الاستيعاب الجيد والتأثر بالأحداث واستخراج العبر والعظات، فضلا عن استنباط الأحكام الشرعية والقيم النبيلة. فالقصص الإسلامي ملائم لكل العصور لأنها بعيدة كل البعد عن الخيال؛ الذي يسيطر على معظم المصادر الأدبية بشعرها ونثرها، لاعتمادها على الخيال والتحليق والتوهيم، بل إن القصص الأدبي لا يحسن إلا بخلط الحقيقة بالخيال، وليس الأمر كذلك في كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- «لقد اعتاد الكثير من الناس أن يقرؤوا القصة للمتعة والتسلية، لأنه استقر عندهم أن كثيرا من القصص يستحيل وقوعها، فهي قصة متخيلة الوقائع والأحداث وكثير من القصص الشعبية المروية عن الأوائل وخاصة الفرس والروم هي من هذا النوع، وكانت تدعى بالأسطورة، ومنها قصص ألف ليلة وليلة، ومن هذه القصص عند العرب قصص عنتره وقصة أبي زيد الهلالي، وهذا النوع لا يزال له وجود قوي في أيامنا، وقد ابتكر الكتاب اليوم نوعا يسمى بالخيال العلمي، يتخيل الكاتب فيه ما يمكن أن يصل إليه البشر مستقبلا، ويصور حال الناس في ذلك الوقت»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - كمال عزالدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 459-460.

<sup>2</sup> - د. عمر سليمان عبد الله الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 14.

قد جاء الإسلام ليقضي على الخرافات والأساطير، وجاء القرآن والحديث بالقصص الحق، بل وبأحسن القصص، وشتان بين القصص الحق والأساطير والخرافات، فالقصة النبوية لم تنجح إلى الخيال في اختيار موضوعاتها، وإنما تعمد إلى عالم الواقع: «فهي تخبر عن أمور حدثت وشخصيات وجدت ليس فيها اختراع لشخصيات أو تلفيق للحوادث»<sup>1</sup>، فهي تتطابق مع الصدق وتتماثل الواقع، فكل ما ورد على لسان الرسول ﷺ على سبيل الحكاية والإعلام والأخبار، فإنه يدل دلالة قاطعة على أن ما ورد فيه من شخصيات وأحداث، إنما هو حق وواقع لا زيادة فيه وليست ناشئة عن تخيل أو رغبة في مزيد تأثير، أو أن فيه شيئاً من الأساطير التي هي أباطيل القول التي يخترعها الناس، فيجب الإيمان بها كما وردت لأن هذه القصص لا اختراع فيها، كل ما في الأمر أنها سبقت بالأسلوب القصصي، لتكون أوقع في النفوس وأقوى في لفت الأنظار والعقول؛ بل إن القرآن الكريم يرد على المشركين قولهم: إنه أساطير الأولين، بقول تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُحْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الفرقان 5-6، فالأساطير صورة من صور الخيال، وما حُبك من دون مرجع حقيقي فهو خيال.

أما القصص القرآني والنبوي، قصص يتميز بالواقعية ويتناول ما هو ثابت تاريخياً ولا دور للخيال أو الأسطورة فيه، إنه سرد واعي موجه للإنسانية، ليس الغرض منه الإلهاء والتشويق، بل الغرض منه التربية والتوعية والدعوة.

إن مخاطبة القرآن للعقل العربي، لا يلزم منه مخالفة الحقيقة والواقع؛ ذلك أن القصص فيه يعتمد على ألوان التمثيل البياني التعبيري التي تضفي صبغة تصويرية على الحقائق، فتجملها

<sup>1</sup> - مأمون فريز جزار، خصائص القصة الإسلامية، ص 229.



وتزيينها، عكس التمثيل الخيالي القصصي الأدبي الذي ينتحل للوقائع مسببات لا تنطبق على الصورة الحقيقية، بحال، فالقصة الأدبية (البشرية) لا يلتزم فيها المبدع الصدق أو نقل الواقع بل إنه يبدع ما يشاء ويبدل ما يود وفق الحبكة الفنية ، والخيال فيهما مختلف؛ فهو خيال فني في القصص الأدبي تعبيرى في القصص القرآني والنبوي. ويوضح د. إبراهيم عوضين هذه التفرقة بقوله: «الخيال القصصي إضافة شريط بين الأحداث الواقعية، حتى يتم النسيج القصصي ويلتحم على الوجه الذي يعتقد الكاتب أنه مناسب ويرى أن أحداث القصة لا تكون مقنعة للقارئ إلا بذلك، أما الخيال التعبيري فهو ذلك التصوير لأثر الحقائق الواقعة حتى يحس القارئ بما يحس به الكاتب، أو بما يحس به من يقع في دائرة الحس ، فالخيال التعبيري لا يضيف شيئاً إلى الحقائق ولا يغير من طبيعتها، إنما يقدمها بحالها مكسوة بلباس يكشف عما قد يخفى من مكنوناتها»<sup>1</sup>.

وانطلاقاً مما أورده، د. إبراهيم عوضين، يمكننا القول: إن مخاطبة القرآن للعرب لا يلزم منه مخالفة الحقيقة والواقع؛ لأن ذلك لون من ألوان التمثيل البياني التعبيري، الذي يضيف صبغة الجمال التصويري على الحقائق فيجملها ويزينها، وليس من التمثيل الخيالي القصصي الذي ينتحل للحقائق والوقائع أسماء لا تنطبق على الصورة الحقيقية بحال.

أما الأمثال التي ساقها الرسول ﷺ على سبيل أنه مثل مضروب لشيء ما، فقد تكون حوادثها وشخصها، تقريبية تمثيلية وليست على سبيل الحقيقة، كما جاء في قوله ﷺ: {إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من

<sup>1</sup> - د. عبد الجواد المحض، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، الدار المصرية الإسكندرية، 2000م، ص 180.

زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين<sup>1</sup>.

فالرسول ﷺ هنا اعتمد على أسلوب المماثلة والمشابهة في قصّ وتوضيح الفكرة وتشخيصها، ومثال هذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الجمعة، الآية: 5)، فهي صورة بيانية تركيبية تعتمد على مبدأ التمثيل، ووضع صور الشبه حسب الغايات والمقاصد المراد الوصول إليها، هذا فيما يخص القصص التي جاءت في شكل أمثال.

وعموما فالمتأمل في القصص النبوي يجد أنه بعيد كل البعد عن «الرؤى والخيالات التي تسيطر على معظم المصادر الأدبية بشعرها ونثرها؛ لأن هذه المصادر تعتمد على الخيال والتحليق والتوهم؛ بل إن القصص الأدبي لا يحسن إلا بخلط الحقيقة بالخيال، وليس الأمر كذلك في كلام النبي صلى الله عليه وسلم»<sup>2</sup>.

2- من سمات القصص النبوي، أنه قصص هادف، فالقصص في السنة لم يأت مجرد حكايات يتسلى بها، وإنما تساق لإيضاح مبدأ وللدعوة إلى فكرة وللنهى عن منكر، وإرساء القيم الشرعية من خلال إبراز الأنبياء والصالحين كقدوة وكمثل عليا، للبشر أجمعين فهو يستهدف تربية الروح والعقل والجسد، «فالقصة الإسلامية ليست غاية في حد ذاتها ولكنها وسيلة من وسائل نشر الدعوة، ومصدرا للسمو الروحي، وتنشيطا للقدرات العقلية

<sup>1</sup> - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، ص903، رقم: 3534، ورقم: 3535.

<sup>2</sup> - سهام سديرة، بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف، ماجستير، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، 2006، ص21.

والوجدانية والنفسية»<sup>1</sup>، معنى هذا أنها سيقت لهدف وغرض ديني بالدرجة الأولى، فمقصدها التربوية والتوجيهية والدعوة ترغيباً في الخير وترهيباً من الشر. فالقصص النبوي يركز على الفائدة وأخذ العبرة فهي ليست عملاً فنياً مجرداً من الأغراض التوجيهية، فالرسول ﷺ يركز على العبرة المستقاة من القصة.

3- سهولة الألفاظ ووضوح الأساليب، مما يجعلها قريبة من الفهم فهي قصة فنية، إذ الجمال الفني يجعل ورودها في النفس أيسر ووقوعها في الوجدان أعمق، حيث يتجلى فيها إبداع العرض، ببلاغة عظيمة وإيجاز بديع وتصوير مشوق، وترك الإغراق في التفاصيل، «فمنها ما يبدأ بتمهيد ثم تعقيد ثم انفراج للأزمة، ومنها ما يبدأ بعرض الأزمة أو المشكلة ثم تكشف الأحداث سبيل انفراجها»<sup>2</sup>.

4- ومن مميزات القصص النبوي أنها تتجنب استخدام الألفاظ المعيبة حتى في المواقف التي تصف حادثة فيها حرج، وقد تجلى هذا المعنى بوضوح شديد في القصة النبوية في مضمونها وطريقة آدائها، من خلال استخدام الوسيلة النظيفة في التعبير والتصوير للشخصيات والمواقف مثلاً، كما ورد في قصة سيدنا موسى الكليم والحجر الذي فر بثوبه فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: {كانت بنو إسرائيل يَغْتَسِلُونَ عَرَاءً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ! مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدِرٌ، قَالَ فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَجَمَحَ مُوسَى بِأَثَرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرٌ<sup>3</sup> حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى فَقَالُوا: وَاللَّهِ! مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ. فَقَامَ الْحَجَرُ

<sup>1</sup> - نجيب الكلاي، حول القصة الإسلامية، ص 22.

<sup>2</sup> - مأمون فريز جزار، خصائص القصة الإسلامية، (مرجع سابق)، ص 228.

<sup>3</sup> - ثوبي حجر أي: دع ثوبي يا حجر.

بعد حتى نظر إليه. قال فأخذ ثوبه فطقق بالحجر ضرباً "قال أبو هريرة والله ! إنّه بالحجر ندب سته أو سبعة. ضرب موسى بالحجر"<sup>1</sup>، ففي هذه القصة من الوصف العفيف للموقف الذي كان عليه موسى عليه السلام دون إخلال بالمعنى ولو أن قاصاً أديباً أراد أن يصف هذا الموقف لربما كان الأمر يختلف تماماً لاختلاف الهدف والغاية من سرد القصة.

فهي دائماً «تختار الوسيلة النظيفة في تقديم أحداثها وتصوير شخصياتها ومواقفها»<sup>2</sup>.

5- من سمات القصص النبوي التركيز على الأحداث لا على الأشخاص فالأسماء في القصص النبوي، لم تكن مقصودة لذاتها، إلا إذا كان في ذكر الإسم فائدة، والجانب الأهم في الشخصيات هو الموقف الذي تتخذه والمصير الذي تؤول إليه، ومثال هذا ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أن امرأة بغيا رأت كلباً في يومٍ حارٍ يطوفُ بيئراً قد أدلّع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها فغفرت لها»<sup>3</sup>.

6- القصص النبوية في غالبها وحي من الله، وقد جاء ما يشير لذلك في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ سورة آل عمران الآية 44.

وقال: ﴿أَنْبَاءِ تِلْكَ مِنَ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>4</sup>، وهذا ما جعل القصة النبوية تكتسب نوعاً من القداسة، وتزيد الثقة بها، ويزيد تقديرها.

<sup>1</sup> - أبي الحسن مسلم، صحيح مسلم، دار صادر بيروت، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، رقم: 6171، ص 895.

<sup>2</sup> - مأمون فريز جزار، خصائص القصة الإسلامية، ص 230.

<sup>3</sup> - رواه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، باب "فضل سقي البهائم"، 1761/04 ورقمه: 2244، 2245.

<sup>4</sup> - سورة هود، الآية 49.

7- أصالة موضوعات القصص النبوي وقوتها وتنوعها: فالتأمل لموضوعات القصص النبوية يجد أنها من النوع الذي يثير في السامع أو القارئ كثيراً من الانفعالات، وتحرك فيه شتى العواطف والمشاعر، ويجعله مرتبطاً بمتابعة القصة إلى نهايتها، وذلك لما تتمتع به الموضوعات في القصة من القوة والأصالة؛ بحيث تستهوي المتلقي وتشده إلى درجة أن يظل الموضوع حياً في تفكيره، عالقاً في ذهنه حتى بعد انتهائه من القصة بفترة طويلة.

ومما يمنح موضوعاتها هذه الأصالة، ما يلاحظ في أفكارها من العمق والغنى، إذ تتناول جوانب مهمة من قيم الإسلام ومبادئه، كما تتناول قضايا غاية في الخطورة، كقضايا البعث والثواب والعقاب، بالإضافة إلى أنها تتعرض لجوانب حية من حياة الإنسان وسلوكه وطبائعه ومواقفه المتعددة: «وأما الغنى في موضوعات القصة، فلا أدل عليه من كثرة القصص التي تصل في مجموعها إلى ما يقرب من تسع وثلاثين ومائة قصة، وكل قصة تحمل فكرة أو أكثر من فكرة معينة، أو تعرض قضية ما أو جانباً من جوانبها وأن كل حادثة أو موقف أو علاقة في قصة من القصص، لا بد أن تنتهي إلى تقرير فكرة، أو نظرة، أو مضمون ما، وهي فوق ذلك تعرض بطريقة فنية تجعل الفكرة قادرة أن توحى إلينا بأفكار أخرى، وتثير في أذهاننا ما نشتى، حول القضية أو الفكرة الأساسية التي تتحدث عنها القصة»<sup>1</sup>.

8- الاهتمام بالناحية الشعورية: ونعني بذلك ترفع القصة عن قيود الزمان والمكان، لتستوعب الحياة كلها، وتبقي آثارها حتى بعد فناء الأشخاص المفترضين فيها. يقول سيد قطب: «بعض القصص يصور لنا الحوادث والشخصيات بغاية الدقة والبراعة من الناحية القصصية ولكنه لا يتجاوز بنا محيط هذه الحوادث والشخصيات المحدودة ولا محيط الفترة الزمانية التي تجري فيها الحوادث... وبعضهم يقفنا -بعد الحوادث- وجهاً لوجه أمام الحياة

<sup>1</sup> - د. محمد بن حسن الزبير، ص 379.

كلها: سننها الخالدة وأوضاعها الكونية وأقدارها الشاملة.<sup>1</sup>؛ فكم من قصص بشرية ذاعت وانتشرت وتألقت ، لكنها بعد عصرها تضاءلت قيمتها، وأصبحت مجرد تاريخ وتراث، أو مجرد مرحلة من مراحل هذا الفن، على عكس القصص القرآني والنبوي.

9- الالتزام: الالتزام في الأدب يعني أن ينحو الأديب بفنه إلى تحقيق المثل العليا في المجتمعات الإنسانية، من خلال الدعوة إلى تثبيت الدعائم الخلقية، ولقد تجلّى هذا المعنى بوضوح في القصة النبوية في مضمونها وفي طريقة آدائها، أما المضمون فإنه مستمد من عقائد الإسلام وأخلاقه، وأما طريقة الأداء فإن أبرز مظاهر الالتزام فيها استخدام الوسيلة النظيفة في التعبير والتصوير للشخصيات والمواقف، فليس فيها ما يثير الغرائز أو يدغدغ المشاعر، مع ما يرد فيها أحيانا من تصوير للغرائز والشهوات، إلا أنها تقدمه بأسلوب رفيع المستوى تتشع عباراته بالعفة، وترتدي أثواب النزاهة، ومعنى هذا أنه لا وجود "لما يثير الغريزة أو يدغدغ الشهوة، أو فيها ما يلهي السامع عن الغرض الديني الذي سيقت القصة لأجله"<sup>2</sup>، ومثل ذلك ما جاء في قصة الثلاثة الذين آواهم الغار ، فعن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: {... وقال الآخر إنه كانت لي ابنة عم، أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها فأبت حتى أتيتها بمائة دينار، فتعبت حتى جمعت مائة دينار، فجئت بها، فلما وقعت بين رجلها قالت يا عبد الله اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمتم عنها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فُرجة، ففرج لهم}<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط8، 2001، ص79.

<sup>2</sup> - مأمون فريز جزار، خصائص القصة الإسلامية، ص229.

<sup>3</sup> - عمر سليمان الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص104.

ما يعني أن القصة النبوية مسخرة للغرض الديني من أجل خدمته وتوضيح قيمه، ومبادئه السامية، كما أن هناك صورة أخرى للالتزام في الطريقة الفنية أو الطريقة المعالجة للقيم الإسلامية، وللحياة الإنسانية، فمع وفائها للغرض الديني جاءت وفيه للتصوير الفني. «والشيء الملاحظ من خلال النظر في نصوص القصص النبوي، أن ذلك الخضوع، للغرض الديني، لم يكن حائلا بين القصة وأن تخرج إلى الوجود وفق الطريقة الفنية، ووفق النسق الفني القصصي في العرض والبناء، وهو ما يتطلبه الفن، وما يستسيغه عشاق القصة من الإثارة والتشويق لذات الفن ولذات القصة»<sup>1</sup>.

10- دقة الإيجاز وبراعة الإعجاز وسهولة الألفاظ ووضوح الأساليب، والقصر وعدم الإطالة لتحقيق أهداف القصة: فعبارات القصة، النبوية وسائر تراكيبها قصيرة موجزة، تتجلى في نظم متماسك جيد الفصل والوصل، خالٍ من أي نوع من أنواع التعقيد «بحيث يسترسل القارئ أو السامع مع القصة في متابعة جيدة لا يشعر خلالها، بأدنى عناء أو تعثر»<sup>2</sup>.

11- بساطة التعبير وترك التكلف: وهي البساطة الزاخرة بالحياة والقوة التي تجعله أكثر تأثيرا وجاذبية، نظرا لما يتمتع به من تنوع في الصياغة والتعبير حسب ما يتطلبه عرض القضايا، بعيداً عن البهرجة اللفظية أو المحسنات التي لا طائل تحتها.

12- استخدام أسلوب التشويق: وهذا عنصر ذو أهمية كبرى في إضفاء الحيوية على العمل القصصي وضمان استمرار المتلقي في متابعة الأحداث، وإثارة ترقبه وتوقعاته المختلفة لما سيحصل في المستقبل.

<sup>1</sup> - د. محمد بن حسن الزبير، القصص في الحديث النبوي، دراسة فنية وموضوعية، ص 427.

<sup>2</sup> - د. محمد بن حسن الزبير، القصص في الحديث النبوي، ص 168.

13- التأثير من خلال التصوير: فقد اعتمدت كثير من القصص النبوية على التصوير الذي يشيع جوا من الحياة في ثنايا القصة؛ بحيث تجعل المستمع والقارئ يتخيل هذه القصة كما وقعت، فتوقع في قلبه التأثير كأنه يراها، وقد برز التصوير في القصة النبوية في ثلاثة أنواع:

أ- تصوير المشاهد والمواقف: وهذا النوع كثير جدا وهو الغالب من أنواع التصوير؛ حيث نجد أن القصص النبوية تحفل بعروض حية لكثير من المشاهد؛ بحيث تبدو وكأنها تمثل أمامنا واقعا ملموسا، تملأه العين مع الحس والخيال، والأمثلة على هذا النوع متعددة نكتفي هنا بواحد منها: «عن أسامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه. فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف، ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية»<sup>1</sup>، فنحن هنا أمام مشهد حيوي حافل، يصور فيه الرسول -صلى الله عليه وسلم- في كلمات قليلة، ولكنها معبرة أدق ما يكون التعبير عن هذا الموقف الرهيب الذي وقع فيه هذا الرجل، فإنه لم يلقى في النار وانتهى الأمر، ولكن القصة تعطينا صورة مفصلة تحوي أبعاد الموقف من زوايا متعددة؛ فهذا الرجل الملقى قد اندلقت أمعاؤه إلى خارج بطنه، وللقارئ أو السامع أن يتصور هيئته، وهي صورة مزرية شنيعة إلى حد كبير «جعلت أهل النار مع ما هم فيه من عذاب يلتفتون إلى هذا الرجل المثير في حركته العجيبة، وهو يدور بأمعائه كما يدور الحمار برحاه»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - الإمام الزبيدي، مختصر صحيح البخاري، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر العاصمة، ط1، 1428هـ-2007م، ص345.

<sup>2</sup> - محمد بن حسن الزبير، القصص في الحديث النبوي، ص 170.



ب- تصوير العواطف والانفعالات: ويتجلى هذا التصوير في إبراز هذه العواطف وتلك الانفعالات من خلال سلوك الشخصية ومواقفها من الأشياء، ومواجهتها للأحداث، بحيث يكشف لنا موقف الشخصية وتصرفها عما يدور بداخلها من مشاعر وانفعالات، ومن أمثلة هذا النوع في قصة "أصحاب الأعداء" موقف "الغلام" حين أتى الدابة التي سدت على الناس طريقهم فحبستهم<sup>1</sup>، وعند هذا الموقف تصور لنا القصة ما يدور في داخل الغلام من قلق نفسي، وهم يثقل كاهله، وهو موزع بين تلقي الدين من الراهب، وبين تلقي السحر من الساحر، وهو إن كان قد استجاب بفطرته إلى صدق ما عند الراهب، إلا أنه يحس أنه في حاجة إلى طمأنينة أكثر تنبع من الواقع فوق يقينه الفطري.<sup>2</sup>

ج- وتصوير الشخصيات: حيث نجد أن القصة النبوية تحاول أن تضع أمامنا معالم الشخصية التي تتحرك في أثناء القصة، أو تشارك في صنع أحداثها، فترسم لنا نوعية الشخصية من خلال العرض القصصي، ومن أمثلة هذا النوع قصة "جرة الذهب"، حيث تقول القصة: "اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب!" وقال الذي له الأرض: إنما ابتعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد، قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال، أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقا على أنفسهما منه وتصدقا<sup>3</sup>. فالحوار بين الرجلين، يظهر لنا أي نوع هذين الرجلين، ويبيّن أنّهما من الصنف الورع الأمين، المتحوّط لدينه، الخائف من الوقوع في الشبهة، برغم بريق الذهب الزاهي أمامهما.

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 170.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 173.

<sup>3</sup> - صلاح الدين محمود السعيد، صحيح القصص النبوي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1434هـ-2013م، ص27.

## ب- أهداف القصة النبوية:

إن القصة النبوية في أهدافها ومقاصدها منبثقة عن القصة القرآنية، وموجهة إلى النفس البشرية، في إطار القيم والمبادئ، وحسبنا دليلاً على ذلك أن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ في محكم كتابه أن يقص على قومه القصص ليكون لهم عبرة وموعظة، قال تعالى: ﴿...﴾<sup>1</sup> **عَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**<sup>1</sup>، ولتخذوا من القصص منطلقاً إلى التفكير السليم القويم، الذي يهديهم إلى الحق لكي يحيوا حياة طيبة في المجتمع، قوامها الحق والخير والفضيلة... فلذلك القصة النبوية لا تنشُد التسلية والسمر، وإنما تنشُد تمام الأخلاق، وفي النهاية هي من صميم رسالته ﷺ، ذلك لأنها تعمق في نفوس البشر معنى الألوهية الصادقة، لتكون زادهم الذي يوصلهم إلى الجنة، قال تعالى: ﴿عَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>2</sup>.

بلغ النبي ﷺ ما أنزل إليه من ربه في محكم الكتاب الكريم من قصص، وساق لأمته في حديثه الشريف قصصاً أخرى كثيرة، ففي القصص النبوي متسع، منها ما يرويه النبي ﷺ عن ربه، أو ما يشاهده من مشاهداته المنامية<sup>3</sup>، أو الواقعية كالإسراء والمعراج، ومن القصص أيضاً ما يقصه المصطفى (عليه الصلاة والسلام) عن الأمم السابقة، كما نبأنا عن أمور غيبية، منها ما سيقع في آخر الزمان، أو أحداث اليوم الآخر. فهنالك «أوتار في القلب البشري، أعدها الله - سبحانه - لتلقي إيقاعات معينة فتتهتز، فإذا اهتزت انطلقت الفطرة

<sup>1</sup> - الأعراف: 176.

<sup>2</sup> - التوبة: 72.

<sup>3</sup> - عن عائشة رض الله عنها، أنها قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءتة مثل فلق الصبح...» "فتح الباري"، ابن حجر العسقلاني، تصحيح وتحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، وآخرين، دار الفكر، ج12، ص351.

تبحث عن الله، وقد تهتدي في بحثها، وقد تضل، ولكنها في كل حال تنطلق إذا اهتزت الأوتار، والإيقاعات التي تهزها، لا تنقطع في ليل أو نهار، فالكون أعظم إيقاع يوقع على أوتار القلب البشري»<sup>1</sup>، إن الإشارة إلى النفس، وكشف خباياها وزلاتها وعثراتها، واضحة وصريحة في أكثر من موضع من القصص، إذ إن الغاية التي تنشدها القصة، تحقيق العدل والحق بين الناس، وكذلك تهذيب النفس وتربيتها عن طريق أساليب الترغيب والترهيب.

لقد خضعت القصة النبوية في موضوعها، وطريقة عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض والأهداف الدينية، فتنوعت موضوعاتها، وأثارت في القارئ -وما زالت- الكثير من المشاعر، وذلك لما تتسم به من عمق أفكارها... إذ هي تتناول جوانب مهمة تمس العقيدة الإسلامية، بقصد تثبيت قيمها في النفوس، فتناقش الكثير من القضايا، مثل: وحدانية الله عز وجل، وهي أهم قضية ظل المصطفى (عليه الصلاة والسلام) سنوات يدعو إليها، ويقررها في النفوس.

كذلك تعرض القصة النبوية الكثير من صفات الله عز وجل، فهو المدبر والعالم بكل شيء، وهو الغفور الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء.

كما تقرر القصة النبوية الكثير من المبادئ والأحكام التشريعية، وتعرض صوراً من دلائل نبوته ﷺ، وفضله على سائر الأنبياء والرسل.

كما رسم المصطفى عليه الصلاة والسلام لأمته في قصصه وأحاديثه، منهجاً يقي المجتمع من شرور الفساد والمفسدين، يحض على الخير ويرغب في الاستزادة منه، ويهرب من الشر، وينفر منه، ومن كل فعل يؤدي إليه، وهذه أهداف أصيلة تبتغيها كل المجتمعات، وبذلك يلتقي الناس في دنياهم على كلمة سواء، ويشيدون ببناء القيم الخلقية.

<sup>1</sup> - علي بن جابر الحري، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 136.

والقصة النبوية تصور الإنسان تصويراً صادقاً، فتعرض ما فيه من نوازع الخير والشر، وما ينطوي عليه من القوة والضعف... لكنها تحاول أن تسمو بالإنسان إلى آفاق عليا وتنقذه مما لديه من استعداد للهبوط، والالتصاق بقبضة الطين. وحينما تعبر عن لحظة الضعف البشري لا تصنع منها بطولة تستحق الإعجاب، بل تعرضها عرضاً واقعياً، كما أنها لا تقف عندها طويلاً، وإنما تسرع لتسلط الأضواء على لحظات الاستعلاء والإنابة إلى الله عز وجل؛ لأنها لحظات التغلب على الضعف البشري، وهي الجديرة بالاهتمام فهي لا تعرض النفس البشرية بيضاء من غير سوء بل تعرض تلك النفس في جميع حالاتها، «حالة القوة وحالة الضعف، حالة الارتفاع وحالة الهبوط، وحالة التآرجح بين القوة والضعف والارتفاع والهبوط، كما يرسم الدوافع المختلفة التي تتناوش نفوس البشر في الأرض، فتدفعهم حيناً إلى اللصوق بالطين، وتتيح لهم حيناً فرصة الرفرفة والانطلاق... هو أن الإنسان يفيء منها إلى نفسه، ويعرف أنها كانت لحظة ضعف فيرتفع عنها، وينيب إلى الله»<sup>1</sup>.

كما واجهت القصة النبوية الحياة الدنيا بجميع جوانبها وقيمها، وطبائع الإنسان وحقائقه، واجهت كذلك الموت، وما بعد الموت، واستطاعت أن تعمق في نفس المسلم الإحساس بزوال الدنيا وفنائها، وبأنها دار عمل لا دار بقاء، وما هي إلا مزرعة ما يزرعه في الدنيا يحصده في الآخرة.

والأحدث التي تصورها القصة النبوية عن العالم الآخر الخالد، وما يلابسها من مواقف وظروف، أحداث غيبية، يكشفها المصطفى (عليه الصلاة والسلام)، عن طريق الوحي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾<sup>2</sup>، وفي ظل

<sup>1</sup> - محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط8، 1413هـ-1993م، ص159.

<sup>2</sup> - النجم: 3-5.

الأحداث الغيبية تنبئنا القصة النبوية عن أمور تحدث عند قرب نهاية العالم في الحياة الدنيا - أعني إرهابات الساعة- وأتي هنا دور القصة التي تعرض ذلك، منذرة ومحدرة من مغبة ما يقع فيه الناس من فتن وابتلاء.

إذا القصة النبوية أوسع وأشمل من القصص الفنية الحديثة<sup>1</sup> لاتساع ميادينها؛ فالفرق بين النمطين يكمن في طبيعة تناول الحدث، لأن القارئ يعرف سلفاً بأنه حيال أحداث وهمية يفتعلها القاص في القصة المصطنعة، بينما تجد تأثيره وانفعاله ذا سمة واقعية في القصة القرآنية، لأنه حيال أحداث حقيقية جرت علي أرض الواقع. وهنا تبرز أهمية قصص القرآن فهي تتعامل مع واقع لا مع محتمل فيتحقق بذلك عنصر الإقناع وعنصر الإمتاع، لأنها تخاطب جانبي الإنسان العقلي والوجداني، فتورد من الأساليب ما تخاطب به العقل والوجدان منفردين أو مجتمعين، كحوار الأنبياء مع أقوامهم سواء حوار المجادلة أو حوار توجيه وإرشاد، ما يجررها من القيود والقواعد التي فرضها النقاد عليها، مما تأباه الموهبة والفتوة السليمة.

فهي قصص تتلاءم مع فطرة الإنسان، وتهدف إلى تقويم هذه الفطرة وإصلاحها، إنها ترسم منهجاً سويماً لما ينبغي أن يكون عليه البناء القصصي الأصيل. «تكفي كل الكفاية في تقرير الغرض، وتروع كل الروعة في تسلسل الأحداث، ولباقة الحوار، وتصور الأشخاص. وتنبع فكرتها من أجناس النفوس الكائنة الحية، فلا تعالج أنماطاً منها في عالم مجهول، فإن جنحت إلى عالم غير منظور بنته على تباشير الحاضر الشاهد به، فربطت بينهما بسببية تمنع

<sup>1</sup> - كاتب القصة الحديثة ابن بيته، يتأثر بها، وبما تمليه عليه من مؤثرات دينية وسياسية واقتصادية... ولذلك تتميز قصصه بأفكار واتجاهات وفلسفات تنطق بذلك سطور قصصه، وحين سرده وحواره مع شخصياته.

الطفرة، وبألغة تؤنس بالرحلة، وهي في ذلك كله وفي غيره الوسيلة المشتهاة للنفس الطلقة، والأسلوب الرائع المؤثر في الوجدان»<sup>1</sup>.

ولا تلتزم القصة النبوية نمطا من الأداء، بل تتلون تلونا ملحوظا يمليه مقام الفكرة من الطول أو القصر، ومن الحوار أو السرد، ومن تصعيد المواقف أو تبسيطها، ومن تخير الأحداث المثيرة، بما تتضمنه من مفاجآت وحلول، ونحو ذلك، فالموضوع يتجسد أمام القارئ عبر تطور حافل بعناصر التشويق والإثارة... من هنا فإن موضوعات القصة النبوية قد عرضت في معارض شتى يمكن أن تصنف إلى ما يلي:

الأمثال القصصية، والأخبار القصصية، والحوار القصصي، وقصص بين القصر والطول. هي أوعية حملت أغراضا في بعض الأحيان مستقلة وفي أغلبها إنما هي موضوعات متداخلة يأخذ بعضها برقاب بعض منها الاجتماعية والنفسية والإيمانية والغيبية وهذه الموضوعات التي احتضنتها هذه الأوعية خاضعة كلها للغرض الديني.

### جـ- أنواع القصة في السنة النبوية:

تنقسم القصص في السنة النبوية - كما وكيفا - إلى خمسة أنواع:

#### أولاً- القصة التاريخية:

وهي القصة التي تعرض لنماذج متفاوتة للنفس البشرية، ونعني بكونها تاريخية أنها قد مضت في الزمان البعيد فأصبحت أثراً بعد عين.

والقصة التاريخية تهدف من وراء ذكر الأحداث التاريخية إلى بيان سنة الله - عز وجل - في خلقه ونتيجة الصراع بين الحق والباطل والخير والشر وتضيء الطريق أمام الباحث وتضع

<sup>1</sup> - د. عز الدين علي السيد، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، 1392هـ - 1973م، ص442.

يده على ذخائر وكنوز من المعارف الإنسانية والعظات النافعة والدروس المستفادة أي: «كل قصص الأنبياء وقصّ المكذبين بالرسالات وما أصابهم من هذا التكذيب وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها، وأحداث على وجه التحديد والحصر، موسى وفرعون، وبنو إسرائيل، صالح وثمود، وهود وعاد، شعيب ودين لوط وقريته، نوح وقومه...»<sup>1</sup>، فهي ليست سرداً لتضاريس المكان، و لا تواتر الزمان ولا سير الأحداث، ولا تصوير ملامح الأشخاص إنما هي قالب صيغ لغرض ديني أساسه الصدق الموضوعي وركيزته العظة والتوجيه والإرشاد.

وتشمل القصة التاريخية ما ورد من قصص الأنبياء والمرسلين وغيرهم ممن قص علينا النبي ﷺ أحوالهم من بني إسرائيل وغيرهم، كقصة آدم عليه السلام وقصة موسى والخضر - عليهما السلام- وقصة سليمان عليه السلام... إنها من القصص التي قال عنها العلماء وأهل الدراية والمعرفة والكتابة أنها من درر ما تمت قراءته من قصص في بلاغته وبيانه، فهي حقل للمعرفة، وتجاوب للذات، واستنهاض للمستقبل مع الرجاء والأمل. والقصص النبوي الشريف، ينطبق عليه في الواقعية والأسلوب والمكانة والتميز ما ينطبق على القصص القرآني، لأن الله تعالى هو الذي أوحى لنبينا -عليه الصلاة والسلام- به كونه ﷺ "علمه شديد القوى"<sup>2</sup>.

### ثانياً- القصة الغيبية:

وهي التي تتناول أحداثاً ووقائع من صميم الغيب مستمدة من مشاهد الآخرة، وهي -وإن كانت بالنسبة للإنسان غيباً مجهولاً- فهي في علم الله تعالى -حاضر مشهود-

<sup>1</sup> - محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ص 157.

<sup>2</sup> - سورة النجم، الآية: 05.

فالغيب في علم الله تبارك وتعالى كالشهادة والآخرة كالدينا، والخفي كالظاهر، والماضي كالمستقبل، والسر كالعلانية سواء.

### أمثلة للقصة الغيبية في الحديث النبوي الشريف:

الشفاعة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم وقصص في رؤية الله في الآخرة والصراف والشفاعة.

### ثالثاً- القصة التمثيلية:

وهي كل قصة بدأت بما ينبئ أنها مثل مضروب لمشاهدة حال المخاطبين لأحداثها، أو كانت غير منسوبة إلى أشخاص معينين ودلت أحداثها على إمكان حدوثها من بعد أكثر من مرة.

### أمثلة للقصة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف:

#### المثال الأول:

عن الحارث بن سويد قال دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض، فحدثنا بحديثين حديثاً عن نفسه، وحديثاً عن رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {الله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية<sup>1</sup> مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فأستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده}<sup>2</sup>.

#### المثال الثاني:

حدثنا عبد الله بن براد الأشعري وأبو كريب واللفظ لأبي كريب. قال حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: {إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به

<sup>1</sup> - الدوية: الأرض القفر التي لا نبات فيها.

<sup>2</sup> - أخرجه البخاري في الدعوات، باب التوبة، ومسلم في أول كتاب التوبة، رقم: 6991، ص 1018.



كمثل رجل أتى قومه، فقال يا قوم: إني رأيت الجيش بعيني واني أنا النذير العريان، فالنجاة، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبهم الجيش فأهلكهم وأجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق}.<sup>1</sup>

#### رابعاً- القصة الواقعية:

وهي قصة تروي أحداثاً « وتجارب ذاتية وقعت للرسول ﷺ في فترات مختلفة من حياته وفي ظروف مختلفة أيضاً وهذه القصص أشبه ما تكون بالمذكرات التي يسجلها الإنسان عن بعض ما يمر به في حياته ».<sup>2</sup>

مثال: قصة الإسراء والمعراج التي قص فيها الرسول مرحلة متميزة في حياته ساقها ﷺ ليس مجرد الإخبار عما وقع له، وليس نقلاً لما جرى من أحداث وما شاهد من شخصيات ولكن ساقها ﷺ للعظة والعبرة والتوجيه.

#### خامساً- القصة القصيرة:

وهي التي تتناول حدثاً من الأحداث فتعرضه في صورة سريعة قوية في تعبيرات مركزة، ومهمتها الإيجاء السريع والتأثير القوي لتبلغ غايتها في أقصر وقت ومن أقرب طريق، ومن ثم فهي لا تتناول وقائع متصلة مترابطة ولا تعنى بالتفاصيل.

والقصة القصيرة لون متميز من ناحية العرض والأسلوب، أحداثها مختصرة مركزة، متميزة في طريقة العرض وأسلوب الأداء، مما جعل لها رونقاً وهماً وتأثيراً في شعور الناس.

<sup>1</sup> - أبي الحسن مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب شفقتة ﷺ على أمته ومبالغته، في تحذيرهم مما يضرهم رقم الحديث: 5977، ص 871.

<sup>2</sup> - مأمون فريز جزار، خصائص القصة الإسلامية، ص 113.

مثال: حدثني عبد الله بن محمد بن أسماء بن عبيد الفيحي، حدثنا جويرية يعني بن أسماء، عن نافع عن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: {عذبت امرأة في هرة، سجنها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتهما إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض} <sup>1</sup>.

### سادساً: القصة الطويلة:

وهي التي تشغل قطاعاً كبيراً من الحياة وحيزاً واسعاً من الزمان والمكان، وتعنى برسم الشخصيات وإبراز سماتها وملاحظتها وتصوير الخواطر والانفعالات، وتذكر الأحداث مترابطة.

مثال: قصة الأبرص والأقرع والأعمى - قصة أصحاب الغار - قصة أصحاب الأخدود.

### د- موضوعات القصة النبوية:

القصة النبوية ذات مبنى متكامل وذات معنى هادف تنبع من الواقع التاريخي، للوصول بالإنسان إلى قناعة التمكين لعنصر الخير، في صراعه مع الشر، وتثبيت قيمة انتصار الخير في النهاية على الشر، فالكل يجد بغيته في هذا القصص القويم، الذي يعد من أنجع الطرق التي اتبعها الحديث النبوي في تأديب النفوس، وتقرير قواعد الهداية فيها، وأهم المواضيع التي عالجها القصص النبوي ما يلي:

1- تعميق الثقة بالله والاعتماد عليه قصد الوصول إلى الذات المطلقة (النفس الخيرة)، ومثال هذا نجد في قصة: الرجل الذي استلف ألف دينار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: اتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال فأتني بالكفيل، قال: كفى

<sup>1</sup> - الإمام أبي حسين مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها رقم الحديث: 6709، ص 978.

بالله كفيلاً، قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر، فقال: «اللهم إنك تعلم أنني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً فرضي بك، وأني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني استودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك أنني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشداً.<sup>1</sup>»

فكلا الرجلين جعل ثقته بالله وأسلم الأمر له؛ المقرض الذي اكتفى بالله شهيداً، واكتفى بالله كفيلاً، فلم يأخذ من صاحبه رهناً، ولم يصر على طلب الشاهد والكفيل، والمقرض الذي صدق الوعد مع الله في رد الدين في وقته فوضعه بين يدي الله بعد أن أعيته السبل إلى رده في حينه، فكان الله عز وجل عند ظن العبد به، فإن ظن العبد بالله خيراً، كان الله له بكل خير أسرع.

2- كما عالجت القصة النبوية موضوع الطغيان البشري، كقصة الدجال عند إدعائه

الربوبية واصطناع الفتن المختلفة التي يعرضها على البشر.

<sup>1</sup> - الإمام البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي) صحيح البخاري، دار الحديث العلمية: بيروت- لبنان، ط1، 1998، مع2، ج2290، ص 65.

3- كذلك عاجلت القصة المحمدية الإيمان وأثره في حياة البشر وما يترتب عن التوبة ومثال ذلك، قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً. فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: { كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فأعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذ أنصف الطريق أتاه الموت، فأختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب، إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيهما كان أدنى فهو له، فقاوسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة<sup>1</sup>، فمحتوى هذه القصة ليس إغراء بفعل المنكر والشر والقتل، وما كان ذلك ليصدر عن رسول جاء ليقلع فعل المنكر من النفوس، بل هو إغراء بالأمل وعدم اليأس من رحمة الله حتى لو كان الذنب يمثل هذا الثقل ويمثل هذه الدرجة.

هكذا أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذا هو الطريق الأقصر إلى دخول عالم النفس البشرية والتأثير فيها وتحريكها؛ إنه سبيل الاستدراج والتأثير بالكلمة الطيبة.

4- وعاجلت بعض قصص المستقبل والعالم الآخر، كقصة "الإسراء و المعراج".

<sup>1</sup> - صلاح الدين محمود السعيد ، صحيح القصص النبوي، ص31.

5- كما أن القصص النبوية عرض للقيم الاجتماعية، ويظهر هذا النوع في قصة "السفينة"، حيث صور لنا ﷺ المجتمع كأنه سفينة وركابها متضامنون وأن أي تصرف يحدثه أحد منهم يؤثر على الآخرين لاسيما إن كان هذا التأثير متصلاً ببنية المجتمع، فالتضامن قائم بينهم حتماً، على نحو قوله: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء، مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجو ونجو جميعاً»<sup>1</sup>، هي أربعة أسطر وبضع جمل، كانت كافية لتقريب معنى بعيد وكشف ما غمض من الحق.

إن القصة النبوية تتميز بغائية المعرفة والإدراك والتفسير للحالات المحملة في الذكر الحكيم وهي من دواعي المعرفة الحقة، التي جاءت مع القصص الحق، الهادف إلى بعث جو من الفائدة والأخبار والحكم، مع متلازمات الجمالية النصية الهادفة إلى تركيب صور تتميز بالعلامات التوضيحية التي تحدث فجوات معرفية لفتح النص القصصي على مصراعيه، بزيادة التكثيف المعنوي، وحضور الآلة المعرفية التي تثبت أركان الدلالة، وتغرس عشق التشويق للقصة قراءة وتأملاً وإطلاعاً... وهذا ما استطاعت القصة النبوية أن تحدثه في نفس القارئ كما فعلت القصة القرآنية بدءاً وتجاوزاً مع النفس المحبة للسرد والجمال والرغبة والرغبة... إنه حديث من: "أوتي جوامع الكلم".

<sup>1</sup> - رواه البخاري، في صحيحه، البخاري (محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1430هـ-2009م، ص438، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة، رقم: 2493.

# الفصل الثاني

## المستوى الصوتي

أولاً: الأسلوب و الأسلوبية

ثانياً: الصوت في القصة النبوية

1- الأصوات المفردة

2- التكرار

3- البديع اللفظي

إن الأسلوب هو طريقة الأداء اللغوي، بما يحويه من أفكار وأحاسيس وتجارب حياتية...، وعلى هذا الأساس، يعد الأسلوب هو الصورة المترجمة لملامح شخصية الفرد، فكراً وعاطفة حساً وإدراكاً، وتدعيماً لتلك القدرة الشخصية على التصور الكلي لأي عمل أدبي، وبنائه بناءً فنياً تظهر عليه مسحة من الجمال اللغوي، أو التعبيري فهو: «الطريقة التي يتدعها الإنسان في التعبير عما يحس به ويشعر عن طريق الكتابة»<sup>1</sup>، وانطلاقاً من هذا المفهوم؛ فإن أي قدرة على التصرف في الكلام تصرفاً سليماً، والتعبير عما يجول في الذهن من خواطر وأحاسيس بدقة، تعتبر أسلوباً أو طريقة أداء تختلف من شخص لآخر.

ولا مانع من إعطاء التعريف اللغوي لأصل الأسلوب: «سَلَبَ من: سَلَبَ الشيء يسَلِبُه سَلْباً. واستَلَبه إياه والإستلاب: الاختلاس، ويقال للسطر من النخيل أسلوب، والأسلوب: الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب القول: أي أفانين منه»<sup>2</sup>، فهو في معظم معاجم اللغة<sup>3</sup> الطريق، فالعرب القدماء عَنوا بالأسلوب الطريقة الخاصة في النظم، والسمة المميزة لكلام عن كلام آخر، وهذا يفيد في أن: أصل اللفظ وشيء من المعنى كان موجوداً عند علمائنا الأوائل قديماً.

والأسلوب في الاصطلاح: يعني الطريقة الفنية، للتعبير عن المعنى، وقيل هو القالب الذي يستوعب مجموعة تراكيب بعد أن انصهر فيها، كل من المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، بالشكل الذي يمنع إمكانية إسناد المعنى إلى مستوى معين دون

<sup>1</sup> - حميد آدم ثويني، فن الأسلوب (دراسة وتطبيق حسب العصور الأدبية)، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427هـ-2006م، ص21.

<sup>2</sup> - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م، مج7، مادة سلب، ص224.

<sup>3</sup> - أنظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، معجم العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي.

آخر، «إن المعاني وحدها هي المحسمة لجوهر الأسلوب، فما الأسلوب سوى ما نضفي على أفكارنا من نسقٍ وحركة»<sup>1</sup>، فهو اختيار وانتقاء يقوم به الكاتب، لسماوات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين، ويدل هذا الاختيار والانتقاء على إثارة الكاتب وتفضيله لهذه السماوات على سماوات أخرى بديلة.

والأسلوبية هي: مصطلح، يتكون من جذرين، الجذر الأول، هو الأسلوب (style) ولاحقة (يَّة)، (ique) وتتصل أولى المنطقات "بالمصطلح ذاته إذ يتراءى حاملاً ثنائية أصولية، فسواء انطلقنا من الدال اللاتيني وما تولد عنه في مختلف اللغات الفرعية، أو انطلقنا من المصطلح الذي استقر ترجمة له في العربية، وقفنا على دال مركب جذره (أسلوب) (style) ولاحقته (يَّة) (ique)... فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي، وبالتالي نسبي، واللاصقة تختص بالبعد العلماني العقلي، وبالتالي الموضوعي، ويمكن في كلتا الحالتين تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلوله بما يطابق عبارة: علم الأسلوب (science du style)، لذلك تعرف الأسلوبية بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعية، لإرساء علم الأسلوب.<sup>2</sup>

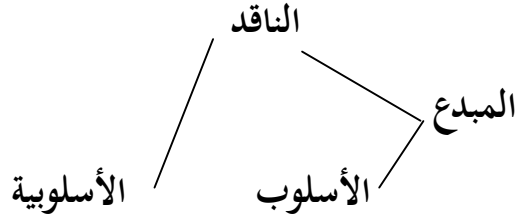
حيث كلمة (style) تعني طريقة الكلام، وهي مأخوذة من كلمة لاتينية (stylas) بمعنى عود من الصلب كان يستخدم في الكتابة «فهي مشتقة من الأصل اللاتيني للكلمة الأجنبية الذي يعني القلم، وفي كتب البلاغة اليونانية القديمة الأسلوب يعد إحدى وسائل إقناع الجماهير، فكان يندرج تحت علم الخطابة، وخاصة الجزء الخاص باختيار الكلمات

<sup>1</sup> - د. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا / تونس، ط3، ص65.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص34.



المناسبة لمقتضى الحال»<sup>1</sup>، فالأسلوبية (علم الأسلوب)، يعنى بها: العمل العلمي، الذي يعتمد على الناقد في دراسة أسلوب المبدع.



فالمبدع يعتمد على الأسلوب والناقد يعتمد على الأسلوبية، لكشف أسلوب المبدع، فالأسلوب قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ، بواسطة إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إن غفل عنها تشوه النص، وإذا حللها وجد لها دلالات تمييزية خاصة؛ بما يسمح بتقرير أن الأسلوب يُعبر، والأسلوبية تُبرز.

ويؤكد معظم الذين اهتموا بالأسلوبية كمنهج نقدي أدبي أنها استفادت من عدة علوم تهتم باللغة أساساً، وهي الدراسات اللغوية اللسانية التي ظهرت بوادرها، في مطلع القرن التاسع عشر، يقول د. إبراهيم عبد الجواد: «والدافع الحقيقي لنشأة الأسلوبية يكمن في التطور الذي لحق الدراسات اللغوية، وتكاد الدراسات العربية تجمع على أن نشأة الأسلوبية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا التطور وتعدده أساس الدراسات الأسلوبية، وإذا أمنا بأن الأسلوبية جاءت وليدة التطور الذي لحق العلوم الثلاثة: النقد والبلاغة واللغة، فإننا نؤكد أن نشأة الأسلوبية لغوية، ولاسيما التطور في مجال الدراسات الأدبية»<sup>2</sup>، فالأسلوبية منهج نقدي لساني، يقوم على دراسة النص الأدبي دراسة لغوية.

<sup>1</sup> - يوسف أبو العدوس، الأسلوبية (الرؤيا والتطبيق)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 1427هـ-2007م، ص35.

<sup>2</sup> - د. إبراهيم عبد الله عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ص21.

وقد نشأ علم الأسلوب الحديث أو الأسلوبية الحديثة، استناداً إلى نشأة علم اللغة الحديث وتطوره، فالأسلوبية لم تكن في أول أمرها، سوى منهج من المناهج اللغوية المستخدمة في دراسة النصوص الأدبية، ولا يزال كثير من الباحثين يعتبرون الأسلوبية منهجاً مستوحى من المناهج اللغوية، الأمر الذي جعلهم يعدونها فرعاً من فروع علم اللغة العام، يقول آري فاي في هذا الصدد: «إن الأسلوبية وصف النص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات»<sup>1</sup>. فلم يظهر مصطلح الأسلوبية إلا مع ظهور العالم السويسري دي سوسير (1875-1913)، الذي أسس علم اللغة الحديث وأظهر علم اللسانيات، حيث يعزى إليه التفريق بين اللغة والكلام، من خلال معادلته الشهيرة "اللسان في نظرنا هو اللغة ناقص الكلام"<sup>2</sup>، حيث أوضح أنّ اللسان "نتاج اجتماعي لملكة اللغة، فهو مجموعة من الأعراف الضرورية التي يستخدمها المجتمع، لمزاولة هذه الملكة عند الأفراد."<sup>3</sup>، لكن الفضل الأكبر ناله تلميذه (شارل بالي) (1865-1947)، لما استوعب المفاهيم التي جاء بها دي سوسير، فعكف على دراسة الأسلوب، وأرسى قواعد الأسلوبية المعاصرة ابتداءً من 1902، والأسلوبية عنده هي: علم يعنى بدراسة طاقة اللغة في التعبير عن الانفعالات والمشاعر أو القيمة الشعورية الانفعالية المكونة للنظام التعبيري للغة معينة في فترة ما.

والأسلوبية كمنهج نقدي يصنفها (جون دوبوا) (jean dubois)، على أنها فرع من فروع اللسان، وهذا ما يؤكدّه ميشال أريفني (michel arrive) بقوله: "الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات"<sup>4</sup>، وهو إثبات لدور اللسانيات

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 48.

<sup>2</sup> - أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات المتحدة، ط2، 1434هـ-2013م، ص33.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص38

<sup>4</sup> - ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص48.

في بلورة مفهوم الأسلوبية، حيث يقول الهادي الجطلاوي: "الأسلوبية موضوعها النظر في الإنتاج الأدبي، وهو حدث لغوي لساني"<sup>1</sup>. فالأسلوبية تبحث عن الجمالية التي تميز النص عن غيره أو الكاتب عن غيره، من خلال اللغة وخواطر الوجدان.

فهي بالنسبة لريفاتير منهج لغوي، له صلة وثيقة بالدراسة اللغوية، وهذا عندما ربط بين منهجها ومناهج البحث اللغوي، واستناداً إلى ذلك يقول د. محمود عياد: «يقودنا هذا الربط بين الأسلوبية والدراسة اللغوية إلى الفرضية الأساسية للعلم نفسه، وتقوم هذه الفرضية على أساس أن النص الأدبي، نص لغوي، لا يمكن سير أغواره دون تحليل العلاقات اللغوية التي ينطوي عليها ذلك؛ لأن هذا التحليل هو الذي يقودنا إلى تفهم الشحنة الدلالية والعاطفية الكامنة في النص، والتي تؤثر في المتلقين، ولا يعني هذا كله شيئاً أكثر من أننا قراءً، ونقاداً، أن ننفذ إلى قيمة العمل الأدبي إلا من خلال النص ذاته»<sup>2</sup>.

وهذا لا ينفى أن تكون ملامح الدراسات الأسلوبية قد كان لها جذورها في الدراسات العربية، وإن لم تحمل هذا الاسم، وقد اتجه باحثون عرب إلى صميم التراث العربي، لاستنطاق النصوص التراثية بمفهوم الدراسات الأسلوبية من قبيل الإقرار بالبعد التاريخي لها وتأكيد أصالة البحث الأسلوبي عند العرب، والكشف عن صلة الرحم بين الأصالة والحداثة.

ومن الأمثلة الدالة على كينونة مصطلح الأسلوبية في الكتابات العربية القديمة، ما جاء في كتاب البيان والتبيين حيث لم يستعمل الجاحظ مصطلح الأسلوب، بصورة مباشرة كمصطلح فني وإنما تطرق إلى النظم كدلالة على الأسلوب فهو عنده: «بمعنى حسن اختيار

<sup>1</sup> - الهادي الجطلاوي، مدخل إلى الأسلوبية تنظراً وتطبيقاً، منشورات عيون، الدار البيضاء، ط1، 1922، ص27.

<sup>2</sup> - محمود عياد، الأسلوبية الحديثة، محاولة تعريف، مجلة فصول، ع2، 1981م، ص124.

اللفظة المفردة، اختياراً موضوعياً، يقوم على سلامة جرسها، واختياراً معجمياً يقوم على ألفتها، واختياراً إيجائياً يقوم على الظلال التي يمكن أن يتركها استعمال الكلمة في النفس، وكذلك حسن التناسق بين الكلمات المتجاورة تآلفاً وتناسباً<sup>1</sup>؛ فلقد عدَّ الجاحظ النظم في حسن اختيار اللفظة المفردة وذلك بالاعتماد على صوتها أي جرسها الموسيقي واستعمالها، استعمالاً معبراً عن المعنى مما يترك أثراً في النفس وحسن تنسيق بين الكلمات فيما بينها، فالنظم عنده يعني النسق الخاص في التعبير، والطريقة المميزة في التركيب وفرق بين نظم القرآن ونظم سائر الكلام وتأليفه يقول: «فليس يعرف فروق النظر واختلاف البحث إلا من عرف القصيد من الرجز والمخمس من الأسجاع والمزاج من المنثور، والخطب من الرسائل وحتى يعرف العجز العارض الذي يجوز ارتفاعه، من العجز الذي هو صفة في الذات، فإذا عرف صنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام»<sup>2</sup>.

والجاحظ هو أول من أشار في كتابه البيان والتبيين، إلى فكرة بيان مستويات الأداء اللغوي، ويرجع هذا البيان إلى تفاضل الناس أنفسهم في طبقات حيث يقول: «فكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقيح والسمح والخفيف والثقيل، وكله عربي وبكله تكلموا، وبكل قد تمادحوا وتعابوا»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - يوسف أبو العدوس، الأسلوبية (الرؤيا والتطبيق)، ص 11.

<sup>2</sup> - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150هـ-255م)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط 1، 1411هـ-1991م، ص 16.

<sup>3</sup> - الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 7، 1418هـ-1998م، ج 1، ص 144.

واستعمل لفظ الأسلوب مرة واحدة عند عبد القاهر الجرجاني، «فقد بدأ بحثه في "دلائل الإعجاز" بنقض نظريتين قديمتين: نظرية القائلين بأن بلاغة الكلام في اللفظ، ونظرية القائلين بأن بلاغة الكلام في المعنى، ثم نراه ينتهي من هذا البحث إلى نظريته الخاصة القائلة بأن بلاغة الكلام ليست في اللفظ وليست في المعنى، وإنما هي في اللفظ والمعنى معاً، أو إنما هي في نظم الكلام أي في الأسلوب»<sup>1</sup>.

وعبد القاهر الجرجاني في طرحه لمفهوم الأسلوب، والتنظير له حاول أن يضع له حداً، حيث يعترضه المصطلح في سياق حديثه عن الاحتذاء فيقول في كتابه دلائل الإعجاز: «واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه، أن يتدبّر الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً، والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك (الأسلوب) فيجيء به في شعره، فيشبهه بمن يقطع من أدبمه نعلًا على مثال نعلٍ قد قطعها صاحبها، فيقال: (قد احتذى على مثاله)»<sup>2</sup>، وهو بهذا يعرف الأسلوب، بأنه الضرب من النظم والطريقة فيه، «يعرفه ويحدده ومن جهة أخرى، فهو يربط بين النظم والأسلوب»<sup>3</sup>.

كما استعمل لفظ الأسلوب في عديد المرات عند حازم القرطاجني، في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" حيث أوقف القسم الأخير من أقسامه الأربعة على دراسة الأسلوب، وقد نجح في استغلال إمكانيات مصطلح الأسلوب، وإدراك قيمته وأثره في المتلقي، كما أنه عالج في كتابه كثيراً من القضايا التي تتعلق بالأسلوب، يقول: «ولما كانت الأغراض الشعرية

<sup>1</sup> - عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 202.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر- محمود محمد شاكر، مطبعة المدني السعودية بمصر القاهرة ط 1413، 3\_1992، ص 468\_469.

<sup>3</sup> - محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع 95، سبتمبر 2004م، ص 02.

يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد، وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد، ومسائل منها تقتنى: كجهة وصف المحبوب، وجهة وصف الخيال وجهة وصف الطلول، وجهة وصف يوم النوى، وما جرى مجرى ذلك في غرض النسيب، وكانت تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات، والنقلة من بعضها إلى بعض، وبكيفية الاطراد في المعاني صورة وهيئة تسمى الأسلوب، وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ؛ لأن الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جهات غرض القول، وكيفية الاطراد من أوصاف جهة إلى جهة، فكان بمنزلة النظم في الألفاظ، الذي هو صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ والعبارات، وهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض، وما يعتمد فيها من ضروب الوضع وأنحاء الترتيب، فالأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية، والنظم هيئة تحصل عن التأليفات اللفظية<sup>1</sup>، فقد ربط الأسلوب بالفصاحة والبلاغة، وبطبيعة الجنس الأدبي، وبالناحية المعنوية من التأليفات.

واستقرت كلمة الأسلوب في صيغتها الاسمية في "لسان العرب" لابن منظور وفي "فصل صناعة الشعر" من مقدمة ابن خلدون، وتحدت للأسلوب في هذين المصدرين بعض معالمه اللغوية والاصطلاحية المهمة، ففي المقدمة يقول ابن خلدون: «ولنذكر هنا سلوك الإنسان عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها، في إطلاقهم فاعلم أنها عبارة عن المنوال الذي ينتج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته، أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب، الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه، الذي هو وظيفة العروض، فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية؛ وإنما

<sup>1</sup> - ابن حازم القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، 1966م، ص 363-364.

يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيّرُها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب، باعتبار الإعراب والبيان، فيرصّها فيه رصاً كما يفعله البناء في القالب، أو النساج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمتصور الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه<sup>1</sup>. فمفهوم الأسلوب عند بن خلدون، مفهوم دقيق ومقبول قياساً إلى عصره، فالأسلوب عنده هو: ملكة تعكس صورة الإنسان، وطابعه النفسي الداخلي فعده ضرباً من القول، وطريقة للتعبير الخاصة بأديب من الأدباء في فن من الفنون، فتعدد الأساليب راجع إلى: اختلاف، الموقف، وطبيعة الموضوع، ومقدرة المتكلم وفنيته.

وعليه نظر العرب إلى الأسلوب من زاوية المظهر الذي يخرج فيه أو الذي يتوهم خروجه فيه، فعدوه، الضرب من القول أو الطريقة أو المنوال، أو القالب، وهذه النظرة وجدناها عند عبد القاهر الجرجاني وابن خلدون بخاصة، ومنه نصل إلى أن الأسلوب «يفهم عادة بأنه التعامل الخاص للأديب مع اللغة، أو طريقة الأداء، أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه، بالعبارات اللغوية، أو هو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير»<sup>2</sup>.

هذا غير أن الأدباء والنقاد القدامى، لم يثبتوا على اتجاه واحد في تحديد معنى الأسلوب، فقد ربطوه مرة بالناحية المعنوية في التأليفات وربطوه مرة ثانية بطبيعة الجنس

<sup>1</sup> - ابن خلدون، المقدمة، ص570-571.

<sup>2</sup> - عبد الرحمان حجازي، الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي (دراسة أسلوبية)، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2005م، ص126.

الأدبي ومرة ثالثة بالفصاحة والبلاغة فظهر اهتمامهم « بالتناسب بوصفه مبدأ من مبادئ تقويم الأسلوب، وهنا تحدثوا عن السجع والجناس، ومراعاة التنظير، والاستطراد والمزاوجة والتقسيم، واللف والنشر وتشابه الأطراف، والطباق، والمقابلة... كذلك تحدثوا عن مناسبة الألفاظ للمعاني والمناسبة الصوتية والدلالية للألفاظ في ترتيبها وتركيبها... فالتناسب مبدأ جمالي يحتكم إليه الأسلوب أحياناً، ويشتمل على مقاييس تخص الألفاظ والمعاني والتراكيب والهيكلي الكلي للنص»<sup>1</sup>، كما تحدثوا عن الانحرافات السياقية مثل: التقديم والتأخير والحذف والإلتفات.

هذا ما يثبت أنّ التراث العربي، عرف الظاهرة الأسلوبية، فدرسها ضمن الدرس البلاغي. ولو تأمل الباحث لتأكد أن الدرس البلاغي العربي «إنما كان درساً أسلوبياً على وجه الإجمال، وما كان ذلك ليكون إلا لأن؛ الدرس اللغوي واللسانيات، كان سابقاً على الدرس البلاغي في التراث العربي»<sup>2</sup>، إذ انطلق العرب في درسه اللغوي «من النص تنظيراً وممارسة، فجاءت علومهم في هذا الميدان تمثيلاً حضارياً له، وكانت نظراتهم للأسلوب في جملة تلك العلوم، أنه أثر من آثار الناس ونتيجة من نتائجه الدالة عليه»<sup>3</sup>، وعليه فمفهوم الأسلوب قديم «يظهر أكثر ارتباطاً بالبلاغة على أساس أن الأسلوب جزء من صفة الإقناع»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - يوسف أبو العدوس، الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، ص24.

<sup>2</sup> - منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990م، ص30.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ص30.

<sup>4</sup> - أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط7، القاهرة، 1976م، ص30.



كما أنه "نظام تؤدي فيه اللغة وظائف مخصوصة"<sup>1</sup> و« إن تعدد الأنظمة اللغوية إذن أصل من أصول تعدد المعرفة اللغوية نفسها، وإن تكاثر النظريات أو اختلافها، إنما نشأ من هذا الأصل، فنحن باللغة نتحدث عن المعارف وباللغة نتحدث عن اللغة»<sup>2</sup>.

فالأسلوب حدث يمكن ملاحظته بأنه لساني؛ لأن اللغة أداة بيانه وهو نفسي لأن الأثر غاية حدوثه، وهو اجتماعي لأن الآخر ضرورة وجوده « وعليه فقد سبق مصطلح الأسلوب مصطلح الأسلوبية في الظهور، « لكن مصطلح الأسلوبية لم يبلغ مصطلح الأسلوب، وإنما تحددت للمصطلح القديم، دائرة ووظيفة في إطار المصطلح الجديد، ذلك أنه إذا كانت الأسلوبية تتعامل مع اللغة على أساس أنها تحل من التعبير محل الرخام من النحت؛ فإنها تتعامل مع كل تعبير بل مع لون معين منه وصل درجة من الأداء الأدبي»<sup>3</sup>.

وسار النقاد العرب المحدثون في المنهج الأسلوبي، وقد تعرفوا على الأسلوبية الغربية، وكان توجههم نحو القديم، لأن العرب الأوائل تفتنوا إلى الخصائص الشكلية والأسلوبية في الخطاب الأدبي، والتي أولوها أهمية كبيرة، إضافة إلى ذلك؛ ما أفرزته نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، من آثار لدى علماء الغرب، وهذا نجده في كثير من تعبيرات النقاد المحدثين، حين يشيرون إلى صورة أسلوبية اصطلاحية في القديم، فإنهم يقولون على سبيل المثال: « وهذه النظرية تجد ما يقابلها في أسس النظرية الأسلوبية الحديثة»<sup>4</sup>.

1- كراهم هاف، الأسلوب والاسلوبية، تر: كاظم سعد الدين، دار آفاق العربية للصحافة والنشر، بغداد، 1985م، ص22.<sup>1</sup>

2- أحمد درويش، مجلة فصول، الأسلوب والأسلوبية، العدد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص60.

3- د. منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002م، ص93.

4- إبراهيم عبد الله عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص64.

وأحسب أن هذا الطرح يشير إلى أن هؤلاء النقاد، إنما كان سعيهم في سبيل إثبات أصالة الدرس الأسلوبي العربي، وليس مجرد أن يكون درساً تابعاً للغرب؛ وهذا إشارة إلى أن مصطلح الأسلوب ومنهج الأسلوبية قد توافد على المحدثين من التراث القديم، باختلاف تعبيراته أو المصطلحات الدالة عليه.

ونحنا العرب في دراستهم للأسلوبية منحيين اثنين:

أما الأول فهو اتجاه استعان بالتراث قصد النظر في مفهوم الأسلوب والأسلوبية في صورتها السطحية العامة (المفهوم والمظاهر).

السنة	دراسته	الباحث
1978 م	مظاهر التفكير الأسلوبي عند العرب	محمد الهادي الطرابلسي
1980 م	مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد	شكري محمد عياد
1987 م	مفهوم الأسلوب في التراث	محمد عبد المطلب

أما الاتجاه الثاني: فقد حاول التعمق في النظرية الأسلوبية من خلال دلالاتها البلاغية النقدية.

السنة	دراسته	الباحث
1976 م	المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان	عبد السلام

	والتبيين للجاحظ	المسدي
1985 م	البلاغة العربية وعلم الأسلوب	شكري محمد عياد
1984 م	مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، قراءة في ضوء الأسلوبية	نصر حامد أبو زيد

ولا يتوقف الجهد العربي في البحث في التراث القديم عند هذه الأسماء.

فهي أسماء على سبيل التمثيل لا الحصر، وهناك أسماء أخرى لأعلام كان لهم بصمات واضحة حول الموضوع.

السنة	المؤلف	المؤلف
ت (1937)	إعجاز القرآن والبلاغة النبوية	مصطفى صادق الرافعي
ت (1964)	مراجعات في الآداب والفنون	عباس محمود العقاد
1947	فن القول	أمين الخولي
ت (1968)	دفاع عن البلاغة	أحمد حسن الزيات
	الأسلوب	أحمد الشايب

هي معالم واضحة لها دور في تاريخ الدراسات الأسلوبية.

فقد ظهرت لديهم جهود لا تنكر في هذا المجال، و يعد كتاب (الأسلوبية والأسلوب) للدكتور عبد السلام المسدي، والصادر سنة 1977م، واحداً من أهم الدراسات، التي سعت إلى بسط مبادئ التفكير الأسلوبي في أوروبا وفرنسا، وقد كشف الكاتب عن التيارات الأسلوبية وروادها البارزين، من خلال قضايا المخاطب والمخاطب والخطاب. فهو: "أعمق المباحث العربية في تقديم المفهوم الأسلوبي وأصفاها وضوحاً، وأثرها معرفة"<sup>1</sup>.

وكانت تعريفاته للأسلوبية، محالة إلى مصادرها الغربية ورجالها الذين عرفوها، وينطلق في ذلك انطلاقاً لسانياً وأدبياً حيث جاء تعريفها لديه بأنها: «علم تحليلي تجريدي، يرمي إلى إدراك الموضوعية في حقل إنساني عبر منهج عقلائي يكشف البصمات التي تجعل السلوك اللساني ذا مفارقات عمودية»<sup>2</sup>، وكما نلاحظ على الصيغة التي صاغ بها المسدي تعريفه، فإنها مليئة بالزخم المعرفي والعمق الفلسفي.

أما عند د. منذر العياشي فالأسلوبية: «علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب ولكنها -أيضاً- علم يدرس الخطاب موزعاً على مبدأ هوية الأجناس، ولذا كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات مختلف المشارب، والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات»<sup>3</sup>.

فالأسلوبية إذن هي نظرة شمولية ومسحة نصية لماهية الخطاب ومستوياته الدلالية.

ومن جانب آخر، تمثل الأسلوبية صلة اللسانيات بالأدب ونقده؛ حيث أنها، تنتقل من دراسة الجملة لغة، إلى دراسة اللغة نصاً فخطاباً، فأجناساً، لذا كانت الأسلوبية «جسر اللسانيات إلى تاريخ الأدب»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائر، ط2، 1430هـ-2009م، ص86.

<sup>2</sup> - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص37.

<sup>3</sup> - منذر العياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002م، ص27.

وإن الأسلوبية أو علم الأسلوب بشكل عام منهج يدرس النص ويقرؤه من خلال لغته وما تعرضه من خيارات أسلوبية على شتى مستوياتها: نحويًا ولفظيًا، وصوتيًا وشكليًا، وما تفرده من وظائف ومضامين ومدلولات، فهي منهج نقدي نسقي غايته مقارنة النصوص في سياقها اللغوي، المتمثل في النص ومدى تأثيره في القراء، فيجعل من الأسلوب مادة لدراسته، فيكون هذا الأخير حقلًا خصبًا للدراسة الأسلوبية نظريًا وتطبيقًا.

فالأسلوبية ترمي إلى البحث « في كيفية مباشرة النص للوقوف من خلاله على العناصر المكونة للأسلوب وتلك المظاهر الأسلوبية التي تبحث عنها في النص، هي مظاهر خاصة به مميزة له »<sup>2</sup>.

فهي تحتاج إلى رؤية شمولية لدراسة النص بدءًا من أصغر وحدة (الصوت) ثم (التركيب) ومن ثمّ (الدلالة).

وهكذا تأتي الدراسة الأسلوبية للنصوص الأدبية، "للكشف عن الأبعاد النفسية، والقيم الجمالية، من خلال التحليل اللغوي واستنباط المعاني المراد التعبير عنها، والرسالة المراد التبليغ عنها، من خلال وصف الوحدة التركيبية للنص، فضلاً عن الدلالية، التي تنتظم بها وحدات أصغر على مستوى اللفظ والجملة"<sup>3</sup>.

والدراسة الصوتية؛ تعد المحور الأول للدخول إلى النص الأدبي، وبداية الولوج إلى عالمه، وفهمه وإحساس بوعي لما فيه من قيم جمالية؛ فالصوت هو: الوحدة الأساسية للغة التي يتشكل منها النص الأدبي، وعلى هذا: « يعد المبحث الصوتي الخطوة الأولى للدارس

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 108.

<sup>2</sup> - محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية، ص 05.

<sup>3</sup> - شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار المريخ الرياض، ط 1 1982م، ص 73.

اللساني؛ لأن الصوت أصغر وحدة في اللغة»<sup>1</sup>، يبنى عليها العمل الأدبي مهما تباينت أجناسه، إذا فهي الخطوة الأولى لدارس النصوص الأدبية دراسة أسلوبية.

ولما كان العمل الأدبي يتشكل من نسيج متكامل من الأصوات، ونظام من التراكيب (النحو)، وما ينشأ من دلالات سياقية تتجاوز في كثير من الأحيان الدلالات المعجمية، فتشكّل لغة الأدب المتميزة، وعلى هذا الأساس كان: «الأداء الصوتي، عنصراً في التحليل، عند التحويلين في مسعاهم لضبط العلاقة بين ظاهر اللفظ ومضمون القصد»<sup>2</sup>.

ولقد تميزت الدراسات الأدبية الحديثة عامة والأسلوبية بشكل خاص باهتمامها بالجانب الصوتي وصولاً إلى (المعنى الصوتي)؛ لما لقيه علم الأصوات من عناية ودراسة في ضوء علم اللغة الحديث، فتهتم الدراسات الأسلوبية بالمستوى الصوتي في شتى مناحي نسيج العمل الأدبي ومكوناته من: «أصوات وإيقاعات خارجية وداخلية وتنغيم ونبر؛ لما تحدثه من أثر على المتلقي للنص الأدبي، فإذا سيطر النغم على السامع وجدنا له انفعالاً حزناً حيناً أو بهجة وحماسة حيناً آخر»<sup>3</sup>. فالأسلوبية الصوتية تعالج التكوينات الصوتية، وفق خصائصها المخرجية والفيزيائية والتوزيعية.

ويضطلع الصوت في القصة النبوية بدور هام في إكساب المعنى كثافة ودلالات، تجعل الرسالة المتداولة أكثر قرباً من المتلقي، الذي هو في الأصل مهياً لتلقي الرسالة؛ لأنه يؤمن بالأخبار التي يلقيها إليه الرسول ﷺ والقصص التي يسردها ويرويها... ورغم انتماء القصة المحمدية إلى فن النثر؛ إلا أن حضور الصوت بشكل ملفت للانتباه، أعطى دعماً كبيراً لنا

<sup>1</sup> - محمد خان: اللغة العربية والقراءات القرآنية، دار الفجر للنشر والتوزيع، المغرب، 2002، ص 65.

<sup>2</sup> - محمد موسى، نظرية النحو العربي في ضوء منهاج النظر اللغوي الحديث، دار البشير عمان، ط 2، 1408هـ-1987م، ص 80.

<sup>3</sup> - إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، دار القلم بيروت، ط 4، 1972م، ص 19.

كي نستمر في استجلاء هذا الحضور، ومحاولة تبين تشكله وإسهامه في إيصال المعنى باعتباره (الصوت) الوحدة الأساسية التي تبنى منها ألفاظ أي لغة، فما بالك بلغة تنشأ من أجل تغيير المفاهيم وشرح الأسس الجديدة، لدين جديد، في مجتمع يقيم اعتباراً كبيراً لجماليات اللغة ف: « لكل حرف نغم صوتي يحمل صفات معينة تتحدد انطلاقاً من كيفية النطق به، وموضع المخرج وطريقة خروج الهواء، وعلى هذا الأساس أقام اللغويون وعلماء الأصوات تصنيفاتهم للحروف، من حيث الجهر والهمس، الشدة والرخاوة... وينبني على هذا أن لها خصائص صوتية وموسيقية تتصل بدلالات معينة»<sup>1</sup>.

فالصوت له دور بارز في إيصال المعنى، فضلاً عما يتركه في نفس السامع والقارئ، من آثار نفسية عميقة، والأسلوبية هي: « العلم الذي يدرس النص الإبداعي من منطلقين، أولهما كيفية تحول النص اللغوي من وظيفته الإيصالية العادية، إلى الوظيفة الشعرية التأثيرية، وثانيهما كيفية استغلال أدوات اللغة للتعبير عن الفكر»<sup>2</sup>.

**بخاصة وأنه** كلام صادر عن من أوتي جوامع الكلم (بعثت بجوامع الكلم) ، فتلك الجوامع تفسر هذه الظاهرة الفريدة وتفسر بها في الوقت نفسه، إذ جمعت الأحاديث بين الوضوح والإفهام والإيجاز والإحكام.

وقد وصف الجاحظ فصاحته - صلى الله عليه وسلم - قائلاً: « هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه وجلَّ عن الصنعة ونزه عن التكلف... واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الحوشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد

<sup>1</sup> - محمد زلاقي، بناء القصيدة المولدية في المغرب الإسلامي، رسالة دكتوراه دولة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2006م، ص151-152.

<sup>2</sup> - مسعود بودوخة، د. مختار ملاس، د. حسين تروش، أ. صافية دراجي، الأسلوبية مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2015م، ص22.

بالتأييد... وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب... ثم لم يسمع الناس بكلام قط، أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه ولا أبين في فحواه من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيراً<sup>1</sup>.

لقد عرض الجاحظ في هذا الوصف المطول، لكلامه صلى الله عليه وسلم عدة خصائص أسلوبية تميز الحديث النبوي الشريف، خاصة في العبارات الأخيرة عندما ذكر الفصاحة والمخرج والإبانة وهي مفاهيم لها علاقة مباشرة بالجانب الصوتي الذي نود تحديده وتصنيفه وفق ما تتيحه الإمكانيات المنهجية، و تقع الفصاحة وصفاً للمفرد والكلام والمتكلم « وفصاحة المفرد تتحقق بسلامته من أربعة عيوب:

1- تنافر الحروف.

2- غرابة اللفظ.

3- مخالفة القياس.

4- الكراهة في السمع.

<sup>1</sup> - أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص8-9.



أما فصاحة المفرد فهي خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي، فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها<sup>1</sup>، وينجم عن تنافر حروف الكلمة ثقل على اللسان وصعوبة في النطق، « ولا ضابط لذلك غير الذوق السليم؛ وليس منشؤه قرب مخارج الحروف ، ولا طول الكلمة، ولكن يمكن وضع ضابط إجمالي أساسه المشاهدة وهو أن أصول الأبنية لا تحسن إلا في الثلاثي وفي بعض الرباعي<sup>2</sup>»، بموازنة التعريفات السابقة للفصاحة التي تقع وصفاً للمفرد نجد أن الخلاف بين البلاغيين وقع في منشأ تنافر حروف الكلمة الواحدة كما تركز اهتمامهم عند حروف الكلمة وعلاقتها بمفهوم الفصاحة، وحاول بعض البلاغيين أن يعطوا تفسيراً مقنعاً لفصاحة الكلمة بالتركيز عن مخارج الحروف فيها، وأنها كلما تقاربت ابتعدت الكلمة عن الفصاحة ، وكلما ابتعدت كانت الكلمة أقرب إليها.

« وقال ابن جني في سر الصناعة: التأليف ثلاثة أضرب:

**أحدهما:** تأليف الحروف المتباعدة، وهو أحسنه، وهو أغلب في كلام العرب.

**والثاني:** الحروف المتقاربة لضعف الحرف نفسه، وهو يلي الأول في الحسن.

<sup>1</sup> - جلال الدين أبو عبد الله محمد القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، ط4، سنة 1998، ج1، ص07.

<sup>2</sup> - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، سنة 1993، ص16.

والثالث: الحروف المتقاربة، فإما رفض، وإما قل استعماله، وإنما كان أقل من المتماثلين، وإن كان فيهما ما في المتقاربين وزيادة، لأن المتماثلين يخفان بالإدغام»<sup>1</sup>.

و« قال ابن دريد: اعلم أن أحسن الأبنية، أن يبنوا بامتزاج الحروف المتباعدة؛ ألا ترى أنك تجد بناءً رباعياً مُصمَّت الحروف بامتزاج له من حروف الذلاقة، إلا بناءً يجيئك بالسين، وهو قليل جداً مثل عسجد، وذلك أن السين لينة وجرسها من جوهر الغنة فلذلك جاءت في هذا البناء»<sup>2</sup>.

وذهب ابن دريد إلى أن ، تباعد مخارج الحروف علّه لتناسبها في التأليف، فجاء في (الجمهرة) « اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها ، كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت؛ لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق، دون حروف الفم، ودون حروف الذلاقة، كلفته جرساً واحداً وحركات مختلفة، ألا ترى أنك لو ألّفت بين الهمزة والهاء والحاء، فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء، في بعض اللغات لقرنها منها... وإذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف»<sup>3</sup>.

أما ابن سنان الخفاجي، فيرى أنه من شروط فصاحة اللفظ والتأليف أن تكون مخارجه متباعدة، حيث يقول: « وعلة هذا واضحة، وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري مع السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك أن الألوان المتباينة إذا اجتمعت كانت في النظر أحسن من الألوان المتقاربة»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، مج1، ص194.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص194.

<sup>3</sup> - جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، مج1، ص191-192.

<sup>4</sup> - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ-1982م، ص64.

أما ابن الأثير، فقد تبنى مذهباً خاصاً يختلف عن مذهب الفريقين السابقين، فهو لا ينكر أن يكون تباعد مخارج الحروف من أسباب تناسب الأصوات وحسن تأليفها، بيد أنه يعد حاسة السمع هي المعيار الأول لتناسبها وتنافرها فيقول: «إن حسن الألفاظ لا يعرف من جهة تباعد المخارج، وإنما يعرف من جهة حاسة السمع»<sup>1</sup>.

استناداً إلى ما سلف ذكره، نتوصل إلى أن آراء القدامى في أسباب تناسب الأصوات في التأليف، تتراوح بين الحكم الموضوعي القائم على الدليل، وبين الحكم الذاتي الخاضع للذوق، ومهما يكن من أمر فنحن نميل إلى الجمع بين التعليلين الموضوعي والذاتي، لأن حسن التأليف بين الحروف له أسبابه الموضوعية المعروفة لدى علماء الأصوات، كما أن درجة الإحساس بجمالها متفاوتة بين الناس.

إن الأوائل من علماء العربية مهدوا للغرب، جادة البحث المنظم في مجال الصوت اللغوي، ولهم الفضل الكبير في ظهور مصطلح علم الأصوات، الذي هو مصطلح عربي أصيل وعلّة ذلك تسميته صراحة دون غموض، واستعمال مدلولاته في الاصطلاح الصوتي، بكل دقة عند القدامى، يقول ابن جني: «ولكن هذا القبيل من هذا العلم، أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صفة الأصوات والنغم»<sup>2</sup>؛ وهكذا سبق العرب الغرب في دراسة لغتهم دراسة صوتية وصفية.

فالصوت هو منطق اللغة، وهو "الجرس"<sup>3</sup> الذي يتفاعل مع بنية اللفظة ليكون أول ما يطرّق سمع المخاطب؛ لينتج معه التأثير الشعوري مع بقية بنية النص. يقول الجاحظ:

<sup>1</sup> - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة، مكتبة نهضة، القاهرة، مصر، ط1، ص222.

<sup>2</sup> - ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق وتعليق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، ج1، ص10.

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص302، مادة (صوت).

الصوت هو آلة اللفظ، و هو الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا أو متثورا، إلا بظهور الصوت"<sup>1</sup>.

وقد كان اهتمام العرب بالجانب الصوتي في اللفظة، دليلا على حذق معرفتهم بمجامع التأثير والتأثير في الخطاب، وإدراكهم لما يجذب الأسماع، وذلك باصطفاء الكلمة الحافلة بحسن الجرس المستدعي لانتباه المخاطب، وإيقاظ لبه للاستماع إلى النص؛ ليتحقق بعد ذلك التكامل بين مكونات عملية التخاطب، وهناك يرتقي النص حينها بذائقة قائله ومتلقيه، بأن يكون تمثيلا صادقا للانتظام النفسي والمنطقي الذي يعيشه كل من المتكلم والمخاطب؛ لأن اللفظ بجرسه هذا هو أول ما يقرع السمع « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وصحة الطبع وكثرة الماء، وجودة السبك»<sup>2</sup>.

فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام، فوعى جميعه، وإن كان خلاف ذلك أعرض عنه ورفضه.

وقد حفل التراث اللغوي والبلاغي، بالرؤى المدركة لهذا المنحى المهم في عملية التواصل، فجاءت جامعة بين الماهية والمهمة، وجادت بمجموعة من الآراء التي صاحبت الدرس اللغوي منذ أمد مبكر، بدأ بذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175هـ) في ابتكاره لبحور الشعر الموسيقية المعروفة، مؤكدا على أن اللغة العربية "لغة بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية، فهي في جملتها في منظوم منسق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت فيه ولو لم يكن من الشعراء، وهذه الخاصة في اللغة العربية ظاهرة من

<sup>1</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص44.

<sup>2</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ-2002م، ص21.

تركيب حروفها على حدة، إلى تركيب مفرداتها على حدة، إلى تركيب قواعدها وعباراتها، إلى تركيب أعاريضها وتفعيلاتها في بنية القصيدة"<sup>1</sup>، ثم أتبع ذلك اتجاهه إلى وضع معجم لألفاظ اللغة، رتبها على حسب مخارج الأصوات، وهذا المعجم كتابه (العين)، حيث اعتمد فيه على التجربة باللسان والأذن، ذلك أنهما يمثلان موضع إرسال اللفظة واستقبالها، ومن ثم استقرارها، فكان أسبق من ذاق الحروف، وتعرف على مخارجها عبر هذا الجهد الكبير.

وجاء تلميذه سيبويه بعد ذلك، فخصص للدراسة الصوتية فصولا في كتابه، فذكر الحروف ومخارجها ومهموسها ومجهورها، وذلك في باب عقده للإدغام، قال في آخره: "وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات، لتعرف ما يحسن فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استتقالاً كما تُدغم، وما تُخفيه وهو بزنة المتحرك"<sup>2</sup>.

وقد جاءت نظرة ابن جني بعد ذلك لهذه القضية محملة بمجموعة من التأملات النافذة المبثوثة في أبواب متفرقة من (الخصائص) و (سر صناعة الإعراب)؛ بدأها بتعريف اللغة بأنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>3</sup>. ثم خلص إلى القضية الجوهرية المتمثلة في علاقة الأصوات بالمعاني، بقوله: "فإن كثيرا من هذه اللغة، وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عُبر بها عنها"<sup>4</sup>، كما ربط بين معنى الصوت والموقف المنتج لذلك المعنى من قوة أو ضعف، أو همس أو جهر، إذ يقول: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم وواسع...، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، دار تحفة مصر، القاهرة، 2004م، ص6-7.

<sup>2</sup> - أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه، الكتاب، علق عليه ووضح حواشيه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ-1999م، مج4، ص575.

<sup>3</sup> - أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج1، ص33.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص65.

الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها، ويحتدون عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره"<sup>1</sup>. وفي ذكره ذلك دليل على أن "جرس اللفظ كان له حسابه في الدلالة، وكان جزءاً في الاصطلاح الذي أنشأ المعنى اللغوي للفظة"<sup>2</sup>، وله مشاركته المهمة في تأسيس الوظيفة البلاغية المؤداة عبر إحياء الصوت، والتي تتفاوت بين القوة والضعف وفقاً للأداء الصوتي للفظة، وهذا ما أشار إليه ابن جني عند قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ﴾ (الرحمن: 66)، بقوله: "النضح للماء، والنضح أقوى من النضح، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والحاء لغلظتها لما هو أقوى منه"<sup>3</sup>.

وقد أسس ابن جني مهاداً نظرياً للصوت، تمثل في تعريفه له بقوله: "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"<sup>4</sup>، ومما يزيد من شأن هذا الجانب، أنه قد يستقل لفظ واحد، برسم صورة واضحة المعالم المعنوية، ومغنياً عن عبارة كاملة، وذلك من خلال جرسه الذي يوقعه في الأذن أو عن طريق ظلّه الذي يرسم في الخيال، أو من خلالهما معاً.

وقد جاءت رؤى اللغويين والبلاغيين في هذا الدرس، متكئة في جوهرها إلى العلاقة بين المتكلم والمخاطب أثناء قول النص، والكشف عن حالة من التراسل بينهما، وهذا ما يضيف على ألفاظ المتكلم حصانة دلالية تنبع من وعيه بألفاظه، ومقدار التناسب بينها وبين أصواتها في أداء المعنى، مما جعل بعضهم يحيل جمال التعبير وفصاحته إلى الصوت، فقد

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ج 2، ص 157.

<sup>2</sup> - سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، (مرجع سابق)، ص 36.

<sup>3</sup> - ابن جني، الخصائص، ج 2، ص 158.

<sup>4</sup> - أبو الفتح ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي، دار الكتب العربية، بيروت، ط 1، 1421هـ-2000م، ج 1، ص 19.

أرجع ابن سنان (ت:466هـ) مزية الحسن في اللفظة، بأنه: "ضرب من التأليف في النغم"<sup>1</sup>، وأن هذا النغم نجده وتلمسه في اللفظ دون غيره مما هو من جنسه، وأنَّ الجمال يدرك بالسمع، كما تدرك الألوان بالنظر، وكأنَّه يشير إلى رؤية القاضي الجرجاني (ت:366هـ) لذلك بقوله: "وإنما الكلام أصوات محلها من الأسماع محل النواظر من الأبصار"<sup>2</sup>.

وقد جعل ابن الأثير أساس المفاضلة بين الألفاظ يرجع إلى قيمتها الصوتية المحسوسة؛ لأن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات، فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن، والذي ينفر منها هو القبيح"<sup>3</sup>.

### 1- ملامح الأصوات المفردة:

الدراسة الفونيمية تعد أساساً من أسس الدراسة الأدبية عامة والأسلوبية الجديدة على وجه الخصوص، فالبناء الصوتي يظهر في بعض جوانب النص من خلال الملامح الصوتية التي تبرز بشكل يلفت النظر إليها، فطبيعة الأصوات المفردة مخارجها وصفاتها: من جهر وهمس وتفتيح وترقيق، واحتكاك وانفجار، تشكل هذه السمات المرحلة الأولى، للدراسات الصوتية التي يأخذ بها الدارس الأدبي (اللساني)، وخاصة الدراسة الأسلوبية الحديثة، فلكل صوت من الأصوات سمات خاصة به تميّزه، وقد يشترك مع غيره في بعض هذه السمات، فتشكل له ملامح موحية وسمات قوة وشدة وليونة وسهولة، فاستخدامها في النص الأدبي يعطي مؤشراً يوصل إلى إدراك جماليات فنية أسلوبية، من خلال انسجام الصوت مع المعنى

<sup>1</sup> - أبو محمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، اعتنى به وخرّج شعره وعمل فهارسه: د. داود غطاشة الشوابكة، ط1، 1427هـ-2006م، ص59.

<sup>2</sup> - علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبّي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البحاي، المكتبة العصرية، ط1، 1427هـ-2006م، ص342.

<sup>3</sup> - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه، د. أحمد الحوي، و د. بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1403هـ-1983م، ص145.

والسياق العام في تفاعل نشيط، فالانسجام هو: «أن يكون الكلام لخلوه من الانعقاد، منحدرًا كتحدّر الماء المنسجم ويكاد، لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة»<sup>1</sup>؛ والقصص النبوي كله كذلك، و«قال أهل البديع: وإذ، قوي الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد، لقوة انسجامه»<sup>2</sup>، ومن ذلك ما وقع في الحديث النبوي ومنه القصة.

فالأصوات لها فاعلية جمالية ومعنوية تؤثر في النشاط الإيقاعي، والانبعثات الموسيقي «وهذه الفاعلية الجمالية تتحدد بأشياء كثيرة منها: النغمة المميزة لكل صوت من الأصوات، وغنى الصوت بالنغمات الثانوية»<sup>3</sup>.

ومن خلال دراسة الملامح الصوتية في الأمثلة المتعلقة بالقصص النبوي سيتضح مدى التوافق والانسجام بين طبيعة الأصوات والمعنى (المعنى الصوتي)<sup>4</sup>.

### أ: الجهر والهمس:

يتشكل ملمح الجهر والهمس في أول مراحل التكون الصوتي، فحركة الأوتار الصوتية وتذبذبها بشكل قوي أو لين، له علاقة مباشرة بهذين الملمحين، ولهذا العلاقة المبكرة بين اللفظ والمعنى، كان لهما المرتبة الأولى في التحليل والدراسة.

والجهر في الأصوات، ناتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازاً منتظماً، يحدث صوتاً موسيقياً؛ فهو ارتفاع في شدة الصوت، فيكون للصوت الجهور من سمات القوة وطبيعة

<sup>1</sup> - جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، مج3، ص 259-260.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 260.

<sup>3</sup> - شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1978م، ص 113.

<sup>4</sup> - تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، اللاذقية، ص 44.



التأثير ما لا يكون لغيره من الأصوات، وهي كل الحروف باستثناء المهموسة وهي تسعة عشر حرفاً. أمّا الحروف المهموسة عشرة أحرف، و«المهمس لغة: الخفاء، واصطلاحاً: جريان النفس (الهواء) عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج، وحروفه عشرة مجموعة في (فحته الشخص فسكت)»<sup>1</sup>.

وجاء في لسان العرب لابن منظور في باب ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها ما ذكره ابن كيسان في ألقاب الحروف «إن منها المجهور والمهموس، ومعنى المجهور منها: أنه لزم موضعه، إلى انقضاء حروفه وحبس النفس، أن تجري معه، فصار مجهوراً، لأنه لم يخالطه شيء بغيره، وهو تسعة عشرة حرفاً، الألف والعين والقاف والجيم والباء والضاد واللام والنون، والراء والطاء، والذال والزاي، والظاء، والذال، والميم والواو، والهمزة والياء، ومعنى المهموس منها، أنه حرف مخرجه دون المجهور وجرى معه النفس، وكان دون المجهور في رفع الصوت، وهو عشرة أحرف الهاء والحاء، والخاء والكاف والسين والتاء والصاد والثاء، والفاء، وقد يكون المجهور شديداً ويكون رخواً، والمهموس كذلك»<sup>2</sup>.

وفي جانب القصة نجد أن طبيعة الخطاب القصصي، تتطلب اختيار الألفاظ الحافلة بالقيم الصوتية الموحية إلى السامع بشيء من تصور أحداث المشهد القصصي، واستدعاء الانتباه لمواقف القصة المصاحبة لها من قوة أو ضعف، أو صخب أو هدوء، وغيرها من ألوان تشكيل المواقف عبر قيمة الصوت، ذلك أن «صورة المشهد أو الحادث الذي صاحب إطلاق اللفظ، هذه الصورة التي تستحيل إلى ذكرى شعورية، تردُّ على الخيال كلما ذكر

<sup>1</sup> - محمد بن محمود حوّا، الشرح العصري على مقدمة ابن الجزري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1429هـ-2008م، ص 38.

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب المحيط، قدم له العلامة، الشيخ عبد الله العاليلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة، يوسف خياط، مج1، (المقدمة)، ص ز.

اللفظ، ورنّ جرسه في السمع»<sup>1</sup>، مما يدعو الراوي إلى ألاّ يكسر شغف المخاطب وإقباله على القصة، ومن هنا فإن تفاعل العناصر الصوتية المنتجة للدلالة، والموحية بالمعنى، وتناسقها تكسو النص القصصي خاصية تميز محتواه وتتميز به في آن واحد، وذلك ما سنجده في الشواهد القصصية النبوية الآتية:

ففي قصة مجيئه ﷺ من الطائف نجد شيئاً من ذلك، بعد أن جاء سؤال عائشة رضي الله عنها، ممهداً لذلك البيان القصصي، المعبر عن مكنن الشعور بالمعاناة في سبيل الدعوة: «هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أُحُدٍ؟ قال: لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يوم العَقبَة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلالٍ، فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت، وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلاّ وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملكُ الجبالِ فسلم عليّ ثم قال: يا محمّدُ. فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يعبُد الله وحده لا يُشرك به شيئاً»<sup>2</sup>.

لقد فاجأه صلى الله عليه وسلم ردُّ زعماء الطائف عليه، وسخريتهم به، وفي ظل هذه الغمرة المصبوغة بلون مأساوي مؤلم، نجد أنه يضيف صوراً من التدايعيات النابضة بالنصرة، الداعية إلى الانتقام له، وقد جاء ذلك في قوله على لسان ملك الجبال: «إن شئت أن أطبق

<sup>1</sup> - سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 36.

<sup>2</sup> - العلامة أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، بحاشية السندي، دار المعرفة، بيروت، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم أمين والملائكة في السماء، مع 2، ص 214-215.

عليهم الأخشبين»<sup>1</sup>، " والمراد أن يلتقيا على من بمكة، ويُحتمل أنه يريد أن يصيران طبقاً واحداً.<sup>2</sup> ﷺ

ولعل الوقوف هنا عند كلمة (أطبق) التي فيها إشارة إلى قوة العرض المتمثل في استئصال هؤلاء، إذ بلغ من تكذيبهم وإيذائهم له ما جعل ملك الجبال يستأمر النبي ﷺ بهذا العرض، الذي يجد الناظر فيه شيئاً من التطابق النفسي بين تأثره ﷺ، وتأثر هذين الملكين: (ملك الجبال، وجبريل عليه السلام)، عبر قول جبريل: (إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت).

وقد ساهم معنى هذا اللفظ (أطبق)، في الإشارة إلى دلالة على تلك الحال، يقول ابن فارس: «الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه، ومن ذلك الطبق تقول: أطبقت الشيء على الشيء»<sup>3</sup>. وفي ذلك إشارة إلى استحقاق هؤلاء لتلك العقوبة، المتمثلة في انطباق الجبل عليهم، واضمحلال أثرهم بعد ذلك.

وقد كان لمخارج الحروف وصفاتها أثر في توصيل الدلالة لهذا اللفظ، «فالمهزمة حرف مجهور، شديد منفتح مستفل، لا يخالطها نفس»<sup>4</sup>، ومخرجها من أقصى الحلق وهو من أعمق المخارج، وطريقة إخراجها: «عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي

<sup>1</sup> - الأخشبان، هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله، سميا بذلك لصلايتهما، وغلظ أحجارهما، ينظر فتح الباري، ج6، ص380.

<sup>2</sup> - ينظر، ابن رجب الحنبلي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: طارق بن عوض عبد الله، دار بن الجوزي، الدمام، ط3، 1425هـ، ج6، ص380.

<sup>3</sup> - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص439.

<sup>4</sup> - شمس الدين أبي الخير محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م، ص115.

صوت آخر، مما يجعلنا نعد الهمزة أشق الأصوات»<sup>1</sup>. وأما الطاء مخرجها مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وقد وصفها سيويه بالشدة أيضا. وهي من أقوى الحروف، لأنها: «حرف مجهور شديد، مطبق، منسفل، مقلقل إذا سكن»<sup>2</sup>، وهي أساس عملية الإطباق الصوتي<sup>3</sup>. « والداني يذكر كما مر بنا أنه حرف مجهور مستعل مطبق، وهو من أقوى الحروف، لاجتماع هذه الصفات القوية فيه، والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى، مطبقا له، فينحصر الصوت، بالحروف في الحنك الأعلى»<sup>4</sup>، فحرف الطاء من أقوى الحروف العربية؛ فصفاها كلها مستعلية مطبقة، شديدة، مجهورة.

وأما الباء فإنها تخرج من بين الشفتين مع تلاصقهما، وهو « حرف مجهور شديد منفتح منسفل، مقلقل»<sup>5</sup>، ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقا كاملا، فإذا انفجرت الشفتان فجأة، سمعنا ذلك الصوت الانفجاري.

ونجد أن القاف تخرج من أول مخارج الفم من جهة الحلق من أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى، وهي « مجهورة شديدة مستعلية، مقلقلة، منفتحة»<sup>6</sup>.

وقد جاء حاصل أصوات هذه اللفظة بمخارجها وصفات حروفها، بشيء من التراسل المعنوي، إذ لا يخفى شدة تلك العقوبة وقوة صوتها، وأثره على بقية مفردات البيئة الطبيعية، مع تصورنا للإطباقيين. الأول: الإطباق الصوتي في اللفظة المتمثل في الطاء والباء، وأثرهما في

<sup>1</sup> - د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط4، 1999م، ص78.

<sup>2</sup> - ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص132-133.

<sup>3</sup> - الإطباق هو رفع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى مطبقا له، قال ابن منظور: "والحروف المطبقة أربعة الصاد والضاد، والطاء والظاء"، لسان العرب، ج9، ص88، مادة طبق.

<sup>4</sup> - د. عزيز أركيبي، مخارج الحروف عند القراء واللسانيين - دراسة مقارنة - دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1433هـ-2012م، ص201.

<sup>5</sup> - ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص110.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص138.

إخراج اللفظ. والثاني: إطباق الجبلين، مما يوحي بتراتب دلالي يشي بقوة الرابطة بين جناحي النص: اللفظ والمعنى هنا، مع استحضار الأثر النفسي في هذا التعبير، الذي جاء امتداداً لمستهل النص في قوله: «وأنا مهموم على وجهي» عبر إيجاز يدرك المتلقي معه، الداعي إلى استخدام مثل هذا اللفظ القوي في جرسه، ودلالته على معناه.

وفي قصص من قصصه (عليه الصلاة والسلام)، تشد سمعنا كلمة (يتجلجل) في قوله ﷺ: {بينما رجلٌ يمشي في حُلَّةٍ تُعجبهُ نفسهُ مرَّجلاً جُمَّتَهُ، إذ خَسَفَ اللهُ بهِ، فهو يتجلجلُ إلى يومِ القيامةِ} <sup>1</sup>.

فقد جاءت لفظة (يتجلجل) في إيجاء صوتي، متمم بالقوة والمفاجئة في آن واحد، ولنا أن نتصور المخاطب بسيره الهادئ في استماع النص، واستيعاب صورته الجمالية واصطدامه بعد ذلك بهذا التعبير المفاجئ المهد له ب(إذا) الفجائية، في قوله: «إذ خسف الله به فهو "يتجلجل"، والمعنى بالجمين... أي يتحرك في الأرض وينزل مضطرباً، وهذا الرجل يحتمل أن يكون من هذه الأمة... وقيل هو قارون» <sup>2</sup>، وجاء في معجم النهاية في غريب الحديث والأثر: «أي يغوص في الأرض حين تخسف به، والجلجلة، حركة مع صوت» <sup>3</sup>، وقد جاءت الرؤية المعجمية لمعنى الجلجلة معززة هذا الجمال التعبيري الذي يحف هذا اللفظ، فالجلجلة تعني "شدة الصوت وحدته" <sup>4</sup>، والتجلجل "السؤوخ في الأرض

<sup>1</sup> - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، ص 24.

<sup>2</sup> - أحمد الكرمانى، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1401هـ-1981م، ج 21، ص 56.

<sup>3</sup> - الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: أ.د. أحمد بن

محمد الخراط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ج 2، ص 682.

<sup>4</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص 184، مادة (جلل).

والتضعع، والجلجلة التحريك وشدة الصوت وصوت الرعد<sup>1</sup>، وصيغة الفعل الرباعي في هذا اللفظ المضعف، تؤكد قوة صوته ودلالته على غياب هذا الرجل في الأرض، وهذا مقصود منه ﷺ وإلا لصح الاكتفاء بقوله مثلاً: «فهو يهوي في الأرض»، ففيها اضطراب وتدافع ناسب حالة هذا الرجل في هيئته الهادئة، المصحوبة بعجب وتعالى على الخلق، ومما يساعد على استيعاب صورة تلك العقوبة بهذا اللفظ الموجز، النظر في مخارج حروفه وصفاتها، فالياء حرف مجهور رخو، منفتح، منسفل<sup>2</sup>، والتاء حرف مهموس شديد منفتح مستفل<sup>3</sup>، والجيم صوت مجهور، شديد منفتح مستفل مقلقل<sup>4</sup>، وأما اللام مجهورة بين الشدة والرخاوة، منفتحة مستفلة<sup>5</sup>، قال ابن جني: «والحروف التي بين الشديدة والرخاوة ثمانية أيضاً وهي: الألف، العين، الياء، اللام، النون، الراء، الميم، الواو. ويجمعها في اللفظ: "لم يروعنا"<sup>6</sup>. يروعنا"<sup>6</sup>.

أما مخارج هذه اللفظة فقد جاءت مناسبة، فمخرج الياء من وسط اللسان، ومن رأس الحلق وأصول الثنيتين العلين مخرج التاء، والجيم تخرج من وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى، ومن رأس اللسان وحافته مخرج اللام، وهكذا نجد أن أثر هذه المخارج ظاهر في أثر المعنى وعمقه؛ إذ هي أشبه بالحركة المضطربة فمن وسط اللسان إلى رأس الحلق إلى وسط اللسان إلى وسط الحنك الأعلى إلى رأس اللسان وحافته، وكأن هذه اللفظة الموحية بمخارجها هذه تحيل إلى صورة ذلك التجلجل.

<sup>1</sup> - مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 978.

<sup>2</sup> - ينظر، التمهيد في علم التجويد، ص 162.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص 128.

<sup>4</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص 148.

<sup>5</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص 150.

<sup>6</sup> - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 75.

يضاف إلى ذلك مجيء هذا اللفظ على صيغة (يَتَفَعَّلُ) من الرباعي المزيد الذي من معانيه الإلباس، نحو (تسريل وتشملل)<sup>1</sup>، فكأن تلك الأرض صارت له كاللباس والغطاء الذي يغطيه ويغيبه عن الأنظار، كما أن هذا البناء على (تفعلل) يفيد معنى المبالغة، والتكرار، وهذا يعطي صورة أعمق لذلك التجلجل، والنزول في تكراره المشير، وجولانه المتتابع، حيث تلقي هذه الصورة في روع المخاطب، شدة تلك العقوبة وهي تتكرر إلى يوم القيامة.

وهذا ولا شك فيه إيقاظ للمخاطب عبر هذه الحمولة الدلالية الثرية، وما ذاك إلا لجمال هذا اللفظ في مقامه الصوتي المميز، الكاشف عن العمق الراسخ في أثنائه، والذي ساعد على إيضاح الصورة وتمتينها، إذ أن « من فضيلة الجرس في البيان النبوي أن نرى لفظاً في الحديث واحداً يرسم صورة المعنى الكامل، أو يساعد في أكبر حيز من الإطار على تصويره أو تأكيد معالمة في جوانب الصورة »<sup>2</sup>. كما أن في تكرار بعض أحرف (الجلجلة) على أبعاد متقاربة منحى جمالي آخر يدركه السامع، من خلال الصورة المرسلّة الموحية بالاضطراب عبر هذا التكرار.<sup>3</sup>

ومن الكلمات التي جاءت على جانب صوتي مميز ما جاء في قصة ملك الموت مع موسى عليه الصلاة والسلام، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: « أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكُّهُ فَفَقَّأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يَرِيدُ الْمَوْتَ. قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: أَرْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى

<sup>1</sup> - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البحاي، المكتبة العصرية، بيروت، 1412هـ-1992م، ج2، ص42.

<sup>2</sup> - د. كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، (مرجع سابق)، ص291.

<sup>3</sup> - عز الدين علي السيد، التكرير بين المشير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1407هـ-1986م، ص45.

مَنْ ثورٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ.  
 قَالَ: فَالآنَ. فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 وَسَلَّمَ فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ».<sup>1</sup>

فقد أراد الله أن يتلي نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا، كما هي سنته مع بعض أنبياءه.  
 وقد ذكر ابن بطال (ت: 449هـ) « أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يبعث الله إليه ملك  
 الموت وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختباراً وابتلاءً، كما أمر الله خليله إبراهيم  
 بذبح ابنه، ولم يرد إمضاء الفعل ولا قتل ابنه ».<sup>2</sup>

وقوله: (صكه) أي: ضربه بحيث فقا عينه، يدل عليه قوله: (فرد الله إليه عينه).<sup>3</sup>  
 والصك هو: «الضرب الشديد».<sup>4</sup> والمستوقف لنا في هذه القصة هو لفظ (صكه)، في ظلاله  
 الصوتي القوي، المحمل بجملة من العناصر الناطقة بقوة أثره ودقة تعبيره، ولعل المفاجئة  
 بوصفها عنصراً يضرب في عمق هذه القصة ويسري في نسيجها أهم تلك العناصر، التي من  
 شأنها أن تدعوا إلى اختيار هذا اللفظ في هذا السياق.

ومهم هنا أن أشير إلى أن عنصر المفاجئة في بعض شواهد القصة النبوية جاء، امتداداً  
 للمفاجئة في القصة القرآنية، بما يناسب اتساقها، والظروف الداعية لها. وللنظر إلى أحد  
 الشواهد القرآنية المتصلة في جانبها اللفظي بما نحن بصددده، وهو ما ذكره الله في قصة محيي  
 الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام واصفاً حال امرأته بقوله: ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ

<sup>1</sup> - الإمام أبي الحسن مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، رقم الحديث: 6173، ص 895-896.

<sup>2</sup> - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ضبطه وعلق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ-2000م، ج3، ص 322-323.

<sup>3</sup> - بدر الدين محمود العيني، عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م، ج8، ص 214.

<sup>4</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص 263، مادة (صك).



وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿الذاريات: 29﴾، فقد بُني هذا المشهد على عنصر المفاجئة حين علمت زوجته العقيم ببشارة إسحاق، وقد علّق سيد قطب على ذلك بقوله: «وقد سمعت البشرية، فبهتت وفوجئت، فندت منها صيحة، الدهش، وعلى عادة النساء ضربت خديها بكفيها... وقالت عجوز عقيم، تنبئ عن دهشتها لهذه البشرية وهي عجوز، وقد أخذتها المفاجئة العنيفة التي لم تكن تتوقعها أبداً، فنسيت أن البشرية تحملها الملائكة! عندئذ ردها المرسلون إلى الحقيقة الأولى، حقيقة القدرة التي لا يقيدتها شيء، والتي تدبر كل أمر بحكمة وعلم ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة الذاريات الآية 30)»<sup>1</sup>.

وقد فسّر الصك هنا من موسى عليه السلام بتفاسير عدة لعل من أوجهها؛ أنه لم يكن يعلم أنه ملك من عند ربه، «وظن أن رجل أتاه يريد نفسه فدفاعه عنها مدافعة أدت إلى فقء عينه، وهذا سائع في شريعتنا، أن يدافع الإنسان عن نفسه ممن أراد قتله، وإن أدى إلى قتل الطالب له، فضلا عن فقء عينه»<sup>2</sup>. وقد قال القرطبي (ت: 656هـ): «قلت: وقد أظهر لي ذو الطول والإفضال وجهها حسنا يحسم مادة الإشكال، وهو أن موسى عرف ملك الموت، وأنه جاء ليقبض روحه، لكنه جاء مجيء الحازن بأنه قد أمر بقبض روحه من غير تخيير، وعند موسى ما قد نص عليه نبينا ﷺ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ رُوحَ نَبِيٍّ حَتَّى يَخِيرَهُ»، فلما جاء على غير الوجه الذي أعلم به، بادر بشهامته وقوة نفسه إلى أدب ملك الموت، فلطمه فانفقت عينه امتحانا لملك الموت، إذ لم يصرح له بالتخيير، ومما يدل على

<sup>1</sup> - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط13، 1407هـ-1987م، ج6، ص 3383.

<sup>2</sup> - الإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى، بن عياض اليحصبي، شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ج7، ص 352.

صحة هذا: أنه لما رجع إليه ملك الموت، فخيرته بين الحياة والموت، اختار الموت واستسلم، وهذا الوجه إنشاء الله أحسن ما قيل فيه وأسلم»<sup>1</sup>.

أما دلالة الصوت في قوله: (صكه) فقد جاءت صفات الحروف ومخارجها هنا على هيئة تنبئ عن دقة وفصاحة، فالصا "حرف مهموس، رخو، مطبق، مستعل، صفيري، يخرج من رأس الحلق، وبين أصول الثنيتين"<sup>2</sup>. وأما الكاف فإنها حرف شديد مهموس، يخرج من أقصى الحنك، فإذا زادت فجاءة النطق بها، وانفجارتها، بالتضعيف في اللفظ<sup>3</sup>، كما في (صكه) زادت قوة الدلالة على المعنى، برسم البعد التصويري المثير له؛ لأن: «عودة الحرف في الكلمة تكسب الأذن هذا الأثر، لو لم يكن لعودته مزية أخرى تعود إلى معناه، فإذا كان مما يزيد المعنى شيئاً، أفاد الجرس الظاهر جرساً خفياً لا تدركه الأذن، وإنما يدركه العقل والوجدان وراء صورته"<sup>4</sup>.

وفي مشهد آخر من مشاهد القصص النبوي؛ تأتي لفظة (تندلق) و(أقتاب) بوقع أسر، وجرس مثير، في قول النبي عليه الصلاة والسلام: «يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلقي في النار فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - أبي العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه وعلق عليه وقدم له: محي الدين مستو، وأحمد محمد السيد يوسف، علي بدوي ومحمود بزال، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 1417هـ-1996م، ج6، ص221.

<sup>2</sup> - ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص129.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص146.

<sup>4</sup> - د. عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، ص14.

<sup>5</sup> - رواه البخاري: 3267، ومسلم: 2989، عن أسامة بن زيد.

صورة تأخذ بمجامع التأثير في المتلقي، لتكشف عن مدى عقوبة من يخالف قوله فعلة؛ وقد علق أحد الباحثين على هذا النص مؤكداً أن: «من بيان الرسول ﷺ وبلاغته أنه: أورد تهديد الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم، بأسلوب القصة المزينة بالحوار، وذلك على سبيل فتح صفحة رهيبية من صفحات المستقبل الآتي يوم القيامة لا محالة»<sup>1</sup>.

وقبل الحديث عن جمال الجرس لهاتين اللفظتين، لا بد من الوقوف على المعنى المعجمي لكل منهما: «الدلق خروج الشيء من مخرجه سريعاً... دَلَقَ السيف من غمده دَلْقاً و دُلُوقاً واندلق، كلاهما: استرخى وخرج سريعاً من غير استئلال»<sup>2</sup>، وأما الأقتاب فهي الأمعاء، جمع قُتْب و قَتَب<sup>3</sup>.

ولنا أن نتصور ذلك المشهد الناضح بكل غلظة وقوة في نبرته الصوتية المرتفعة، إذ انتقيت أصوات شديدة للتعبير عن مدى الاحتشاد الدلالي، الذي تلتحف به هاتان اللفظتان في قوله: (تَدَلِقُ أَقْتَابَهُ)، والمراد «أي: تنصب أمعاؤه من جوفه وتخرج من دبره»<sup>4</sup>، يضاف إلى ذلك مجيء الصورة بالفعل المضارع المبني لما لم يسم فاعله: (المبني للمجهول): (يُجَاء) و(يُلْقَى)، الذي يفيد تجدد المعنى مرة بعد مرة؛ لينبعث في النفس الخوف من سوء عاقبة ذلك العمل، الذي نفى الله عن أهله العقل في قوله: ﴿

أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتَلُونَ الْكِتَابَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 44)، وقد جاء تصوير دوران هذا الرجل

<sup>1</sup> - د: عبد الرحمن حنيكة الميداني، روائع من أقوال الرسول ﷺ، دراسة أدبية ولغوية وفكرية، دار إقرأ، دمشق، ط11، 1427هـ-2006م، ص167.

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص289، مادة (دلق).

<sup>3</sup> - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص59.

<sup>4</sup> - بدر الدين محمود العيني، عمدة القارئ، ج15، ص228.

خلف أمعائه في هذا المشهد، مناسباً مع حركة مخارج الحروف في هاتين اللفظتين، وفي ذلك توفية للدلالة المعنوية فيهما، وتراسل إيجائي يبدو من خلال صفات الحروف ومخارجها.

فالتاء في (تندلق) حرف مهموس شديد منفتح، مستفل<sup>1</sup>، وأما النون فهي «مجهورة بين الشدة والرخاوة، منفتحة، منسفلة، فيها غنة تخرج من الخياشيم من غير مخرج المتحركة»<sup>2</sup>، وأما الدال فهو حرف مجهور، شديد، منفتح، مستفل، متقلقل<sup>3</sup>، واللام حرف مجهور، لكنه بين الشدة والرخاوة، وهو منفتح، مستفل<sup>4</sup>، وأما القاف فهو حرف مجهور، شديد، مستفل، مقلقل<sup>5</sup>.

أما مخارج الحروف لهذا اللفظ، فقد عكست صورة ذلك المشهد، حيث كانت البداية من طرف اللسان بمخرج التاء<sup>6</sup>، وأما النون التي جاءت هنا ساكنة فقد قال سيبويه: «ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة يجري معه الصوت من الأنف»<sup>7</sup>، وأما الدال فإنها تخرج من طرف اللسان وما يليه من أصول الثنيتين<sup>8</sup>. ومن أقصى اللسان مما يلي الحنك الأعلى تخرج القاف<sup>9</sup>، وكأن هذه اللفظة عبر مخارج حروفها هذه تمثل حركة جريان صوتي، وتبادل حركي، بين أقصى اللسان وأذناه، مما يوحي بحضور صورة جريان ذلك الرجل خلف أمعائه

<sup>1</sup> - ابن الاصبغ المعروف ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق: د.محمد يعقوب التركستاني، ط2، 1412هـ-1991م، ص124-127.

<sup>2</sup> - ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص145.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص121.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص141.

<sup>5</sup> - ينظر: ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، ص125-129.

<sup>6</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص118.

<sup>7</sup> - سيبويه، الكتاب، مج 4، ص573.

<sup>8</sup> - ينظر: ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، ص118.

<sup>9</sup> - ينظر: المصدر السابق، ص116.

في النار، كما اتسمت حروفها بالجهر والشدة التي يتطلبها هذا اللفظ، فهو يرسم صورة لموقف لا تخفى شدته، كما أنها تجسد مدى استحقاق هذا الرجل لهذه العقوبة الشديدة وإنما اشتد عذاب هذا الرجل ، « لأنه كان عالماً بالمعروف وبالمنكر، وبوجوب القيام به بوظيفة كل واحد منهما، ومع ذلك فلم يعمل بشيء من ذلك، فصار كأنه مستهين بجرمات الله تعالى، ومستخف بأحكامه، ثم أنه لم يتب عن شيء من ذلك، وهذا من جملة من لم ينتفع بعلمه"<sup>1</sup>.

لقد جاءت هذه الألفاظ موافقة لسنن العرب في هذا الدرس، فهي تختار الحروف، وتسوقها على سمت المعنى المقصود، ف: « جعلت الحرف الأضعف فيها والألين، والأخفى، والأسهل، والأهمس لما هو أدنى وأقل، وأضعف عملاً أو صوتاً، وجعلت الحروف الأقوى والأشد، والأظهر، والأجهر، لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً"<sup>2</sup>.

وقد آثر البيان النبوي لفظة (الأقتاب) دون الأمعاء، لما يظهر من مناسبتها لما قبلها في الجانب الصوتي الشديد الذي ذكرته، فالمقاربة الصوتية بينهما ظاهرة، تدعو المتلقي عبر هذا الجرس إلى أن يستحضر تلك الصورة، في شدتها وحركتها السريعة؛ ذلك أن: «الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر»<sup>3</sup>. وذلك شأن البيان النبوي الرفيع، القادر على ملامسة جوهر التأثير في النص، وتمكينه في نفس المتلقي.

ومن شواهد جمال الموقع الصوتي وإيقاعه في القصة النبوية، ما جاء في قصة الرجل الذي سأله بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار. فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ: { أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَسْلِفَهُ أَلْفَ

<sup>1</sup> - أبي العباس القرطبي ، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج6، ص221.

<sup>2</sup> - جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص53.

<sup>3</sup> - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص181.

دينار، فقال ائني بالشهداء أشهدهم. فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً، فأخذ خشبةً فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفةً منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً فرضي بك، وأني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له، فلم أقدر وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجّ فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسفله ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلتُ جاهداً في طلب مركبٍ لآتيك بمالكٍ فما وجدت مركباً قبل الذي آتيتُ فيه، قال: هل كنت بعثت إليّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئتُ فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشداً<sup>1</sup>.

فقد مثلت هذه القصة عبر شخصياتها، مبدأ الثقة بالله، عبر هذا الأسلوب الجميل، الذي بثّ روح الحياة في تضاعيفها، فاستدعى انتباه المخاطب من خلال هذا الجمال الذي برز في استخدام جرس اللفظ بشكل عميق، متوافق مع سياق القصة.

وبين يدي هذا النص، نجد أن لفظتي (نقرها) و(زجج) ،جاءتا محمّلتين بموجة صوتية مثيرة، جديرة بالنظر والتأمل، فالسياق جاء نابضاً بما يدعو إلى إيثار هذين اللفظين دون

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 2291، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

غيرهما، ذلك أن المتأمل في حالة الرجل المقترض يجد أن جهده في إيصال هذا المبلغ في أجله إلى صاحبه كان ظاهراً، جاء ذلك من خلال خروجه الى البحر، والتماس المركب الذي يوصله في قوله: (التمس مركباً)، وبجته عنه، مما جعلنا أمام لفظتين أوصلتا المعنى بجذريهما الصوتي المتميز، الذي رسم صورة التفاني لدى ذلك الرجل في قوله: (نقر) إذ « النون والقاف والراء ، أصل صحيح يدل على قرع شيء حتى تهزم فيه هزيمة، ثم يتوسع فيه، ومنه منقار الطائر؛ لأنه ينقر به الشيء حتى يؤثر فيه »<sup>1</sup>. و« النقر ذهاب المال... وانتقر الشيء وتنقره ونقره ونقر عنه، كل ذلك بحث عنه »<sup>2</sup>، والمعنى: حفرها<sup>3</sup>.

ويتجلى وهج هذا اللفظ عبر هذا الإيحاء الصوتي عند النظر في مخارج حروفه وصفاتها. فالنون : حرف مجهور بين الشدة والرخاوة منفتح، منسفل، والقاف حرف مجهور شديد، مستعل، مقلقل<sup>4</sup>، أما الراء فهو حرف « مجهور ومكرر »<sup>5</sup>. قال عنه سيبويه وهو يتحدث عن صفات الحروف: « ومنها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام فتجأى الصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء »<sup>6</sup>، وكأن حروف هذا اللفظ في شدتها وجهرها وتكرارها تصور تكرار ذلك النقر، وتعاوده من هذا الرجل، حتى تتمكن صحيفته من الخشبة.

<sup>1</sup> - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص468.

<sup>2</sup> - ابن منظور، ج14، ص336، مادة (نقر).

<sup>3</sup> - ابن رجب الحنبلي، فتح الباري، ج4، ص594.

<sup>4</sup> - ينظر: ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص149.

<sup>5</sup> - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص203.

<sup>6</sup> - سيبويه، الكتاب، ص575.

بعد ذلك يواصل وكده في المرحلة الثانية المتمثلة في قوله: (ثم زجح موضعها)، «أي: أصلح موضع النقرة وسواه»<sup>1</sup>. وقد يكون من أهم خلفيات الجمال في هذا اللفظ أيضاً النظر في صفات حروفه ومخارجها، فالزاي حرف مجهور، رخو، منفتح، منسفل، صفيري<sup>2</sup>، والجيم حرف مجهور، شديد، منفتح، منسفل، مقلقل<sup>3</sup>، ومن طرف اللسان وما يليه من الشق بين الثنيتين تخرج الزاي<sup>4</sup>، ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك مخرج الجيم<sup>5</sup>. وقد جاءت هنا مضعفة على وزن (فعلل) الذي أعطى هذا اللفظ معنى الحركة والاستمرار والدأب<sup>6</sup> في هذا العمل المأخوذ «من الزَّج وهو سنان الرمح فيكون التقدير وقع في الطرف من الخشبة فسد عليه، رجاء أن يمكنه ويحفظ ما في بطنه»<sup>7</sup>.

وهكذا نجد أن المتأمل في كُنْه هذا المبدأ الذي تمثل في شخصية هذا المقترض، يحتاج إلى بنية صوتية تلي حاجته، وتبعث إشعاعه في بقية زوايا النص، بوصفه منتجاً لدلالة توجيهية تتمثل في فضل التوكل على الله وأن من صح توكله تكفل الله بنصره وعونه.

وهذا نعلم أن اللفظة في جرسها المثير، وبنيتها المحكمة، ومخرجها الصحيح دال مؤثر على قوة المعنى، يؤكد ذلك الدكتور أحمد عبد الله العلي مبيناً أنَّ: «لجرس اللفظة، وموسيقاها الداخلية، الناشئة من تأليف أصوات حروفها وحركاتها، وتوافق هذا الإيقاع

<sup>1</sup> - أحمد الكرمانى، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ج10، ص121.

<sup>2</sup> - ينظر: ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، ص125-127.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص125-129.

<sup>4</sup> - ينظر: التمهيد في علم التجويد، ص118.

<sup>5</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص117.

<sup>6</sup> - د. غالب الشاويش، تصوير المعنى بجرس اللفظ في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة الإمام محمد بن

مسعود الإسلامية، العدد 13، ذو القعدة 1415هـ، ص111.

<sup>7</sup> - البخاري بشرح الكرمانى، ج25، ص595.



الداخلي مع دلالة اللفظة، وقعه في النفس وإثارة الانفعال المناسب، ويعد الإيقاع الداخلي للألفاظ وما يصاحبه من موسيقى عند النطق، من المنبهات المثيرة للانفعالات الخاصة، كما أنه يترك إيجاء نفسياً خاصاً لدى ذهن المتلقي والمتكلم في آن واحد»<sup>1</sup>.

وفي قصة لقاء إبراهيم - عليه السلام - بأبيه يوم القيامة، نجد جانباً صوتياً ينبض بالحركة المؤثرة في بناء النص واتساقه، حيث يقول عليه السلام: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قتره وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فالיום لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأني خزي أخزي من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجلك فينظر، فإذا هو بذيخ ملتطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»<sup>2</sup>.

صورة فاعلة موجزة، تتعاقب فيها روعة المشهد مع دقة التصوير بهذا التعبير لتحدث إيجاءً متميزاً للمخاطب، يتسرب عبر صوت اللفظين المتمثلين في قوله: (بذيخ) و(ملتطخ)، ولنا بعد سماع هذين اللفظين أن نتصور لقاء الابن بأبيه، في يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، بعد أن لقي إبراهيم من أبيه في الدنيا ما لقي من غلظ القول، وبالغ التهديد إثر دعوته له بأسلوب بلغ المنتهى في الأدب والتلطف: ﴿يَا أَبَتِ تُعْبِدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتُكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مریم: 44-45).

<sup>1</sup> - د. أحمد عبد الله العلي، مشاهد القيامة في الحديث النبوي، دار الوفاء، مصر، ط1، 1411هـ-1991م، ص415-416.

<sup>2</sup> - رواه البخاري، عن أبي هريرة، كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً، مع 2، ص234.

وقد استحضر الخليل مدى الهول في ذلك اليوم، ورأى أن حزبي أبيه داخل تحت خزيه، على أساس العلاقة الحميمة والوشيجة القوية بين الابن وأبيه، وقد كان من حكمة الله عز وجل ولطفه بنبيه في ذلك اليوم، أن صورَّ أباه في صورة بشعة، تنفر منها نفسه، و ينسى بها أباه وخزيه بعد ذلك.

وقبل الشروع في الكشف عن البراعة الصوتية الكامنة في هذين اللفظين، لا بد أن أدلف إلى معناهما: «الذيخ: ذكر الضَّبَاع، والأُنثى ذيخه»<sup>1</sup>، وقوله: (متلطح) أي: «في رجيع أو دم أو طين»<sup>2</sup>. وقد قيل: إن الحكمة في ذلك الفعل بأزر، حتى تشمئز منه نفس ولده، ولئلا يبقى في النار على صورته، فيكون فيه غضاضة على إبراهيم<sup>3</sup>. «قوله بذيخ بكسر الذال المعجمة وسكون الياء، آخر الحروف قوله وبالحاء المعجمة ذكر الضبع الكثير الشعر، وقال بن سيده: والجمع أذْيَاخ وذُيُوخ وذِيخَة والجمع ذِيخَات، قوله متلطح بالرجيع أو بالطين أو بالدم، وحملت إبراهيم الرأفة على أن يشفع فيه، فأرى له على خلاف منظره ليتبرأ منه»<sup>4</sup>. وقيل: «الحكمة في مسخه ضبعاً أن الضبع من أحمق الحيوان، وأزر كان من أحمق البشر؛ لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البيّنات أصرَّ على الكفر حتى مات، واقتصر في مسخه على هذا الحيوان؛ لأنه وسط في التشويه بالنسبة إلى ما دونه كالكلب والخنزير، وإلى ما فوقه كالأسد مثلاً، ولأن إبراهيم بالغ في الخضوع له وخفض الجناح فأبى واستكبر وأصر على الكفر، فعومل بصفة الذل يوم القيامة»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص 322.

<sup>2</sup> - فتح الباري، ج 8، ص 635.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج 8، ص 635.

<sup>4</sup> - العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القارئ، ج 15، ص 244.

<sup>5</sup> - فتح الباري، ج 8، ص 635.

وعند الالتفات إلى البنية الصوتية لهذين اللفظين، نجد أن الحروف عبر مخارجها وصفاتها جاءت ممثلة لصورة ذلك المشهد، ففي قوله: (بذبخ) نجد أن الباء حرف مجهور منفتح، منسفل، مقلقل، يخرج من بين الشفتين بانطباقهما<sup>1</sup>، والذال حرف مجهور، منفتح، منسفل، يخرج من طرف اللسان، مما يلي الثنايا العليا والسفلى<sup>2</sup>، والياء حرف مجهور، رخو، منفتح، من أحرف المد، يخرج من وسط اللسان، ما بينه وبين وسط الحنك<sup>3</sup>، وأما الخاء فإنها حرف مهموس، منفتح مستفل، يخرج من آخر الحلق مما يلي الفم<sup>4</sup>.

وفي توسط هذه الحروف بين الشدة والرخاوة، والجهر والهمس، ما يتصل بالحكمة من مسخ آزر على هذا الحيوان المتوسط في صورته من بين الحيوانات، كما أن مجيء (إذا) الفجائية متبوعة بالباء المفيدة لمعنى "الإلصاق"<sup>5</sup> المجازي والحقيقي، وفي الحديث الإلصاق الحقيقي، فحرف الجر الباء، تأتي للإلصاق الحقيقي والمجازي، ومثال للإلصاق الحقيقي، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتَيْنَا بُرْبَانِ﴾ (آل عمران الآية: 183) والإلصاق المجازي ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (سورة البقرة الآية: 109) وفي الإلصاق الوارد في الحديث، تأكيد استدعاء هذا اللفظ على هذه القيمة الصوتية المفاجأة.

ونجد في قوله: (متلطح) أن الحروف جاءت بين الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، فالميم حرف مجهور بين الشدة والرخاوة، منفتح، منسفل، وهو من حروف الغنة<sup>6</sup>، والتاء

<sup>1</sup> - ينظر: أبو الأصبع، مخارج الحروف وصفاتها، ص 120.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر السابق، ص 119-126.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص 117.

<sup>4</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص 115.

<sup>5</sup> - أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: أ.د. عباد بن عبد الشبّيتي، مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، ط 1، 1428هـ-2007م، ص 226، وما بعدها.

<sup>6</sup> - ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، ص 125-128.

حرف مهموس، رخو، منفتح، منسفل<sup>1</sup>، واللام حرف مجهور بين الشدة والرخاوة، منفتح، منسفل أيضاً<sup>2</sup>، وأما الطاء فهو من أقوى الحروف، مجهور شديد، مطبق، مستعل، مقلقل<sup>3</sup>. « وهو صوت لثوي انفجاري مهموس، وفي نطقه يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة، ويضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل فجأة تاركاً نقطة الالتقاء، فيحدث صوت انفجاري<sup>4</sup> ».

ويبقى أن يقال: إن من مرامي المعنى المعجمي للتلطح ما أشار إليه ابن فارس في أن قولنا: لُطِحَ فلان بشيء أي: عيب به، وهو ملطوخ بالشر، وملطوخ العِرض<sup>5</sup>، « ولطخه بشر يلطخه لطحاً أي: لوثه به فتلوث<sup>6</sup> »، وفي ذلك معنى مفاده: أن صورة ملوثة لإنسان تلوث ظاهره وباطنه، من شأنها أن تصنع تنغيراً واشتمزازاً، عبر هذا النفوذ الصوتي المطبق على روعته.

وقد روى مسلم في صحيحه عن صهيب، عن رسول الله ﷺ قال: « كان ملك في من كان قبلكم وكان له ساحرٌ، فلما كَبُرَ قال للملك: إني قد كبرتُ، فابعث إليَّ غلاماً أعلمه السَّحرَ، فبعث إليه غلاماً يعلمُهُ.

فكان في طريقه، إذا سَلَكَ، راهبٌ فقعد إليه، وسمعَ كلامه، فأعجبهُ، فكان إذا أتى الساحرَ مرَّ بالراهبِ، وقعد إليه، فإذا أتى الساحرَ ضربَهُ، فشكا ذلك إلى الرَّاهبِ.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 124-127.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 125-128.

<sup>3</sup> - ابن الجوزي، التمهيد في علم التجويد، ص 132-133.

<sup>4</sup> - سليمان فياض، استخدامات الحروف العربية، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ-1998م، ص 80.

<sup>5</sup> - ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 251-252.

<sup>6</sup> - ابن منظور: لسان العرب، ج 13، ص 200، مادة (لطح).

فقال: إذا خَشِيتَ السَّاحِرَ فقلِ حَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فقلِ: حَسَنِي السَّاحِرُ. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حَبَسَتِ النَّاسَ، فقال: اليوم أعلمُ السَّاحِرَ أَفْضَلَ، أمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟

فأخذ حجراً، فقال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمُوتَ النَّاسَ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمُتَّى النَّاسُ، فَأتَى الرَّاهِبَ، فَأخبره، فقال له الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتَبْتَلِي، فَإِنْ ابْتَلَيْتَ، فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليساً للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله، دعوتُ الله فشفاك، فأمن بالله، فشفاه الله.

فأتى الملك، فجلس إليه، كما كان يجلس فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فجاءه بالغلام، فقال له الملك: أيُّ بني قد بلغ من سحرك ما تُبرئ الأكمه والأبرص وتَفَعَّلُ وتَفَعَّلُ؟ فقال: إنِّي لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الرَّاهِبِ، فجاءه بالرَّاهِبِ، فقليل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمشار، فوضع المشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جاءه بجليس الملك، فقليل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه.

ثم جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروتة، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به، فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به، فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به. قال: وما هو؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبته على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام.

فأتى الملك فقيل له: رأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فحُدَّتْ، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع

عن دينه، فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة، ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه، اصبري فإنك على الحق<sup>1</sup>.

قصّ القرآن الكريم، قصة أصحاب الأخدود، وجاء في الحديث النبوي مزيد توضيح وبيان، كيف استطاع غلام صغير، أن يجيي الإيمان في قلوب أمة، وأن يزلزل عرش ملك طاغية، هذا الاهتزاز والاضطراب، جاء مع تكرار حرف الشين في القصة كما في كلمة (شفاء)، حيث أصبح الغلام يرى الأكمه والأبرص، وعندما سئل قال: إنما يشفي الله. ويمكن ربط السياق الدلالي المتقدم، بما تواضع عليه القدماء والمحدثون، بأن صوت الشين يوصف بالتنفسي « لأن هواء النفس معها لا يقتصر في تسربه إلى الخارج على مخرجها، أي من الفراغ الذي بين العضوين المتصلين في حالة الشين، بل يتوزع في جنبات الفم<sup>2</sup>، وينجم عن الانتشار والتنفسي تفرق لجزيئات الهواء، وهذا ما وافق الأحداث في نشر الدعوة وانتشارها، وما اعترى الأحداث من اضطراب. وهنا يتجسد مشهد الحركة والانتشار من خلال العلاقات الدلالية والصوتية في القصة؛ حيث ذاع صيت الغلام واشتهر بين الناس، لزيادة انبثاث الكرامات على يده -بقدره القادر- بمداواة المرضى وإبراء الأكمه والأبرص، التي اتخذ منها الغلام وسيلة لنشر الإسلام.

بالإضافة إلى استخدام لفظ الميثار الذي أفضى استخدامه إلى انقسام الجماجم إلى نصفين، ومن ثم بعثتها، وهذا ما جسده استخدام الشين في الكلمة، ما اتفق مع دلالة التطاير والانتشار، وحرف الشين « من الحروف الصامتة والمستفلة والمرققة الحركات في

<sup>1</sup> - الإمام أبي حسين مسلم، -صحيح مسلم- كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، رقم الحديث: 7546، ص 1107-1108.

<sup>2</sup> - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984، ص 119.

النطق، وهو صوت لثوي حنكي احتكاكي مهموس<sup>1</sup>، دلّ على انتشار الإيمان في قلب هؤلاء الذين عدّوا .

ولا يخفى أن مشاعر التوتر والحزن كانت غالبية على القصة، خاصة بعد موت الغلام، وانتهت الأحداث بكلام الرضيع « يا أمّه، اصبري فإنّك على الحق »؛ فهي أرادت أن ترجع فأنطقه الله، وقال: (اصبري يا أمّه، فإنك على الحق)، واستخدام حرف الهاء في كلمة أمّه، في هذا السياق ناسب معنى الحنان والترفق، فالهاء « حرف صامت مستغل مرفق الحركات في النطق، وهو صوت حنجري احتكاكي مهموس<sup>2</sup>، وهو عند الخليل حرف هش، يقول: « ولم يكن في الحروف أهش من الهاء، لأن الهاء نفس<sup>3</sup> ».

### ب \_ الصوامت والصوائت:

وقال الخليل بن أحمد: « حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، صحاح، لها إحياز ومدارج وأربعة أحرف جوف، الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً؛ لأنها تخرج من الجوف، فلا تخرج من مدرجة من مدارج الحلق، ولا مدارج اللهاة، ولا مدارج اللسان، وهي في الهواء، فليس لها حيز، تنسب إليه إلا الجوف<sup>4</sup> ».

ويظهر طول هذه الحركات أثناء النطق بها، حيث تتوفر على خاصية الامتداد الصوتي، وهي: (الألف، الواو، الياء)، والتي سمّاها الخليل الحروف الجوف، وهي الصوائت، بينما الصوامت فهي مجموع الحروف المجهورة والمهموسة.

<sup>1</sup> - سليمان فياض، استخدامات الحروف العربية، ص 69.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 114.

<sup>3</sup> - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي الخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، بيروت، مؤسسة

الأعلمي للمطبوعات، 1988، ج 3، ص 355.

<sup>4</sup> - ابن منظور، لسان العرب، المقدمة ص (ز).



وهذا شاهد جاء فيه جمال الجانب الصوتي، فاعلاماً مؤثراً، مستتراً خلف زاوية صوتية لطيفة، من شأنها أن توقظ انتباه المخاطب، وتستوقف سمعه، تتمثل في الحركات الطويلة في الكلام، المسماة بحروف المد، وقد سميت بحروف المد؛ لأنها تخرج من مخرج متسع، و«اتساع المخارج يؤدي إلى انتشار الصوت الخارج منه، والصوت إذا انتشر امتد ولان، ومعلوم أن كل صوت بالغ فيه الإنسان، فإنه يزيد حتى يخرج بصفة تميّزه قبل الزيادة والامتداد»<sup>1</sup>. وتسمية الزيادة مداً كانت معهودة في زمن النبي ﷺ، فقد سئل أنس بن مالك (رضي الله عنه)، عن قراءة النبي ﷺ فأجاب: «كان يمدُّ صوته مداً»<sup>2</sup>.

ومن جميل ما وقع على هذا النحو ما جاء في قصة الصدقة على السارق والزانية والغني: «قال رجل: لأتصدقنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّقُ على سارق، فقال: اللهم لك الحمد لأتصدقنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّقُ الليلة على زانية. فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّقُ على غني. فقال: اللهم لك الحمد على سارق، وعلى زانية، وعلى غني. فأُتي فقيل له: أمّا صدقتك على سارق، فلعله أن يستعفَّ عن سرقة، وأمّا الزانية، فلعلها أن تستعفَّ عن زناها، وأمّا الغني، فلعله يعتبرُ فينْفِقُ مما أعطاه الله»<sup>3</sup>.

فقد جاءت هذه القصة مشيرة عبر هذه المشاهد، إلى قيمة توجيهية شرعية، مؤدّاها أن الأعمال بمقاصدها، مؤكدة أن نية المؤمن إذا صحّت، فإنها تبلغ مبلغاً عظيماً، «وأما

<sup>1</sup> - ينظر: د. عبد الله بن محمد الأنصاري، القرينة الصوتية في النحو العربي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1428هـ، ص 111.

<sup>2</sup> - رواه النسائي: 1004 عن أنس بن مالك، وصححه الألباني في صحيح النسائي: 1014.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 1421، ومسلم: 1022، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الصدقة على السارق والزانية فإن العلماء متفقون **أهما** إن كانا فقيرين فهما ممن تجوز لهما الزكاة»<sup>1</sup>.

والذي يعيننا هنا الجانب الدلالي في قوله:(على زانية) وقوله:(على سارق). قال القرطبي (ت:656هـ):« وقول المتصدق: " اللهم لك الحمد على زانية !" إشعار بألم قلبه، إذ ظن أن صدقته لم توافق محلها، وأن ذلك لم ينفعه، ولذلك كرر الصدقة، فلما علم الله صحة نيته تقبلها منه، وأعلمه بفوائد صدقاته»<sup>2</sup>.

وأما الحمد في قوله:(اللهم لك الحمد على سارق...) فقد أفصح عن سره الطيبي (ت:743هـ) بقوله:« وقوله:"اللهم لك الحمد على سارق" أي: على تصدقي على سارق، إما وارد شكراً أو تعجباً، أما الأول: فإن يجري الحمد على الشكر؛ وذلك أنه لما جزم على أن يتصدق على مستحق ليس بعده بدلالة التنكير في الصدقة، وأبرز كلامه في معرض القسمية، تأكيداً وقطعاً للقول به، فلما جوزي بوضعه في يد سارق حمد الله، بأنه لم يقدر أن يتصدق على من هو أسوأ حالاً من السارق. وأما الثاني، فإن يجري الحمد على غير الشكر، وأن يعظم الله تعالى عند رؤية العجب، كما يقول: سبحان الله عند مشاهدة ما يتعجب منه، وللتعظيم قرن به لفظة (اللهم)، فكما تعجبوا من فعله، قالوا:"تصدق الليلة على سارق"، تعجب من فعله نفسه، وقال:"الحمد لله على سارق" أي: تصدقت على سارق، ولذلك سلي بقوله "أما صدقتك على سارق فلعله يستعف عن سرقتك»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، ج3، ص423.

<sup>2</sup> - أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج3، ص67.

<sup>3</sup> - شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، تحقيق، د. عبد الحميد هندواوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط2، 1425هـ-2004م، ج5، ص1532-1533.

وهكذا نجد أن الجانب الصوتي هنا المتمثل في حرف المد ، قد صور لنا الأ لم المعتمل في نفس هذا المتصدق، وفي ذلك محاكاة لحاله النفسية من جهة، واقتراب بالمتلقي من فضائها من جهة أخرى، وذلك شأن بعض الحركات والحروف ذات الجرس المحمل بمثل هذه الدلالة، والسياق هو الرائد في تحديد هذا الجمال، والكشف عنه، مما يدل على أن المد له بصمته المؤثرة المساهمة في إضاءة النص، ورسم أثره الجمالي، وقد علق على ذلك أحد الباحثين، مشيراً إلى أن: « لحروف المد قيمة صوتية مهمة جداً، لا تكون إلا بها، وهي وظيفتها البلاغية، فإنها تعتبر أساساً عند إرادة التصويت والإسماع »<sup>1</sup>.

وتبعاً لذلك، نجد أن المد هو: زيادة صوتية متعلقة ببناء الكلمات، ومعلوم أن الزيادة في المعنى تتضمن زيادة في المبنى، إما دعماً للإبانة عن دلالاته، أو مبالغة في تصويره وإيجائه، وقد أشار إلى ذلك ابن الأثير بقوله: « اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً، لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه لبيانه، وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة... ولا يوجد ذلك إلا فيما فيه معنى الفعلية، كاسم الفاعل، والمفعول »<sup>2</sup>.

ولنا أن نتأمل بعد هذا القول ، مجيء لفظي (سارق) و (زانية)، فقد جاء لفظ (سارق) على وزن (فاعل)، وجاء لفظ (زانية) على وزن (فاعلة)، وكلاهما جاء اسماً مضمناً معنى الصفة، وعُرفُ اللغة يؤكد أن الوصف بالاسم أقوى من الوصف بالفعل ؛ لأنه يدل على ثبوت الصفة في صاحبها، ورسوخها فيه، « هذا هو الحسن اللائق بالمعنى، ولو قلته بالفعل: "لكن يمر عليها وهو ينطلق" لم يحسن.... فانظر في قوله تعالى: ﴿ وَكَلْبُهُمْ

<sup>1</sup> - د. عبد الله بن محمد الأنصاري، القرينة الصوتية في النحو العربي، ص116.

<sup>2</sup> - ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص279-281.

ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴿﴾ (سورة الكهف:18)، فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل هاهنا، وأن قولنا "كلبهم ييسط ذراعيه" لا يؤدي الغرض<sup>1</sup>، وهذا مناسب لمعنى هاتين اللفظتين، فالسرقة والزنا وصف لازم لكل من الرجل والمرأة في هذا النص، مما يعكس ثبوت قبول هذه الصدقة حتى مع ثبوت الزنا والسرقة، ولا يضيره ذلك؛ لأن الاسم يقتضي «ثبوت الصفة وحصولها، من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل، ومعنى يحدث شيئا فشيئا»<sup>2</sup>.

وفي قصة الثلاثة الذين آواهم الغار: «فقال الآخر، اللهم إن كنت أنه تعلم، كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبوي، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أبي فعلت ذلك من خشيتك فافرج عنا»<sup>3</sup>.

إن الرجل يستوقف الزمن في لحظة تأمل وأسف وحسرة مما هم فيه من أمر الصخرة، فاستعمال المدود، في سياق هذا الرد ناسبت سياق المناجاة، فكانت أكثر عمقا وارتباطا بما يحس به الرجل، وبما يناسب طلبه الصفح والمغفرة من الله عز وجل.

ويأتي الإيقاع في القصة من جرس الألفاظ وتناغم العبارات، واستعمال وسائل موسيقية كالتكرار.

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص175.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص175.

<sup>3</sup> - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، حديث الغار، مج2، ص259-260.

**2- التكرار:** يقصد بالتكرار « أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو التهويل أو الوعيد »<sup>1</sup>، وعرفه بعض الباحثين بقولهم: « التكرار بشتى أنواعه يحدث نوعاً خاصاً من الإيقاع، تستلزمه العبارة لأغراض فنية ونفسية واجتماعية ودينية »<sup>2</sup>.

من خلال تكرار الوحدات وتناوب الألفاظ وإعادةّها في سياق التعبير لتؤدي أغراضاً مختلفة متنوعة، وله أنواع ظهر البعض منها في القصة النبوية.

### أ- تكرار الحروف:

من أمثلة تكرار الحروف، حديثه- صلى الله عليه وسلم- عن عمارة بن القعقاع، حدثنا أبو زرعة: قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: { **إِنْ أَوَّلَ زُمْرَةَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّي فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ وَلَا يَتَفَلُونَ** }<sup>3</sup>، فقد جاء تكرار لا النافية أكثر من ثلاث مرات، ليقدم إيقاعاً موسيقياً، للإيجاء بعدم وجود حالات الدنيا في الجنة، من بصاق ومخاط، وتغوط، للدلالة على نعيم الله في الجنة.

<sup>1</sup> - ابن أبي الأصبغ المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر في بيان إعجاز القرآن، تحقيق: حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1963م، ج3، ص375.

<sup>2</sup> - محمد شكر قاسم مقداد، البنية الإيقاعية في شعر الجواهري، دار دجلة، عمان، ط1، 2001م، ص152.

<sup>3</sup> - أبي حسين مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر، الحديث رقم: 7183، ص1054.

ومن أمثلة تكرار الحروف، في سياق وصف النار وهو يحدث الصحابة. قوله: «ومنهم من تأخذ النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذها إلى ركبتيه ومنهم من تأخذ النار إلى حجزته<sup>(\*)</sup>، ومنهم تأخذها النار إلى ترقوته<sup>(\*)</sup>»<sup>1</sup>.

فقد شكّل تكرار حرف الجر "من" إيقاعاً داخلياً، أضفى على الصورة تفصيلاً لدرجات العذاب بتوافقها مع أعضاء جسم الإنسان من الأسفل إلى الأعلى، ومن تكرار الحروف في الكلمة الواحدة ما وصف به النبي ﷺ المتكبر وقد انتفخ خيلاء، وتعرض لنا مصيره في نهاية المطاف، واختار الرسول ﷺ في مقام ترهيننا من هذا السلوك المشين، لفظة قوية تشارك فوق دلالتها الذهنية بالدلالة الإيحائية والموسيقية في ترهيننا من هذه الخصلة الذميمة والمصير الأسود، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «بينما رجل يمشي قد أعجبه جُمَّته وبراده، إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة»<sup>2</sup>، فلفظة يتجلجل\* تكرر فيها حرفان الجيم واللام، يعبران عن معنى رهيب، وسوء عاقبة، فهو يوحي بعقوبة عاجلة وآجلة، فهذه الأصوات في هذا المقام، كشفت المعنى، وجلبت انتباه المتلقي، ففيها ترهيب من التكبر وتحريم للتبختر أثناء المشي .

• - حجة: مقعد الإزار.

• - ترقوته: العظم الذي عند ثغرة النحر وللإنسان ترقوتان جانبي النحر.

<sup>1</sup> - أبي حسين مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث 2845، وورد في مختصر صحيح مسلم، للحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، كتاب صفة النار، باب من تأخذ النار من المعذبين، رقم الحديث 1979، ص 621.

<sup>2</sup> - الإمام أبي حسين مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم التبخر في المشي، مع إعجابه بثيابه، رقم الحديث: 5486، ص 803.

\* - التجلجل بجيمين: التحرك، وقيل الجلجلة الحركة مع صوت.

فاللام حرف "مجهور متوسط الشدة، شكله في السريانية يشبه اللجام، يقول عنه العلايلي: إنه للانطباع بالشيء بعد تكلفة"<sup>1</sup>، والجيم مجهور معناه في اللغة العربية "الجمل الهائج"، فالجيم يوحي بالشدة والقوة، والقساوة والصلابة والخشونة، واستخدام هذه اللفظة بما تحمله من دلالات هو استخدام فائق الدقة والذكاء، فاجتماع اللام والجيم وتكرارهما في الكلمة دلّ على القوة والشدة مما يناسب مقام الترهيب الذي يريد أن يعبر عنه النص النبوي.

### ب- تكرار الكلمات:

إن تكرار الحروف والكلمات يسهم في وصول المعنى، بل وتحقيق الهدف والغاية، من الخطاب: «حيث يعطينا التكرار نوعاً من التردد الصوتي أو التردد اللفظي المميز؛ مما يؤدي إلى ترتيب الدلالة ونموها تدريجياً في نسق أسلوبى يعتمد على هذا التردد اللفظي في شكل دفعات فكرية متلازمة وصولاً إلى تحقيق الهدف المنشود»<sup>2</sup>.

ومن أمثلة تكرار الكلمات ما جاء في حديثه ﷺ في سياق وصفه للجنة: «ليدخلن الجنة من أمّتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»<sup>3</sup>.

فشكّل تكرار الكلمات في نص الحديث، بعداً إيقاعياً من خلال أصوات الكلمات المتكررة (ليدخلن-يدخل)، (سبعون-سبعمائة)، (ألف-ألف) للدلالة على عظم مكانة

<sup>1</sup> - حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص 79.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن حجازي، الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي، دراسة أسلوبية، ص 153.

<sup>3</sup> - رواه البخاري، الحديث رقم 3247، كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة.

داخلي الجنة وجمالهم، إذ أن وجوههم على هيئة القمر، عندما يكون بديراً، وبذلك توافق الصوت والمعنى لتحقيق قيمة جمالية تتأتى من تكرار الكلمات المتقاربة في النطق.

ولنأخذ مثلاً على ذلك في قصة أصحاب الأخدود، موقف الغلام حين أتى الدابة التي سدت على الناس طريقهم فحبستهم، وعند هذا الموقف تصور لنا القصة ما يدور في داخل الغلام من قلق نفسي، وهم يثقل كاهله، وهو موزع بين تلقي الدين من الراهب، وبين تلقي السحر من الساحر، تقول القصة: «فبينما هو كذلك (أي الغلام) إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم؟ إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس... الخ»<sup>1</sup>.

فتكرار الكلمات (أفضل/الساحر/الراهب/أمر/بمضي/الناس/الدابة)، أعطى النص بعداً إيقاعياً منسجماً مع المعنى.

### 3- البديع اللفظي:

#### أ- الجناس:

الجناس في اللغة: مأخوذ من الجنس، وهو «الضرب من كل شيء... ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال هذا يجانس هذا أي يشاكله»<sup>2</sup>. والجناس عند إطلاقه أعم من النوع،

<sup>1</sup> - صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، رقم الحديث: 7546، ص 1107-1108.

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ص 514، مادة "جنس".



والجناس مصدر جانس، يجانس، كما يقال، قاتل يقاتل، قتالاً. وهو المماثلة وهي أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى»<sup>1</sup>.

وعرّفه أبو هلال العسكري بقوله: «الجناس أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها»<sup>2</sup>.

ويستعمل الجناس على جهة التوسع بمعنى «المشابهة والمشاكلية، وأقرب تعريف له عند البلاغيين: هو التشابه في اللفظ مع الاختلاف في المعنى، والجناس من الألوان التي عرفها البحث البلاغي في خطواته الأولى فذكره الخليل بن أحمد وألف الأصمعي كتاب الأجناس، وتحدث عنه ابن المعتز ضمن أبواب البديع الخمسة التي ذكرها، وعرّفه بقوله: أن تجيء الكلمة تجانس، أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها، أن تشبهها في تأليف حروفها»<sup>3</sup>.

فله عدة أسماء منا: التجنيس، وهو أشهرها عند القدماء، والمجانسة، وقدامة يسميه "المطابق"<sup>4</sup>، ونجد بعضهم يطلق عليه "الرجع"<sup>5</sup>.

فهو في اصطلاح البلاغيين تشابه اللفظين في النطق لا في المعنى، أو هو التشابه في اللفظ مع الاختلاف في المعنى، وقد ذكره القدماء بتعريفات مختلفة ومن أجمعها ما ذكره ابن

<sup>1</sup> - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ج1، ص197.

<sup>2</sup> - أبو هلال العسكري، الصناعيتين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989م، ص215.

<sup>3</sup> - د.الشحات محمد أبو ستيت، دراسات منهجية في علم البديع، دار خفاجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1414هـ-1994م، ص197.

<sup>4</sup> - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص162.

<sup>5</sup> - عبد الرحيم بن علي القرشي، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م، ص98.

سنان، حين حاول أن يجمع أنواع الجنس في عبارة شاملة « ومن التناسب بين الألفاظ الجنس، وهو أن يكون بعض الألفاظ مشتقا من بعض إن كان معناهما واحد، أو بمنزلة المشتق، إن كان معناهما مختلفاً، أو تتوافق صيغتا اللفظين مع اختلاف المعنى »<sup>1</sup>، فهو محسن بديعي لفظي، يعني اتفاق لفظتين في النطق والكتابة واختلافهما في المعنى.

والجناس، إذا وقع موقعه المناسب، أضفى على الكلام رداء الجمال، وكسا الجمل وشاح البهاء، لكن الإسراف فيه يفسده ويذهب بروعته، ولعل صنيع بعض الشعراء في الإلحاح في طلبه والسعي في الإكثار منه، هو الذي حمل بعض النقاد على رفضه والتنفير منه ومن هؤلاء ابن حجة الحموي الذي قال عنه: « أما الجنس، فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب، وكذلك كثرة اشتقاق الألفاظ، فإن كلاً منها يؤدي إلى العقادة والتقييد عن إطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة »<sup>2</sup>، والحق أن الاعتدال في استعماله وعدم تقصده لذاته، هو عين الجمال، يقول عبد القاهر: « المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه، إذ الألفاظ خدَم المعاني والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها، مستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته، وذلك مظنة الاستكراه، وفيه فتح أبواب العيب، والتعرض للشين »<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الأمير أبي محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: 466هـ)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ-1982م، ص193.

<sup>2</sup> - أبو بكر حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام شعيتو، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987م، ج1، ص54.

<sup>3</sup> - عبد القادر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه الشيخ محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني جدة، ط1، 1412هـ-1991م، ص8.

فالإرسال على السجية، والبعد عن التكلف والتصنع هما شأن البلاغة الرفيع، وهذا لا ينطبق على فن الجناس فحسب، بل يمتد هذا المطلب ليشمل فنون البلاغة كلها، وفنون البديع بوجه خاص، ولهذا نجد عبد القاهر يدلي بقول الناصح: «ولن تجد أيمن طائراً، وأحسن أولاً وآخراً، وأهدى إلى الإحسان، وأجلب للإستحسان، من أن تُرسل المعاني على سجيته، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها. فأما أن تضع في نفسك أنه لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين، فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه، وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم»<sup>1</sup>، ولعل من وظائف الجناس في التركيب الصوتي، لفت انتباه السامع في الكلمتين المشتركتين في الأصوات كلها أو في بعضها.

وفي الجناس من معاني التشويق ما فيه، ذلك أن الناظر في العبارة من أول وهلة يظن أنها تحوي لفظاً مكرراً، وحينما يعين النظر في فحواها يجد أن الرؤية لا تكتمل في مجال هذا اللفظ إلا حين يحمل كل لفظ على معنى مختلف، وحينئذ يزول اللبس، ومرحلة البحث عن المعنى الملائم هي موضوع التشويق والتشوف، وخصوصاً في الجناس التام، وبعد التحصيل ينبهر المخاطب بهذه النكتة اللفظية التي احتواها هذا الفن.

وهذه الحقيقة هي التي يعينها عبد القاهر: حين أشار إلى أن المتكلم بهذا الأسلوب: «قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاه، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاه، فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصاً المستوفى منه المتفق

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص 14.

في الصورة، من حلى الشعر، ومذكورا في أقسام البديع<sup>1</sup>. فإذا جاء على هج الاعتدال وبعد عن التكلف فربَّ معنى زينه جناس.

وفي قصص الصحيحين نجد أن بيانه القصصي ﷺ، قد تحلى ببعض أنواع الجناس، وليس من شرط البلاغة أن يستوفي البليغ في كلامه جميع أنواع الجناس.

### أ-1- الجناس التام:

ويسمى الكامل، والمستوفي، والمماثل، وهو أعلى أنواع الجناس<sup>2</sup>.

وهو في الاصطلاح: ما اتفق فيه اللفظان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها، وترتيبها.<sup>3</sup>

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (الروم: الآية 55)، فالجناس هنا وقع بين اسمين هما (الساعة) الأولى والمقصود بها يوم القيامة، و(الساعة) الثانية والمقصود بها الوقت<sup>4</sup>، و في ذلك يقول عبد القاهر: «حسن الإفادة، مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة»<sup>5</sup>.

وهذا النوع من الجناس قليل الوقوع في القصة النبوية، ومثال ذلك، قصة أم سليم، مع أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهما، فعن ابن سيرين عن أنس بن مالك قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي، فخرج أبو طلحة، فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 16 .

<sup>2</sup> - ينظر: صلاح الدين الصفدي، جنان الجناس في علم البديع، تحقيق: سمير حسين حلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ-1987م، ص20.

<sup>3</sup> - ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص288.

<sup>4</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص289.

<sup>5</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص17.

ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن مما كان، فقربت إليه العشاء، فتعشى. ثم أصاب منها، فلما فرغ، قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة، أتى (رسول الله ﷺ) فأخبره. فقال: «أعرستم الليلة؟» قال: نعم. قال: «اللهم بارك لهما»، فولدت غلاما. فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي ﷺ فأتى النبي ﷺ، وبعثت معه بتمرات، فأخذها النبي ﷺ، فقال: «أمعه شيء؟» قالوا: نعم، تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذها من فيه، فجعلها في في الصبي، ثم حنكه، وسماه عبد الله.<sup>1</sup>

فالجناس التام ورد بين كلمتي (في) حرف جر و(في) بمعنى فم.

## أ-2- الجناس الناقص:

وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة: نوع الحرف، أو عدد الحروف، أو هيئتها وترتيبها.<sup>2</sup>

وهذا النوع مثير للاهتمام، مستميل للأذهان، لكن هذه الاستمالة، تنقص عن استمالة الجناس التام، وتختلف عنها ومثال ذلك: «قول أبي تمام:

يُمدون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ      تصُولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبٍ

وقول البحري:

لئن صدفت عنا فربت أنفس      صوادٍ إلى تلك الوجوه الصوادف

<sup>1</sup> - الإمام أبي حسين مسلم - صحيح مسلم - كتاب الآداب، باب استحباب تخنيك المولود عند ولادته، حديث رقم 5632، ص 823.

<sup>2</sup> - ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 290.

ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة - كالميم من عواصم- أهما هي التي مضت، وإنما أتى بها للتأكيد، حتى إذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك؛ انصرف عنك ذلك التوهم، وفي هذا حصول الفائدة، بعد أن يخالط اليأس منها»<sup>1</sup>.

وكلام الخطيب القزويني هنا يتضمن بيان الأهمية الكبرى المتعلقة بالجانب اللفظي، من الكلام أياً كان فنه، فهو وعاء المعنى والدال عليه، فالحسن فيه يدعو إلى سماع الكلام والتأثر به « ولا شك أن كلا من الشعر والخطابة ، كلام قصد به أولاً وقبل كل شيء التأثير في العاطفة، وسر هذا التأثير يمكن أن يكون عن طريق الجمال في المعنى، أو عن طريق الإيقاع والنغم في اللفظ، ويعجب القارئ الكاتب عادة بمعاني الكلام أكثر من إعجابه بوقعه في الأسماع، في حين أن الأمي المرهف الأذن يستجيب أولاً لرنين اللفظ ونغمه، وقد ينفعل ويتأثر به، وتأثراً قويا وإن خلا من جمال في مضمونه ومعناه»<sup>2</sup>.

وتحت هذا القسم من الجنس تندرج أنواع هي كالآتي:

### 3- الجناس المحرف:

وهو أن يكون الشكل فارقاً بين الكلمتين أو بعضهما، أي: إن الاختلاف يكون في الحركات فقط « وإن اختلفا في هيئات الحروف سمي محرفاً، ثم الاختلاف قد يكون في الحركة فقط كالبرد والبرد»<sup>3</sup>.

ومن شواهد هذا النوع ما جاء في قصة أدنى أهل الجنة منزلة: « سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجلٌ يجيء بعدما أدخل أهل الجنة فيقال له: ادخل الجنة.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 291.

<sup>2</sup> - د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 197.

<sup>3</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح في عوم البلاغة، ص 290.

فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلِكٍ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول رضييت ربّ فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضييت رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولدت عينك. فيقول: رضييت ربّ. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر»<sup>1</sup>.

ساق لنا ﷺ هذا الحوار الذي تضمن شيئاً من المفاجأة، وتباشير الكرامة لأدنى أهل الجنة منزلة، وذلك حين قال: (أترضى أن يكون لك مثل مُلِكٍ مَلِكٍ من ملوك الدنيا)، ونلاحظ أنه جاء الجناس المحرف في قوله: (مُلِكٍ مَلِكٍ) في سياق الاستفهام، والغرض منه التكريم والاحتفاء بهذا الرجل ، الذي هو أدنى أهل الجنة منزلة، فقوله: (مُلِكٍ مَلِكٍ) أضافت للمخاطب شيئاً من الاشتياق لما بعد هذا الملك من تكريم.

#### أ-4- الجناس المطرف:

وإذا كان الاختلاف في أعداد الحروف، بأن كان في أحد اللفظين حرف زائد أو أكثر عن الآخر، سمي الجناس مطرفاً، وذلك لتطرف الزيادة فيه.

ووجه حسنه: «أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم أنها هي التي مضت وإنما أتى بها للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم، وفي هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - الإمام أبي حسين مسلم، صحيح مسلم، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث: 471، ص 91.

<sup>2</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 291.

ومما جاء على مثل هذا النوع في القصص النبوي قوله ﷺ في قصة ذهابه مع الملكين: « فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم، فيه رجل قائم على وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فردّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان. فقلت: ما هذا؟ قالوا: انطلق...»<sup>1</sup>.

والجناس هنا بين قوله: (في) و (فيه) ففيه زيادة حرف في الكلمة الثانية، وسر جمالها يتمثل في تصور المخاطب لصورة هذا الرجل وهو في كل مرة يريد أن يخرج والحجر في فيه فلا يستطيع، ونلاحظ أنه قال: (فيه) فأثرها، لقرنها في اللفظ من حرف الجر السابق (في).

#### أ-5-الجناس المصحف:

وهو ما اتفق فيه ركنا الجناس -أي لفظاه- في عدد الحروف وترتيبها ، واختلفا في النقط فقط بأن يكون « النقط فارقاً بين الكلمتين كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِبُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف 104)، وقوله ﷺ: ﴿لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِمَا، لَا يَعْنِيهِ، وَيَتَحَلَّى بِمَا لَا يُغْنِيهِ﴾<sup>2</sup>.

ومنه قوله ﷺ في قصة رؤيته للمسيح الدجال: ﴿... فإذا رجلٌ أحمرٌ جسيمٌ، جعد الرأس، أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبّة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال...﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 1386، 7047، عن سمر بن جندب رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - ابن أبي الأصبغ المصري، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: د.محمد

حنفي شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص 105-106.

<sup>3</sup> - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب، واذكر في الكتاب، ص 255.



والجناس هنا ظاهر في قوله: (كأن عينه عنبة طافية)، وهو جناس تصحييف، والمراد بقوله: "طافية) أي بارزة، وهو من طفا الشيء يطفو بغير همز إذا علا على غيره، وشبهها بالعنبة التي تقع في العنقود بارزة عن نظائرها".<sup>1</sup>

قال ابن علان في هذا النوع من الجناس: « لا يخفى ما فيه من المحسن البديعي، وهو الجناس الخطي، المسمى بالجناس المصحف، ومنه حديث أرفع إزارك فإنه أتقى وأبقى وأتقى »<sup>2</sup>، ولا ريب أن ورود هذا الجناس هنا إنما هو إظهار لصورة الدجال وتحديد دقيق لملاحمه.

#### أ-6- جناس الاشتقاق:

وهو توافق الكلمتين في الحروف الأصول، مع الاتفاق في أصل المعنى بأن « يجمع اللفظين الاشتقاق »<sup>3</sup>، وشاهده ما جاء في قصة خلق الرحم، فعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: { إن الرحمَ شَجَنَةٌ من الرحمنِ فقال الله: من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته }<sup>4</sup>.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن قولها ليس على حقيقته، وأنه على تقدير محذوف، أي: قام ملك من الملائكة فتكلم على لسانها، قيل: ويجوز أن يكون ذلك على طريق ضرب المثل، والاستعارة، والمراد تعظيم شأنها، لأن الرحم التي توصل وتقطع وتبر، إنما هي معنى من المعاني، وليست بجسم، ولا يتأتى منه الكلام ولا القيام.<sup>5</sup>، والذي يجب حمل النص عليه أن

<sup>1</sup> - ابن رجب الحنبلي، فتح الباري، ج6، ص593.

<sup>2</sup> - محمد بن علان الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، المحقق: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2، ص336.

<sup>3</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص293.

<sup>4</sup> - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، ص50.

<sup>5</sup> - ينظر: فتح الباري، ج8، ص737.

يقال: إنه على الحقيقة، إذ لا صارف يصرف الكلام عن ظاهره، ولو كان كذلك لبينه صلى الله عليه وسلم.

والجناس هنا بين قوله: (الرَّحِم) و (الرَّحْمَن) وهو جناس مطرف؛ لزيادة الألف والنون في آخر لفظة (الرحمن)، وندرك حين نتأمل في هاتين اللفظتين أن التناسب بينهما ظاهر من جهة المعنى، وذلك حين نتأمل الطباق بين الفعلين (وصلك) و(قطعك) وواصل الرحم قريب من رحمة الرحمن، وعلى العكس من ذلك القاطع، وخير ما يسند هذه الدلالة هو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد: 22).

ومن أمثلة جناس الاشتقاق، الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: عن الحارث بن يزيد البكري قال: «خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ، فمررت بالريذة، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها، فقالت لي: يا عبد الله، إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة، فهل أنت مبلغني إليه؟ قال فحملتها، فأتيت المدينة، فإذا المسجد غاص بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وبلال متقلد السيف بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهًا.

قال: فجلست، قال: فدخل منزله أو قال رحله، فاستأذنت عليه، فأذن لي، فدخلت فسلمت، فقال: "هل كان بينكم وبين بني تميم شيء؟" قال: فقلت: نعم، قال وكانت لنا الدبرة عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألني أن أحملها إليك، وها هي بالباب، فأذن لها، فدخلت.

فقلت: يا رسول الله، إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزاً، فاجعل الدهناء، فحميت العجوز واستوفزت، قالت: يا رسول الله، فإلى أين تَضَطَّرُّ مُضْرَكٌ؟ قال: قلت: إنما مثلي ما قال الأول: مِعْرَاءُ حَمَلَتْ حَتْفَهَا، حَمَلَتْ هَذِهِ، وَلَا أَشْعُرُ أَنَّهَا كَانَتْ لِي خَصْمًا،

أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافدَ عادٍ، (هيه، وما وافد عادٍ؟) وهو أعلم بالحديث منه، ولكن يستطيعه.

قلت: إنَّ عاداً قحطوا، فبعثوا وافدا لهم يقال له: قَيْلٌ، فمَرَّ بمعاوية بن بكر، فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر، وتغنيه جاريتان، يقال لهما الجرادتان، فلما مضى الشهرُ خرج جبالَ هَمَامَةَ، فنادى، اللهم إنك تعلم أني لم أجيء إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسقي عاداً ما كنت تسقيه.

فمرت به سحبات سودٌ، فنودي منها: اختر، فأوماً إلى سحابة منها سوداء، فنودي منها: (خذها رماداً، رمدداً) لا تبقي من عادٍ أحداً. قال: فما بلغني أنه بُعث عليهم من الريح إلا قَدَرَ ما يجري في خاتمي هذا، حتى هلكوا ...

قال أبو وائل: وصدق، قال، فكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدا لهم، قالوا: لا تكن كوافد عادٍ<sup>1</sup>.

فالجناس حاصل بين لفظي رماداً رمدداً، الرماد معروف، والرمدد: أدق ما يكون من الرماد، فاختارت السحابة، رمادا دقيقا تحمله ريح عاصف، يدمر كل شيء أتى عليه، فجناس الاشتقاق، صَوَّرَ هول العذاب الذي أصاب قوم عاد.

### ب-الموازنة:

جاء في لسان العرب "وازنه عادله وقابله، وهو وَزْنُهُ وَزْنَتُهُ و وَزَانُهُ أَي: قُبَالَتُهُ"<sup>1</sup>، وقد أدخل ابن الأثير هذا النوع في الصناعة اللفظية، وقال: "هي أن تكون ألفاظ من الكلام

<sup>1</sup> - الحديث رواه، أحمد في مسنده، ج3، ص482، وذكر له روايتان متقاربتان في اللفظ.  
- ورواه الترمذي في كتاب التفسير، باب من سورة يونس (391/5-392) ورقمه: 3273-3274.

المنثور متساوية في الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعري، وعجزه متساوي الألفاظ وزناً<sup>2</sup>.

وذكر أن هذا النوع أخو السجع في المعادلة دون المماثلة؛ لأن في السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد، وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ولا تماثل في فواصلها، فيقال: كل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا، وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة.<sup>3</sup>

وفي هذا الكلام نظر، فحين نتأمل القرآن، نجد أن هناك من الآيات ما بني على اتفاق الفواصل، ولا موازنة فيها، ومن ذلك مثلا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ

﴿نوح: 13-14﴾، وعلى ذلك لا يأخذ هذا التفريق مأخذ الاطراد.

ومثال الموازنة في القصص النبوي في قوله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمُ النَّاطِرُ، وَيَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَىٰ مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَىٰ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ...»<sup>4</sup>.

والموازنة هنا في قوله:(يبصرهم الناظر) وقوله:(يسمعهم الداعي)، وهنا يبين أن الناس في هذا الصعيد قد استوى بينهم كل شيء، ونجد أثر هذه الدلالة ونحن نسمع هذه الجمل

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص206.

<sup>2</sup> - ينظر: المثل السائر، ج1، ص415.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر السابق، ص415.

<sup>4</sup> - رواه البخاري، رقم الحديث: 3340، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مقطعة، فلها من عظيم الأثر على النفس، ما يجعل المخاطب يشفق، ويرجو أن يكون من أهل الشفاعة.

### ج - السجع:

والسجع هو: «تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد»<sup>1</sup>، ويعد الخليل (ت: 170 هـ) أول من أشار للمصطلح إذ يقول: "سجع الرجل، إذ نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن، كما قيل: لصّها بطل، وتمرها دقل، إن كثر الجيش بها جاعوا وإن قلوا ضاعوا"<sup>2</sup>. ففي كلامه إشارة للواصل الكلامية غير الموزونة، ويدخل ضمنها الفواصل القرآنية لأن النص القرآني له خصوصية متفردة، في توظيف الفواصل.

### \* السجع في القرآن والحديث النبوي الشريف:

لقد اختلف في ورود السجع في القرآن ومن ثمة اختلف في تسميته ف«الفاصلة كلمة آخر الآية، ككافية الشعر وقرينة السجع،... وقال القاضي أبو بكر: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني. وفرّق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي، فقال: الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس آية وغيرها وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 296.

<sup>2</sup> - أسامة عبد العزيز جاب الله، جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط 1، 2013، ص 38.

<sup>3</sup> - السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ج 2، ص 124.

ومن الذين أنكروا وجود السجع في القرآن سمو ما يشببه فواصل، « قال الخفاجي في سر الفصاحة قول الرماني: إنَّ السجع عيب والفواصل غلط، فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى، وهو غير مقصود بتكلف، فذلك بلاغة والفواصل مثله، وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له، وهو مقصود بتكلف، فذلك عيب والفواصل مثله، وأظن الذي دعاهم إلى تسمية جلاً ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة غيرهم، وهذا غرض في التسمية قريب «<sup>1</sup>. وطرح القضية نفسها في الأحاديث النبوية، وكان موقف علماء الحديث منقسم إلى فريقين: فريق ينفي وجود السجع في الحديث النبوي، وآخر يرى أنه لا ضرر في احتواء الحديث العبارات المسجوعة.

وخلاصة القول هو أن السجع ورد في الحديث النبوي الشريف في غير تكلف؛ والذي أنكره الرسول ﷺ من السجع هو المتكلف الذي يكون فيه المعنى خادماً للفظ تابعا له، أين يشغل الفكر عن الهدف المنشود. وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن السجع المتكلف، خاصة في الدعاء حتى لا يذهب الخشوع، "وأما إذا أتى به في بعض كلامه ومنطقه، ولم تكن القوافي مجتلبة متكلفة، ولا متمحولة مستكرهة، وكان ذلك على سجية الإنسان وطبعه، فهو غير منكر ولا مكروه، وذلك ينسجم مع أوصاف البلاغة، التي تستدعي السجع موضعه، وعند سماحة الفعل به.<sup>2</sup>

### \* موقف البلاغيين من السجع:

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ج02، ص126.

<sup>2</sup> - د. عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص113.

لقد اشترط البلاغيون في جمال السجع شروطاً إذا توفرت أبعده عن التكلف، وأدخلته في النوع المرغوب المطلوب لدى النفوس، إذ تتأثر به وترضى المعنى الذي ينقله. « والأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفوس تميل إليه بالطبع، ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط، ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد... وللسجع سر هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على المعنى الذي اشتملت عليه أختها فإن كان المعنى فيها سواءً فذلك هو التطويل؛ فالكلام المسجوع إذاً يحتاج إلى أربعة شرائط: الأولى اختيار مفردات الألفاظ في الكلام المسجوع، والثانية اختيار التركيب، والثالثة أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعاً للمعنى لا المعنى تابعاً للفظ، والرابعة أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على المعنى، غير المعنى الذي دلت عليه أختها»<sup>1</sup>.

وقد وضع أبو هلال العسكري لمثل هذه الفنون النثرية، المقاسات الأسلوبية التي تكتب وتنضوي من خلالها، حتى تتسم بما يجب أن يكون عليه حال النص، وأن أسلوب السجع والدوران معه، إن كان بالجرعة المناسبة في التوظيف فإن ذلك يزيد النص حركية ويرفع المعنى أكثر والفنية إلى أجمل، أما إن كان أسلوب السجع في تصنع واستكراه، فإنه مدعاة النفور والاستهجان.

يقول: «واعلم أن الذي يلزمك في تأليف الرسائل والخطب، هو أن تجعلها مزدوجة فقط، ولا يلزمك فيها السجع، فإن جعلتها مسجوعة كان أحسن، ما لم يكن في سجعك استكراه، وتنافر وتعقيد، وكثير ما يقع ذلك في السجع وقلاً ما يسلم - إذا طال - من

<sup>1</sup> - المثل السائر، ج 01، ص 200.

استكراه وتنافر»<sup>1</sup>. فالمقصد الذي يبتغيه صاحب النص هو الحاصل بالمعنى المراد إيصاله إلى المخاطبين بدقة متناهية، وأيضا تحميل هذا النص بما يستوعبه من أساليب، تدفع فيه الحركة وترسمه بأحسن ما يمكن أن يجمل به، من التعابير الأنيقة والأساليب الساحرة، وقد أشاد ابن جني بمنزلة الكلام المسجوع قائلا: "ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعا لَدَّ لسماعه فحفظه، فإذا هو حفظه، كان جديراً باستعماله، ولو لم يكن مسجوعا لم تأنس النفس به، ولا أنقت لمستمعه، إذا كان كذلك لم تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له، وجيء به من أجله"<sup>2</sup>.

والسجع فن من الفنون البديعية اللفظية، التي تحافظ على الأبعاد في تنظيم عملية النطق والاستماع، فالحرف الأخير متّحد النطق والسمع، وذلك كفيّل بأن يجعل المسموع كالمرسوم في هذا الاتحاد، وذلك ما يعطي النص المسجوع قيمة تتبع قيمة المضمون والمعنى، وتشاركه في بلوغ الأثر النفسي.

والبيان النبوي أزكى جرسا، وأسمى نبرا، وأوقع أثرا، من قول بشري آخر، يتضمن تكلفا في العبارات المسجوعة تصد المخاطب عن التأثر، وتناى به عن التلذذ بجمال هذا الأسلوب، والصوت النبوي يجمع صور الجمال اللفظي الأخاذ الذي لم يتخذ السجع غاية، ولم يجعله هدفه المحض في النص، فهو لون صادر عن فطرة دون قصد، وطبع دون صنعة.<sup>3</sup> حتى جاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء كثير"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت-لبنان، ط1، 1427هـ-2006م، ص144.

<sup>2</sup> - ابن جني، الخصائص، ج1، ص216.

<sup>3</sup> - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص236.



وغالبا ما تعتمد القصة النبوية إلى التعبير عن الفكرة مباشرة، وقد تغيب في ظل هذا الاهتمام شيء من الألفاظ المزينة المسجوعة، بخلاف بعض النصوص النبوية التي يظهر فيها هذا الأسلوب بشكل واضح، ولعل المقصد من ذلك أن طبيعة النص القصصي يأخذ طابعاً سردياً معيناً؛ يحاول أن يحافظ الراوي فيه على معالم الفكرة المسيطرة على النص، دون تكلف بالألفاظ مسجوعة، ومع ذلك فإننا نجد شيئاً من تلك الألفاظ المسجوعة، الظاهرة في بعض مشاهد النص، وهي - بلا شك - إضافة ارتقاء بالنص، وخدمة للفكرة.

من ذلك ما جاء في قصة وضع العبد في القبر حين قال عن الكافر أو المنافق: "... وأما الكافر - أو المنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت. ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين"<sup>1</sup>.

والنص جاء مختوماً بقوله: (لا دريت ولا تليت)، وهذا الختام بهذا الأسلوب يوحي بشيء من الخوف والهلع، من دعوة هذين الملكين، إذ لا تنفع الدراية ولا التلاوة في هذا المكان، إنما هو جزاء ولا عمل.

ويشير ابن حجر أن قوله: (تليت) أصله تلوت، أي: لا فهمت ولا قرأت القرآن، والمعنى لا دريت ولا اتبعت من يدري، وإنما قاله بالياء لمؤاخاة دريت، وللتناسب بينهما<sup>2</sup>. وله نظائر في الحديث الشريف، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين: «أعيذكُمَا بكلماتِ الله التامة من كلِّ شيطانٍ وهامةٍ ومن كلِّ عينٍ لامةٍ»<sup>3</sup>. والأصل مُلَمَّةٌ.

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 1374، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - ينظر: فتح الباري، ج3، ص304.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 3371، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن ذلك أيضا قوله ﷺ في قصة الحشر: «وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل...»<sup>1</sup>.

ومجيء السجع هنا بين في قوله: (حميل السيل)، وقد جاء في سياق التشبيه مما يزيد في روعة هذا الأسلوب، والمراد بحميل السيل ما جاء به السيل من طيف أو غشاء، ومعناه محمول السيل، والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته، ونحن هنا نلاحظ أنه راعى الجانب اللفظي والمعنوي في إيصال هذه الصورة الغيبية وتجسيدها، وكأنما وقف المخاطب على ذلك النهر الذي يطهر أجساد هؤلاء القوم.

ومن السجع ما جاء في قصة سبقك بها عكاشة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال، قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن أنظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: أنظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما تخوضون فيه؟ فقال: هم الذين لا يرون ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 7437، ومسلم: 182، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

محسن فقال: أدع الله أن يجعلني منهم، فقال: انت منهم ثم قام رجل آخر فقال: أدع الله أن يجعلني منهم، فقال سبقك بها عكاشة<sup>1</sup>.

فالسجع واضح في بيانه ﷺ صفات أهل الجنة، فهم لا يرون ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى رهم يتوكلون، زاد النص جمالا والمعنى وضوحا؛ وهكذا يتضح لنا بعد هذه الشواهد البديعية أن: «السجع في الأسلوب المحمدي عذب الإيقاع، كريم المعنى، ترتاح إليه النفوس، وتقر برقته الأسماع، وتنشرح لمضامينه الصدور، ومنه السجع القصير، والمعتدل والطويل وهو في جميع حالاته - قصيراً كان أو معتدلاً أو طويلاً - لا يدانيه قول إنسان، ولا يرقى إلى مستواه حديث بشر»<sup>2</sup>.

لقد جاء هذا المستوى الصوتي في آفاق القصة النبوية سقفا لغويا تنضوي، تحته جملة من الدلالات الآسرة، والإشارات الدقيقة التي تنبئ، عن دقة تعبيره ﷺ في هذا المجال، وقد يكون مما يساند هذه البراعة في الأداء، ما وصف به ﷺ فقد كان «ضليع الفم، يفتح الكلام ويختم بأشداقه، وعلمت من معنى ذلك أنه كان يستعمل جميع فمه إذا تكلم... ولقد كانت العرب تتماذج بسعة الفم وتدم بصغره؛ لأن السعة أدل على امتلاء الكلام، وتحقيق الحروف وجهارة الأداء... لأن طبيعة لغتهم ومخارج حروفها، تقتضي هذا كله... إذ كانت الفصاحة لديهم راحة إلى حسن الملاءمة، بين الحروف باعتبار أصواتها ومخارجها حتى تستوي في تأليفها على مذاهب الإيقاع اللغوي»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألف بغير حساب، رقم 6541،

- ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب. رقم الحديث 533، ص 102.

<sup>2</sup> - د. مصطفى الشكعة، البيان المحمدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1416هـ-1995م، ص 777.

<sup>3</sup> - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، 1393هـ-1973م، ص 295.

# الفصل الثالث

## المستوى التركيبي

: الجملة في القصة النبوية

: ثانيا

: الانزياح التركيبي وتحولات الرتبة

## أولاً- الجملة في القصة النبوية:

قبل الحديث عن الجملة في القصة النبوية، لا بد من الإشارة إلى موقف النحاة من الحديث النبوي وقد كان للنحاة المتقدمين من هذه المادة اللغوية موقف يتميز بالصدِّ عنها، والإعراض عن الاحتجاج بها، إلا في مواضع نادرة، رغم ما عُرف به الرسول ﷺ من فصاحة وبلاغة، و« من المعروف المستفيض أن الحديث النبوي الذي وصل إلينا ليس كله كلام الرسول ﷺ لفظاً، ولكنه كلامه معنى، أي أنّ الرواة لم ينقلوه بلفظ الرسول ﷺ، بل حسبهم أنهم حافظوا على المعنى الذي أراده، وخلطوا لفظه بألفاظهم»<sup>1</sup>؛ أي فيه من القول ما كان ضمناً لا حرفياً، ذلك أن الهدف هو ترسيخ المعنى المراد من حديثه ﷺ دون الحاجة إلى القلب الشكلي اللغوي الذي يحويه؛ وأن الحديث النبوي ليس كله بلفظ النبي ﷺ فالغالب ليس منه إنما هو بألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين: « ورواية الحديث بالمعنى عند السيوطي ظاهرة ظهوراً بارزاً، فلا تحتاج إلى تدقيق أو تأن في النظر، إذ يقول: ومن نظر في الحديث أدنى نظر عليم عليم اليقين أنهم يروون بالمعنى»<sup>2</sup>. يسمعون من الرسول ﷺ ثم يروون بالمعنى.

بيد أن هناك من يعارض بالقول، أنّ فصاحة النبي ﷺ لا تضاهيها فصاحة، وأسلوبه لا يقاربه أسلوب « وذهب طائفة من النحاة منهم ابن خروف، وابن مالك، وابن هشام»<sup>3</sup>، إلى صحة الاحتجاج بالحديث النبوي، وقد عبر أبو حيّان النحوي، عن ذلك في سياق إنكاره ما بدر من ابن مالك من التوسع في الاستشهاد بالحديث، إذ قال: « وقد أكثر هذا

<sup>1</sup> - محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، إفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2010م، ص 50.

<sup>2</sup> - خليل بنان الحسون، النحويون والحديث الشريف، دار جرير، عمان-الأردن، ط1، 1436هـ-2016م، ص 15.

<sup>3</sup> - محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربي، أضواء السلف، الرياض، ط2، 1417هـ-1997م، ص 06.

المصنف من الاستشهاد بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية، في لسان العرب، وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره»<sup>1</sup>، ومهما كان الخلاف فالحديث النبوي الشريف « وصل إلينا بمحكم لفظه، وأنَّ بعض الأحاديث قد رُوِيَ بالمعنى للضرورة، مع التحرز البالغ من التغيير المخل، لأن شرط الراوي بالمعنى، أن يكون من أهل الضبط والإتقان، والحفظ واللغة العربية»<sup>2</sup>.

وتتزامن فصاحة الحديث وبلاغة القرآن الكريم، الذي قال فيه الوليد بن المغيرة: « والله إنَّ لقوله لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّه لثمرٌ أعلاه، مغدقٌ أسفله، وإنَّه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنَّه ليحطم ما تحته»<sup>3</sup>، فالمقصود من قوله هنا القرآن الكريم، والذي فوضه الله عز وجل بلسان نبيه ﷺ فتملك الحديث الرونق والبلاغة وجمال الأسلوب، وجاء على نفس نسق روعة بيان القرآن، كيف لا وهو الذي لم ينطق عن الهوى، إنما هو وحي يوحى، أهر أهل البيان، وأعجزهم، فهو عليه الصلاة والسلام « لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حفَّ بالعصمة، وشدَّ بالتأييد ويُسَّر بالتوفيق... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح من معناه، ولا أبين من فحواه، من كلامه ﷺ »<sup>4</sup>.

وقد أجمع أهل البيان حين الحديث عن كلامه عليه الصلاة والسلام، بأنه أفصح كلام بعد القرآن الكريم وأبينه، وأنه بعيد عن الصنعة والتكلف والغريب والحوشي، وأن أسلوبه مبسط حين يكون التبسيط مطلوباً، وموجز حين يتطلب الموقف ذلك: « وكان أسلوب

<sup>1</sup> - خليل بن بيان الحسون، النحويون والحديث الشريف، ص 13.

<sup>2</sup> - محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربي، المقدمة، ص أ.ض

<sup>3</sup> - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 271.

<sup>4</sup> - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، بيروت، ط 4، ص 131، وجاء في البيان والتبيين، ج 2، ص 08.

الرسول ﷺ فيما اثر عنه من حديث صحيح أو خطبة من أروع أساليب البيان اللغوي»<sup>1</sup>، من حيث انتقاء العبارة وتوظيف أجمل الأساليب والتراكيب، وأكثرها تميزاً وظهوراً لآداء المعنى، آداءً جيداً وبلفظ منتقى حرصاً على إيصال الفكرة وتعميمها.

أما من حيث التركيب، فيتسع ظل الجمال من اللفظة إلى الجملة، في الحديث النبوي، ونجد أن الجملة لا تقل عن اللفظة ثراءً وبراعة، ففيها من مناطق النفوذ البلاغي ما يجعلها حلقة مهمة من أهم حلقات البحث في جماليات الأسلوب القصصي النبوي، وقاعدة أساس في تكوين المعنى الدلالي، فمجموع اللفظ يترجم في صيغة الجملة وتراكيبها ومستوياتها، خاصة البلاغية منها؛ بوصفها مستودعاً يضم مجموعة من الألفاظ تفتح المجال للباحث لأن يجري نظره في امتداد دلالاتها، وأثرها البليغ على جو القصة العام.

وحين دراسة الجملة وأساليبها، وجب الوقوف عند تعريف الجملة التي هي مجال النظر في هذا الفصل، فيرى أهل اللغة أن الجملة هي: التي تفيد معنى يحسن السكوت عليه؛ فمن أئمة النحو البصريين، نذكر المبرد (ت: 285هـ) الذي تناول الجملة تناولاً صريحاً في كتبه، وهي عنده كل تركيب يحسن السكوت عليه؛ حيث قال في معرض حديثه عن الفاعل: «وإنما كان الفاعل رفعاً لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليه، وتجب بها الفائدة للمخاطب»<sup>2</sup>؛ إذ يشترط في الجملة أو الكلام حدوث الفائدة؛ أي نقل رسالة أو معلومة مفيدة إلى المخاطب، وإن أول من أطلق مصطلح الجملة ليس "سيبويه"، لأن هذا الأخير أشار فقط إلى معنى الجملة في المسند والمسند إليه، بينما الفضل في استخدامه يعود إلى "المبرد"، فالجملة في رأيه "الابتداء والخبر والفعل والفاعل"<sup>3</sup>، وهذا يعني أن الجملة ما تألفت من مبتدأ وخبر، أو من فعل وفاعل.

<sup>1</sup> - محمد مصطفى هدار، دراسات في الشعر العربي، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1983م، ص34.

<sup>2</sup> - المبرد، المقتضب، تح. محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، 1399هـ، ج1، ص08.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج2، ص54.

أما عبد القاهر الجرجاني فقد عرف الجملة قائلاً: «اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة؛ فإذا ائتلف منها اثنان، فأفاد نحو: خرج زيد، سمي كلاماً وسمي جملة»<sup>1</sup>. فالجملة هي كل عملية إسنادية مفيدة.

والجملة العربية إنما تتكون من ركنين أساسيين هما: المسند (المحكوم به) والمسند إليه (المحكوم عليه). وعنهما قد تحدث سيويه مبيناً أهميتهما في الكلام بقوله: «وهما مما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدءاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه»<sup>2</sup>، وهو قولك: (عبد الله أخوك)، ومثل ذلك "قولك: (يذهب زيد)، فلا بد للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأول بدءاً من الآخر في الابتداء»<sup>3</sup>، فالمسند والمسند إليه، هما أساس التركيب اللفظي، وما دون ذلك يعد فضلة تدخل في إتمام المعنى.

وقد بين في المسار نفسه أن المسند إليه هو المتحدث عنه أو المحدّث عنه، ولا يكون إلاّ إسمياً وهو المبتدأ الذي له خبر، وما أصله ذلك، كالفاعل ونائب الفاعل والمسند هو المتحدث به أو المحدّث به، وهكذا نجد أن أهمية هذين الركنين، تتمثل في تعلق أحدهما بالآخر، تعلقاً يتيح لملامح الدلالة، أن تتسع عبر هذا الربط الإسنادي المهم، ومن هنا نستطيع القول: بأنّ الإسناد هو نواة الجملة ومحور العلاقات فيها: «إنّ المعنى التقليدي للجملة هو أنّها تعبر عن معنى تام، وإذا كانت الكلمات تمثل الأجزاء التي تتكون منها الجملة، فإن معنى الجملة، يعتمد أساساً على معنى مكوناتها، أي معنى الكلمات في الجملة، هذه الوظائف النحوية، تسهم هي الأخرى في تحديد معنى الجملة»<sup>4</sup>، ذلك أنّها ليست مجرد

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، الجمل، تج. علي حيدر، دمشق، ص40.

<sup>2</sup> - يقصد بذلك الخبر.

<sup>3</sup> - سيويه، الكتاب، ج1، ص48.

<sup>4</sup> - صلاح الدين حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط1، ص54.



تتابع للكلمات على هيئة مخصوصة فقط، بل هي شكل ومضمون، لفظ ومعنى، أي أن « للجملة نمطاً لغوياً يمثل الملفوظ الذي يتألف من مجموع العناصر، المترابطة داخلها، ومحتوى دلالياً إخبارياً، يمثل الرسالة التي تنظم الخبر المنتقل من المرسل إلى المتلقي»<sup>1</sup> فهي كل لفظ مركب مفيد.

وقيام نظرية النظم لدى عبد القاهر الجرجاني على أقسام نحوية، يكشف شيئاً من أهمية هذا الدرس في حقول البلاغة والنحو، يقول عبد القاهر: « اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت له، فلا تخل بشيء منها»<sup>2</sup>.

وبناء على ذلك يتبين أنه لا يمكن أن تفيد الجملة معنى إلا إذا اتصل المسند بالمسند إليه، فمن تعاضدهما تستنطق الأفكار والمعاني التي يحفل بها النص، إذ إن "الإسناد أصل الفائدة ومناطها، فليست معاني الشعر وقضايا الفكر وروايات التاريخ، وأصول العلوم كلها إلا فِكراً ومعاني ودلالات هي ولائد الإسناد وبناته، والإسناد يعني: أن تثبت الشيء للشيء أو تنفيه عنه، كقولك: جاشت أشواقه، فقد أثبت الجيشان للأشواق، فالجيشان مثبت، والأشواق مثبت له، فلو قلت: الأشواق.. الجيشان.. لم تفد شيئاً، وإنما أفدت بالإثبات، وبأن قلت جاشت أشواقه، فأثبتت للأشواق فعلاً وحدثاً هو الجيشان"<sup>3</sup>.

والجملة بتركيبها هذا في النص القصصي النبوي تستدعي الوقوف على صفحاتها، والعناية بدراستها دلالياً ومعنوياً، والتوسع في دراسة سياقها وقرائن المعنى المتعلقة بها، وأنماط

<sup>1</sup> - عبد الحميد دباش، دور التركيبية في فهم وإفهام القرآن الكريم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، ع3، 2003م، ص97.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص81.

<sup>3</sup> - د. محمد أبو موسى، خصائص التركيب، ص77.

البناء وطرائق الإسناد والنهوض بمهمة الربط بين أحداث هذا النص القصصي، عن طريق تصرف أوجه الجملة بوصفها معطى يسهم في إغناء أدوات البحث والنظر في بناء القصة ودلالاتها، خاصة وأن الأسلوبية تنطلق « في التحليل التركيبي من دراسة جزء من الجملة أو الجملة كاملة إلى دراسة الفقرة ومن ثم النص بأكمله، فنقطة البدء تتركز على الجزئيات وصولاً إلى كلية العمل الأدبي »<sup>1</sup>.

والجملة في النحو العربي اسمية وفعلية، ولكل قسم مميزات وخصائص تعبيرية نبه إليها العلماء قديماً وحديثاً « من ذلك أن الجملة الإسمية تفيد -عادة- ثبوت المعنى أو الصفة للشيء من غير أن يقتضي تجدد شيئاً فشيئاً، في حين أن الجملة الفعلية تفيد عادة التجدد والتغير شيئاً فشيئاً»<sup>2</sup>، فالأصل في الوصف هو الثبات سواء أكان إيراد مشهد داخلي أو خارجي فردي أو متعدد؛ بحاجة إلى الدلالة الاسموية المعرفة له، وخصائصه، ولمميزاته الثابتة التي يُعنى بها، أما المشهد الفعلي، فهو ذلك التصوير القائم على مجموع الأحداث الماضية والحاضرة، والمتداخلة فيما بينها بصدد إحداث العملية السردية القصصية.

### 1- الجملة الاسموية:

الجملة الاسموية هي الجملة التي تبدأ بالاسم وتعتمد في تركيبها على المبتدأ والخبر، « فإذا كان المسند متأخراً عن المسند إليه، فالجملة لا بد أن تكون اسمية أياً كان نوع المسند،

<sup>1</sup> - أماني سليمان داود، الأسلوبية والصوفية: دراسة في شعر الحسين بن منصور الخلاج، دار الحوار سورية اللاذقية، ط6، 2011م، ص89.

<sup>2</sup> - لخضر بلخير، البنية اللغوية لروميات أبي فراس الحمداني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص133.

وإذا تقدم المسند، وكان فعلاً أسند إلى الفاعل الموجود، في الجملة نفسها، كانت الجملة فعلية»<sup>1</sup>.

فالكلمات ترتبط بعضها ببعض حسب قوانين لغوية خاصة بالنظام النحوي «حيث إن لكل كلمة دلالتها الصوتية أو الصرفية أو المعجمية، وبذلك فإنه حين تتركب الجملة من عدة كلمات تتخذ كل كلمة موقفاً معيناً من هذه الجملة»<sup>2</sup>، بحسب هذا النظام؛ بمعنى أن المستوى التركيبي يهتم بدراسة جميع مظاهر الكلام، فهو يدرس العلاقة بين المفردات داخل نظام الجملة، ودلالة هذه العناصر والتراكيب «وهذا ما يعالجه علم التراكيب، الذي يدرس الدوال ضمن السياق الكلي الذي يرد فيه، وهذا قصد استخراج الدلالة الخاصة بالتركيب»<sup>3</sup>.

وتجدر الإشارة، إلى أن الجملة الاسمية كانت خادمة للبنية القصصية، واعتمد توظيفها بشكل ثانوي، مدعم للبنية الفعلية الخادمة للحدث. وقد وظفها الرسول ﷺ في مواضع التقرير والوصف، كما يظهر في قصة جبريل عليه السلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: «ما الإيمان». قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام. قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك، قال: متى الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها، إذا ولدت

<sup>1</sup> - د. محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2003م، ص38.

<sup>2</sup> - عبد الرحمان حجازي، الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي، دراسة أسلوبية، ص173.

<sup>3</sup> - كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة العربية، ط3، 2001م، ص62.

الأمة ربتها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهيم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ثم أدبر فقال: رُدُّوه، فلم يروا شيئاً، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»<sup>1</sup>، فقد جاءت الجملة الاسمية هنا بمبدأ التعريف والدلالة عن الإسلام والإيمان؛ أما ما يترتب عنهما فقد استلزمت فيه الجملة الفعلية، فنلمس في الحديث أنَّ الاسم جاء ركيزة أساسية لإيراد الوصف والشرح المراد تبليغه من الحديث المعروف.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿بينما رجلٌ يمشي، قد أعجبتَه جمته وبرأده، إذ خُسِفَ به الأرضُ، فهو يتجلجلُ في الأرضِ حتى تقوم الساعة﴾<sup>2</sup>، فقد دل الضمير (هو) على المسند إليه في الجملة، ألا وهو ذاك الرجل الذي تبين حاله في صورة وصفية، اعتمدت على البنية الدلالية الاسمية المصورة في صورة الفعل، (يتجلجل) فهي في محل رفع خبر، يُقرُّ على حال ومآل هذا الرجل.

ومثل ذلك ينطبق على هذا السند النبوي فعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمْرُونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أَمْتِي هَذِهِ؟ قِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: أَنْظِرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمَلَأُ الْأَفْقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، مج1، ص18-19.

<sup>2</sup> - صحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم التبخر في المشي مع إعجابه بثيابه، الحديث رقم: 5486، ص803.

<sup>3</sup> - صحيح البخاري، كتاب: الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، مج4، ص11.

ذلك أنّ، الكلمات الأساس في الحديث، تنبني على ما هو اسمي (الني ليس معه...) (السواد) (هذه أمتك). التي تعكس مراد القول، ومعنى الحديث، المتمثل في وصف المشهد في صورته الظاهرية، والمتعددة التراكيب، فمقام النبي مشهد، وحال الأقسام مشهد، وصورة أمة محمد ﷺ مشهد آخر.

## 2- الجملة الفعلية:

جاءت معظم جمل القصص النبوي فعلية؛ لأن الجملة الفعلية ذات طاقة حركية، تسهم في تفعيل الحكمة، وتأزيمها توتراً وتعقيداً ودرامية، كما أن الجمل الفعلية دالة على الحركة والحيوية، من خلال تتابع الأفعال، استرسالاً أو تضميناً، « ويقصد بها تلك الجملة التي يكون المسند فيها فعلاً تقدم أو تأخر، لأنها تقوم على أساس الفعل»<sup>1</sup>.

وما دامت القصة النبوية تقوم في أساسها على غرض الهداية والدعوة، والنصح والإرشاد، والترغيب والترهيب، وما دامت سرداً لأحداثٍ فهي تحتاج إلى التجدد والاستمرار، وإلى الحيوية والبعث وإلى الإقرار والتأكيد، حتى تكون صالحة بدورها لكل زمان ومكان، وملائمة لكل سياق ومقام.

فالمتأمل لحركة الزمن في القصة النبوية، يجد أن لها اتجاهات تتحرك فيه، وهو الاتجاه الزمني نحو الأمام في أغلب النصوص، ولهذا نجد حتى القصص التاريخية، تأتي في سياق زمني يتجه إلى الأمام، ففي هذا النوع من القصص تبدأ الحادثة التاريخية من نقطة انطلاق محددة من الزمن، ثم تمضي متحركة إلى الأمام، ولم تخرج أغلب النصوص عن هذا الأسلوب حتى في الحدث الكبير الذي يمكن أن تعرض أجزأه مستقلاً بعضها عن بعض، ومن ذلك قصة

<sup>1</sup> - علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، الدار العلمية الدولية، ودار الثقافة للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2002، ص31.

هاجر وإسماعيل عليه السلام، وقد جمعت أكثر من حدث في سلسلة من الحلقات، جاءت متدرجة مع الزمن، سيراً إلى الأمام يوضح ذلك كثرة استعمال الأفعال، ماضية ومضارعة وذلك على النحو الآتي:

جاءت البداية من البيت الحرام حين: «جاء بها إبراهيم، وبانها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه، فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة، يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاً فيه ماء، ثم قفى إبراهيم مُنطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب؟ وتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيئنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه، فقال: ﴿ربنا إنني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع﴾ حتى بلغ ﴿يشكرون﴾...».

حالة الغربة والوحدة التي عاشتها هاجر: «وجعلت أم إسماعيل تُرضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً...».

هاجر مع الملك: «فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت صه. تريد نفسها، ثم تسمعت، فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت، إن كان عندك غواث. فإذا

هي بِالْمَلِكِ، عند موضع زمزم، فبحث بعقبه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت تُحَوِّضُهُ وتقولُ بيدها هكذا، وجعلت تُغْرِفُ من الماءِ في سِقَائِهَا، وهو يفور بعد ما تُغْرِفُ...».

ثم ها هي تلتقي بالرفقة من جرهم، وتستقبل التماسهم في طلب شيء من الماء: «فكانت كذلك، حتى مرَّت بهم رُفْقَةً من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً. فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لَعَهْدُنَا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جَرِيًّا أو جريين، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا، قال: وأمُّ إسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء...».

إسماعيل حين شب وترعرع وبلغ: «وشب الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجته امرأة منهم...».

موت هاجر بعد زواج إسماعيل، ومجيء الخليل في هذه المدة: «وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم، بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يتغي لنا...».

ختم القصة بمجيء إبراهيم مرة أخرى، وبناء البيت: «ثم لبث عندهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل يبكي نبلا له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني قال وأعينك. قال فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً...».

وهكذا نرى التابع الزمني في تسلسل يجري مع الأحداث، ويدفع بها تصاعدياً، فلم يكن هناك بيت محرم من قبل، ولم يكن هناك ذرية لإبراهيم عليه السلام، إلا أن مسيرة الزمن في النص، كشفت عن هذا النمو، وحركة مشاهدته.

ولم يكن هذا الأسلوب في القصص الطويلة، بل نال النصوص القصيرة، فراعى هذا التطور، ومن ذلك قصة الرجل مع الكلب<sup>1</sup>، فقد جاءت على هذا النحو:

الرجل وهو ينزل البئر، ليروي ظمأه: «بينما رجل بطريق، اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب...».

ومع خروجه ورؤيته للكلب: «ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني...».

نزوله مرة أخرى ليستقي الكلب، ليحظى بالأجر والثواب: «فنزل البئر فملاً خُفّه ماءً، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»<sup>2</sup>.

ومنه فقصصه ﷺ عن بعض الأمم الماضية، كقصة أصحاب الأخدود، وحديثه عن بني إسرائيل، وعن بعض الأنبياء، حديث عن مرحلة تاريخية ماضية، يدعو المخاطب إلى أن يستلهم العبر منها، وقصصه عن تجاربه الذاتية هي قصص من واقع الحاضر بما فيها من صراع ومعاناة، وتأتي قصص اليوم الآخر وأحداث القيامة صفة يستعد كل إنسان لاستقبالها، قصص تحمل عبراً وتوجيهات وإرشادات من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل.

<sup>1</sup> - رواه البخاري، 2324، ومسلم، 2244، عن أبي هريرة ؓ.

<sup>2</sup> - رواه البخاري، 3364، عن ابن عباس رضي الله عنهما.



ولا استخدامهم ﷺ للجملة الفعلية ننظر مثلاً في قول النبي ﷺ في قصة الملائكة السيارة: « إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة، فَضُلاً<sup>1</sup>، يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحَفَ بعضهم بعضاً بأجنحتهم، حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرَّقوا عَرَجُوا وصعدوا إلى السماء. قال: فيسألهم الله عز وجل، وهو أعلمُ بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض، يسبحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك، وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجبرونك، قال: ومما يستجبرونني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرتُ لهم، فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: ربِّ فيهم فلان عبد خطاء، إنَّما مرَّ فجلس معهم. قال: فيقول: وله غفرت. هم القوم لا يشقى بهم جليسهم<sup>2</sup>».

يرغب هذا الحديث في المحافظة على الذكر، والتزام مجالسه، "وهي المجالس التي يذكر فيها كلام الله، وسنة رسوله، وأخبار السلف الصالحين، وكلام الأئمة الزهاد المتقدمين، المبرأة عن التصنع والبدع، المنزهة عن المقاصد الرديئة والطمع"<sup>3</sup>، وقد بين ﷺ في هذا النص وجهين

<sup>1</sup> - قول: (فُضُلاً) تضبط على خمسة أوجه: أحدها: وهو أرجحها (فُضُلاً) بضم الفاء والضاد، والثاني: (فُضُلاً)، والثالث: (فُضُلاً)، الرابع: (فُضُلاً) على أنها خبر لمبتدأ محذوف، والخامس (فُضُلاً)، ومعناها على جميع الروايات: أنهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق، فهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم، إنما مقصودهم حلق الذكر. وقوله: (يتبعون) فقد ضبطت على وجهين: أحدهما: (يتبعون)، من الابتغاء وهو الطلب، والثاني: (يتبعون)، من التبع، وهو البحث والتفتيش عن الشيء. ينظر: شرح النووي، 17/17.

<sup>2</sup> - رواه مسلم، 2689، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج7، ص11.

من أوجه الفضل من تلك المجالس، أولهما: يتمثل في البحث الدؤوب من الملائكة عنها، والآخر: أن من شهدها ولو لم يكن من أهلها فله حقه من المغفرة".

وقد اختار التعبير النبوي الفعل المضارع هنا، ليكون الظاهرة المؤثرة في فضائه، فجاء قوله: (يتبعون)، دالا على البحث مرة بعد مرة عن هذه المجالس، كما يفيد البحث المتجدد بتجدد تلك المجالس مهما كان زمانها ومكانها وعددها، ونجد أن استخدام هذا الفعل هنا تقف وراءه دعوة المخاطب لأن يستحضر صورة هذا البحث الجاد، فيحذو حذوه.

ومثل ذلك أيضا قوله: (حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا)، فبموازاة هذا الفعل (يملأوا) ع ما قبله من الأفعال الماضية، يتبين لنا مدى تأثيره، والدقة في اختياره إذ من خلال ذلك نستطيع أن نتصور هالة ذلك الموكب العظيم، وهو يملأ ما بين الأرض والسماء.

والتأمل في بقية الأفعال المضارعة هنا يطلعون على مدى إسهامها في رسم الصورة الجمالية لجرى الأحداث في النص: (فيسألهم) و (يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك.. ويستجيرونك.. ويستغفرونك). إنها أشبه بالموجات السريعة المتدفقة بالمعاني المتجددة، التي تتطلب من المخاطب تيقظا وانتباها، كما أنها في الوقت ذاته تدل على الفعل الإجرائي الذي من أجله استحق هؤلاء الذاكرون هذا الثواب الجزيل من الله عز وجل، وقد أفادت بطبيعتها تجدد تلك العبادات منهم مرة بعد مرة، وكأنه يشير هنا إلى ثبوت هذا الجزء لهم ثبوتا قطعيا، ما دام هذا الفعل يتجدد منهم تجددا دائما، وهي الدلالة التي رأيناها في الأفعال الماضية: (قد غفرت لهم) و (أجرهم مما استجاروا)، وقوله أيضا: (وله قد غفرت) وفي ذلك « مبالغة في إكرامهم، وزيادة في إعلاء مكانتهم، ألا ترى: أنه أكرم

جليسهم بنحو ما أكرموا به لأجلهم، وإن لم يشفَعوا فيه، ولا طلبوا له شيئاً، وهذه حالة شريفة، ومنزلة منيفة، لا خيبنا الله منهم، وجعلنا من أهلها»<sup>1</sup>.

وتطلعنا قصة وضع العبد في قبره على شيء من الآثار الدلالية الآسرة، عن طريق اختيار الأفعال الماضية والمضارعة فيها: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نَعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. قَالَ: وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ، فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيَقَالُ: لَا دَرِيَّتَ وَلَا تَلِيَّتَ، وَيَضْرِبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»<sup>2</sup>.

جاء هذا النص ليمثل المرحلة الأولى من مراحل القيامة لدى الإنسان، حين تبدأ بموته، وهي في صورتها هذه، تبين حالة انفراد الإنسان مع عمله، وابتعاده عن الناس، من أهل وأصحاب؛ ولذلك جاء تكرار الفعل في قوله: (وضع) و(تولى)، والمعنى واحد<sup>3</sup>، وهو فعل يشير إلى مقدار تلك الوحشة والوحدة في ذلك القبر المظلم، الذي لا ينوره إلا العمل الصالح.

وتتوالى الصور المفزعة في هذا النص في إثثار الفعل المضارع، المحسد لمدى هول ذلك المشهد، فالفعل (يسمع) في قوله: (يسمع قرع نعالهم) فيه إيحاء إلى شدة تعلق ذلك الميت بأصحابه الذين دفنوه، إذ لا يزال أثرهم باقياً إلى هذه اللحظة، التي جاءت فيها بداية

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ج 7، ص 13.

<sup>2</sup> - رواه البخاري، 1374، ومسلم، 2870، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - ينظر: فتح الباري، ج 3، ص 263.

النهاية لرابطة الإنسان بأصحابه، كما أن قول المؤمن: (أشهد أنه عبد الله) فيه دلالة على استمرار إقراره بهذه الشهادة من أيامه السابقة حتى هذه الساعة، وقد جاء الفعل المضارع في قوله: (فيراها جميعا) مفيدا لتجدد رؤية منزله في الجنة والنار، وذلك فيه أيضا: "زيادة السرور؛ لأنه إذا رأى المكان الذي فيه الهلكة وفيه العذاب، ثم قيل له: إن الله أبدلك بها هذا سيزداد سرورا"<sup>1</sup>.

ويتراءى لنا موكب جمالي أسر، في قصة ذهابه ﷺ مع الملكين، تبدو لنا من خلالها صيغ الأفعال والمشتقات بتأثيرها الأسلوبى البديع، الدال على أهمية هذا الدرس وأثره في النص، من خلال النظر في بعض مشاهد القصة: «رأيتُ اللَّيْلَةَ رجلين أتياني، فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرضِ المقدَّسةِ، فإذا رجلٌ جالسٌ، ورجلٌ قائمٌ، بيده كَلْبٌ من حديد، قال بعض أصحابنا عن موسى: إنه يُدخلُ ذلك الكلوب في شذقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشذقه الآخر مثل ذلك، ويلتئمُ شذقه هذا فيعود، فيصنع مثله. قلت: ما هذا؟ قالوا: انطلق. فانطلقنا حتى أتينا على رجلٍ مُضطَّجِعٍ على قفاه، ورجلٍ قائمٍ على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجعُ إلى هذا حتى يلتئمَ رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه. قلت: من هذا؟ قالوا: انطلق. فانطلقا إلى ثقب مثل التنورِ أعلاه ضيقٌ وأسفله واسع يتوقد تحته نارا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت: من هذا؟ قالوا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم، فيه رجل قائم على وسط النهر، قال يزيد ووهب بن جرير عن جرير بن حازم: وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن

<sup>1</sup> - محمد بن عثيمين، شرح صحيح البخاري، مكتبة الطبري القاهرة، ط1، 1429هـ-2008م، ج3، ص441.

يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان. فقلت ما هذا؟ قالوا: انطلق فانطلقنا، حتى انتهينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخٌ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها، فيها رجالٌ شيوخٌ وشبابٌ ونساءٌ وصبيان، ثم أخرجاني منها، فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل، فيها شيوخٌ وشبابٌ. قلت: طَوَّفْتَمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتَ. قالوا: نعم أما الذي رأيتَهُ يُشَقُّ شِدْقَهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ، فَتَحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. والذي رأيتَهُ يُشَدِّخُ رَأْسَهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. والذي رأيتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهَمَّ الزَّوَاةَ. والذي رأيتَهُ فِي النَّهْرِ آكِلُوا الرِّبَا، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَالصَّبِيَّانَ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ، وَالَّذِي يُوْقِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنِ النَّارِ، وَالِدَارُ الْأُولَى دَخَلَتْ دَارَ عَامَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشَّهَدَاءِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ قَالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ. قلت: دعاني أدخل منزلي. قالوا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك»<sup>1</sup>.

ففي مشهد الرجل المضطجع، والآخر القائم عليه بالصخرة، نجد شيئاً من آثار التدفق الدلالي لصيغ الأفعال، فنجد أن الأفعال (يهوي) و(يتدهده) و(يتبع) و(يصح رأسه) و(يفعل به مثلما فعل في المرة الأولى)، كل هذه جاءت في سياق العقوبة لهذا الرجل، وهي تشعر بالتجدد والاستمرار لهذه العقوبة إلى ما شاء الله.

<sup>1</sup> - رواه البخاري، 2791، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

يضاف إلى ذلك دخول (إذا) الفجائية: « التي تشعر دائماً أن ما يأتي بعدها حدث مثير غريب غير مألوف، فيه مفاجأة، وفيه دهشة، وهو هنا صورة الرجل القائم عليه بصخرة، ولاحظ هنا كلمة قائم وما تدل عليه من ثبوت ودوام، ثم ما فيها من احتشاد، وتيقظ، واعتماد، وضع مكانها كلمة واقف لترى الفرق الهائل، وترى جمود الحدث وموته؛ لأن قائم فيها معنى أنه قائم على عمل يباشره بحمية لا تفتر، ومنه قولهم: قامت الحرب على ساقها، لا يقولون مكانه وقفت»<sup>1</sup>.

وفي مقارنة أسلوبية بين مشهد العقوبة هنا، ومشهد الفعل الذي نال به هذا الرجل العقوبة، تتضح لنا صورة المقارنة بين المشهدين، حين قال الملكان: «والذي رأيته يشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة...». ففيه تبادل يدل على أن الجزء من جنس العمل، فكما دلت الأفعال في سياق العقوبة على تجددها واستمرارها، فقد أفادت هنا أيضاً في سياق فعله تجدد رفض القرآن منه، والنوم على الصلاة المكتوبة، والمراد بذلك «أنه لم يتلوه بالليل ولم يتفكر بما يجب أن يأتي به ويذر، من الأوامر والنواهي مثل المنافقين والفسقة... وأما من نام من غير أن يتجافى عنه لتقصير أو عجز فهو خارج عن هذا الوعيد»<sup>2</sup>.

وفي مشهد آخر يبرهن على دقة التعبير النبوي في القصة نفسها، قوله ﷺ: « فإذا رجل جالس، ورجل قائم بيده كُتُوبٌ<sup>3</sup> من حديد، قال بعض أصحابنا عن موسى: إنه يُدخِلُ ذلك الكُتُوب في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله...». فحين نجد التأمل هنا، نجد أن المشهد جاء

<sup>1</sup> - محمد محمد أبو موسى، شرح أحاديث من صحيح البخاري، ص 380.

<sup>2</sup> - شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ج 9، ص 3010.

<sup>3</sup> - الكُتُوب: حديدة معوجة الرأس. ينظر: لسان العرب، ج 13، ص 97، مادة (كلب).

متصلاً في وصفه البنائي بالمشهد السابق، وقد علق الدكتور محمد أبو موسى على هذا التشابه بقوله: «وظاهر أن كلامه ﷺ في وصف المشاهد يحذو حذواً واحداً وأعني بالحذو التشابه في البناء، حتى إنك لترى بعض الجمل تتكرر فيها الكلمات من مثل قوله: "فأتينا على رجل مستلق لقفاه" وقوله: "وأتينا على رجل مضطجع". الفرق في صفة الرجل، وقوله: "وإذا آخر قائم عليه بصخرة"، وضع قوله ﷺ: «وإذا هو يهوي بالصخرة إلى رأسه فيثلغ رأسه بإزاء» وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شذقه إلى قفاه " وهكذا بقية الصور، تجد نسباً ظاهراً، في سمت بنائها وكأن هذا السمت الواحد هو الذي يضم نشرها ويجمع آخرها بأولها»<sup>1</sup>.

وقد جاءت ألفاظ هذا المشهد بأفعال وأسماء ترتصف فيها معاني الثبوت والدوام، أو التجدد والاستمرار، فقوله: (مستلق) دال على الثبوت على هيئة الاستلقاء وهو على حالة التعذيب هذه، وقوله: (يشرشر شذقه إلى قفاه) أي: "يقطعه شقا، والشذق جانب الفم"<sup>2</sup>، وهي صورة تدل أيضاً على تجدد ذلك القطع واستمراره، بدلالة قوله: «ثم يفعل بشذقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شذقه هذا، فيعود فيصنع مثله».

وحين نطالع قوله: (حتى يصح) و (ويعود فيفعل ما فعل المرة الأولى)، نجد أنه ﷺ آثر توسيع دائرة المشهد هنا بهذه الأفعال، ليجعلنا أمام صورة ذلك الكلوب، متأملين خط سيره من الشذق إلى القفا، ومن المنخر إلى القفا، ومن العين إلى القفا، وكأنها خارطة تشريح موجع، تجعل الصورة أكثر وضوحاً.

ولعل النظر في فعل هذا الرجل، يجعلنا ندرك بوعي، لم كل هذا الرسم لهذه العقوبة: «أما الذي رأيتَه يُشق شذقه فكذاب يُحدِّث بالكذبة، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق،

<sup>1</sup> - د. محمد محمد أبو موسى، شرح أحاديث من صحيح البخاري، ص 374.

<sup>2</sup> - ابن رجب الحنبلي، فتح الباري، ج 12، ص 553.

فيصنع به إلى يوم القيامة...»، وهذا التبادل الوظيفي بين أفعال هذا المشهد، وصورة تلك العقوبة يكون المتلقي على حذر من سوء عاقبة الكذب، وما الكذب إلا عادة من عادات هذا الرجل، وهذا مما يؤكد استحقاقه لهذه العقوبة، كما أن الفعل المضارع في قوله (تبلغ الآفاق) يفيد " أنه رجل محترف لهذا الضرب من التدليس والتزوير، والتزييف، والتليس، وأن الكذب صنعة يعكف عليها، يزينها فتروج عنه"<sup>1</sup>.

وقد يعدل ﷺ عن الفعل المبني للمعلوم، إلى الفعل الذي لم يسم فاعله أي: (المبني للمجهول)، ومن ذلك ما جاء في قصة الرجل الذي يطرح في النار، ويجمع عليه أهلها ليسألوه عن سر هذه العقوبة: « يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه...»<sup>2</sup>، فنجد قوله: (يُجاء) و (يُلقى)، و (يُطحن)، وهي أفعال بنيت لما لم يسم فاعله، فلم يذكر من الذي يجيء به ويلقيه ويطحنه لتوفير العناية بالحدث، وتحقيق حصول الخبيء والإلقاء والطحن، فهذا هو المهم ولا غرض في ذكر الفاعل وبيان من هو، « وذلك عنوان الإكراه والحمل على الفعل، وكل كربه للنفس، تساق إليه سوقاً، ولا تقدم عليه إرادة»<sup>3</sup>. لأهمية الحدث وهول الموقف.

وفي قوله ﷺ: « بينما رجل يسوق بقرة، إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث»<sup>4</sup>.

وفي رواية: « بينما رجلٌ راكبٌ على بقرة، التفتت إليه، فقالت: لم أُخلق لهذا خلقت للحرثة»<sup>5</sup>. فنجد أن قوله: "(راكب) جاء ليدل على ثبوت هذا الرجل، وتمكنه فوق

<sup>1</sup> - محمد محمد أبو موسى، شرح أحاديث من صحيح البخاري، ص 399.

<sup>2</sup> - رواه البخاري، 3267، ومسلم، 2989، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - د. كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص 169.

<sup>4</sup> - رواه البخاري، 3663، ومسلم، 2388، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>5</sup> - رواه البخاري، 2324، عن أبي هريرة رضي الله عنه.



ظهر هذه البقرة، ليأمرها بما يشاء، كما أن قول البقرة: (لم نخلق لهذا)، يشير إلى أن ذلك من عند الله عز وجل، الذي جعل كلاً ميسراً لما خلق له، وقد "أنطقها الله بذلك زيادة في الآية المعجزة"<sup>1</sup>.

وقد يحدث استخدام الفعل المبني لما لم يسم فاعله، أثراً اجتماعياً يتعلق بهدف القصة، وذلك في مشهد من مشاهدنا، كما في قصة المتصدق على السارق والغني والزانية، حين قال ﷺ: « فأصبحوا يتحدثون: تُصَدِّقَ على سارق. فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصَدِّقَ الليلة على زانية»<sup>2</sup>. فحديث الناس وتعجبهم يطلعنا هنا على المغزى الدلالي من مجيء هذا الفعل في قوله: (تُصَدِّق)، وهو: "إخبار في معنى التعجب أو الإنكار"<sup>3</sup>، وقد نجد هذا الفعل مختزلاً لبعض الألفاظ، بإيجاز يؤديه، لا يمكن أن يؤديه غيره.

### ثانياً: الخبر والإنشاء:

نظر النحويون إلى الجملة من حيث تركيبها الشكلي الظاهري السطحي، باعتماد معيار الإسناد فيها وطبيعة المسند، فقسموها إلى جملة اسمية وجملة فعلية، في حين نظر البلاغيون إلى الجملة بكونها وحدة دلالية بالنظر إلى اهتمامهم بالمعنى، فقسموها تقسيماً دلالياً إلى خبرية وإنشائية وقد تواتر في كتب البلاغة أن الجمل تنقسم من حيث احتمالها للصدق والكذب إلى قسمين: خبرية وإنشائية.

### 1- الجمل الخبرية:

<sup>1</sup> - ابن بطلان، شرح صحيح البخاري، ج6، ص459.

<sup>2</sup> - رواه البخاري، 1421، ومسلم، 1022، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - أحمد الكرواني، الكواكب الدراري، شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1401هـ-1917م، ج7، ص191.

فالخبر لغة: «النبا، والجمع أخبار، وأخبار جمع الجمع. فأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة: 04)، فمعناه يوم تزلزل تُخبر عما عمل عليها، وخبره بكذا أخبره: نبأه»<sup>1</sup>. وأما الإنشاء فهو في اللغة: الابتداء والابتداء<sup>2</sup>، وقد جاء لفظه في قوله تعالى: ﴿أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (الأنعام: 133). يقول الزجاج (ت: 311 هـ) في معنى (أنشأ): «يقال: أنشأ الله الخلق إذا خلقه وأبداه، وكل من ابتدأ شيئاً فقد أنشأه، ومن ذلك قولك: فأنشأ الشاعر يقول، أي ابتدأ عن نفسه»<sup>3</sup>.

وقد درج البلاغيون على القول: بأن الجملة الخبرية: ما تحمل الصدق والكذب لذاتهما، والإنشائية: ما لا تحمل الصدق والكذب لذاتهما، فابن الشاط المالكى (ت: 723 هـ) يرى أن: «الخبر ما يلزمه الصدق والكذب، والإنشاء ما لا يلزمه ذلك»<sup>4</sup>. وهذا ما ذهب إليه الخطيب القزويني صاحب الايضاح، حين قوله عن الخبر «والخبر هو كلام يحتمل الصدق أو الكذب، وله نسبتان: نسبة كلامية تفهم من الخبر، ونسبة خارجية تفهم من واقع الخبر»<sup>5</sup>.

ولكل من الخبر والإنشاء بلاغته في موضعه الذي يستدعيه، كما أنهما (أي: الخبر والإنشاء) «وإن كانا نوعين متكافئين لا سبق لأحدهما على الآخر في المعنى، لكن الخبر في

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص10، مادة (خبر).

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج14، ص252، مادة (نشأ).

<sup>3</sup> - أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل شبلي، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ - 1977م، ج2، ص293.

<sup>4</sup> - أبو القاسم الشاطبي، ادرار الشروق على أنواء الفروق، دار إحياء الكتب العربية مصر، 1374هـ، ج1، ص37.

<sup>5</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، ص35.

اللفظ، والوضع أصل، والإنشاء طارئ عليه، وكل طارئ على شيء لا بد له من دلالة، وتلك الدلالة في الإنشاء إما لفظية أو معنوية<sup>1</sup>.

كما أن لكل من الخبر والإنشاء دلالة الخاصة به، فالخبر حكاية خبرية تقريرية، تُلقى لتحقق دلالة أصلية أو فنية، قد تصدق مع الواقع أو تتنافى معه، أما الإنشاء فيقصد بدلالته التعبيرية إنشاء المعنى الذي يحرك مخيلة المتلقي، ويغير فكره، ويُشبعُ مشاعره دون النظر إلى مطابقة الواقع.

أ/ الخبر: (أغراضه، وأضرابه، ومؤكداته):

وبعد عرض مفهوم الخبر والإنشاء في مطلع هذا الفصل نتناول الآن ما يظهر من شواهد القصة النبوية بالتحليل البلاغي المتصل بالجملة الخبرية؛ لأن لها أحوالاً شتى، ولكل حال فيها أسلوب وتركيب يؤثر في دلالتها، من خلال نطق السياق بتلك الدلالة.

### 1- أغراض الخبر:

تتنوع أغراض الخبر بالنظر إلى تفاوت أحوال المخاطب وتعددتها، إضافة إلى حذق المتكلم ونفاذ بصيرته في نقل مضمون الخبر إلى المخاطبين، وهي مهارة إن أتقنها المتكلم بلغ كلامه بعد ذلك شأننا يروق للناظرين، وجاء مطابقاً لمقتضى الحال.

والبيان القصصي النبوي يحمل أخباراً صادقة واقعية، بوصفه أسلوباً يمتاز عن غيره من الأساليب القصصية بخاصية الصدق الواقعي والفني، فهو أسلوب صادق في تعبيره وإحساسه، بعيد عن الصنعة والتكلف، كما أنه صدقٌ ناشئ عن الإيحاء والهداية الربانية التي

<sup>1</sup> - محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب مصر، 1418هـ - 1997م، ص100.

أوحاها الله عز وجل إلى نبيه ﷺ. والمتأمل في قصصه ﷺ يجد البراعة البيانية النبوية قد جاءت موفية مطالب الخبر وأغراضه وأضره حق التوفية، مراعية في ذلك حال المخاطب.

وقد نظر البلاغيون إلى أغراض الخبر على أساس المتكلم، فوجدوا أن له غرضين أصليين، هما فائدة الخبر، ولازم الفائدة، وقد بين ذلك الخطيب القرظي بقوله: «من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخره إفادة المخاطب إما نفس الحكم كقولك: زيد قائم لمن لا يعلم أنه قائم، ويسمى هذا فائدة الخبر، وإما كون المخبر عالماً بالحكم، كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم: زيد عندك ويسمى هذا لازم الفائدة»<sup>1</sup>. وهناك أغراض أخرى سوى هذين تستفاد من السياق، وترشد إليها القرائن.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن فائدة الخبر بطبيعة الدلالة التي تستودعها، تكاد تكون هي الظاهرة المستفيضة في القصة النبوية: «إذ القصة بطبيعتها السردية تأخذ نمط الإخبار عن جديد، وذلك بإخراج المادة الأصلية للقصة من مجال الأحداث والأحوال الجديدة إلى سامع أو قارئ، وهذا القول أيضاً له راوٍ، ويمثل الأداة الأساسية للنقل»<sup>2</sup>. ومن هنا جاءت أخباره ﷺ في قصصه من هذا الباب، إذ هو يخبر أصحابه عن أحداث ماضية أو حاضرة أو مستقبلية يهدف من خلالها إلى إفادة أصحابه بما انطوت عليه تلك القصص من عبر وأحكام وأحوال.

ولننظر مثلاً إلى حادثة الوحي، ففي صفحاتها ما يهدينا إلى دلالات الكلام في فائدة الخبر: «بينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء، جالس على كرسي بين السماء والأرض، ففرقتُ منه، فرجعت فقلت:

<sup>1</sup> - الإيضاح: ج1، ص65-66.

<sup>2</sup> - ينظر: د. محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1419هـ-1997م، ص49.

زملوني زملوني...»<sup>1</sup>. فالتأمل في هذه الحادثة يجد أنها خارجة عما اعتاده الراوي، وذلك كفيلاً بتقوية فائدة الخبر هنا وتدعيمه، كما نجد أن هذا الحدث متسلسل ومتتابع، وهو في تسلسله وتتابعه الملاحظ يتدرج على مدرجة الزمن والحدث، الذي بدأ معه التحول التاريخي المفاجئ لكل من الراوي والمخاطب.

وقد علق الدكتور محمد أبو موسى على ذلك بقوله: «لا يجوز لنا أن نغفل أننا في الحديث مع نقطة بداية أعظم وأجل حدث في تاريخ الإنسانية، وأما لم تكن نقطة تحول في تاريخ حياة محمد ﷺ، ولم تكن بداية تحول في تاريخ العرب الذين هم قوم محمد ﷺ، وإنما كانت بداية تحول في التاريخ كله»<sup>2</sup>. ولذلك كان استحضار هذه الخلفية لهذا الخبر منه ﷺ مؤثراً في فائدة الخبر، إذ هي حادثة جديدة تمثل منطلقاً جديداً لحياة جديدة، ترفل بالخير والنور للعالمين.

كما أن الحديث عن هذه الحادثة بوصفها معجزة صادقة خارقة للعادة، تجعل لهذا الخبر وفائده شأناً آخر يتمثل في قبوله وتمكينه في قلوب أصحابه، ولذا جاء خالياً من المؤكدات؛ إذ إنه بداية وحي الله له عليه الصلاة والسلام، فحديثه عنه حديث عن وحي، يلزم تصديقه وتلقيه على أي حال كان حدوثه ووقعه، ومهما كانت المفاجأة والبهجة فيه فصدقه من صدقه، كأبي بكر الصديق وخديجة رضي الله عنهما...

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ: {قيل لربي إسرائيل: ادخلوا الباب سُجداً وقولوا حطة. يغفر لكم خطاياكم، فبدلوا، فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وقالوا حبة في شجرة...} <sup>3</sup>. فقد جاءت هذه القصة مشيرة إلى النعمة التي مكن فيها أولئك القوم، فما

<sup>1</sup> - رواه البخاري، 4، ومسلم، 255، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ.

<sup>2</sup> - شرح أحاديث من صحيح البخاري، ص 36.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 3403، 4479، 4641، ومسلم: 3015، عن أبي هريرة ﷺ.

أحسنوا قبولها وما رعوها حق رعايتها، كما أنهم صدّوا عن شكر المنعم عز وجل بمعصيته فيما أمرهم به.

وتكمن فائدة الخبر هنا في بيان صفة فعل المخالفة بكل تفاصيله (فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم)، ويضاف إلى ذلك بيان عقوبة الله لهم؛ باعتبارها نتيجة لهذا الفعل، وهكذا شأن كل فائدة جديدة حين تجد قلوبا خالية فإنها تستقر فيها وتتمكن دون عناء من المتكلم، وقد ساق هذا الخبر خاليا من المؤكدات كذلك.

ونحو ذلك ما جاء في قصة استراق السمع من السماء: { إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كالسلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم. قالوا للذي قال: " الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق آخر، - ووصف سُفْيَانُ بِيَدِهِ وَفَرَجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ - فَرُبَّمَا أُدْرِكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمِعُ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرَقُهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يَدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يَلْقَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ، فَتَلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُصَدِّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يَخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَكُونُ كَذَا وَكَذَا؟ فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَتْ مِنْ السَّمَاءِ }<sup>1</sup>.

فقد جاءت هذه القصة ممثلة لصورة مثيرة للخيال، تصف وقوف المسترقين للسمع، الواحد فوق الآخر، في مشهد طولي لا يُعرف له مثل في عالم الشهادة، ومما يدعم إثارة الدهشة هنا أن هذا المشهد يتكرر كل يوم، ومع ذلك لا نعلم حجماً للمصطفين، ولا حجماً لمساحة اصطفاهم، كما أن هذه الصورة تجيء مبينة لحركة الشهاب السريع الذي

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 4800، 4701، 7481، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ينقض على الجني ليجرقه، وفي ذلك إيضاح لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبِعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (الحجر: 18).

وتتجلى فائدة الخبر هنا في إخباره ﷺ عن أمر غيبي، في عالم غيبي، كما أنه حديث عن عالم آخر من المخلوقات، له طبيعة خاصة، تغاير طبيعة عالم الإنس، وهذا ما يبعث في الكلام طبيعة تمكن فائدة الخبر في نفوس المخاطبين، بتسلسله وترتيبه واستحضار بعض الصور والمعاني الأخرى، كالفرع في قوله تعالى: ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ (سبأ: 23)، والمراد: يكشف عن الملائكة الفرع ويزال، وذلك بعد سماعهم هذا القول<sup>1</sup>، وهذا مما يزيد انتباه المخاطب، وتصوره لذلك المشهد وتمكنه في نفسه.

وفي قصة وضع العبد في قبره، نجد أن قول الملكين للعبد المؤمن: ﴿انظر إلى مقعدك من النار. قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة...﴾<sup>2</sup>، فيه فائدة تحمل في طياتها البشارة والفرح لهذا المؤمن، إذ إن فائدة العرض هنا إنما هي نوع من أنواع بشارته، وإدخال السرور عليه، جزاء صبره وثباته<sup>3</sup>.

ومهما يكن: ففائدة الخبر- كما رأينا- تمثل اقتصاداً لغوياً يرد في إخبار المخاطب بحكم جديد، يفيد به المتكلم، دون التفات إلى تطلعات إخبارية أخرى، إذ المدار على الفائدة التي تسكن هذا الخبر، ثم تصل بعد ذلك إلى المخاطب، فهي تحقق إفادة تقديم خبر جديد.

<sup>1</sup> - ينظر: شرح الطيبي، ج9، ص2993.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 184، 922، 1053، ومسلم: 905، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ.

<sup>3</sup> - د. محمد أحمد سحلول، من بلاغة الحديث النبوي، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت، ج5، ص122.

أما إذا كان المخاطب عالماً بالحكم، ويريد المتكلم أن يخبره بأنه عالم به، فذاك (لازم الفائدة) الذي هو الغرض الثاني من أغراض الخبر «وهو إفادة المخاطب بأن المتكلم عالماً بالحكم»<sup>1</sup>، وعنه تتفرع أغراض عدة، تفهم من السياق، وقرائن الأحوال، وقد بين ذلك سعد الدين التفتزاني (ت: 792هـ) بقوله: «فإنه كثيراً ما تورد الجملة الخبرية لأغراض أخرى سوى إفادة الحكم أو لازمه كقوله تعالى حكاية عن امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾ (آل عمران: 36)، إظهاراً للتحسر على خيبة رجائها وعكس تقديرها والتحزن إلى رها، لأنها ترجوه وتقدر، أن تلد ذكراً، وقوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم: 04)، إظهاراً للضعف والتخضع، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ (النساء: 95)، إظهاراً لما بينهما من التفاوت العظيم ليستأنف القاعد ويرتفع عن انحطاط منزلته، ومثله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>2</sup> إنما يتذكر أولو الألباب (الزمر: 09)، تحريكا لحمية الجاهل، ومثل هذا أكثر من أن يحصى<sup>2</sup>، فالخبر قد يلقي «لأغراض أخرى بلاغية تفهم من السياق وقرائن الأحوال»<sup>3</sup>؛ بمعنى أن للخبر أغراض أخرى غير إفادة الحكم أو لازمه، تفهم حسب السياق ومقتضى الحال .

وقد ذهب بعض البلاغيين مذهباً آخر، إذ يرون أنه ليس للخبر إلا غرضان أساسيان هما: فائدة الخبر، ولازم الفائدة، وهذان الغرضان يحملان في الوقت ذاته معاني شتى، تنبع من

<sup>1</sup> - ينظر: مفتاح العلوم: للسكاكي، ص 166، والإيضاح للقرظي، ص 44.

<sup>2</sup> - سعد الدين مسعود بن عمر التفتزاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، دار

الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م، ص 179-180.

<sup>3</sup> - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، البديع، ص 64.



هذين الغرضين، قد يكون منها إظهار الضعف، أو الاسترحام، أو الاستعطاف، أو التحسر، أو المدح، أو الفخر، أو غيرها من الأغراض، فقول المتنبي مثلاً:

وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ      كأنك في جفن الردى وهو نائمٌ  
تمر بك الأبطالُ كلمى هزيمةً      ووجهك واضحٌ وثرعك باسمٌ<sup>1</sup>

« هو خبر من النوع الثاني: لازم الفائدة، وهو في الوقت ذاته مديح له، وقول زكريا وهو يخاطب ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبًّا شَقِيًّا ﴾ فيه لازم الفائدة، وهو في الوقت ذاته يهدف من خبره هذا إظهار ضعفه وعجزه، وهكذا يكون الحسن في تدفق بعض المعاني من خلال ما تحمله من أغراض، تنتمي إلى هذين الغرضين الأصليين<sup>2</sup>. ففي البيت الثاني، فيه تقابل جمالي بين شطريه، فالشطر الأول يوحى بالعبوس وجهامة وجه المهزوم، والشطر الثاني يوحى بانتصار سيف الدولة وعزته حين طفح وجهه بالبشر والفرح.

وقد أشار ابن عاشور (ت: 1393هـ) إلى ذلك عند شرحه لقوله تعالى: ﴿

وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبًّا شَقِيًّا ﴾ وبين أن الخبرين هنا في هذه الآية الكريمة، مستعملان مجازاً في لازم الإخبار وهو الاسترحام. يقول: «والخبران في

<sup>1</sup> - ديوان المتنبي، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمان المصطفى، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م، ص296، وينظر: محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1416هـ-1996م، ص79-80.

<sup>2</sup> - ينظر: د. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني، دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 2004م، ج1، ص58.

قوله: ﴿وَهَنَّ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مریم: 04)، مستعملان مجازاً في لازم الإخبار وهو الاسترحام لحاله: لأن المخبر - بفتح الباء - عالم بما تضمنه الخبران»<sup>1</sup>.

ولعل هذا الرأي أوفى لعناصر الجمال المتعلقة بأغراض الخبر، وخصوصاً ما يتعلق بلازم الفائدة، وهو الذي يترجح لدى الباحث، فلو « افترضنا أن زياداً قد زار صديقه محمداً، فحاطبناه بقولنا: (زارك زيد البارحة) لكان الخبر من هذا الباب؛ لأنه لا يحمل عبارة مشرقة مفيدة، ولكن لو قلنا (زيارة زيد لك البارحة كانت مائعة ومثمرة)... لاختلف أسلوب العبارة والعلم بدلالاتها، وهذا الذي يتصف به الكلام البليغ الذي يمتاز من الكلام السقيم... فمشاركة المتكلم المخاطب بمعرفة الحكم كلام مفيد، بيد أنه قد لا يضيف تفرداً إجمالياً إذا حُمل الخبر على المفهوم، الحُدِّي للزم الفائدة، فحين قلنا لمحمد قبل قليل: (زارك زيد البارحة...) فقد ألقينا بطريقة تدل على استهجان، أو تعجب أو مدح... ما يجعلها ترتبط باعتقاد المتكلم ومشاعره وتصوره، فيضاف إلى باب الاشتراك في الحكم معنى جديد لم يعرفه المخاطب»<sup>2</sup>.

كما أن هذا الرأي يجيء ترجيحه من جهة مناسبته لمقام القصة النبوية أيضاً، فقياس (لازم الفائدة) بجده هذا، لا يتوافق مع طبيعة أسلوب الخبر في القصص النبوي، وذلك ما يجده الباحث في معظم الشواهد، لا من حيث إخبار النبي ﷺ ونطقه بالقصة ابتداءً، ولا من حيث أغراض الخبر المبتوثة في أساليب الحوار، فحين نجد لازم الفائدة في شاهد من الشواهد، فإننا نجد معه غرضاً آخر يعلق به، ويتشعق بوشاحه.

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج16، ص64.

<sup>2</sup> - د. حسين جمعة، جماليات الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م، ص54.

ومن شواهد ذلك مثلاً قوله ﷺ: { فيقول بعض الناس: أبوكم آدم. فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة، فعصيته، نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي!... }<sup>1</sup>.

فقد بين لنا ﷺ تنقل الناس في ذلك اليوم بين الأنبياء، وإلحاحهم في طلب الشفاعة منهم، واحداً واحداً، في صورة تنقل لنا: سؤالاً مكرراً، سبق بتعريف كل نبي بما خصه الله من خصائص، ثم أتبع بالتحضيض على الشفاعة لهؤلاء الناس عند الله عز وجل، حتى يستقر الأمر عند محمد ﷺ صاحب الحوض والشفاعة، فيشفع لهم.

والمأمل في حالة توجه الناس إلى كل نبي، وتذكيرهم باختصاصه بأمر ما، يجد أن كلا الطرفين عالم بالحكم، وأن المخاطب الذي يمثله كل نبي من الأنبياء، عالم أن الناس يعلمون اختصاص الله له بهذا الأمر، ومن هنا يحق القول: بأن لازم الفائدة هنا جاء مصحوباً بمعنى التحضيض على الشفاعة والدعوة إليها.

ومن الشواهد ما جاء في قصة الرجل الذي يعس من الحياة، حين قال ﷺ: { قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله، إذا مات فاحرقوه، ثم اذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فلما مات

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 7437، ومسلم: 182، عن أبي هريرة ؓ.

الرجل فعلاً وما أمرهم، فأمر الله البرّ فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلتَ هذا؟ قال من خشيتك يا رب وأنت أعلم. فغفر الله له<sup>1</sup>.

فقد ساق لنا ﷺ صورة ذلك الرجل في خوفه وهلعه، حين أوصى أهله بهذه الوصية التي يظن أن بتنفيذها سينتهي أمره، وذلك من شدة خوفه من الله، ولكن الله عز وجل جمعه فأحياه، ثم سأله - وهو العالم بما في نفسه-: لم فعلت ذلك؟ فبيّن الرجل أن الذي حمله على ذلك، هو خشية الله والخوف منه، وقد كانت إجابته مدعمة بالبرهان حين قال: (من خشيتك، وأنت أعلم)<sup>2</sup>، فالغرض هنا لازم الفائدة، جاء مصحوباً بمعاني الضعف والخوف والخشية من الله عز وجل.

وفي تضاعيف الحوار الذي جرى بين موسى وآدم عليهما السلام، نجد أن في قول كل منهما للآخر ما يدل على لازم الفائدة مصحوباً بمعنى الإنكار: {احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم: أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطأ لك بيده. أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ: فحجّ آدم موسى فحجّ آدم موسى}<sup>3</sup>.

فقد جاءت هذه المحاجة مسوقة مساق الإنكار؛ «فإن قلت ما وجه وقوع الغلبة لآدم عليه السلام، قلت: لأنه ليس لمخلوق أن يلوم مخلوقاً في وقوع ما قدر عليه إلا بإذن من الله فيكون الشارع هو اللائم، فلما أخذ موسى في لومه في غير أن يؤذّن له في ذلك، عارضه بالقدر، فأسكته وقيل إن الذي فعله آدم اجتمع فيه القدر والكسب والتوبة تمحو

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 7506، ومسلم: 2756، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - ينظر: د. محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1409هـ، ص505.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 7517، 3409، 2214، ومسلم: 2652، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أثر الكسب، وقد كان الله قد تاب عليه، فلم يبق إلا القدر والقدر لا يتوجه عليه لوم؛ لأنه فعل الله ولا يسأل عما يفعل، وقيل إن آدم أب موسى ابن وليس للابن أن يلوم أباه»<sup>1</sup>.  
 فالمنظرة بينهما وقعت بعد أن تاب الله على آدم قطعاً، كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (سورة البقرة: الآية 37)، فحسن منه أن ينكر على موسى لومه على الأكل من الشجرة؛ لأنه كان قد تيب عليه من ذلك، فقد روي أن آدم عليه السلام قال: {يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى، ونفخت في من روحك؟ قيل له: بلى، وعطست فقلت: يرحمك الله، وسبقت رحمتك غضبك؟ قيل له: بلى، وكتبت علي أن أعمل هذا؟ قيل له: بلى، قال: رأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قال: نعم»<sup>2</sup>.

ومن المعلوم أن كلا النبيين يعلم أن الآخر يعلم بما اختصه الله به، فموسى يعلم أن آدم عالم باختصاص الله له برسالاته وبكلامه، وكذلك آدم يعلم أن موسى عالم بأبوته للبشر، وأن الله خلقه بيده.

وفي قصة رجوعه ﷺ من الطائف، نجد أن قول جبريل عليه السلام له: {إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم...} <sup>3</sup>. جاء محملاً بجملة من تداعيات النصر والانتقام له، فجبريل يعلم علم النبي ﷺ جمعية الله معه، ولكنه أراد من خلال هذا الخبر تثبيتته بمعاني النصر، وتمكين الطمأنينة في نفسه، فجاء لازم الفائدة هنا، مصحوباً بمعاني النصر والوعد بالتمكين.

<sup>1</sup> - بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، دار الفكر، ج23، ص159.

<sup>2</sup> - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص84-85.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 3231، ومسلم: 179، عن عائشة رضي الله عنها.

وقد بيّن السكاكي أن أهل البراعة والمفلقين في الكلام، يعمدون إلى التعبير بالكلام على خلاف مقتضى الظاهر، فيما يتعلق بغرض الخبر ويرون ذلك من كمال البراعة، وإصابة الحز في أساليب الخطاب يقول: «هذا ثم إنك ترى المفلقين<sup>1</sup> السحرة في هذا الفن، ينفثون الكلام لا على مقتضى الظاهر كثيرا، وذلك إذا أحلوا المحيط بفائدة الجملة الخبرية، وبلازم فائدتها، علما محل الخالي الذهن عن ذلك، لاعتبارات خطابية مرجعها تجهيله بوجوه مختلفة»<sup>2</sup>، وعلى ذلك جاء أسلوب القصة النبوية في تفنن وتنوع في إيراد أغراض الخبر لأن "استنباط الأحكام الشرعية من الأسلوب الخبري لا يقل أهمية عن استنباطها من الأسلوب الإنشائي، وأثبت أن الكثير من الأدلة الشرعية المبينة للأحكام الشرعية، جاءت في أسلوب خبري، ويمكن القول بأنها لا تقل عن الأساليب الإنشائية إن لم تكن أكثر منها»<sup>3</sup>.

## 2- أضرب الخبر:

وبعد الحديث عن أغراض الخبر، ننتقل إلى الحديث عن أضربه، ويراد بذلك دراسة شأن الخبر من حيث التوكيد وخلافه. «فمواقف الناس عند أداء خبر من الأخبار متباينة وهذا يقتضي من المتكلم استخدام الأسلوب المناسب لكل مقام، فقد يلجأ - في بعض الحالات - إلى استعمال أساليب التوكيد لتمكين المعاني في النفوس، وإزالة ما بها من شك أو إنكار»<sup>4</sup>. هذا بحسب المقال، وما يقتضيه، «فإذا كان المخاطب خالي الذهن (أي جاهلا بالخبر)، فيحسن للبليغ إلقاء الخبر من دون تأكيد، ويسمى هذا النوع الخبر

<sup>1</sup> - المفلقين: أفلق فلان: إذا جاء بعجب، وشاعر مفلق: مجيد يجيء بالعجائب في شعره، اللسان مادة (فلق).

<sup>2</sup> - يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص 259.

<sup>3</sup> - محمد بن مشبب حنبل، الأسلوب الخبري وأثره في الاستدلال واستنباط الأحكام الشرعية، دار المحدثين القاهرة، 2007م، ص 621.

<sup>4</sup> - د. بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان، ط1، 2008م، ص 51.

الابتدائي، وإذا كان المخاطب يعرف الخبر، ولكنه يشك فيه، أو هو متردد بين ردّه أو قبوله، فيحسن للبلّغ تأكيد هذا الخبر بمؤكّد واحد، من أجل إزالة تلك الشكوك، ويسمى هذا الخبر الطلي، أما إذا كان المخاطب عالماً بالخبر، ولكنه ينكره ويردّه، ففي هذه الحالة لا بد للبلّغ استخدام وسائل التوكيد المختلفة على حسب قوة الإنكار، أو ضعفه، حتى يحصل الإقناع، ويسمى هذا الخبر الإنكاري<sup>1</sup>.

وقد روى ابن الأنباري قصة تدل على دقة هذا الدرس حتى على بعض كبار المتكلمين فقد: «ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس<sup>2</sup>، وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً! فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله قائم، فالألفاظ متكررة، والمعنى واحد. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبد الله قائم، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبد الله قائم، جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني»<sup>3</sup>.

فقد بيّن أبو العباس ببراعة جوابه هنا، ما تتمتع به العربية من دقة في التعبير، تؤدي إلى تنوع في الأساليب والتراكيب، تبعاً لتنوع المقامات والأحوال، فالجملة الخبرية قد تأتي مجردة عن التأكيد، وقد تأتي مؤكدة بمؤكّد واحد، أو مؤكدة بأكثر من مؤكّد، ولكل حالة

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 51-52.

<sup>2</sup> - الإجماع منعقد على أن الفيلسوف الكندي هو أحد طرفي القصة، إنما الخلاف في المقصود بأبي العباس الذي لم يحدد في كثير من مصادر القصة، أهو المبرد (ت: 285هـ)، أم ثعلب (ت: 291هـ)؟، ومرد هذا الخلاف أن المبرد وثعلباً متفقان في الكنية، ومتعاصران، عاشا معا في بغداد، وتوفيا فيها، وكل منهما أئمة اللغة والأدب، والذي يظهر أن المقصود بأبي العباس هو أحمد بن يحيى، الملقب بثعلب. ينظر: قصة الفيلسوف الكندي وأبي العباس حول أضرب الخبر في اللغة العربية - نقد وتوثيق -، د. هارون المهدي ميغا: 82، مجلة العرب، عدد: رجب وشعبان، 1428هـ.

<sup>3</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 315.

مقامها التي تأتي فيه، ودلالاتها المستفادة منها، وتلك إضاءة ذهنية من أبي العباس استنبطها من طبيعة الخطاب نفسه دون إجراء تنظيري أو اصطلاحى يتعلق بتحويلات الخطاب.

وقد جعل البلاغيون المناقشة التي جرت بين أبي العباس والكندي المتفلسف، من الأسس التي اعتمدوا عليها في الحديث عن أضرب الخبر، فجاء كلامهم شرحاً لها، وبياناً لمضمونها، حيث قسموا الخبر حسب حالات المخاطب واحتياجه للتوكيد إلى ثلاث أضرب هي: الابتدائي، والطلبي، والإنكاري.

### أ- الضرب الابتدائي:

وهو الخبر الذي يكون خالياً من المؤكدات<sup>1</sup>، ويقصد به أن يأتي الخبر خالياً من أي تأكيد، وهذا الضرب يُلقى للمخاطب الخالي الذهن من إسناد أحد طرفي الخبر إلى الآخر، ومن التردد فيه، على أساس أنه يتمثل في عدم علم المخاطب بمضمون الخبر وفحواه و «الأصل في الجملة الخبرية مثبتة كانت أو منفيّة أن يؤتى بها خالية من المؤكدات، حين لا يكون حال المخاطب يستدعي تأكيد الخبر له، وذلك إذا كان خالي الذهن، ليس في نفسه ضدّ مُقدّم الخبر عوامل شك أو إحجام عن قبول أخباره»<sup>2</sup>.

ومن شواهد قوله ﷺ: {تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم. قالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال كنت أمر فتياي أن ينظروا، ويتجاوزوا عن الموسر. قال: فتجاوزوا عنه}<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - د. محمد علوان، من بلاغة القرآن الكريم (المعاني والبيان والبديع)، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998م، ص36.

<sup>2</sup> - عبد الرحمان حسن حبّكة الميداني، البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط1، 1416هـ-1996م، ج1، ص178.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 3077، ومسلم: 1560، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.



رجل لم يعمل من الخير شيئاً، ولو تأملنا في تنكير لفظ (شيء) لوجدنا أنها نكرة في سياق النفي، مفيدة للعموم، وفي هذا الصدد يجيء سؤال الملائكة لهذا الرجل قبل بشارته: هل عملت من الخير شيئاً؟، « وقد صدقهم في الجواب، وليس له في ذلك اليوم إلا الصدق، فقال: لا. وأعمال العباد مسجلة لا تضيع على صاحبها ولو نسيها، وهم ينظرون في سجله ويعرفون شيئاً لم يذكره، فقالوا: تذكر وشرع يتذكر..»<sup>1</sup>. حتى جاء هذا العمل الذي حظي من خلاله بإكرام الله له. فقال: {فتجاوزوا عنه}.

ومثل ذلك قوله ﷺ: {تَقِيءُ الْأَرْضَ أَفْلاذِ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأَسْطُوانِ<sup>2</sup> مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ، فيقول: في هذا قُتِلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فيقول: في هذا قَطَعْتُ رَحْمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فيقول: في هذا قُطِعَتْ يَدِي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً<sup>3</sup>.

ففي هذا النص تحذير من التكالب على الدنيا، والتعلق ببها رجها، وقد جاء من خلال استباق زمني يضعنا في عالم الآخرة، في صورة منفرة، تتمثل في مظهر الحركة العكسية لفعل الطعام، وقد اختير مشهد التقيؤ لقبح أعمالهم وشناعتها، وقد كان المخاطبون بهذا الخبر خلاة الذهن من تصور ما سيحدث في ذلك الوقت من تلك المشاهد، غير مترددين ولا منكربين، ولذلك جاء الخبر خلوا من التأكيد، لخلو ذهن المخاطب، وخلو الذهن من الشيء يوجب استقراره فيه عند إطلاقه من غير حاجة إلى تأكيد، وهو الضرب الابتدائي،

<sup>1</sup> - محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، ص 275.

<sup>2</sup> - الأسطوان: بضم الهمزة والطاء، جمع اسطوانة، وهي السارية والعمود، وشبهه بالاسطوانة لعظمته وكثرتة، ينظر:

شرح النووي، ج7، ص99.

<sup>3</sup> - رواه مسلم: 1013، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«لأنه واقعٌ ابتداءً دون أن يسبق بطلب ولا إنكار، وخلو الذهن هو بداية الحالات الذهنية التي يكون عليها الإنسان»<sup>1</sup>.

### ب- الضرب الطلبي:

ويراد به أن يأتي الخبر مؤكداً بمؤكد واحد استحساناً، وذلك لأن المخاطب به متصور لطربي الحكم، ولكنه متردد في إسناد أحدهما إلى الآخر، وفي الوقت نفسه طالبٌ معرفته، ومتشوقٌ إليه ليزول ترددده، ويقطع شكه.

والبلاغة تستحسن في مثل هذا المقام تقوية الخبر بمؤكد واحد، يتناسب مع تردد المخاطب، ويتلاءم مع طلبه وتشوقه للخبر، تمكيناً للحكم في ذهنه، ومحوراً لهذا التردد من نفسه، وهذا هو مذهب جمهور البلاغيين. وقد نصّ السكاكي على ذلك بقوله: «وإذا ألغاهما إلى طالب لها متخير طرفاها عنده دون الاستناد، فهو منه بين بين، لينقذه عن ورطة الحيرة، استحسن تقوية المنقذ بإدخال اللام في الجملة، أو (إن) كنعو: لزيد عارف، أو إن زيدا لعارف»<sup>2</sup>.

أما عبد القاهر، فالذي يفهم من كلامه أن التأكيد إنما يحسن حين يظن المخاطب خلاف الحكم المذكور، دون حال التردد فيه، إذ إن أدنى إخبار سيمحو شكه ويزيل ترددده، فلا داعي لتأكيد الحكم له، وعلى ذلك يكون شأنه شأن خالي الذهن؛ وقد أشار إلى ذلك أثناء حديثه عن التأكيد ب(إن) فقال: «فإذا كان الخبر بأمر ليس للمخاطب ظن في خلافه البتة، ولا يكون قد عقد في نفسه أن الذي تزعم أنه كائن غير كائن، وأن الذي تزعم أنه لم

<sup>1</sup> - الشحات محمد أبو ستيت، دراسات تحليلية للفصاحة والبلاغة والإسناد، د.ت، ص 91.

<sup>2</sup> - السكاكي، مفتاح العلوم، ص 258.

يكن كائن، فأنت لا تحتاج هنا إلى (إن) وإنما تحتاج إليه إذا كان له ظن في الخلاف، وعقد قلب على نفي ما تثبت أو إثبات ما تنفي»<sup>1</sup>.

وعليه فإن الأخذ برأي الجمهور هنا يعد اقتراباً إلى حالات النفس وانفعالاتها، وأحرى بالقبول للخبر؛ لأن المتردد في الشيء عادة يكون متشوقاً إليه، طالبا وقوفه على حقيقة أمره، دون التذبذب في دوائر الحيرة والشك؛ وذلك ليزول تردده ويتمكن الحكم من نفسه، فيستحسن تقوية الحكم بمؤكد واحد، حتى ولو كان الخبر على وفق ظنه، وقد أكد ذلك الدكتور محمد أبو موسى بقوله: «وقد لحظ البلاغيون أن وجود التردد في النفس يقتضي هذا الضرب من الصياغة المؤكدة ولو كان الخبر على وفق ظن المخاطب... فإنه لوحظ أن النفس حين تتردد تصير في حاجة إلى قدر من التوثيق، وإن كان الحكم على وفق ظنها، لأن ما تظنه وتميل إليه هو أيضا في حاجة إلى توكيده، وهو ملحظ نفسي دقيق»<sup>2</sup>.

ومن شواهد ما جاء في قصة أصحاب الأخدود، حيث قال ﷺ: {حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها. فقال لها الغلام: يا أمه: اصبري فإنك على الحق...}<sup>3</sup>. فقد كان من شأن هذه الأم مع صبيها أن ترددت في الصبر على هذا البلاء العظيم، وذلك باقتحام هذه النار، والوقوع فيها، ولذلك نجد أن التثبيت إنما جاء على لسان صبيها الذي أنطقه الله عز وجل بحقيقة الأمر ومداره، حين بين أن من كان هذا حاله، فلا غرو أن يتلى بمثل هذا البلاء وأعظم، ولذلك فإن التأكيد هنا بقوله: (فإنك) وقع موقعاً جمالياً أسهم في تثبيت هذا المبدأ في قلب الأم، بعد أن كانت شاكة مترددة، فقطع الشك باليقين، والحيرة بالعلم والإبانة.

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 325-326.

<sup>2</sup> - خصائص التراكيب، ص 80-81.

<sup>3</sup> - رواه مسلم: 3005، عن صهيب الرومي رضي الله عنه.

ومن الشواهد المحكمة في هذا ما جاء في قصة ذبح الموت يوم القيامة: {يُجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة: هل تعرفون هذا؟ فيشربون، وينظرون، ويقولون: نعم. هذا الموت، قال: ويقال: يا أهل النار: هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون، وينظرون، ويقولون: نعم. هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة: خلود فلا موت، ويا أهل النار: خلود فلا موت...} <sup>1</sup>.

تمثل صورة الموت في أذهان الناس من أكثر الصور رعباً، ويأتي هذا البيان عارضاً صورة الموت حين يذبح يوم القيامة في مشهد مهيب، يجتمع له أهل الجنة، وأهل النار قاطبة، وكلهم قد جرب الموت قبل انتقاله من هذه الحياة، حيث يؤتى به في صورة الكبش، ثم يؤمر به فيذبح وينادى تكريماً لأهل الجنة (خلود فلا موت)، ونكالاً بأهل النار: (خلود فلا موت)، وقد يقال: إن الموت ليس جسماً حتى يتصور ذبحه يوم القيامة؟.

والجواب: أن هذا من الأمور الغيبية التي يجب على المرء التصديق بها، إذ هي مما أخبر الله به، وأخبر به نبيه ﷺ من أمور الغيب؛ لأن قدرة الله تعالى فوق ما نتصور، فالواجب الإيمان والتسليم، دون السؤال عن الكيفية؛ فالله «قادر على أن يجعل الأمور المعنوية كالموت أجساماً» <sup>2</sup> يوم القيامة.

<sup>1</sup> - رواه مسلم: 2849، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، جزء عم، دار الثريا للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط2، 1424هـ-2003م، ص292.

والتأكيد في هذا العرض ظاهر من خلال (كأن) التي تفيد التشبيه المؤكد<sup>1</sup>، وهو الذي يتناسب مع حال الصحابة ذاك، إذ كانوا في حيرة من مال هذا الموت الذي لم يره أحد من الأحياء، ولم يجربه حتى يصفه بعد ذلك للناس، فأصاب هذا التأكيد المحز، وطبق المفصل.

وفي قصة الحجاج بين الجنة والنار، نجد أن التأكيد جاء مشعا في تضاعيف النص، عبر (أما) المفيدة للشرط والتوكيد دائماً، وللتفصيل غالباً<sup>2</sup>، ونجد أثر ذلك التأكيد ظاهراً على المخاطب، فهو يريد أن يعلم نهاية هذا الحجاج إلى أي شيء ينتهي؟: {تَحَاجَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمَتَكَبِّرِينَ وَالْمَتَجَبِّرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَالِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمْتِي، أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي، أَعَذَّبَ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا. فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ، فَهِنَاكَ تَمْتَلِي، وَيُزَوِّي بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلٍ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا. وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عِزَّ وَجَلٍ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا<sup>3</sup>.

وقد ذكر الطيبي أن هذا النص لا يُحمل على معرفة الغلبة لمن، «لأن كل واحدة منها ليست بغالبة على الأخرى فيما تكلمت به مجرد حكاية ما اختصت به، وفيها شائبة من

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد بن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط3، 1423هـ-2002م، ص285.

<sup>2</sup> - ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1992م، ج1، ص67-68.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 4850، ومسلم: 2846، عن أي هريرة رضي الله عنه.

معنى الشكاية، ألا ترى كيف قال الله تعالى للجنة: إنما أنت رحمتي وللنار إنما أنت عذابي، فأفحم كلا منهما بما تقتضيه مشيئته»<sup>1</sup>.

### ج- الضرب الإنكاري:

أما إذا كان المخاطب منكرًا للخبر، فإنه لا بد من التوكيد، وهذا التوكيد يختلف من حيث القلة والكثرة على وفق أحوال الإنكار ومطالب قرائنه، «فإن كان إنكاره غير مستحكم في نفسه أكد بمؤكد واحد، وإن كان مستحكمًا تضاعفت عناصر التوكيد بمقدار تصاعد حالة الإنكار؛ لأن وظيفة الخبر حينئذ هي تثبيت هذا المعنى في تلك النفس الراضية له فلا مفر من أن تكون قوة العبارة ووثاقته ملائمة لحال النفس قادرة على الإقناع»<sup>2</sup>.

ويجد القارئ لأبعاد هذا الأسلوب قيامه على مبدأ التبادل في الخطاب، فكلما ازداد إنكار المخاطب للخبر، تطلب ذلك من المتكلم أن يسبر أغوار نفسية المنكر، وأن يعرف مدى قوة ذلك الإنكار حتى يتعامل معه بما يلائم إنكاره، من مؤكدات.

يقول عبد القاهر: «وأما جعلها أي: (إن) إذا جمع بينها وبين (اللام) نحو: إن عبد الله لقائم، للكلام مع المنكر فجيد، لأنه إذا كان الكلام مع المنكر، كانت الحاجة إلى التأكيد أشد، وذلك أنك أحوج ما تكون إلى الزيادة في تثبيت خبرك، إذا كان هناك من يدفعه وينكر صحته»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - شرح الطيبي، ج11، ص3596.

<sup>2</sup> - محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص810.

<sup>3</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص327.

ولننظر إلى هذا الحوار الذي ساقه ﷺ، حيث يروي ﷺ: {أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان. وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ فإنّي قد غفرت لفلان، وأحببتُ عمَلَكَ} <sup>1</sup>.

ساق لنا ﷺ هذا الحوار بين هذين الرجلين وهو حوار بدأ بمؤكد واحد من الرجل المتألي، وهو القسم في قوله: (والله لا يغفر الله لفلان)، وهو قسم ظاهر القطعية بأن الله تعالى لن يغفر لذلك الرجل، وكأنه حكم على الله، « وهذه نتيجة الجهل بأحكام الإلهية، والإدلال على الله تعالى بما اعتقد أن له عنده من الكرامة والحظ والكرامة » <sup>2</sup>.

وقد قوبل هذا الإنكار بثلاث مؤكّدات، بدأها الله عز وجل بقوله: (من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان؟)، وهو « استفهام على جهة الإنكار والوعيد، ويستفاد منه تحريم الإدلال على الله تعالى، ووجوب التأدب معه في الأحوال والأقوال » <sup>3</sup>، والمؤكد الثاني في قوله: (إني)، والمؤكد الثالث هو أداة التحقيق (قد) التي من أهم معانيها التوكيد إذ هي « تلزم الفعل ماضيا أو مضارعا، فتكون مع الماضي حرف تحقيق... » <sup>4</sup>.

ومن تلك الشواهد ما جاء في قصة النذير العريان. حين قال ﷺ: {إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإنّي أنا النذير العريان، فالتجاء. فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلبهم فنجوا. وكذّبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم،

<sup>1</sup> - رواه مسلم: 2621، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج6، ص607.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج6، ص608.

<sup>4</sup> - أحمد بن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص455.

فذلك مثل من أطاعني، فاتبع ما جئتُ به، ومثل من عصاني وكذَّب بما جئتُ به من الحَقِّ<sup>1</sup>.

بالتأمل في هذا النص نجد أن هناك مؤكدات عدة ظهرت في أجزائه وأسهمت في دعم ثقله الدلالي، كما أفادت تأكيد المعنى وإثباته، وقد شرع الطبيبي في ذكر بعض هذه المؤكدات فقال: « في قوله: (أنا النذير) إلى آخره أنواع من التأكيد، أحدها: (بعيني) لأن الرؤية لا تكون إلا بها. وثانيها: قوله: (وأنا)، وثالثها: (العريان)، فإنه دل على بلوغ النهاية في قرب العدو، وفي ذلك تنبيه على أنه الذي يختص في إنذاره بالصدق، والذي لا شبهة فيه، وهو الذي يحرص جداً على خلاصة قومه من الهلاك<sup>2</sup>. ومن المؤكدات التي لم يشر إليها الطبيبي المقصور بـ (إنما) في بداية النص وللقصر بـ (إنما) غرض بلاغي يستدعي المقام الذي وردت فيه: « فمع الابتداء بالنبرة التقريرية بـ (إن) التي دخلت على الخبر احتفاءً به، إذ أراد الرسول ﷺ إشعار قومه بأهمية هذا الأمر، فأكد بها وبالضمير وبإضافة (مثل) إليه ﷺ ثم كررها في المشبه إشارة إلى الفارق بين صفته ﷺ التي بعث بها رحمةً للبشر، وبين صفة العذاب الأليم، ومع وجود الاسم الموصول المبهم (ما) الذي جاء للدلالة على عظم الأمر الذي بعث به وجلاله وإيمانه هذا يدل على عظم خطره<sup>3</sup>.»

ومن شواهد هذا السياق، ما جاء في قصة هاجر وإسماعيل عليه السلام، حين قال قائل جرهم: {إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لِيُدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدَنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ...}<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 7283، ومسلم: 2283، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - شرح الطبيبي، ج2، ص212.

<sup>3</sup> - أسماء الخطيب - علي يونس، القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف - قراءة أسلوبية -، مجلة جامعة النجاح لأبحاث العلوم الإنسانية، المجلد 27، 2013، ص1711.

<sup>4</sup> - رواه البخاري: 3264، عن ابن عباس رضي الله عنهما.



فقد جاء هؤلاء القوم إلى هذا المكان وهو كما وصفه الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ (إبراهيم: 37)، وفي ذلك إشارة إلى انعدام الماء من أصله في ذلك المكان، إلا أن رؤيتهم لذلك الطائر جاءت بمنزلة القرينة البصرية المزيلة لتوهم الجذب والحرمان في هذا المكان.

وقد كان توهم هؤلاء القوم متمكنا في نفوسهم تمكنا جعله من المسلمات، إذ إن جذب هذا الوادي هو من الأمور المستفيضة المشهورة لدى الناس في ذلك الزمان، ولقوة هذا الإنكار، جاء التعبير مؤكدا بـ (إنَّ) أولا، ثم باللام في قولهم: (ليدور).

### 3- مؤكدات الخبر:

التأكيد « من أدق الخصائص البلاغية، وأكثرها صلة بالحس والشعور، وأكثرها شيوعا في الكلام كله»<sup>1</sup>، وهو من المصطلحات البلاغية، التي أغنت شهرتها ووضوحها عن وضع تعريف جامع مانع لها، ولذلك اكتفى كثير من البلاغيين ببيان فائدته واستغنوا عن الخوض في تعريفه، وقد عرفه ابن يعيش بأنه: «تمكين المعنى في نفس المخاطب، وإزالة الغلط في التأويل»<sup>2</sup>. ويلخص العلوي (ت: 749هـ) مفهومه، والغرض منه قائلا: «اعلم أن التأكد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإمطة الشبهات عما أنت بصدده، وهو دقيق المآخذ كثير الفوائد»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 1408هـ-1988م، ص413.

<sup>2</sup> - موفق الدين، أبو البقاء بن يعيش الموصلية، شرح المفصل للزمخشري، دار عالم الكتب، بيروت، د.ت، مج3، ص44.

<sup>3</sup> - يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مكتبة المعارف، الرياض، د.ت، ج2، ص176.

وفي القصة النبوية تبيء أهمية تأكيد مضمون الخبر القصصي بوصفه أداة من أدوات تمكين الرسالة التوجيهية، التي تستظل بظل هذا الخبر بوصفه قصة، يضاف إلى ذلك ما يبعثه التأكيد من تشويق وترقب لمضمون بالخبر، لاسيما إذا وقع في بداية الكلام، فهو أدمى إلى لفت انتباه المخاطب وترقبه، وعلى إثره تتم الاستجابة وتحقق الفائدة، فالجملة الخبرية المؤكدة هي الجملة التي دخلت عليها أداة من الأدوات التي تؤكد علاقة بين المبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل، وحين ننظر إلى الخبر في القصص النبوي نجد أنه جاء مؤكدا عن طريق عدة أدوات من أهمها:

### 1\_ (إنَّ) المؤكدة:

وهي أم أدوات التوكيد و« اتفق النحويون على أن الحروف التي يؤكد بها مضمون الجملة الاسمية هي: إنَّ وأنَّ المشددتان، وإنْ وأنْ المخففتان منهما؛ ولام الابتداء»<sup>1</sup>، وقد يجد الناظر في بعض أمثلة القصة هنا، أنه ﷺ قد يستهل القصة بهذا المؤكد، كما في قوله ﷺ: { إنَّ رجلاً ممن كان قبلكم خرجت به قرحة. فلما آذته انتزع سهماً من كنانته، فنكأها فلم يرقاً الدم، حتى مات قال: ربكم قد حرمت عليه الجنة }<sup>2</sup>.

ومن ذلك أيضا قوله: { إنَّ رجلاً ممن كان قبلكم يتبختر في حلة ... }<sup>3</sup>. فجاء بيانه القصصي ﷺ هنا مستفتحاً بـ (إنَّ) المؤكدة، ولا يخفى ما تثيره من معان تضيء بهذا التأكيد أولى عتبات النص.

<sup>1</sup> - المتولي علي المتولي الأشرم، ظاهرة التوكيد في النحو العربي، مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة، ص116.

<sup>2</sup> - رواه مسلم: 113، عن جندب ﷺ.

<sup>3</sup> - رواه مسلم: 2088، عن أبي هريرة ﷺ.

وقد تتوسط هذه الأداة في مشهد من مشاهد النص القصصي، تنبيهاً للمخاطب بعد مسافة تواصل معينة، لأن يرجع إلى انتباهه وتركيزه وسيره مع المتكلم، ومن ذلك ما جاء في قصة الحشر حين كُرر التأكيد بها في قوله ﷺ على لسان كل نبي من الأنبياء حين يأتيه الناس: {إنَّ ربي قد غَضِبَ اليومَ غضباً لم يغضبَ قبله مثله ولن يغضبَ بعده مثله...} <sup>1</sup>.

## 2\_ نون التوكيد:

ونريد نون التوكيد الثقيلة، إذ هي أشد دلالة على التأكيد من الخفيفة. قال ابن يعيش: «والمشددة أبلغ في التأكيد من المخففة لأن تكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد» <sup>2</sup>. وفي القصة النبوية نجد أن التأكيد يختصر بعض المشاهد ويدراً عنها التكرار، باعتباره مثلاً من أمثالات الإيجاز. وقد أشار الزركشي إلى أن نون التوكيد «إن كانت خفيفة كانت بمنزلة تأكيد الفعل مرتين، أو شديدة فبمنزلة تأكيده ثلاثاً» <sup>3</sup>.

وقد جاء التأكيد بها في قصة سليمان بن داود عليهما السلام: {قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفنَّ الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 7437/ ومسلم: 182، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، دار عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج9، ص37.

<sup>3</sup> - بدر الدين بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: د. زكي محمد أبو سريع، دار الحضارة، الرياض، ط1، 1427هـ-2006م، ج4، ص542.

شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون<sup>1</sup> فقد جاء قوله: (لأطوفن) قائما مقام القسم هنا، مؤكدا على شدة وثوقه بحصول مقصوده، وعزمه على ذلك، عبر هذا المؤكد .

### 3- القسم:

تقوية الخبر وتوكيده بالقسم طريقة مألوفة عند العرب في كلامهم، قال سيبويه: «اعلم أن القسم توكيد لكلامك»<sup>2</sup>. فالقسم له أثره البالغ في توكيد المعاني وتمكينها في النفس، وقد أشار السيوطي إلى هذا النوع من المؤكدات بقوله: «وفائدته: تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع»<sup>3</sup>.

ويؤكد د. خليل عودة على أن للقسم حضوراً واضحاً في الحديث الشريف، ويعده من الخصائص البارزة في جملة الحديث الشريف. يقول: «للقسم حضور واضح في الحديث الشريف، مثلما هو في القرآن الكريم، ولعله أن يكون من خصائص الحديث المميزة له، وقد عرفه النحاة بأنه يمين يُقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئاً يخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكد بها جملة أخرى، فالجملة المؤكدة هي: المُقسَمُ عليه، والجملة المؤكدة هي القسم، والاسم الذي يدخل عليه حرف القسم وهو المُقسَمُ به»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 3424، 2819، ومسلم: 1654، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - سيبويه، الكتاب، ج3، ص104.

<sup>3</sup> - الإتيان في علوم القرآن، ج2، ص104.

<sup>4</sup> - د. عودة خليل أبو عودة، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، دار البشير، عمان، الأردن، 1990م، ص489-490.

وبالمطالعة في النص القصصي النبوي نجد أن القسم جاء خبراً من الرسول ﷺ على لسان إحدى شخصيات القصة، ومن ذلك قوله: {مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنْحِنَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ} <sup>1</sup>.

ففي قسم هذا الرجل على إزالة هذا الأذى عن المسلمين، دلالة على تمكن الخير في نفسه، إذ القسم يوحي بعزمه الأكيد على إزالة هذا الضرر، وهذه النية الأكيدة والفعل الرشيد جوزي الجنة، وهو: «لم يدخلها برفع الغصن بل بتلك الرحمة التي عمَّ بها المسلمين» <sup>2</sup>.

#### 4\_ التأكيد ب (قد):

وقد أشار الرضي إلى هذا الحرف بقوله: «هذا الحرف إذا دخل على الماضي أو المضارع فلا بد فيه من معنى التحقيق» <sup>3</sup>.

ففي قصة رجوعه ﷺ من الطائف. نجد أنه بدأها ﷺ بهذا المؤكد (قد)، مسبقاً بمؤكد آخر وهو القسم، فإن اللام هي الموطئة للقسم: {لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ...} <sup>4</sup>. ولنا أن نتدبر في (ما) وما تثيره بعد هذا التوكيد من معانٍ تعبيرية تسكن نفس الراوي ﷺ، فهي على غرار قوله تعالى: ﴿فَعَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُهُمْ﴾ (طه: 78)، ففيها من جوامع الكلم الشيء الكثير، ففي مدلول (ما) تذهب نفس السامع كل مذهب، إضافة إلى التوكيد ب(قد). كما أن فيها اقتراباً للمخاطب، ووقفاً له على حالة الغربة تلك حين عاشها ﷺ.

<sup>1</sup> - رواه مسلم: 1914، عن أبي هريرة ؓ.

<sup>2</sup> - محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض الغدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ-1994م، ج5، ص664.

<sup>3</sup> - رضي الدين محمد الاسترأبادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، قد له ووضع حواشيه وفهارسه د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م، ج4، ص444.

<sup>4</sup> - رواه البخاري: 3231، ومسلم: 179، عن عائشة رضي الله عنها.

وتبدو هذه الأداة أيضا في قصة الملائكة السيارة حين خُتِمت القصة بقوله عز وجل للملائكة: {فأشهدكم أني قد غفرت لهم...} <sup>1</sup>.

فقد جاء ختام النص بالتأكيد على مغفرة ذنوب هؤلاء الذاكرين، بمؤكدين هما قوله: (أني)، و(قد) التحقيقية، التي تعتبر امتدادا لهذه الدلالة، إذ لو قال: (أني غفرت لهم) واكتفى لكان هذا الكلام مؤكّدا، لكن المقام يقتضي أن يُحشد له أكثر من مؤكد، فجاء قوله: (قد غفرت لهم) متمما للحسن ومصعّدا له.

## 2/ الأسلوب الإنشائي

قسّم السكاكي الكلام من حيث المعنى إلى نوعين: خبر وإنشاء، فالخبر عنده « الكلام المحتمل للصدق والكذب أو التصديق والتكذيب، أو هو الكلام المفيد بنفسه إضافة، أمر من الأمور إلى أمر من الأمور، نفيًا أو إثباتًا » <sup>2</sup>. أما الإنشائي فغير ذلك، أي ما لا يحتمل الصدق أو الكذب. فهو أسلوب مكثف بذاته، ليس له مرجع خارجي يطابقه أو يخالفه، فالجملة في العربية: « إن تضمنت الصد والكذب، سميت أسلوبا إنشائيا ومعنى الصدق: ما طبقت دلالاته الواقع ومعنى الكذب ما لم تطابق دلالة الكلام فيه الواقع، وإن معنى الإنشاء أن الكلام لا يحتمل الصدق لذاته، وعنى الإخبار أن الكلام، يحتمل الصدق والكذب لذاته، ويصح أن يقال لقائله أنه صادق أو كاذب لتحقق مدلوله في الخارج بعكس الإنشاء الذي لا يتحقق مدلوله في الخارج » <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - رواه مسلم: 2689، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - أبو يوسف بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص71.

<sup>3</sup> - د. علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، الدار العلمية الدولية، ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص96.

وينقسم الإنشاء إلى قسمين: طلي وغير طلي.

- **فالطلي:** ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، كالأمر، والنهي والدعاء، والعرض والتحضيض والتمني والترجي والاستفهام والنداء، أما غير الطلي، «فهو كل كلام لا يستدعي مطلوباً للتحقق والإيجاد بعد النطق به»<sup>1</sup>، كالتعجب والمدح والذم، والقسم، والشرط، صيغ العقود فهو «نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول»<sup>2</sup> وقت الطلب. والبدائية ستكون بالنوع الأول، وهو الذي اهتم به البلاغيون، وعنوا به، وذكروا أنواعه وأقسامه وأغراضه، وذلك لما يتمتع به هذا النوع من ثراء في المعاني ووفرة في الدلالات، وتعدد في الأغراض. والمقصود بالنظر هاهنا «هو الطلب لاختصاصه، بمزيد أبحاث لم يذكر في بحث الخبر، ولأن كثيراً من الإنشاءات غير الطلبية في الأصل أخبار، نقلت إلى معنى الإنشاء، ولهذا قال صاحب المفتاح، أن السابق في الاعتبار هو الخبر والطلب..وهي على ما ذكره المصنف خمسة: التمني والاستفهام، والأمر والنهي والنداء»<sup>3</sup>.

فهي إذن خمسة أنواع بحسب الاستقراء: الأمر، النهي، الاستفهام، النداء والتمني.

## 1- الأمر:

وله في اللغة عدة معاني، منها «الشأن ومنها أنه نقيض النهي»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء - دراسة بلاغية جمالية نقدية-، دار رسلان، دمشق، د.ط، 2013، ص125.

<sup>2</sup> - أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زوزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ-1987م، ص302.

<sup>3</sup> - سعد الدين التفتازاني، المطول على التلخيص، مطبعة سنده، 1310هـ، ص224.

<sup>4</sup> - ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج1، ص137-138.

وجاء في لسان العرب: «الأمر معروف نقيض النهي، أمره به و أمره، يأمره أمراً وإماراً فأتمر أي قيل أمره»<sup>1</sup>. فالأمر هو طلب القيام بالفعل، بينما النهي هو طلب الاستمرار على عدم الفعل، وجاء في أساس البلاغة «أمر إنه لأمرٌ بالمعروف فهو عن المنكر، وأمرتُ فلاناً أمره، أي أمرته بما ينبغي له من الخير، وأتمرت ما أمرتني به، امتثلت»<sup>2</sup>.

وأما في اصطلاح البلاغيين، فقد تعددت عباراتهم في تعريفه، ولكن يؤخذ من مجموعها أنه طلب القيام بالفعل على جهة الاستعلاء، وقد لاحظ الزمخشري بحسه اللغوي العلاقة بين معناه اللغوي والاصطلاحي، حيث قال: «فإن قلت: ما الأمر؟ قلت: طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه، وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور لأن الداعي الذي يدعو إليه مشبه بآمر يأمره، فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن، والشأن: الطلب والقصد، يقال: شأنت شأنه، أي: قصدت قصده»<sup>3</sup>. وصيغته هي: «فعل، فعل أمر، اسم فعل أمر، المضارع المقرون باللام، والمصدر النائب عن فعل الأمر»<sup>4</sup>. وهذه الصيغ غالباً ما تخرج عن معنى الإلزام وتكتسب دلالات جديدة.

«ولكن الأمر قد يخرج عن معناه الحقيقي، وهو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الوجوب والإلزام، للدلالة على معان أخرى يحتملها لفظ الأمر وتستفاد من السياق

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص96.

<sup>2</sup> - ابن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر بيروت، ط1، 1412هـ- 1992م، ص21.

<sup>3</sup> - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1427هـ- 2006م، ج1، ص96.

<sup>4</sup> - ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج3، ص81.



وقرائن الأحوال»<sup>1</sup>، فيتحول من أصل وظيفته، إلى معنى تعبيرى بلاغى يخرج فيه الأمر إلى دلالات شتى يمكن التماسها في السياق الذي يرد فيه.

وصيغ الأمر في القصة النبوية جاءت للدعوة لأمر الدين والدنيا، وأسلوب الأمر، اتخذه الرسول ﷺ مع غيره من الأساليب لتثبيت منهجه، في الدعوة إلى الله، وإلى طريقه المستقيم، حثاً على الخير وترغيباً فيه، وزجراً عن الشر، وتنفيراً منه، واتجاهاً للخالق عز وجل الواحد الأحد بالعبادة والطاعة.

فمن شواهد صيغة فعل الأمر، في القصص النبوي، ما جاء في قصة خلق آدم. حيث قال ﷺ: {خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يجيئونك فهي تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن}<sup>2</sup>، ففعلاً الأمر (اذهب) و(استمع) فيهما دلالة على الأمر بـ إلقاء السلام، وإفشائه بين الناس، والأمر هنا من باب الاستعلاء.

ومن شواهد الأمر بصيغة فعل الأمر كذلك قوله ﷺ: {بينما رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، ففتح ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في جرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله. فتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمساحته. فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان. للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان الذي هو

<sup>1</sup> - د. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، (علم المعاني، البيان، البديع)، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، ط1،

1430هـ-2009م، ص77.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري برقم 3326، وصحيح مسلم الحديث 2841.

لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإنني أنظر إلى ما يخرج منها، فأصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثا، وأرد فيها ثلثه<sup>1</sup>. ففعل الأمر (اسق) كان السبب فيه هي الصدقة التي لها الفضل في نماء الأموال والزروع وحصول البركة فيها. ومن شواهد الأمر ما جاء على صيغة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر كما جاء في قصة الحشر حين قال ﷺ: {ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله، من برٍّ أو فاجرٍ...<sup>2</sup>}، ففي ذلك المشهد المذهل، ينشغل كل بنفسه، وفي غمرة ذهول الناس وروعهم يجيء هذا النداء، الذي هو بمنزلة الموقظ لانتباههم: (ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون). والأصل في اللام هنا أن تستعمل في الأمر عند انتفاء الخطاب؛ لأن أمر غير المخاطب لا يكون إلا بإدخال اللام، وقد أشار المبرد إلى ذلك بقوله: «فلام في الأمر للغائب وكل من كان غير مخاطب»<sup>3</sup>، فكأنهم بانشغالهم هنا وذهولهم جميعاً جعلوا في منزلة الغائب، الذي ينبغي أن ينبه بمثل هذا النداء.

وشاهد صيغة اسم الفعل، هو ما جاء في قصة الرحم: {خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقِّو الرحمن فقال: له مه. قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت بلى يا

<sup>1</sup> - صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب الصدقة في المساكين، رقم الحديث 5299.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 7437، مسلم: 182، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، 1415هـ-1994م، ج2، ص43.

رب...} <sup>1</sup>، فقد جاء قوله (مه) اسما لفعل الأمر. قال ابن حجر: «قوله: (فقال له مه) هو اسم فعل معناه الزجر، أي: اكفف» <sup>2</sup>.

ومن أمثلة اسم فعل الأمر كذلك ما ورد في قصة "عليكم بما تطيقون". فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: "من هذه؟ قالت: هذه فلانة، تذكر من صلاتها، قال: مه، عليكم بما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه" <sup>3</sup>. ف (مه) كلمه هي وزجر، فيها أمر بالكف. وهي عند النحويين اسم فعل أمر بمعنى (اكفف)، واسم فعل الأمر (عليكم) معناه (الزموا)؛ فالمعنى أن رسول الله ﷺ «أمر هذه المرأة أن تكف عن عملها الكثير، الذي قد يشق عليها وتعجز عنه في المستقبل فلا تديمه، ثم أمر النبي ﷺ أن تأخذ من العمل بما تطيق فقال: {عليكم بما تطيقون} يعني: لا تكلفوا أنفسكم وتجهدوها، فإن الإنسان إذا أجهد نفسه، ملت وكتلت، ثم انحسرت وانقطعت» <sup>4</sup>.

وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تفهم من السياق، ومن ذلك التشويق، وهو الظاهر في قصة ذهابه ﷺ مع الملكين في قصة رحلة له وقعت في المنام، أخبر فيها عن مشاهدته للمعذبين في البرزخ والمنعمين فيه، حين قال الملكان: {انطلق انطلق، قال: فانطلقنا، فأتينا على رجلٍ مستلقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكأوبٍ من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشِر شدقُهُ إلى قفاه (أي يشق جانب فمه) ومنخره إلى قفاه - قال: وربما قال أبو رجاء أحد رواة الحديث: فيشُقُّ - قال: ثم يتحول إلى

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 2483، 750، عن أبي هريرة ؓ.

<sup>2</sup> - فتح الباري، ج8، ص738.

<sup>3</sup> - رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين أدومه، رقم: 43، ورواه مسلم، كتب صلاة المسافرين، باب أمر

من نعس في صلاته، رقم 785.

<sup>4</sup> - صلاح الدين محمود السعيد، صحيح القصص النبوي، ص162.

الجانب الآخر فيفعل به مثل ما يفعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب الآخر كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى ، قلت : سبحان الله ما هذان ؟ قال: قالاً لي: انطلق انطلق، فانطلقنا، فأتينا على مثل الثنور- قال: وأحسب أنه كان يقول- فإذا فيه لَغَطٌ وأصوات، قال: فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عُرَاة، وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ من أسفلٍ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضُوا. قال: قلت لهما: ما هؤلاء ؟ قال: قالاً لي: انطلق انطلق...<sup>1</sup>، ففي الحديث لفظين مكررين(انطلق انطلق) يزيدان المعنى أجمه و شغفا وتشويقا، وكأن هذين الفعلين يوقدان في فضاء هذه الرحلة دلالتين، الأولى: عظمة هذه المشاهد التي شاهدها، وإثارة الدافع والرغبة فيه حتى يشاهد المزيد، والثانية: عدم شغله بالجواب حتى تكتمل حلقات الرؤية كاملة؛ ليتمكن الإحساس بضروب الأحوال، التي يحسن أن ينبه أمته إليها، لتكون بمنأى عن هذه العقوبات، وكل ذلك تشويق جاء عبر هذا الفعل المكرر.

كما أن من المعاني الأخرى التي يخرج الأمر إليها الإرشاد، ومن ذلك ما جاء في قصة الإسراء والمعراج حين مر النبي ﷺ على آدم فقال جبريل: {هذا أبوك آدم، فسلم عليه، فسلمتُ عليه فردَّ السلام...}<sup>2</sup>. فقد جاء الإرشاد هنا من جبريل عليه السلام عبر هذا الأمر منه للنبي ﷺ، وكأنه يأخذ به إلى مبدأ أرشد إليه أمته فيما بعد، ودلهم عليه، وهو الوارد في قوله ﷺ: { يسلمُ الرَّاكِبُ على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير }<sup>3</sup>. وقد علق القسطلاني (ت:923هـ) على أمر جبريل له بالسلام على آدم، مع أفضلية النبي ﷺ، وبين أن ذلك إنما هو إكرام للقاعد، وإن كان المار أفضل من القاعد. قال: « فإذا فيها آدم

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 2702، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 3207، ومسلم: 164، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - رواه مسلم ، كتاب السلام ، باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير ، رقم الحديث 5665 عن أبي هريرة رضي الله عنه. ص 828.

فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه؛ لأن المار يسلم على القاعد وإن كان المار أفضل من القاعد...»<sup>1</sup>.

ويأتي معنى الدعاء من المعاني الظاهرة التي يخرج إليها الأمر عن معناه الحقيقي، وهو في كثير من تجلياته يأتي على لسان إحدى شخصيات القصة، كما أنه يسود في سياق القصص التي يبرز فيها مبدأ الابتلاء، وهذا المبدأ لا شك يتطلب مثل هذا المعنى، فلا يدفع الضر، ولا ينفع إلا الدعاء، ففي الصحيح الجامع ورد حديث يقول فيه " الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء."<sup>2</sup> فقد ثبت أن النبي ، كان يدعو في أوقات الشدة والأزمات قبل نزول البلاء أو بعده.

ومن شواهد ذلك ما جاء في قصة أصحاب الغار الثلاثة، حين دعا كل واحد منهم بصالح عمله، وجاءت صيغة الدعاء متحدة، رغم اختلاف أعمالهم: {فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء...} <sup>3</sup>.

وفي قصة غزو أحد الأنبياء، حين دنا من القرية وقت صلاة العصر، فخرجت عليه الشمس: {إنك مأمورة، وأنا مأمور. اللهم احبسها علينا، فحُبِسَتْ حتى فَتَحَ اللهُ عليه...} <sup>4</sup>، فقد دعا الله عز وجل بقوله: (احبسها علينا)، « أي قدر ما تنقضي حاجتنا من فتح البلد» <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - العلامة القسطلاني، من إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، ط9، 1325هـ، ج6، ص205.

<sup>2</sup> - محمد ناصر الدين الالباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الاسلامي، بيروت - دمشق، ط1407\_1988، ص641.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 5974، ومسلم: 2743، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>4</sup> - رواه البخاري: 314، ومسلم: 2743، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>5</sup> - فتح الباري، ج6، ص268.

وفي قصة اليهودية التي أهدت للنبي ﷺ شاة مسمومة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ: {اجمعوا إلي من كان ها هنا من اليهود، فجمعوا له فقال: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقون عنه، فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: من أبوكم، قالوا: فلان، فقال: كذبتكم بل أبوكم فلان، قالوا: صدقت. قال: فهل أنتم صادقون عن شيء، إن سألت عنه، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت في أينا، فقال لهم: من أهل النار؟، قالوا: نكون فيها يسيرا ثم تخلفوننا فيها، فقال النبي ﷺ: احسبوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا، ثم قال: هل أنتم صادقون عن شيء: إن سألتكم عنه: فقالوا: نعم، يا أبا القاسم، قال: هل جعلتم في هذه الشاة سوما؟ قالوا: نعم، قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرك} <sup>1</sup>.

احسبوا فيها: فعل أمر، احسأ كلمة زجر معناها: ابق ذليلا، وهو دال على الدعاء عليهم بالطرد والإبعاد، والذلة.

وقد يخرج الأمر إلى التخيير، كما في قصة الأبرص والأعمى والأقرع، حين قال الأعمى للملك في نهاية القصة: {قد كنت أعمى، فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله...} <sup>2</sup>، فقد كان من شكره لنعمة الله عز وجل عليه، أن خير هذا الملك أن يأخذ من ماله ما يشاء، في قوله: (خذ ما شئت ودع ما شئت)، ويتضح أثر التخيير هنا حين نعلم المفارقة بين أن يعطيه شاة قد لا تعجبه وبين أن يخيره من بين كل الشياخ ما يريد.

<sup>1</sup> - صحيح البخاري رقم الحديث: 3169، وصحيح مسلم رقم الحديث: 5835.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 806، ومسلم: 2964. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وحين نتأمل قصة الحشر نجد أن قول الله عزّ وجل للنبي ﷺ: "يا محمد ارفع رأسك، واشفع تُشفع، وسل تعطه..."<sup>1</sup>، جاء من باب الإكرام له ﷺ وهو معنى جمالي من معاني هذا الأسلوب<sup>2</sup>، فحين ينتقل الناس من نبي إلى نبي، وكل نبي لا يقول إلا: نفسي نفسي، تجيء مكرمة الله عز وجل بهذا النبي لأمته بكونه شافعا في ذلك اليوم وكون أمته أول أمة تدخل الجنة بشفاعته، وهو المقام المحمود الذي اختص به ﷺ.

ومن الأغراض التي دلّ عليها الأمر التهديد والوعيد، كما في قصة أصحاب الأخدود: "جاء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى، فدعا بالمشار فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه"<sup>3</sup> تهديد بأبشع الوسائل والطرق.

هذه بعض معاني الأمر البلاغية، المتولدة عن صيغة الأمر، بمعونة القرائن ودلالة السياق والمقام وقد أشار السكاكي في كتابه مفتاح العلوم في القسم الثالث منه إلى بعض المعاني البلاغية، التي تفيدها صيغة الأمر، إن استعملت في غير الطلب حيث يقول: "ثم أمّا حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام إن استعملت على سبيل التضرع، كقولنا: (اللهم اغفر) ولدت الدعاء، وإن استعملت على سبيل التلطف كقول كل أحد لكل من يساويه في المرتبة (افعل) بدون الاستعلاء، ولدت السؤال والالتماس كيف عبرت عنه... وإن استعملت في مقام التسخط المأمور به ولدت التهديد"<sup>4</sup>. ففي هذا النص نجد السكاكي يشير إلى بعض المعاني البلاغية التي برزت في القصة النبوية.

## 2- النهي:

<sup>1</sup> رواه البخاري رقم الحديث 7437، ومسلم 182 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> ينظر: د. أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات الكويت، ط1، 1980، ص 115.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود، رقم الحديث: 7546، ص 1107.

<sup>4</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، ص 319.

خلاف الأمر وضده، وهو في اللغة مصدر **هَي**: إذا زجره وكفه.

فقد جاء في الصحاح: «**النَّهْي**: ضد الأمر **وَهَاهُ** عن كذا ينهَاهُ (نَهْيًا) و (انْتَهَى) عنه و (تَنَاهَى) أي كَفَّ، و(تَنَاهَوْا) عن المنكر أي **هَي** بعضهم بعضاً، ويقال: إِنَّهُ لَأْمُورٌ بالمعروف، (نَهَوْ) عن المنكر على "فَعُول" والنُّهْيَةُ بالضم واحدة النَّهْي، وهي العقول؛ لِأَنَّهَا تنهى عن القبيح. وتناهى الماء إذا وقف في الغدير وسكن»<sup>1</sup>.

وفي أساس البلاغة «**فَهَي**: **هَاهُ** فانتَهَى، وتناهوا عن المنكر، وانتهى الشيء بلغ النهاية... وهو نَهْوٌ عن الشر وما تنهَاهُ عنا ناهية أي ما نكفه كافية، وما ينظر في أوامر الله ونواهيهِ»<sup>2</sup>.

وفي اصطلاح البلاغيين:

«**هو طلب الكف على فعل، وصيغته لا تفعل، وهي حقيقة في التحريم**»<sup>3</sup>. فهو طلب الكف عن الفعل على وجه الإلزام «**والنهي هو طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، وللنهي صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بلام الناهية الجازمة**»<sup>4</sup>.

وقد أشار البلاغيون إلى خروج النهي عن معناه، الأصلي إلى معانٍ أخرى يدل عليها السياق وقرائن الأحوال وأحوال التراكيب.

<sup>1</sup> - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مدة (هَي)، ص 564.

<sup>2</sup> - ابن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ص 661.

<sup>3</sup> - جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، و بأسفل الصفائف، إعجاز القرآن ، تأليف:

القاضي أبو بكر الباقلائي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ج2، ص105.

<sup>4</sup> - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم المعاني، البيان، البديع)، ص83.



واللافت في سياق القصة النبوية أن النهي، يأتي محكيًا عن أحد شخوص القصة، ولا يأتي ابتداءً منه ﷺ إذ هو في مقام الراوي، الذي يحكي حال المنتج لفعل النهي.

وشواهد النهي المحازي مستفيضة في قصص الصحيحين، منها قول ذلك النبي حين أراد أن يغزو: { لا يتبعني رجل مَلَكَ بَضْعَ امرأةٍ، وهو يريد أن يبني بها، ولما يبني بها، ولا أحد بنى بيوتا، ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خِلْفَاتٍ، وهو ينتظر ولادها... }<sup>1</sup>. فقد جاء هذا النهي راسماً بعداً عسكرياً وتربوياً يتعلق بخروج الرجل مع هذا النبي، وقلبه معلق بزوجته، أو ماله، وقد علق القاضي عياض على ذلك بقوله: «فيه تحضيض أولي الحزم وفراغ البال بالأمر المهمات، وألا تناط بمن باله متعلق بغيرها، ونفسه مائلة لسواها، فإن ذلك يضعف جده، ويوهن عزمه»<sup>2</sup>.

فقد جاء النهي هنا حاملاً في تحاويه دلالة التحضيض، على أن يفرغ الإنسان ما في قلبه من تعلق بأمر دنيوية، تراحم ما فيه فلاح العبد وظفره في الدارين، والغاية ترجع إلى الحرص على أن لا يؤدي ذلك التعلق إلى الرغبة عن الجهاد أو كراهة الخروج فيه.

كما أن من المعاني التي يخرج إليها النهي الدعاء، ومن ذلك ما جاء في قصة هجرة إبراهيم عليه السلام، فحين نتأمل حالة سارة نجد أن معانها مثلت متطلباً رئيساً من متطلبات الدعاء؛ لأن يرد الله كيد الكافر، فتوجهت إلى الله عز وجل بقولها: {اللهم إن كنت آمنْتُ بك، وبرسولك، وأحصنت فرجي، إلا على زوجي، فلا تسلط علي هذا الكافر... }<sup>3</sup>. فقد لاذت بالله أن يكفيها شر هذا الكافر وذلك في قولها: (لا تسلط علي)، ويشير ابن

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 5175، 3124، ومسلم: 1747، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - القاضي عياض بن موسى اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج6، ص50.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 690، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

حجر إلى أن قولها: (إن كنت) ليس للشك، إنما المراد أن يقدر ذلك، فيقال: إن كنت مقبولة الإيمان عندك فلا تسلط علي الكافر<sup>1</sup>.

وسبق سيويوه علماء البلاغة، في الحديث عن أغراض النهي، البلاغية حيث تنبه إلى خروج النهي إلى معنى الدعاء، قائلاً: «هذا باب ما يعمل في الأفعال، فيجزمها، وذلك لم ولما واللام التي في الأمر، وذلك قولك ليفعل، ولا في النهي وذلك قولك لا تفعل فإنهما بمنزلة لم، واعلم أن هذه اللام ولا، في الدعاء بمنزلة في الأمر والنهي، وذلك قولك لا يقطع الله يمينك ولا يجزيك الله خيراً»<sup>2</sup>.

كما نجد في قول إبراهيم لسارة في القصة ذاتها: {يا سارة: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني، فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني...}، معنى آخر من معاني النهي، وهو التخويف، إذ إن سياق الحال يحمل لنا مشهداً ينتفض فيه العرض، حين يزود عنه حاميه، وهو هنا الخليل، حين أحس بمكر هذا الملك، وسوء طويته، فلم يكن له بد من أن يقول: إنها أختي، ويعزز ذلك بوصيته سارة، بأن لا تكذب حديثه.

كما أن الإرشاد يعد من المعاني التي يخرج إليها النهي، وشاهده ما جاء في قصة الرجل الذي قتل مئة نفس، حين قال له العالم: {انطلق إلى أرض كذا وكذا؛<sup>3</sup> فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم. ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء...}<sup>4</sup>. ويذكر ابن علان أن القرية التي أشار هذا العالم على هذا القاتل أن ينطلق إليها « اسمها

<sup>1</sup> - ينظر: فتح الباري، ج12، ص403. وابن عثيمين، شرح صحيح البخاري، ج7، ص399.

<sup>2</sup> - الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ج3، ص8. وانظر: ج1، ص142.

<sup>3</sup> - يذكر ابن علان أن القرية التي أشار العالم على القاتل أن ينطلق إليها هي بصرى والقرية التي كان فيها القاتل كفرة

، ولم تذكر في القصة لعدم ارتباطها بغاية أساسية تذكر من أجلها .

<sup>4</sup> - رواه مسلم: 2766، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بصرى، واسم القرية التي كان بها كفرة رواه الطبراني، ليفارق دار الفساد وأصحابه الذين كانوا يعينونه عليه ما داموا كذلك»<sup>1</sup>.

والناظر في سياق ذهاب هذا القاتل إلى هذا العالم، يجد أن الغاية الأساسية من ذهابه إليه هي إرشاده إلى طريق التوبة، ودلالته على ما يخلصه من أثقال الخطايا التي اقترفها، فجاء قوله: (لا ترجع) مطاوعاً لتلك الغاية، وقد علل تهميه ذلك بقوله: (فإنها أرض سوء)، ولنا أن نتأمل السوء الذي غشي هذه الأرض وأهلها، فكأن هذا العالم بفظنته هنا أراد أن يفصل الأمر ويقطع هذا الرجل عن ماضيه الذي سطرّ على تلك الأرض السيئة.

وفي قصة هاجر وإسماعيل عليهما السلام نجد أن قول الملك لهاجر: {لا تخافوا الضيعة، فإنها هنا بيت الله، يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله...}<sup>2</sup>. تسلية وتأمين يسكنان بعمقهما نفس هاجر، بعد بشارة الملك وقوله لها: (لا تخافوا الضيعة) أي: الهلاك<sup>3</sup>. دافعا بهذه البشارة، ما أحسّت به من الخوف والجوع، وغيرها من المعاني، التي من شأن الغربة أن تشعلها في نفس هذه المرأة، فغرض النهي في هذه القصة هو توضيح المصير وبيان العاقبة.

### 3- الاستفهام

وأصله مأخوذ من الفهم يقال: فهمته بمعنى علمته، وقد عرفه ابن منظور بقوله: «الفهم: معرفتك الشيء بالقلب وفهمته الشيء: عقلته وعرفته، وفهمت فلانا وأفهمته

<sup>1</sup> - محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، مج 1، ص 113.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 3264، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

<sup>3</sup> - ينظر: فتح الباري، ج 6، ص 487.

وتفهم الكلام: فهمه شيئاً بعد شيء. واستفهمه: سأله أن يفهمه وقد استفهمني الشيء، فأفهمته وفهمته تفهيماً<sup>1</sup>.

وقال ابن قتيبة « واستفهمته: سأله الإفهام »<sup>2</sup>.

فالاستفهام في أصل اللغة هو: طلب الفهم، وأشهر تعريفاته أنه « طلب حصول صورة الشيء في الذهن، بأدوات مخصوصة هي: الهمزة، هل، ما، أي، كم، كيف، متى، أيان »<sup>3</sup>، فهو في الاصطلاح من حيث أصله: طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة.

أو هو « طلب خبر ما يسمى عند المستخبر »<sup>4</sup>، كما سمي أيضا بالاستخبار « وهو طلب خبر ليس عندك، أي طلب الفهم، ومنهم من فرق بينهما، بأن الاستخبار ما سبق أولاً، ولم يفهم حق الفهم، فإن سألت عنه ثانياً كان استفهاماً »<sup>5</sup>.

وهناك من سوى بين الاستفهام والاستخبار كابن فارس (ت: 395هـ) الذي يقول: « الاستخبار: طلب خبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام » ثم يقول: « وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام، أدنى فرق قالوا: وذلك أن أولى الحالين، الاستخبار، لأنك تستخبر فتجيب بشيء: فرمما فهمته، وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية، فأنت مستفهم،

<sup>1</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مادة فهم، ج11، ص235.

<sup>2</sup> - ابن قتيبة الكوفي الدينوري، أدب الكاتب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط4، 1382هـ، ص360.

<sup>3</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج3، ص55.

<sup>4</sup> - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، الصحاحي، في فقه اللغة، تحقيق: أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت، ص292.

<sup>5</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار ابن الجوزي، القاهرة، (د.ت، د.ط)، ص498.

تقول: أفهمني ما قلته لي قالوا: والدليل على ذلك أن البارئ جل ثناؤه يوصف بالخبر<sup>1</sup>\*. ولا يوصف بالفهم<sup>2</sup>.

وأسلوب الاستفهام هو أحد أكثر الأساليب الإنشائية استعمالاً في القصص النبوي، خاصة لغلبة أسلوب الحوار في القصة.

ولئن كان مدلول الاستفهام، وغاية ما في أصله طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً عند المستفهم بأداة خاصة، فقد يخرج عن هذه الدلالة الأصلية إلى معانٍ أخرى يقصدها المتكلم، حين يراعي اعتبارات المقام، فيستل من سؤاله مقاصد أخرى، لا تغيب على من خبر الكلام الفصيح وعرف أفانيته.

وقد أشار ابن النقيب (ت: 698هـ) إلى دلالات هذا الأسلوب ومعانيه البلاغية، التي خرجت عن معناه الأصلي الذي هو طلب العلم بالشيء، فقال: «استفهام العالم بالشيء مع علمه به، ومراده بذلك معان ستة»<sup>3</sup>، ثم ذكر المعاني البلاغية لهذا الأسلوب، وقد أكد ذلك الدكتور محمد أبو موسى، مبيناً أن «ما تشيعه أداة الاستفهام أرحب وأدق من أن نحدده تحديداً تاماً وأن المعاني التي يشير إليها وهي بطبيعتها خفية وهاربة لا تستطيع وصفها بإحاطة وسيطرة، وهذا ليس بعيداً عن طبيعة اللغة؛ إذ إنها مهما تروى المتكلم في كلماتها

\*- الخبر بالضم: وهم العلم بالشيء.

<sup>2</sup> - أحمد بن زكريا ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: محمد الشويمى، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، د.ط، بيروت، 1383هـ-1964م، ص181.

<sup>3</sup> - محمد بن سليمان البلخي المقدسي، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، تحقيق: د. زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1415هـ-1995م، ص329.

وتراكيبها وراجع الاختيار وصقل العبارة فلن تكون هذه العبارة مبينة إبانة كاملة عما أراد أن يبين عنه بها، وخاصة في المواقف الحية التي هي بين أعيننا ونحن نتكلم هذا الكلام»<sup>1</sup>.

فشأن المعاني أكبر من شأن الكلمات في اتساع الأبعاد وامتداد المقاصد، وهذا غير خاف حين نتأمل طبيعة هذه اللغة الرحبة.

وعليه قسم بعض الباحثين دلالات الاستفهام إلى قسمين. الأول: الدلالة الوضعية الأصلية، والمراد بها التعريف السابق للاستفهام الذي هو طلب العلم بالشيء، والثاني: الدلالات المجازية، وضابطها « أن يكون المستفهم ليس في حاجة إلى فهم شيء من المخاطب بالاستفهام، بل هو ينشئ معاني يقتضيها المقام، قاصدا إلى إعلام المخاطب بها، لا أن يستفهم هو من المخاطب عن شيء»<sup>2</sup>.

وهذا الأسلوب يهذين القسمين قد جاء في القصة النبوية بشكل ظاهر، وإلى ذلك يشير باحث تخصص في دراسة هذا الأسلوب في الصحيحين، مبينا « أن كثيرا من نصوص الاستفهام الواردة عن رسول الله ﷺ في الصحيحين مراد بها طلب الفهم، ومعرفة الشيء، وتمثل هذه الأحاديث نسبة كبيرة تكاد تصل إلى حد النصف من شواهد الاستفهام في كلامه، والنصف الآخر منها جاء للدلالة على معاني الاستفهام في كلامه، والنصف الآخر منها جاء للدلالة على معاني الاستفهام البلاغية»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 1408هـ-1987م، ص218.

<sup>2</sup> - د. عبد العظيم المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 1420هـ-1999م، ج1، ص4.

<sup>3</sup> - د. عبد العزيز العمار، الاستفهام في الصحيحين: خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية، دراسة بلاغية تحليلية، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1424هـ، ص288.

وفي النص القصصي نلاحظ أن الاستفهام جاء بضريه وهذا في قصة الإسراء والمعراج، أين يتجلى لنا الضرب الأول بوضوح وجلاء، وفي كثرة ظهوره في هذه القصة شكّل ظاهرة بارزة فيها، تتمثل في كون أحداث هذه القصة قائمة على مشاهد غيبية مفاجئة، يضاف إلى ذلك، أنّها جاءت ممثلة لغايات دعوية وتشريعية، تستلزم حضور الاستفهام الحقيقي، المتضمن طلب العلم ببعض أسرار تلك الغايات، ومعرفة كوامنها، فجد الدلالة الأصلية مثلاً في قوله ﷺ واصفا حالة صعود جبريل به إلى السماء: {ثم انطلقنا، حتى أتينا السماء الدنيا، فاستفتح جبريل ﷺ فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. ففتح لنا...} <sup>1</sup>، ففي قول بواب السماء: (وقد بُعث إليه؟) إشارة إلى الاستفهام عن البعث إلى رسول الله ﷺ للإسراء وصعود السموات، وليس مراده هنا الاستفهام عن أصل البعثة <sup>2</sup>، وفي قوله أيضاً: (من هذا؟) وقوله: (من معك؟) استفهام جاء على دلالة الأصلية، يحمل السؤال عن القادم ومن معه، ونجد في جواب جبريل هنا نموذجاً أدبياً، يتعلق بالاستئذان.

وفي قصة الملائكة السيارة، نجد أن سؤال الله عز وجل للملائكة جاء مسوقاً مساق التقرير بالحالة التي تركوا العباد عليها: {فيسألهم الله عز وجل، وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض، يسبحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 3207، ومسلم: 163، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - ينظر: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج1، ص502.

لهم، فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا...<sup>1</sup>. وأسلوب التقرير وقع في الشاهد السابق ليظهر شرف المؤمن ونعمة الله تعالى عليه وفضله، ولعل الناظر في قوله: (وهو أعلم بهم) يجد أن هذا الاحتراس<sup>2</sup>، جاء معززا دلالة التقرير في هذه الجمل الاستفهامية، ومضيفا لها وقعا مميزا، ونفحا دلاليا آسرا، حافظ على تماسك سميت هذا البيان، رغم كثرة الجمل الاستفهامية فيه: (من أين جئتم؟)، (وماذا يسألوني؟) و (وهل رأوا جنتي؟)، (فكيف لو رأوا جنتي؟)، (وهل رأوا ناري؟)، (فكيف لو رأوا ناري؟)، والنص على كثرة الاستفهام فيه، بل يكاد يكون عموده البنائي، إلا أننا نجد أنه كلما أضيف استفهام توافت إلى النص خبايا الدلالة، عبر هذا الحوار الذي نقل لنا تفاصيل الحدث إلى المخاطب بكل ثراء، وفيه أن السؤال قد يصدر من السائل، وهو أعلم بالمسؤول عنه؛ لإظهار العناية بالمسؤول عنه، والتنويه بقدره، والإعلان بشرف منزلته.

وأسلوب التقرير بالسؤال والجواب وقع أيضا مع الكافر تقريرا وإذلالا له، وإقامة للحجة عليه كما في حديث أبي هريرة في محاسبة الكافر يوم القيامة: "... قال: فيلقى العبد فيقول: أي فل<sup>3</sup>، ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وترع؟ فيقول بلى. أفضنت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيته...<sup>4</sup>".

ونجد مثل ذلك في سؤال الملك للرجل الذي زار أخا له في قرية، حين قال: {أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربتها؟<sup>5</sup> قال: لا،

<sup>1</sup> - رواه مسلم: 2689، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - الاحتراس في البلاغة: أن يؤتى في الكلام الذي يوهم، خلاف المقصود بما يرفع ذلك الوهم.

<sup>3</sup> - ومعناه يافلان .

<sup>4</sup> - صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم 7473، ص 1098.

<sup>5</sup> - تربتها أي: تقوم بها وتصلحها، فتعاهده بسببها. ينظر: المفهم لما أشكل من كتاب مسلم، ج 6، ص 543.



غيرَ أَنِي أَحَبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَبْتَهُ فِيهِ...} <sup>1</sup>.

فالمُتأمل في سؤال الملك يجد أنه يهدف إلى إقرار هذا الرجل بهذا العمل الذي أوجب محبة الله له، وكأن في ذلك السؤال إيجاء يفيد « أن الحب في الله والتزاور فيه من أفضل الأعمال، وأعظم القرب إذا تجرد ذلك عن أغراض الدنيا وأهواء النفوس » <sup>2</sup>، بنية صافية خالصة، ليس من أجل الدنيا وحطامها الفاني، وإنما يزوره الله وفي الله.

وحين نتقل إلى الاستفهام الإنكاري، نجد حضوره يتمثل في بعض أحداث القصة، حين ينكر المتكلم وقوع المستفهم عنه، ويكون غير راضٍ به، إما لا يُخَدِّعُه به، أو عدم توقُّعِه من المخاطب، فينكر وقوع الفعل بأسلوب يضمنه معنى الإنكار، ومن ذلك ما جاء في قصة الرجل الذي يُلقى في النار، فتندلق أفتابه: {يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتندلق أفتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأناهاكم عن المنكر وآتية} <sup>3</sup>.

ففي سياق هذا الاستفهام تبادل إيجائي، فقد كان من شأن هذا الرجل في الدنيا، أنه يظهر بمظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي ينظر إلى بُعد هذه الوظيفة الشرعية، يجد أنها لا بد أن تحمل من معاني الإنكار ما تحمل، خصوصاً في النهي عن المنكر؛ وقد كتب الله على هذا الرجل أن يأخذ مأخذ هؤلاء في الإنكار عليه، ولكن في مكان أشنع وأفضع، ويبدو أن هذا هو مصدر تعجب أهل النار حين يجتمعون عليه، « فيسألون

<sup>1</sup> - رواه مسلم: 2567، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج6، ص543.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 3267، ومسلم: 2989، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

منكرين ما هو فيه لِمَا كان منه من صالح العظة، ومتعجبين لما أصابه، مع ما أسلفه، فلا يستطيع أن يكف عنهم سرّاً كان يخفيه، إذ كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهي عن المنكر وهو يأتيه»<sup>1</sup>.

وتحسن الإشارة إلى المعنى اللطيف لهذا النوع من الاستفهام الذي ذكره عبد القاهر، لما له من مناسبة لهذا الشاهد، إذ يقول: «واعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار فإن الذي هو محض المعنى: أنه ينتبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالحواب، إمّا لأنّه قد ادّعى القدرة على فعل ما لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له: "فافعل"، فيفضحه ذلك، وإمّا لأنّه همّ بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ، وإمّا لأنّه جوّز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه قبح على نفسه»<sup>2</sup>. وهنا نجد أن فائدة الإنكار تتمثل في إثبات خداع هذا الرجل للناس، وفساد طريقته معهم، وهو هنا يصرح بتنبهه واعترافه، وندمه، ولكن أياً ساعة للندم.

ومن المعاني التي يخرج إليها الاستفهام معنى التحضيض والتمني، كما في قصة الحشر، حين يقول الناس لكل نبيٍّ من الأنبياء: {ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟...}<sup>3</sup>. فحاجة الناس إلى الشفاعة في ذلك الموقف حاجة ملحة، تتطلب تحضيضاً لأنبياء الله تعالى أن يشفعوا لهم؛ ليخلصوهم من شدة الموقف، فجاء هذا الاستفهام مسوقاً مساق التحضيض والحث على الشفاعة.

وقد يخرج الاستفهام أيضاً إلى معنى الإكرام، وهو ما بدا لنا في قصة آخر رجل يدخل الجنة، حين قال ﷺ: {سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء

<sup>1</sup> - د. كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص 170.

<sup>2</sup> - دلائل الإعجاز، ص 119، 120.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 7437، ومسلم: 182، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بعدهما أُدخِلَ أهل الجنة الجنة، فيقال له: أَدْخِلِ الجنة. فيقول: أي ربّ كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مَلِكٍ مِنْ ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ذلك، ومثله ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت. غرستُ كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم ترى عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطرُ على قلبٍ بشر...<sup>1</sup>.

تتوالى صنوف الكرامات على أهل الجنة ابتداءً بأعلاهم منزلة، الذين اختصهم الله بمزيد كرمه وفضله، وانتهاءً بأدناهم منزلة، وهو الذي يعيننا هنا حين قال الله عزّ وجلّ لهذا الرجل: (أَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مَلِكٍ مِنْ ملوك الدنيا؟)، وحينها ظن الرجل أن هذه هي غاية الكرامة له، فقال: (رضيت رب)، وفي ذلك جانب تشويقي ناسب المقام، يبدو للمخاطب حين تنفذ فطنته إلى التأمل في تضاعيف هذا الحوار.

وقد أشار أحد الباحثين إلى ذلك، مبينا أن أسلوب التشويق في الاستفهام إنما يكثر في الحوار بشكل أدق « لما في هذا الضرب من الاستفهام من الحوار، وإشراك المتلقي، فأسلوب الحوار محبب إلى النفس، فهو يضيف الحيوية على النص الأدبي الجميل ويدفع الملل والشروء، ويشد انتباه السامع، ويستميل القلوب إلى الكلام المقول<sup>2</sup> ».

وقد يخرج الاستفهام إلى معنى التخيير، ومن ذلك قول الملك في قصة الأبرص والأقرع والأعمى: {أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟...}<sup>3</sup>. وقد كرر هذا السؤال مع هؤلاء الثلاثة، وذلك

<sup>1</sup> - رواه مسلم: 189، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - عبد الحفيظ أديميح، أساليب التشويق البلاغية في الأحاديث النبوية، من خلال الصحيحين، دراسة تطبيقية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1423هـ، ص 174.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 806، ومسلم: 2964، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لإضفاء جانب البلاء لهم، وإحكامه، حيث أراد أن يسبغ عليهم ما يريدون من مال وعافية، فأتوا سؤلهم، وبورك لكل منهم فيما أوتي حتى تكاثر ذلك المال وتناسل، فصار لكل واحد منهم وادٍ مما طلب، فتمام الغاية من هذا النص جاءت عبر هذا التخيير الذي افتتح به، فرأينا من جماله وأثره ما رأينا من توالي الدلالات، وانبثاقها في جنباته.

#### 4- النداء

النداء هو طلب المتكلم انتباه المخاطب أو إقباله، ومعظم الأقوال في تعريفها للنداء، تجسد فكرة الطلب والإقبال التي صارت سمة لا تفارقه، ففي عروس الأفراح جاء معناه: «طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف ما من حروف النداء، ينوب مناب، (أدعو)»<sup>1</sup>، كما نجد ابن عقيل الذي يقول فيه: «النداء هو طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد أحرف النداء ملفوظا كان حرف النداء أو ملحوظا»<sup>2</sup>.

والملاحظ أن هذا التعريف الوظيفي هو السائد عند المتأخرين من النحاة والمحدثين منهم: عباس حسن الذي يقول فيه: «هو توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبهه للإصغاء، وسماع ما يريد المتكلم»<sup>3</sup>، كما عرف الدكتور أحمد الهاشمي المنادى بأنه: «الاسم الظاهر المطلوب إقباله بأحد أحرف النداء، نحو يا سعد»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - هاء الدين السبكي، عروس الأفراح في تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1423هـ-2003م، ج1، ص474.

<sup>2</sup> - ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، نشر محمد عبد الحميد، القاهرة، 1961م، ج3، ص258.

<sup>3</sup> - عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط8، (دط)، ج4، ص01.

<sup>4</sup> - أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص246.

وأما حروفه فهي ثمانية: الهمزة، أي (بفتح الهمزة وسكون الياء) أي (بسكون بعد مد)، آ (بالمدة)، يا، أيا، هيا، و « ينسب هذا الاختيار للمدرسة الكوفية التي أضاف بعض علمائها (آ) و (أي)»<sup>1</sup>.

وقد أشار سيبويه إلى استعمالات بعضها بقوله: « فأما الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء: بيا، وأيا، وهيا، وأي وبالألف، نحو قولك: أحرار ابن عمرو، إلا أن الأربعة غير الألف قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المتراخي عنه، الذي يرون أنه لا يقبل عليهم إلا بالاجتهاد، أو النائم المستقل، وقد يستعملون هذه التي للمد في الخمسة موضع الألف ولا يستعملون الألف في هذه المواضع التي يمدون فيها... وقد تستعمل هذه الخمسة غير (وا) إذا كان صاحبك قريبا منك مقبلا عليك توكيدا»<sup>2</sup>.

فهو لم يسمها أحرف بل سماها أشياء، وهو أول من قال بخماسية أحرف النداء، والذي يستعمل منها لنداء القريب هما: الألف، أي، والباقي موضوع لنداء البعيد، غير أنه قد يعكس الأمر في نداء القريب والبعيد بهذه الأدوات، لبعض الدواعي التي لم يغفلها سيبويه في كلامه هذا، واهتم بها البلاغيون أيضا.

أما عن الفرق بين النداء والدعاء، فقد حاول أبو هلال العسكري أن يفرق بين النداء والدعاء في المعنى، فذكر أن « النداء هو رفع الصوت بما له معنى والعربي يقول لصاحبه: نادِ معي ليكون ذلك أندى لصوتنا، أي أبعد له، والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه، يقال دعوته من بعيد، ودعوت الله في نفسي، ولا يقال: ناديته في نفسي»<sup>3</sup>. وقد لا يتأتى ذلك

<sup>1</sup> - محمد مشري، مركب النداء في القرآن الكريم بين المعاني النحوية ودلالة الخطاب، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه علوم في اللغة العربية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م-2009م، ص 44.

<sup>2</sup> - سيبويه، الكتاب، ج2، ص 229-230.

<sup>3</sup> - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 41.

على مستوى التوظيف الدقيق لهذا الفرق في كثير من الأحوال؛ لأن النداء قد تساوى فيه المنادي والمنادى، بينما الدعاء يأتي بطلب من الذي هو أدنى، للمقصود الأعلى من هذا الطلب.

ويجد الراصد لهذا الأسلوب في البيان القصصي النبوي، أن وجوده يشكل مظهراً جمالياً يتجلى في ملامح استعمالية عدة، ومن ذلك لفت انتباه المنادى لسماع ما يريد من المنادي، ومن ذلك أيضاً التشويق الذي يمتد امتداداً يجري معه المخاطب أثناء مناداته، ويذهب معه كل مذهب، فهو يهيؤه، «وينبهه فيصغي بعناية وتشوق إلى ما يوجه إليه بعد النداء ويترقبه ويتطلع إلى معرفته والإحاطة به، فهو طريق من طرق التشويق إلى المعنى في الحديث النبوي الشريف»<sup>1</sup>.

والملاحظ كثرة استخدام (يا) النداء في القصة النبوية، التي هي أم حروف النداء، على حد قول المالقي (ت: 702هـ) عنها: «وحقها في الأصل أن تكون للبعيد لجواز مد الصوت بالألف ما شئت، ثم إنها كثر استعمالها حتى صارت ينادى بها البعيد أدنى مسافة منك ثم الحاضر معك، فلذلك كانت أم حروف النداء»<sup>2</sup>.

ولنتأمل نداء الله عز وجل للنبي ﷺ في قصة الإسراء والمعراج {يا محمد: إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة. ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرين. ومن هم بسيئة فلم يعملها لم

<sup>1</sup> - د. بسيوني عبد الفتاح فيود، التشويق في الحديث النبوي، طرقه وأغراضه، مطبعة الحسن الإسلامية، القاهرة، ط1، 1414هـ-1993م، ص32.

<sup>2</sup> - أحمد عبد النور المالقي، رصف المباني في حروف المعاني، ص513.

تكتب شيئاً، فإن عملها كُتبت سيئة واحدة...<sup>1</sup> ففيه استدعاء له، لأن يصغي إلى ما سيفرض عليه في شأن عظيم، وهو شأن الصلاة، وتتجلى عظمتها في كونها تفرض مباشرة من الله بلا واسطة، وأنها تجمع عدة عبادات في عبادة واحدة.<sup>2</sup>

وقد ناداه عز وجل ب (يا) التي هي لنداء البعيد في الأصل، وقد ينادى بها القريب وذلك «لحرص المنادى على إقبال المدعو إليه ومفادته لما يدعوه له»<sup>3</sup>، وفي دلالتها للبعيد، ففيها ازدواجية الغرض ما بين البعد المكاني والقرب الروحي، وهنا إشعار بمنزلته ورفعته ﷺ عند ربه عز وجل «قال ذو النسيب رضي الله عنه: ولئن كانت آية نبي الله سليمان عليه متحدد السلام، تسخير الريح مسيرة شهرين غدواً ورواحاً بين الأنام، فأين هذا من تسخير البراق الذي بلغ بسيدنا المصطفى محمد، فيما ثبت بالاتفاق والإصفاق، إلى السماء السابعة مسيرة سبعة آلاف سنة صاعداً ونازلاً في طرفة عين»<sup>4</sup>.

وقد ينادى ب (يا) من هو في حكم البعيد، وذلك في نداء الإنسان الساهي أو الغافل أو النائم، وإن كان قريباً للمنادى، تنزيلاً له منزلة من بعد، لأن المنادي يرى أنه لن يقبل عليه المدعو إلا بالاجتهاد في رفع الصوت ومدّه.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - رواه البخاري 3887، ومسلم 162، عن أنس بن مالك، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلاة.

<sup>2</sup> - ينظر: فتح الباري، ط7، ص270.

<sup>3</sup> - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الرمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ-1999م، ص413.

<sup>4</sup> - أبو الخطاب بن دحية، الابتهاج في أحاديث المعراج، حققه وخرج أحاديثه: د. رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1417هـ-1996م، ص114.

<sup>5</sup> - ينظر: سيبويه، الكتاب، ج2، ص230.

وحيث نمن النظر في نداء أم جريج لابنها، نجد أنه شغل عنها، بانغماسه في صلاته، وانشغاله بها، ولذلك نجد النداء يتكرر: « قالت: يا جريج، قال: اللهم أمي وصلاتي، قالت: يا جريج، قال: اللهم أمي وصلاتي، قالت: يا جريج، قال: اللهم أمي وصلاتي...»<sup>1</sup>

وقد جاء التكرار هنا وسيلة من وسائل بث الاستجابة لهذا النداء، ومع ذلك بادل جريج نداء أمه بندائه لله عز وجل، بأن يدلّه على ما يخرجها من دوامة الحيرة بين صلاته وأمّه، ولهذا بوب البخاري في صحيحه بابا سماها (باب إذا دعت الأم ولدها في الصلاة).<sup>2</sup>

وفي قصة الأخدود، نجد أن نداء الراهب للغلام: « أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي...»<sup>3</sup>. قد جاء ب(أي) التي هي لنداء القريب الذي يأخذ منزلة المصغي إلى المتكلم المنتبه له. « وتتركب هذه الأداة من همزة قطع مفتوحة زائداً حرف (الياء) ساكناً، مما لا يؤهلها لمناداة البعيد أو المتوسط نظراً لقصر مدى صوتها»<sup>4</sup>.

وهنا نجد أن الراهب لم يتكلف نداء هذا الغلام، إذ هو بجانبه يصغي إلى ما يلقيه إليه من رسائل تذكيرية، تنفعه في هذا المعترك الذي جمع بين عسكر الحق (الراهب والغلام) وعسكر الباطل (الملك والساحر).

وقد يحمل النداء على معنى الاختصاص، وشواهد كثيرة في القصص النبوي، وأوضحها كلمة (اللهم) التي تأتي لأغراض متعددة وأصلها (يا الله) عند البصريين، حذفت منها (يا) النداء و عوض عنها بالميم في آخرها، في حين قدرها الكوفيون (يا الله أمنا بخير)

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 1206، ومسلم: 255، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري، كتاب العمل في الصلاة، ص 236.

<sup>3</sup> - رواه مسلم: 3005، عن صهيب الرومي رضي الله عنه.

<sup>4</sup> - محمد مشري، مركب النداء في القرآن الكريم، بين المعاني النحوية ودلالة الخطاب، ص 46.



حذفت منها الياء مع المتعلقات الأخرى للتخفيف فصارت (اللهم)<sup>1</sup>، فعند الخليل وسيبويه، وجميع البصريين؛ إن أصل اللهم يا الله، فلما استعملت الكلمة دون حرف النداء الذي هو "يا" جعل بدله هذه الميم المشددة فجاؤوا بحرفين وهما الميمان عوضاً من حرفين وهما الياء والألف، والضممة في الهاء هي ضمة الاسم المنادى المفرد، وذهب الكوفيون إلى أن الأصل في اللهم يا الله أمنا بخير « فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأن الأصل فيه "يا الله أمنا بخير" إلا أنه لما كثر في كلامهم، وجرى على ألسنتهم، حذفوا بعض الكلمة، طلباً للتخفيف، والحذف في كلام العرب لطلب الخفة كثير»<sup>2</sup>.

وعند ورود هذه الكلمة في النص القصصي فإنها تخرج إلى غرض اختصاص الله بالدعاء، فنجد دعاء الغلام هنا جاء على هذا النحو: « اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس...».

وفي القصة نفسها دلالة على تثبيت الله تعالى للمؤمنين كما جرى للمرأة التي أرادت أن ترجع ولا تلقي بنفسها في النار، فأنطق الله تعالى صبيها، وقال: " يا أمه اصبري فإنك على الحق"، فهي لما تقاعست عن إلقاء نفسها في النار ناداها الصبي لتثبيت فؤادها، والتأكيد على أنها على الحق، وتحذيرها من الكفر، فتوظيف النداء في المقام، دلالة على تنبيه الأم أنها على طريق الحق، دون الخوض في غمار الباطل.

##### 5- التمني:

<sup>1</sup> - ينظر: سيبويه، الكتاب، ج2، ص196-197.

<sup>2</sup> - أبو البركات ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق ودراسة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002م، ص290.

هو طلب حصول شيء محبوب، لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلاً، ... وإما لكونه بعيد التحقق والحصول... فإن كان منتظر الحصول قريب الوجود كان ترجياً، ويعبر فيه بعسى ولعل وقد يعبر فيه بليت..."<sup>1</sup>

فهو بذلك طلب حصول الشيء على سبيل المحبة، هذا والحرف الذي وضع لهذا الأسلوب، هو لیت، وقد يتمنى بأدوات أخرى تجوزاً واتساعاً، مثل (لو)، و(هل)، وفي التمني بهما فوائد.

ويلجأ المتكلم لأسلوب التمني للتنفيس عن نفسه، والتعبير عن رغباته وأحلامه وآماله، "وهذه حالة من أحوال النفس وهي ليست متعارضة مع ما نشير إليه من أن شدة الرغبة وعظيم التعلق يوهم أن غير الواقع واقع وأنه دنا في الأوهام، حتى لتكاد تلمسه، الأيدي لأن هذه الحالة الثانية أشبه بالحكم الذي يدني البعيد، الحالة الأولى حالة إحساس بالبعد ويتضح ذلك بتحليل السياق، فقد يغلب على النفس الإحساس باليأس فتستبعد القريب وقد يغلب الشعور بالأمل فيقرب البعيد"<sup>2</sup>.

ففي قصة موسى مع الخضر، نجد أن موسى عليه السلام لما دُل على الخضر، وعرف من علمه ما عرف، تشوق لإتباعه، فعرض عليه بهذا الأسلوب الذي سيق مساق التمني لطلب العلم والرحلة في سبيل تحصيله: "هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً..."<sup>3</sup>.

وهو في أسلوبه هذا يلقي في روع المخاطب مبدأين من مبادئ التعلم: التلطف مع العالم، والهدف من التعلم، وهما يتمثلان في قوله: رشداً" أي مما علمك الله شيئاً أسترشد به

<sup>1</sup> - أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان المعاني، البديع)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 1414هـ-1993م، ص62.

<sup>2</sup> - د: محمد محمد أبو موسى، دلالة التراكيب، دراسة بلاغية، ط2، 1408هـ-1987م، ص195.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 122، 4727 عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

في أمري من علم نافع وعمل صالح"<sup>1</sup>؛ فالاستفهام جاء في سياق الإلحاح على طلب الشيء، حتى بلوغه درجة التمني " (سورة الكهف الآية 69)، كون مكانة الخضر جعلت من موسى عليه السلام راغبا في التمسك بهذه الحكمة الربانية المحسدة في ذات الراشد الصالح **هَلْ أَتَّبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي** (سورة الكهف الآية 66)، وفي مختتم النص القصصي النبوي نجد أن النبي ﷺ أحكم النهاية بقوله: "يرحم الله موسى لَوَدِدْنَا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما...". وهذا نجد أن القصة قد امتد تأثيرها، حتى أعجب النبي ﷺ بعلم الخضر وخبره، فظهر هنا من تشوقه ﷺ لمعرفة خبايا الأحداث ما يدل على ذلك.

وفي قصة أصحاب السفينة نجد شيئا من حضور هذا الأسلوب: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا"<sup>2</sup>.

صورة قصصية سبقت مساق الردع عن الفساد المجتمعي، ومنع الفساد هنا هو قولهم: "لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا" فهم يتمنون استحلاب الماء، دون المرور على أولئك وإيذائهم، وهذا محال، فليس هناك سوى خيار واحد وهو: "الأخذ على يد المفسد ومنعه عن إفساده؛ لأنه لا منطق ولا عقل ولا خلق ولا ضمير ولا طبيعة بشرية تقبل بخيار الغرق، من ثم الهلاك. وحينما يتعانق المثال والمثول، ويتأكد في ذهن القارئ أنه لا حرية في إفساد يؤدي إلى إصابة المجتمع بالأذى، ولا عذر لمفسد يزعم أنه يقصد بإفساده

<sup>1</sup> - بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 1264.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 2493 عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

خيرا ما، ولا لساكت عليه يرى أنه يتدخل في شأن لا يعنيه ويضيق على الناس حرياتهم الفردية.<sup>1</sup> إذ إن السلامة تبدو في منعهم من ذلك، ومنعهم هنا يشكل ردع العصاة في المجتمع من تحقيق أمانهم الفاسدة، المتمثلة في الاهتمام في الملمات، والانغماس في الشهوات: "وقد ختمت هذه القصة بالتحخير الذي صور بحركة منقطعة، لا هؤلاء ثقبوا، ولا هؤلاء منعوا، فالحديث مبني على محورين، وينتهي بخاتمة مفتوحة، تدعو للتوقع وإعمال الفكر وإثارة الخشية من الغرق والموت وسط مياه من كل الأطراف"<sup>2</sup>.

## 2- الإنشاء غير الطلبي:

الإنشاء غير الطلبي وله أساليب متعددة منها المدح والذم، والتعجب، والترجي، والتحريض، والقسم، ولا يكاد البلاغيون يلقون اهتماما بهذا القسم، لقلة المباحث المتعلقة به، ولأن أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، وقد نص على ذلك السكاكي، فقال: "والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئا: الخبر والطلب المنحصر بحكم الاستقراء في الأبواب الخمسة التي يأتيك ذكرها. وما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل"<sup>3</sup>، فقد ترك البلاغيون هذا النوع من الإنشاء بجميع أقسامه، لأنهم: "لا يكادون يلقون بالا إلى هذا القسم الثاني، لقلة المباحث المتعلقة به، ولأن أكثره أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء"، وذلك لخلوها من المعاني الثواني، فالتعجب لا يفيد إلا التعجب، والقسم لا يفيد سوى القسم، وإذا كان هذا رأي البلاغيين فإن ذلك لا يعني أنه ليس لأساليب هذا النوع مواقع دلالية نلتفت إليها في القصة النبوية، لنلتقط منها المعاني، وندلف من خلالها إلى النظر في جمالها؛ لأن عناصر الكلام بمجموعها تتطلب البحث عن ذلك.

<sup>1</sup> - عبد الحميد بو منجل، لغة الحديث الشريف وفلسفته ودراسته، مجموعة مقالات الندوة الدولية، قسم العربية، جامعة كيرالا، الهند، ص383.

<sup>2</sup> - د.أحمد ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي، دار المكتبي سوريا، ط1، 1427هـ-2006م، ص161.

<sup>3</sup> - السكاكي، مفتاح العلوم، ص251.

يقول الدكتور محمد أبو موسى: " وقد نجد للتعجب والقسم مواقع متقنة وفاعلة في النفس فعل أقوى الأساليب وأدخلها في بحث البلاغة، ولكن هذا داخل في الباب العام، وهو دقة المطابقة وما وراءها من لطف الاعتبار وخفي الملاحظة"<sup>1</sup>.

### أ- القسم:

القسم أسلوب عربي قديم استعمله العرب لتوكيد المعنى وإثباته، ولإبراز الجدة فيه، وقد نزل القرآن الكريم بلغتهم فاستعمل القسم، واستعمله النبي ﷺ فيما بعد للمعنى نفسه، إلا أنه أعطاه معنى التعظيم، لارتباط القسم النبوي باسم الله تعالى أو بصفة من صفاته، وتحريمه القسم بغير الله، وتنوعت صيغ القسم في الحديث، إلا أن توظيفها في القصة كان أقل وروداً.

ففي قصة الرجل الذي قال لصاحبه المذنب، والله لا يغفر لك، ولا يرحمك، ولا يدخلك الجنة، تحذير شديد عن الحكم بالجنة أو النار لأي شخص فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر فوجده يوماً على ذنب فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيب؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أولاً يدخلك الجنة، فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال، لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر، اذهبوا به إلى النار" قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته"<sup>2</sup>. حيث استعمل القسم هنا لتأكيد حكم يقيني غير معلوم، إلا من ذات الشارع الحكيم.

<sup>1</sup> - دلالات التراكيب: 192.

<sup>2</sup> - صلاح الدين محمود السعيد، صحيح القصص النبوي، ص43.

وفي قصة قتل، عدو الله أبي جهل، فعن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن عوف عن أبيه عن جده قال: بينما أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار، حديثه أسنماهما تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمز في أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل، يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماي، فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: أيكما قتله، قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: هل مسحتما سيفيكما، قالوا: لا. فنظر في السيفين فقال: كلاكما قتله"<sup>1</sup>.

فالقسم هنا في قول أحدهما، والذي نفسي بيده، دال على عظم محبتهما للرسول ﷺ.

### ب\_الترجي:

الرجاء من الأمل، وهو نقيض اليأس<sup>2</sup> وفي مختار الصحاح "الرجاء من الأمل ممدود يقال (رجاه)"<sup>3</sup>.

وهو طلب حصول أمر محبوب، "وإذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجيا"<sup>4</sup> وقد فرقوا بين الترجي والتمني، بأن الترجي في الشيء الممكن والتمني خلافه، وبأن الترجي أيضا في القريب الحصول والتمني في البعيد، وبأن الترجي في الشيء المتوقع، والتمني

<sup>1</sup> - صحيح البخاري رقم الحديث: 3141 ومسلم: 4668.

<sup>2</sup> - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص118، مادة رجا.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مادة (رجا)، ص 209.

<sup>4</sup> - محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة (البدیع، البيان، المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م، ص303.

في غير المتوقع ويكون التمني في الشيء المحبوب للنفس، والترجي يكون في الشيء المحبوب والمكروه<sup>1</sup> و"الرجاء يكون بـ (عسى) و(حري) و(اخلولق) نحو قوله تعالى:  
يَأْتِي بِالْفَتْحِ (سورة المائدة الآية 52)."<sup>2</sup>

وذكر أبو العباس المبرد (لعل) وأنها تفيد الرجاء في قوله: "و(لعل) حرف جاء لمعنى مشبه بالفعل، كان معناه التوقع لمحوب أو مكروه... فإذا قلت: لعل زيدا يأتينا بخير، و: لعل عمراً يزورنا، فإنما مجاز هذا الكلام، من القائل أنه لا يأمن أن يكون هذا كذا"<sup>3</sup>.  
وفي القصة النبوية حين نتأمل حال ذلك الرجل الذي كان يداين الناس، نجد أن الترجي استوطن كرامته، منذ بداية عمله مع الناس، حتى ملاقاته الله عز وجل بهذا العمل: "كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه"<sup>4</sup> ففي قوله: (لعل الله أن يتجاوز عنا) ترج منه، بأن يعامله الله عز وجل كما عامل خلقه، وما عند الله خير وأبقى، كما نجد أنه عميم في ترجيه بالجمع، وذلك إرادة منه بأن يتجاوز الله أيضا عن فعله.

ونجد مثل ذلك أيضا في قصة أهل الغار، حين قال بعضهم لبعض: "انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله، فادعوا الله بها، لعله يفرجها عنكم..."<sup>5</sup>. ولا يخفى حاجة هذا الموقف إلى الرجاء بأداته هذه (لعل)، لعله أن يفرج عنهم.

### ج- التعجب:

<sup>1</sup> - جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي البحايوي، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت، ج1، ص446.

<sup>2</sup> - عبد اللطيف شريف، زبير درافي، الإحالة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 2004م، ص29.

<sup>3</sup> - المبرد، المقتضب، ج3، ص73.

<sup>4</sup> - رواه البخاري: 2078، ومسلم: 1562، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>5</sup> - رواه البخاري: 5974، ومسلم 2743 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يقال: عجب منه عجباً: أنكره لقلّة اعتياده له، وتعجب تعجباً: استعظم أمراً ظاهراً المزية، وأعجبه الأمر: حمله على العجب<sup>1</sup>. والتعجب هو: انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر مجهول سببه؛ فقد عرفه الرضي بقوله: "واعلم أن التعجب انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه، ولهذا قيل: إذا ظهر السبب بطل العجب"<sup>2</sup>. وقد مثل له ابن يعيش بقوله: "إننا لو رأينا طائراً يطير لم نتعجب منه لجري العادة بذلك، ولو غير ذي جناح لوقع التعجب منه؛ لأنه خرج عن العادة وخفي سبب الطيران"<sup>3</sup>.

وكلام العلماء ظاهر في تعريفه، وكأهم أدركوا أن ثمة شيئاً يجيش في صدر المتكلم فيفصح عنه بلغة انفعال.

وللتعجب صيغ قياسية، وصيغ سماعية، أما القياسية فهي صيغتان:

- ما أفعله! ما أحسن زيداً.

- أفعل به! أحسن يزيد.

وأما تراكيبه السماعية فهي عبارة عن تراكيب سمعت عن العرب دلت من خلال سياقها على التعجب من أمر ما، من ذلك: سبحان الله، والله دره، لله أنت، وواه له...<sup>4</sup>.

ونجد أن كلا النوعين قد جاء في النص القصصي النبوي، ففي قصة الأمانة، نجد أن صيغة التعجب جاءت بعد حشد جمع من المواقف المستدعية للتعجب: فعن حذيفة قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا: "أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة" ثم حدثنا عن

<sup>1</sup> - ينظر: لسان العرب، ج10، ص38، مادة (عجب).

<sup>2</sup> - رضي الدين محمد الاسترأبادي، شرح كافية ابن الحاجب، ج4، ص228.

<sup>3</sup> - موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، دار عالم الكتب؛ بيروت، د.ت، ج7، ص142.

<sup>4</sup> - ينظر: عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1399هـ-1979م، ص94.



رفع الأمانة قال: "ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المجل، كجمرٍ دحرجته على رجلك، فنفظ فتراه منتبراً وليس فيه شيء، ثم أخذ حصي فدحرجه على رجله، فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يُقال: إنَّ في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان"<sup>1</sup>، فالحديث الأول يتحدث عن نزول الأمانة في جذر قلوب الرجال، فالأمانة هي عين الإيمان، والمراد بها التكليف الذي كلف الله به عباده، أو العهد الذي أخذه عليهم، "وهو التعفف عما يتصرف الإنسان فيه من مال وغيره، وما يوثق به عليه من الأعراض والحرم مع القدرة عليه، ورد ما يستودع إلى مودعه"<sup>2</sup>.

والحديث الثاني تحدث فيه عن رفع الأمانة أي عن ذهابها أصلاً حتى لا يبقى من يوصف بالأمانة إلا النادر، فهو مشهد يتطلب مثل هذا الأسلوب، بمعنى أسلوب التعجب، حين يمتلأ الرجل جلدًا وظرافة وعقلاً، وليس في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وبذلك تنعدم الأمانة منه<sup>3</sup>.

وقد يأتي التعجب في مشهد يدل بسياقه على معنى التعجب، بدلالة حالة الصادر منه، وهو ما نجده في قصة المتصدق، حين قال الناس "تصدق على سارق فقال: اللهم لك الحمد لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة بصدقة، فخرج

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 8087-6497، ومسلم: 143، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب.

<sup>2</sup> - أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلق عليه: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1410هـ-1989م، ص24.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الرحمان حينكة الميداني، روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، دراسة أدبية ولغوية وفكرية، ص360.

بصدقته فوضعها على يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني. فقال: اللهم لك الحمد على سارق، وعلى زانية، وعلى غني...<sup>1</sup>. وقد أشار الطيبي إلى ذلك مبينا أن ذلك يحمل على تعجب من قبل الطرفين: "فكما تعجبوا من فعله، قالوا: "تصدق الليلة، على سارق، تعجب من فعل نفسه وقال: "الحمد لله على سارق" أي أتصدقت على سارق، ولذلك سلي بقوله: "أما صدقتك على السارق فلعله يستعف عن سرقة"<sup>2</sup>.

وفي قصة تكلم البقرة والذئب، قال رسول الله ﷺ: "بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة، فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث، فقال: الناس سبحان الله تعجباً وفرعاً أبقرة تتكلم؟"<sup>3</sup> ففي الحديث صيغتان دلتا على التعجب في قولهم: سبحان الله، واستفهام غرضه التعجب "أبقرة تتكلم" وصيغتا التعجب جاءتا في سياق تبيان دلالة وقدرة الله سبحانه والإعجاز الرباني في خلقه عز وجل.

### ثالثاً- الإنزياح التركيبي وتحولات الرتبة:

#### 1- التقديم والتأخير:

تعتمد الجملة في بنيتها التركيبية على أنظمة محددة في ترتيب مفرداتها وإسناد عناصرها، ويؤدي النحو دوراً فاعلاً في تحديد القوانين التي تحكم النظام التركيبي للجملة «لأنك لا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساد، أو وصف بمزية وفضل منه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 1421، ومسلم: 1022، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - شرح الطيبي، ج5، ص1532-1533.

<sup>3</sup> - صحيح البخاري، الحديث رقم 2324، صحيح مسلم رقم الحديث: 2388.

يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه<sup>1</sup> وعلى هذا الأساس فالمحافظة على سمت الكلام، تقتضي وضع كل كلمة في موضعها المناسب لها، وذلك كفيل بأن يتوفر للكلام عناصر الجمال من انسجام وائتلاف بين ألفاظه، وحين يفقد الكلام ذلك، بعدم الاهتمام بمراتبه، والإخلال بموضعه، يجد السامع أن مزية الكلام قد غابت، وأن بعضه يتبرأ من بعض، وذلك لغياب حلقة الوصل التي تربط بعض أجزائه ببعض، وهو موضوع هذا المبحث؛ فإنه يهدف إلى الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بضبط مراتب الكلام، المتمثلة في التقديم والتأخير، مع بيان أثر ذلك على هيئة القول.

ويمكن تحديد مفهوم التقديم في نظم الكلام بأنه: "تبادل يقع في مواقع الكلمات، بحيث تترك الكلمة موضعها في المقدمة، لتحل كلمة أخرى موضعها؛ وذلك لتؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي اقتضته قاعدة الضبط اللغوي"<sup>2</sup>.

والتقديم والتأخير وإن كانا في الوضع اللغوي كلمتين، فهما في العرف البلاغي مرتبطين ارتباطاً وثيقاً يجعلهما كالمصطلح الواحد، فالمراد بهما: "جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية، أو بعدها، لعارض اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة"<sup>3</sup>.

ومن هنا كان صنيع كثير من البلاغيين، إذا اكتفوا بالحديث عن التقديم حين يتكلمون عن التقديم والتأخير؛ ذلك لأن إحدى الكلمتين تغني عن الأخرى، فما من كلام حصل فيه تقديم للفظ إلا وقد حصل بتقديمه تأخير لغيره، فإذا قال قائل: زيدا أكرمت،

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده، محمد محمود الشنقيطي، علق على حواشيه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (د.ت)، ص65.

<sup>2</sup> - منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، مصر، ط3، 1996م، ص108.

<sup>3</sup> - نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي، الإكسير في علم التفسير، تحقيق: ع القادر حسين، مكتبة الآداب القاهرة، (د.ت)، ص154.

فالقول بتقديم (زيدا) عن رتبته الأصلية التي هي نهاية الكلام يقتضي تأخير كل من الفعل والفاعل (أكرمت) عن رتبتهما الأصلية.

والذي حمل البلاغيين على الاهتمام بهذا الموضوع جريانه على خلاف المعتاد في تأليف الكلام؛ فالأصل في الجملة الفعلية مثلا أن يأتي الفعل أولا، ثم الفاعل ثانيا، والمفعول به إذا كان الفعل متعديا وغيره من القيود المتممة للمعنى كالإضافة والنعته والحال والتمييز والجار والجرور... بينما الأصل في الجملة الاسمية أن يأتي المبتدأ أولا والخبر ثانيا، لكن حين يحصل تغيير في مراتب الكلام، يأتي عمل النظرة البلاغية في الكشف عن أسرار هذا التغيير، ودلالاته، ولذلك نجد أن علي بن خلف الكاتب جعل "النظم على خمسة أضرب: نقل، وفصل، ووزن، وقلب، ومثل، فالنقل في الكلام بالتقديم والتأخير"<sup>1</sup> كما نجد التقديم عنده أحد أنواع إخراج الكلام عن رتبته، ف"الكلام وغيره مما يرتب، يخرج عن رتبته بأحد ستة أشياء وهي التقديم والتأخير، والرفع والخط، والأخذ يمينا وشمالا، وليس ترتيب الكلام بتخيير ألفاظه"<sup>2</sup>؛ فبالإمكان تجاوز نظام الجمل من خلال تقديم عنصر عن آخر قصد تحقيق دلالات جديدة: "في الحدود التي يسمح بها النظام النحوي والتركيب للغة"<sup>3</sup>.

وقد عني عبد القاهر بهذا الباب، وأولاه اهتماما ظهر على مستوى التنظير والتطبيق، فكان مما قال عنه إنه: "باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بدیعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه؛ ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء،

<sup>1</sup> - علي بن خلف الكاتب، موارد البيان، تحقيق: أ.د حاتم صالح الضامن، دار البشائر دمشق سوريا، ط1، 1424هـ-2003م، ص147.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 161-162.

<sup>3</sup> - يوسف أبو العدوس، الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، ص276.

وحول اللفظ عن مكان إلى مكان<sup>1</sup>. وهذه هي البلاغة والفصاحة التي يختص بها علم المعاني لفظا و أسلوبا؛ فهو ملتقى تبرز فيه الكفاية البيانية، والدقة التعبيرية، وحسن الأداء، وذلك حين يراعي المتكلم مراتب الكلام، فيضع كل كلمة في مكانها.

وقد أشار الزركشي إلى أن العرب " أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق"<sup>2</sup>؛ فالقصد بالعدوبة هنا صفاء اللفظ ونقاء معناه، بتحويل أضره وتحريرها، ما يزيده قوة في القصد وتمكنا في المبني.

كما أنه منتج لأثر من آثار الكلام على النفس ، حين يقدم بعض الكلام على بعض، " فحين نقدم ما لا حق له في التقديم، نكون قد أحدثنا تغييرا في المواقع، وفي الصلاحيات، وفي الأضواء، وفي الأثر النفسي؛ لأن المقدم يحتل مركزا ممتازا، فهو أول ما تقع عليه العين، وأول ما تتأثر به، وأول ما تعجب به، وأول ما تقع النفس تحت أضوائه، فتنشغل به؛ لأنه يستحق هذا، ولأنه في غير مكانه الذي تعودنا أن نراه فيه، ثم تأتي الألفاظ الأخرى، فتكون الشحنة التي استحوز عليها اللفظ المقدم قد قلت"<sup>3</sup>، ومثال هذا ما نجده في البيان القرآني مثل: ما جاء في قوله تعالى: **إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا**<sup>4</sup> (سورة البقرة الآية 275)؛ حيث قدم الله عز وجل لفظ البيع على لفظ الربا في صورة التشبيه المقلوب؛ كون صيغة البيع تمثل أساس التعاملات الاقتصادية، التي قد تؤدي بصاحبها إلى الربا؛ فالتقديم هذا دل على أهمية اللفظ المقدم ودونه من الألفاظ، يدخل في تفصيل المعنى وتدقيقه، فأريد تبين الربا وأضره من خلال البيع وهو أبلغ.

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص 83.

<sup>2</sup> - بدرالدين محمد بن عبد الله، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 305.

<sup>3</sup> - منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجملة، منشأة المعارف، مصر، ط3، 1996م، ص 108.

وفي البيان القصصي النبوي تُمتلك ناصية هذا الأسلوب في رحبته، ولا يجيء ذلك إلا لدواعٍ دلالية وأغراض بلاغية، يتلمسها المتأمل في أسلوب القصة النبوية فيجد أنه ﷺ تارة يقدم الذي يعتنى بشأنه، وتارة يقدم العدد وتارة يقدم للتأكيد، أو التخصيص أو التشويق... وغيرها من أغراض هذا الأسلوب ودواعيه، « فهي إذن محاولة لتبين نظم صوغ المتتاليات اللسانية... من خلال فحص كيفية تضافر البنى الأسلوبية والطرائق التي تتعالق بها مكونات النص، وتمحيص تفصلاً<sup>1</sup>» ولعل ما يفسر القول السابق حديث النبي ﷺ: { يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبِع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها... }<sup>2</sup>، نجد أنه ﷺ قدم شبه الجملة (فيها)، وذلك لغرض إرادة التأكيد، على أن المنافقين يتبعون محمداً لما انكشف لهم من الحقيقة رجاء منهم أن ينتفعوا بذلك، ويلتزموا الرياء في الآخرة، كما إلتزموه في الدنيا، حتى تبينهم الغرر والتحجيل من أثر الوضوء عند الحوض، فتبين حينئذ المنافق، إذ لا غرة ولا تحجيل.<sup>3</sup> فقد تقدم الخبر على المبتدأ، لبيان المعنى من الحديث، ألا وهم الناس المنافقون، ذكروا بالتفصيل في بداية الحديث (أتباع الشمس والقمر والطواغيت) مصداقاً لقوله تعالى: وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) (سورة البقرة: الآيتان 14\_15). فلخص الرسول ﷺ أصناف هؤلاء الطواغيت في الخبر شبه الجملة المقدم (فيها).

<sup>1</sup> - حسن ناظم، البنى الأسلوبية في شعر السياب - دراسة في أنشودة المطر - دار التنوير لطباعة والنشر، لبنان، مصر، تونس، ط2، 2015م، ص189.

<sup>2</sup> - رواه البخاري، 7437، ومسلم: 182، عن أبي هريرة.

<sup>3</sup> - ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج2، ص425.

وتأمل في قصة صاحب الناقة، نجد أن التقديم فيها أكسبها شيئاً من العمق في التصوير لحالة الرجل: "الله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح.<sup>1</sup> فقد جاء ذكر التفاصيل الدقيقة المستوحاة من تقديم خبر شبه الجملة (عليها) في قوله ﷺ: {عليها طعامه وشرابه}، مبينة لدواعي اليأس الذي تبعه الفرح الشديد بعد ذلك، مصداقاً لقوله تعالى: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (سورة الشرح: الآية 6)، هكذا حلَّ بعد العسر اليسر والفرح العميم.

ولنا أن نتأمل أيضاً في التقديم الوارد في قول النبي ﷺ: {تقئ الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجىء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً}.<sup>2</sup> فقد جاء التقديم في قوله: (في هذا قتلت) وقوله: (في هذا قطعت رحمي) وقوله (في هذا قطعت يدي) وهي تستفيض مثل هذه المظاهر المنذرة بفساد المجتمع وأهله، فالمراد بهذا الحديث ليس بيان جزاء القاتل، والقاطع صلة الرحم

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 6308، ومسلم: 2745 عن ابن مسعود ﷺ، كتاب التوبة، باب في الحز على التوبة، والفرح بها.

<sup>2</sup> - رواه مسلم: 1013، عن أبي هريرة ﷺ.

والسارق فحسب؛ إنما الأهم في سياق هذا القول هو بيان مظلومية كل من المقتول والمنقطع الرحم والمسروق، "بصيغة المجهول، ولو روي معلوماً لكان له وجه"<sup>1</sup>.

وفي البيان القصصي نجد أنه ﷺ يلجأ إلى مثل هذا الأسلوب، وذلك في مثل قوله عن أدنى أهل الجنة منزلة: {سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلِكٍ مَلِكٍ من مُلوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ رب. فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيتُ رب. هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ولدت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: ربّ فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم ترى عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر...}<sup>2</sup>. فقد وضعنا هذا النص أمام مشهد تكريمي، يقف فيه تقديم المسند وسيلة تصور مدى اختصاص هذا الرجل بهذا التكريم، حين قال الله عزّ وجلّ له: (لك ذلك ومثله ومثله ومثله...)، وقد تكرر هذا الأسلوب هنا في قوله: (هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك ولدت عينك)، ولعل من جمال هذا الأسلوب أنه بدأ بأدنى أهل الجنة منزلة، وكأن الحال يقول: إذا كان هذا هو أدناهم منزلة فكيف بأعلاهم؟ وهنا تتأتى جمالية التقديم والتأخير في القصة النبوية، وهذا يقودنا إلى أهمية التراكيب والسياق والعلائق اللغوية في إعطاء المعنى بعدا دلاليا، وتقديم الصورة الأصل، وقد بلغ الحديث بالأخص القصة في هذا الفن الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها

<sup>1</sup> - علي بن محمد القاري، مرقة المفاتيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م، ج10، كتاب الفتن، باب أشرار الساعة، ص80.

<sup>2</sup> - رواه مسلم: 189، عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه.



المناسب ولم يكتف ﷺ بهذا بل وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه؛ وفي ذلك يقول الرافعي: «ولذا ترى كلامه ﷺ يخرج من حدود الزمان، فكل عصر واجد فيه ما يُقال له، وهو بذلك نبوة لا تنقضي وهو حي بالحياة ذاتها، وكأنما هو لون على وجه منها، كما ترى البياض مثلا: هو اللون على وجه طائفة من الجنس البشري»<sup>1</sup>.

كما أن من شواهد هذا الغرض، ما جاء في قصة أهل الغار، حين قال الأول: "اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أعقب قبلهما أهلا ولا مالا، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أعقب قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقذح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى أملت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه. فتحرجت من الوقوع عليها"<sup>2</sup>.

وفي تقديم المسند في قوله: (لي أبوان) وقوله: (كانت لي بنت عم) ما يفيد الاختصاص الذي أنتج لنا تشويق المخاطب لأن يعرف ما يستتر وراء هذا الاختصاص من سرد لحالة كل شخصية، فالأول يجيء حاملا قوته وقوت والديه، فإيهما نائمين، فيوقظ فيه إيمانه عدم تقديم أولاده الذين يتضاغون عنده على والديه، والآخر تحدته نفسه بعمل السوء

<sup>1</sup> - مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، راجعه واعتنى به د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ج3، ص14.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 5974، ومسلم: 2743، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فيوشك أن يفعل، إلا أن تخويف الفتاة من الإقدام على ذلك، وما كان تدفق تلك الدلالة ليظهر لولا هذا التقديم الذي أنتجها.

تطرقنا إلى تقديم الخبر على المبتدأ غير أن الوجه الأكثر توظيفاً في القصص النبوية هو تقديم المبتدأ على الخبر؛ لأن هذا الوجه هو الأكثر شهرة واستعمالاً خاصة فيما يشمل حديث رسول الله ﷺ وصحبه، فأسلوبه عليه الصلاة والسلام في قصصه كان سهلاً واضحاً يسير الفهم اعتمد فيه تقديم المبتدأ على الخبر من باب الحديث المتداول، والذي لا يمكن إدراكه ضمن ما هو عادي كون كلام الرسول ﷺ كلام نبي لا ينطق عن الهوى، إنما هو وحي يوحى، مثل ما جاء في حوار جبريل عليه السلام، مع الرسول ﷺ والصحابة جالسون من حوله: (الإسلام هو...). (الإيمان هو...). (الإحسان هو...).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: {بينما رجلٌ يمشي فاشتدَّ عليه العطشُ، فنزلَ بئراً فشرِبَ منها ثم خَرَجَ، فإذا هو بكَلْبٍ يلهثُ يأكلُ الثرى...} <sup>1</sup>. والشاهد في الحديث السابق قول الرسول ﷺ: (بينما رجل يمشي...). و(إذا هو بكلب...). وهذا يأتي من باب الجملة الاسمية السليمة؛ التي يأتي فيها ترتيب المبتدأ قبل الخبر، ذلك أن الأخير بمثابة صفة تدل على الكلمة المبدأ بها، فأغلب الجمل الاسمية في النص القصصي النبوي، تقدم المبتدأ على الخبر لأن القصص المحمدي كان غرضه سرد الأحداث والوقائع والتفاصيل لهدف الإعلام والإخبار لحالة استقرار معنوي، هدفها عرض وتخصيص جملة الأحكام، والقيم المندرجة ومنه كذلك قوله ﷺ: {بينما رجل يجرُّ إزاره من الخيلاء، خسف به،

<sup>1</sup> - صحيح البخاري: 2363، وصحيح مسلم: 2244.

فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة<sup>1</sup>. فالجملة الفعلية (يتجلجل) دلت على الحركة بينما الجملة الاسمية ككل دلت على استقرار وثبات حالة الرجل إلى يوم القيامة.

هذا كما أننا نلاحظ غلبة المبتدأ في صورة الضمير المنفصل قصد تحقيق اتساق النص السردي وانسجامه مع المعنى المقصود وهذه الحالة نلاحظ تقدم المبتدأ على الخبر، تماشياً ومبدأ الاتساق والانسجام النصي في مثل: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {لما أغرق الله فرعون قال: (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل)، فقال جبريل علي السلام: يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة<sup>2</sup>. (وأنا آخذ من حال البحر) جملة اسمية، المبتدأ فيها ضمير منفصل، دل على أن الملك كان حريصاً على أن لا ينطق فرعون بالشهادة وأن تناله رحمة الله -والله أعلم-

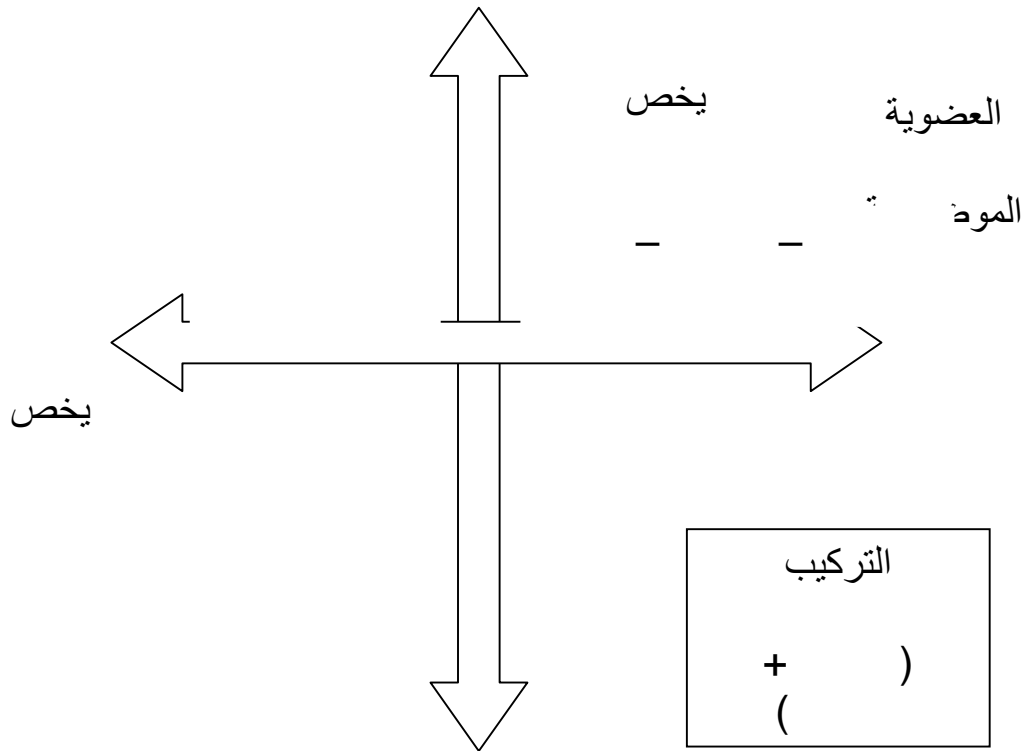
وفي قصة التفاخر بالأنساب بين رجلين على عهد النبي موسى -عليه السلام-، فعن أبي بن كعب قال: انتسب رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان، فمن، أنت لا أم لك؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال: أحدهما: أنا فلان ابن فلان، حتى عدت تسعة فمن أنت لا أم لك؟. قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن هذين المنتسبين؛ أمّا أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة، فأنت ثالثهما في الجنة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - صحيح البخاري: 3485 و5779 واللفظ له، وصحيح مسلم: ج(2088).

<sup>2</sup> - صلاح الدين محمود السعيد، صحيح القصص النبوي، ص 41.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 30.

ذلك أن البنية السردية القصصية النبوية، قامت على توظيف الضمائر باختلاف أشكالها اللغوية، قصد التركيب البلاغي الأسلوبي المنعكس في قول الله عز وجل على لسان نبيه المعجز في القول. والمتناغم في النص والمنسجم في المعنى. مثل ما تكرر في النص السابق من ضمائر. ونمثل لهذا بالمخطط التالي:



من خلال هذا المخطط التقريبي الذي يخص البنية النصية التركيبية، نخلص إلى أن الضمير يلعب دورا هاما في تحقيق الاتساق في الصورة السردية النبوية، ناهيك عن مجموع الخصائص الأخرى التي تلعب دورا في تحقيق هذه العملية الدلالية التفاعلية.

وتجدر الإشارة إلى أن التقديم والتأخير، خاصية لغوية تتمحور معظم الصور القصصية فيها، على البنية الاسمية، دون الفعلية منها؛ ذلك أن هذه الأخيرة وردت في أغلب القصص

على أساس لغوي تنظيمي دون تغير في التركيبة الإسنادية للجملة الفعلية؛ ذلك أن الفعل هو المحرك الأساسي للحدث السردي النبوي فهو يحمل المعنى ويتضمن المضمون ويختص بالمقصود ألا وهو الفاعل من وراء حَبِكِ هذه الصورة القصصية.

ومثال ذلك قصة: (دخل الجنة في كلب سقاه)، حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن سُمَيٍّ مولى أبي بكر عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: {بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي فَنَزَلَ الْبئْرَ فَمَلَأَ حُقُّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فغفر له} <sup>1</sup>. فكل الجمل الفعلية الواردة ترتيبها كان متسلسلا من الفعل والفاعل. أو فعل + فاعل + مفعول به. فمثلا: (فوجد بئرا) فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به، (فشرب ثم خرج)، (يلهث)، (يأكل الثرى من العطش)، (نزل البئر)، (مألاً خفه)، (أمسكه بفيه) ؛ جمل تناسقت في تركيبها اللغوي بكيفية ترتيبية متداول.

ومما يلفت نظرنا في القصص النبوية، تقديم المسند إليه بعد الفعل الناسخ (كان) أو بعد حرف التوكيد (إن)، وذلك ما نجد في كثير من شواهد القصة النبوية، ولنا أن نتأمل: "أن رجلا رأى كلبا يأكل الثرى من العطش...<sup>2</sup>" وقوله: "أن رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل بأن يسلفه ألف دينار، فدفعها إليه...<sup>3</sup>" و "أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له: أأست فيما شئت قال: بلى ولكني أحب أن

<sup>1</sup> - صحيح البخاري: 2323، صحيح مسلم: 2244.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 2466، ومسلم: 2244، عن أبي هريرة ؓ.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 1498، عن أبي هريرة ؓ.

أزرع...<sup>1</sup> وقوله: " إن رجلا كان فيمن كان قبلكم ،أناه الملك ليقبض روحه...<sup>2</sup>، ومع الفعل الناسخ نحو قوله: " كان رجل في بني إسرائيل، يقال له جريج، يصلي، فجاءته أمه فدعته، فأبى أن يجيبها"<sup>3</sup>، وقوله: "كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسرا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه...<sup>4</sup>، وقوله: { كان ملك فيمن كان قبلكم...<sup>5</sup>، وعند تلمس الهدف من ذلك نجد أن القصة إنما يتعلق هدفها بهذه الشخصية التي تمثل المسند إليه في كل من الأمثلة السابقة.

وقد درس الباحثون موضوع التقديم والتأخير في الحديث النبوي بنوعيه؛ الأول الذي يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، والثاني الذي يختص بالمعنى، وقد أثرنا فيما سبق تتبع التقديم الذي يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، وإضافة الفائدة أو الغرض البلاغي المتوخى من هذا التقديم والتأخير ، والذي يقودنا إلى دلالة اللفظ المتقدم، وذلك من خلال القصة في الحديث النبوي الشريف.

أمّا عن النوع الثاني : فمثاله عن أبي هريرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: { يوتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخرتُ لك الأنعامَ والحراثَ، وتركتُك ترأسُ وتربعَ،<sup>6</sup> فكنتَ تظنُّ أنّك ملاقيُّ يومك

1 - رواه البخاري: 2348، عن أبي هريرة ﷺ.

2 - رواه البخاري: 3451، عن حذيفة بن اليمان ﷺ.

3 - رواه البخاري: 3452، ومسلم: 2756، عن حذيفة بن اليمان ﷺ.

4 - رواه البخاري: 2078، ومسلم: 1562، عن أبي هريرة ﷺ.

5 - رواه مسلم: 3005، عن صهيب الرومي ﷺ.

6 - أي تستغل الأرض فتخصبها وتستفيد من خيراتها.

هذا؟ قال: فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني<sup>1</sup>. قدّم الله سبحانه وتعالى السمع على البصر، لأنه أقوى وذا أهمية أكبر فالإنسان يسمع أولاً ثم يرى.

ومما لوحظ أن التقديم والتأخير مسّ الجمل الاسمية أكثر من الفعلية؛ لطبيعة المادة القصصية وكذا لملاءمة هذه الإجازات البلاغية لطبيعة الجملة الاسمية، فيما يتمثل في التخصيص، تخصيص المراد أو العبر المقصودة من السرد النبوي والحديث الشريف ككل، فلا يقدم في البنية الإسنادية أو يؤخر ركن من أركان الجملة أو لفظ من ألفاظها، إلا حين يكون ذلك التقديم متكفلاً بإنتاج دلالة تطابق المقام.

## 2- إيجاز الحذف:

عرّفه ضياء الدين بن الأثير: « ما يحذف منه المفرد، والجملة، لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه»<sup>2</sup>.

وله أسماء منها "المختصر"<sup>3</sup>، والحذف أو الكلام المحذوف عند الجاحظ، لم يذكر تعريفاً صريحاً ولعل ما يبرز عنده أنّ الحذف هو: « إسقاط بعض العناصر من النص لغرض من الأغراض البيانية، مع وجود دليل على المحذوف»<sup>4</sup>.

وقد أشاد به عبد القاهر، وبيّن وجه دقته ولطفه يقول هو: " باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر،

<sup>1</sup> - الشيخ زكريا عميرات، الأحاديث القدسية الصحيحة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، ص234.

<sup>2</sup> - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص312.

<sup>3</sup> - أبي عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ج2، ص92.

<sup>4</sup> - مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر، عمان الأردن، ط1، 2009م، ص15.

والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِّن<sup>1</sup>؛ فقد رسم هنا الخط العريض لبلاغة هذا النوع من الإيجاز، وبينَّ حسن موقعه في الكلام، وما ذاك إلا لكونه خارجا عن الأصل في نظم الكلام، إذ الأصل في كل ما يراد الإعلام به بالذكر دون الحذف؛ لأن الذكر دليل على إرادة الإعلام، ولكننا بجانب هذا الأصل، نجد في البيان العربي مقامات تكون بعض أجزاء الجملة فيها واجبة الحذف، أو جائزة الحذف، وكل ذلك في موطن يمكن أن يفهم فيها المحذوف بالفطنة، أو بالاستنباط من بعض الأجزاء المذكورة، فالصمت عن الإفادة هو زيادة للإفادة، وهو أظهر وأبين من الإفصاح، فالحذف قد يكون في مواضع أفصح وأبلغ من الذكر والنطق.

وقد ذكر البلاغيون أنه لا بد أن يكون هناك دليل على الحذف، لأنَّ "الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف شروطها، أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف؛ فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنه لغو من الحديث لا يجوز بوجهه، ولا سبب، ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولا من الطلاوة والحسن"<sup>2</sup>.

وفي القصة النبوية، نجد أن هذا النوع من الإيجاز هو محك تشويق، ومناط انتباه؛ وذلك في مشاهد النص، حين يحذف منها ما تدل عليه القرائن في سياق الكلام، فيذهب المخاطب مع المحذوف كل مذهب، ويدفعه التفكير في مصيره "وخير الكلام ما يدفعك إلى التفكير، ويستفز حسك وملكاتك، وكلما كان أقدر على تنشيط هذه القدرات كان أدخل في القلب، وأمس بسرائر النفس المشغوفة دائما بالأشياء التي تومض ولا تتجلى، وتتقنع ولا

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.

<sup>2</sup> - ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص 316.



تبدل"<sup>1</sup>؛ ووجود الحذف في القصة أمنة لها من التطويل وترهّل المشاهد، التي قد تنسي مخاطب شيئاً من الأهداف المهمة المنضوية تحت مظلتها، كما أن هذا النوع فيه دافع تشويقي للمتلقي لبحث في أسرار هذا الحذف ونكاته بمعونة القرائن.

ونجد أن المحذوف في النص قد يكون مبتدأ، أو خبراً، أو فاعلاً، أو مفعولاً به، أو مضافاً، وقد يكون أيضاً حرفاً، أو جملة، أو عدة جمل، ونجد أن القاسم المشترك في كل ما يرد فيه الحذف أمران: أحدهما: قابلية المقام، وهو أن يكون المتلقي عارفاً بالمحذوف، لوجود القرينة الدالة عليه. والآخر: الداعي الموجب لرجحان الحذف على الذكر<sup>2</sup>.

والعمل في المحذوف أن يقدر فيما يناسب السياق، ويلائم المقام، وإذا احتمل السياق أكثر من تقدير فينظر الأنسب والأكثر موافقة للمقام، فلا يقدر المتلقي "إلا أفصحها وأشدها موافقة للغرض؛ لأن العرب لا يقدرّون إلا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به"<sup>3</sup>.

ولعلي ابتدئ شواهد الحذف هنا بحذف المبتدأ أو الخبر، وقد قال ابن يعيش: "اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما، فالمبتدأ معتمد الفائدة والخبر محل الفائدة، فلا بد منهما إلا أنه قد توجد في الكلام قرينة لفظية أو حالية، تغني عن النطق بأحدهما فيحذف لدلالته عليه، لأن الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى، فإذا فهم

<sup>1</sup> - محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، 160.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد الرحمن السيوطي، المرشدي على عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1348هـ، ج1، ص59.

<sup>3</sup> - عز الدين ع العزيز بن عبد السلام السلمي، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع الحجاز، تحقيق: محمد بن الحسن إسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1416هـ-1995م، ص15.

المعنى بدون اللفظ جاز أن لا تأتي به، ويكون مرادا حكما وتقديرا، وقد جاء ذلك مجيئا فحذفوا المبتدأ مرة والخبر أخرى<sup>1</sup>.

وشاهد حذف المبتدأ ما جاء في قصة هجرة إبراهيم وسارة: "هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَارَةَ، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ، أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ، هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ مِنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: أُخْتِي."<sup>2</sup>.

فقد سبق الحوار في هذا النص، مساقاً ينبض بالسرعة والإيجاز، وهنا نجد أن إبراهيم عليه السلام يريد أن يتخلص من هذا الملك بأسرع وسيلة كانت، ولذلك وجدناه أجاب بقوله: (أختي) حين سأله الملك: (من هذه التي معك؟)، وتقدير جواب إبراهيم: (هي أختي) ولكنه حذف المبتدأ، قصداً إلى الإيجاز والاختصار.

وقد اختلف في السبب الذي حمل إبراهيم على ذلك، وأشهر الأقوال في ذلك، أن إبراهيم عليه السلام أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أحفهما، وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة، كما يظهر في سياق فعل هذا الجبار، حين قيل: (دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء)، ولكن هذا الملك إن علم أن لهذه المرأة زوجا حملته الغيرة على قتله أو إعدامه، أو حبسه وإضراره، بخلاف ما إذا علم أن لها أخا فإن الغيرة تكون حينئذ من قبل الأخ لا من قبل الملك فلا يبالي به<sup>3</sup>؛ وقد يقال: إن هناك قرينة لفظية تدل على هذا الحذف، وهي ما ورد في بداية النص، حين قيل للملك: (دخل إبراهيم بامرأة هي من

<sup>1</sup> - موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، دار عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج1، ص94.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 2695، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - ينظر: فتح الباري، ج6، ص474.

أحسن النساء) فقد يكون ذكر الضمير (هي) مغنيا عن ذكره في جواب إبراهيم عليه السلام والله أعلم.

ومثال ذلك ما جاء في قصة الأبرص والأقرع والأعمى حين قال ﷺ: { فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، قد قدرني الناسُ. قال: فمسححه، فذهب عنه، فأعطني لونا حسنا وجلدا حسنا. فقال: أيُّ المال أحب إليك؟ قال: الإبل - أو قال: البقر هو شكٌ في ذلك، إن الأبرص والأقرع، قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر... }<sup>1</sup>. حذف المبتدأ (هو) في قوله لون حسن وجلد حسن وحذف المبتدأ في قوله: (الإبل) وقول الأقرع: (البقر)، وقول: الأعمى: (الغنم)، والتقدير في كل (هي الإبل) و(هي البقر) و(هي الغنم)، وقد حذفه اختصارا، وابتعادا عن الإطالة في ذكر ما يجبون من المال، فاكتمى بذكر ما يجب كل واحدا منهم، على سبيل السرعة، والمقام يتطلب مثل ذلك، كما أننا نجد في هذا النص حذفاً للمبتدأ في موضع آخر، وهو ما ورد في قوله: { ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين، تقطعت به الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيرا أتبلغ عليه في سفري... }؛ فقوله: (رجل مسكين) حذف منه المبتدأ، وتقديره: (أنا رجل مسكين)، لكن صورة هذا الرجل وهيئته التي ظهر بها تدعو إلى حذف ضمير المتكلم، وكأن حاله تكلمت بهذا الضمير، وتخطت إلى ذلك إلى قوله: (رجل مسكين).

ومن شواهد حذف الخبر ما جاء في قصة أهل الغار الثلاثة، حين قال ﷺ: { فقال أحدهم اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صببية صغار أرعى عليهم

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 706، ومسلم: 2964، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بنيّ وأنّه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما فحلبتُ كما كنت أحلب، فجئتُ بالحلاب فقامت عند رؤوسهما أكره أن أوقفهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة نرى منها السماء...<sup>1</sup>.

فقد حذف الخبر في قوله: (وامرأتي)، والتقدير: (ولي امرأتي) بدليل قوله فيما بعد: (ولي صببية صغار)، وقوله قبل ذلك: (كان لي والدان شيخان كبيران)، فاكتفى بذكر الخبرين في كل من الجملتين وحذفه في هذه الجملة، وذلك للتخفيف من ذكره لكثرة دورانه في هذا المشهد.

وقد يتكرر الحذف في النص الواحد، كما نجده في قصة البقرة والذئب: { بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنّا لم نخلق لهذا، إنما خلّقنا للحرث. فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم. فقال: فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر - وما هما ثم - وبينما رجل في غنمه، إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب هذا استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري<sup>2</sup>؛ فلما كان تكلم البقرة والذئب - أو أي حيوان - قضية غير مألوفة، استغرب المتلقون، وتعجبوا هنا حتى قالوا - تعجبا لا إنكارا - (سبحان الله)، ولما كان سؤالهم حاملا شيئا من إمارات الإنكار والتردد في تصديق القصة، وظهر إمارات الإنكار هنا مما يسوغ

<sup>1</sup> - رواية مسلم: 2743، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 3663، ومسلم: 2388، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الخروج عن مقتضى الظاهر في الخطاب، فينزل غير المنكر منزلة المنكر، احتاج المقام هنا أن يؤكد ﷺ أن ما يحكى لهم إنما هو حدث واقعي لا ضرب من الخيال؛ وقد دعم ذلك في ختام كل من قصة الذئب والبقرة بأنه يؤمن بالقصة، ويؤمن بها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا غرو فهما أفضل الأمة بعد نبيها، وشاهدنا هنا هو قوله: (فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر)، فمعروف أن قوله: (أؤمن به) جملة فعلية واقعة خبراً لـ (إنّ) المؤكدة، وقوله: (أبو بكر وعمر) معطوفان على ياء المتكلم، فهما في حكم اسم إن إذ هما له تابعان، فقد حذف الخبر هنا، وتقديره: (فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر يؤمنان به)، فحذف الخبر في هذا الموضع، لدلالة قوله: (أؤمن به) عليه، ولا يخفى ما لهذا الحذف من أثر تشويقي ناسب أن يختتم به النص، مع ما يفيد من الاختصار.

ومن مظاهر الحذف، حذف الفاعل، ولا يحذف من الكلام إلا إذا دلّ عليه الدليل، ولا بد أن يكون الدليل قويا أيضا، بحيث يصبح هذا الفاعل المحذوف كأنه مذكور، وإلا «فإن الفاعل لا يجوز حذفه على الإطلاق، بل يجوز فيما هذا سبيله»<sup>1</sup>. وهذا الفاعل قد يحذف وحده، وقد يحذف معه الفعل أيضا، فيتشوق المتلقي إلى معرفة المحذوف، سواء أكان فاعلا فحسب أم شمل الحذف الفعل والفاعل معا، ويسعى في تقديره.

ومما جاء على حذف الفاعل في قصص الصحيحين، قوله ﷺ: {يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيقولُ من كان يعبدُ شيئاً فليتبِع. منهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمرَ ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها مُناقضوها...} <sup>2</sup>؛ ففي هذا النص نجد أنه ذكر الفعل في قوله: (فيقول)، وحذف لفظ الجلالة الفاعل (الله)، وذلك للعلم به، فالذي

<sup>1</sup> - ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص332.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 806، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يحشر الناس هو الله عز وجل، وقد كان الصحابة مدركين لذلك استنادا إلى ما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ نُحْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم 85)، وفي السنة: قول النبي ﷺ: {يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بَعْدِ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبِ أَنَا الْمَلِكِ، أَنَا الدِّيَّانُ} <sup>1</sup>. وفي مثل هذا الحذف تمكين للفترة، وزيادة تعزيز الإيمان في قلوب المخاطبين، كما أن فيه استدعاء لشهادة العقل تبعا لشهادة النقل.

ومن ذلك ما جاء في قصة غزو أحد الأنبياء، حين قال ﷺ: {فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ -يعني النار- لتأكلها، فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولا، فليبايعني من كل قبيلة رجل. فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول. فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها} <sup>2</sup>.

فقد جاء هذا النص متضمنا موضعين من مواضع الحذف، الأول في قوله: (فجمع الغنائم فجاءت) فقد حذف الفاعل هنا، بدليل قول راوي الحديث: (يعني النار، إذ لو كان من كلام النبي ﷺ لكان في أصل المتن دون إدراج من الراوي <sup>3</sup>، والموضع الثاني في هذه القصة هو في قوله: (فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت). قال ابن حجر: «فيه حذف يظهر

<sup>1</sup> - رواه البخاري معلقا، كتاب: 97، باب 32، عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - رواه البخاري 3124، 5157، ومسلم: 1747، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - الإدراج: هو أن تزداد لفظة في متن الحديث من كلام الراوي، فيحسبها من يسمعها منه مرفوعة في الحديث، ويكون الإدراج في المتن، ويكون في الإسناد أيضا، ويعرف المدرج بوروده منفصلا في رواية أخرى، أو بالنص على ذلك من الراوي، أو من الأئمة المحدثين. ينظر: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لأحمد شاكر، ص 79-80.

من سياق الكلام أي: فبايعوه فلزقت»<sup>1</sup>؛ فالذي حذف هنا هو الفعل والفاعل في تقدير الكلام (فبايعوه)، والذي دلّ عليه هو سياق الكلام.

ومن ذلك أيضا قصة المتصدق حين قال: {فقال: اللهم لك الحمد لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعا في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية. فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني. فقال: اللهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غني...}<sup>2</sup>. فقوله: (على زانية) فيه حذف للفعل والفاعل والتقدير: (تصدقت)، أو: (أتصدقت على زانية؟). قال العيني: «قلت: معنى قوله: على زانية، متعلق بمحذوف، وهو قوله: أتصدقت، وليس هو متعلقا بقوله: لك الحمد، ولم يفهم معنى هذا بعضهم»<sup>3</sup>. وعلى هذا يكون المحذوف هو أداة الاستفهام مع الفعل والفاعل.

ومن مواضع الحذف كذلك حذف المفعول به، وفيه وجوه بديعة تنبئ عن دقة مسلكه، وهو من أخص وجوه الحذف، «فإن اللطائف فيه أكثر وأعجب، كقولنا: فلان يجل ويعقد، ويبرم وينقض، ويضر وينفع، والأصل في ذلك على إثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الإطلاق»<sup>4</sup>.

ومن شواهد حذفه، ما جاء في قول النبي ﷺ: { قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا وقولوا: حطة. فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة }<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - فتح الباري، ج6، ص268.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 1425، ومسلم: 1022، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - عمدة القاري، ج8، ص412.

<sup>4</sup> - ابن الاثير، المثل السائر، ج2، ص340.

<sup>5</sup> - رواه البخاري: 3403، 4479، ومسلم: 3015، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يحكي لنا ﷺ هنا تبديل بني إسرائيل لعهد الله ، وقوله الذي أمرهم به في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ<sup>١</sup> وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة:58)، فبدلوا ذلك القول بقول غير الذي قيل لهم، وقد حذف المفعول به في قوله: (فبدلوا) والتقدير: (بدلوا السجود). قال ابن حجر: " والحاصل أنهم خالفوا ما أمروا به من الفعل والقول، فإنهم أمروا بالسجود عند انتهائهم شكرا لله تعالى وبقولهم حطة، فبدلوا السجود بالزحف، وقالوا: حنطة بدل حطة، أو قالوا: حطة وزادوا فيها حبة في شعيرة"<sup>1</sup>.

ومن ذلك ما جاء في قصة الرجل المتبختر: { بينما رجل يمشي في حلة، تُعجبه نفسه مرجل جمته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة }<sup>2</sup>. فقد حذف المفعول في قوله: (إذا خسف الله به) في هذه الرواية، والتقدير: (إذا خسف الله به الأرض)، بدليل ورودها في الرواية الأخرى. قال ابن حجر: "في رواية الأعرج" فخسف الله به الأرض" والأول أظهر في سرعة وقوع ذلك به"<sup>3</sup>. فقد أشار إلى أن الرواية التي جاء فيها حذف المفعول أظهر، وذلك لسرعة إظهار العقوبة للمتقي، ليستقر في روعه الخوف من مثل هذا العمل.

وقد تحذف الجملة من الكلام، وذلك لقيام الدلائل عليها، أشار إلى ذلك الرماني، وهو يذكر أنواع الإيجاز بقوله: «ومنه حذف الأجوبة، وهو أبلغ من الذكر، وما جاء منه في القرآن كثير كقوله جل ثناؤه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا لَوْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ<sup>٢</sup> وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الرعد:31).

<sup>1</sup> - فتح الباري، ج8، ص386.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 3475، ومسلم: 2088، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - فتح الباري، ج10، ص3210.



كأنه قيل: لكان هذا القرآن... وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ؛ لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان<sup>1</sup>.

وشاهد ذلك ما جاء في قصة الإسراء والمعراج حين قال النبي ﷺ بعد استقرار أمر فريضة الصلاة: {سألت ربي حتى استحييتُ، ولكن أرضى وأسلم - قال - فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي}<sup>2</sup>. قال ابن حجر: « وفيه حذف تقدير الكلام: سألت ربي حتى استحييت فلا أرجع، فإني إن رجعت صرت غير راض، ولا مسلم، ولكن أرضى وأسلم »<sup>3</sup>، ومنه أيضا قوله في القصة نفسها، حين وصف سدرة المنتهى: « فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت ». فقوله: (من أمر الله) فيه حذف تقديره " من جلال الله وعظيم شأنه وسلطانه "<sup>4</sup>؛ وهذا الحذف مناسب للمقام ولائق به؛ لأن المقام مقام إجلال وعظمة، جمع فيه بين جلال الله وعظمته، وجلالة المكان، فهو في السماء السابعة، وجلال الموقف، إذ هو في موقف الكلام مع الله عز وجل، فناسب الحذف هنا ليذهب معه المتلقي، وتتيقظ فطنته لروعة هذا المشهد، وإصابة التعبير فيه.

ومن ذلك ما جاء في قصة بعث النار، وقد ذكرها البخاري في باب قصة يأجوج ومأجوج: { يقول الله تعالى: يا آدمُ. فيقول: لبيك وسعديك والخير في يدك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سُكاري، وما هم بسُكاري،

<sup>1</sup> - الرّماني، النكت في إعجاز القرآن، 76، 77.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 3207، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - ابن حجر، فتح الباري، ج7، ص270.

<sup>4</sup> - أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج1، ص390.

ولكن عذاب الله شديد...<sup>1</sup>، فقد جاء الحذف في قوله: ( قال: وما بعث النار؟ ) ، وقد أشار ابن حجر إلى هذا الحذف بقوله: " الواو عاطفة على شيء محذوف تقديره سمعت وأطعت، وما بعث النار؟، أي: وما مقدار مبعوث النار"<sup>2</sup>.

ومما سبق تبينت مواضع الحذف في الكلام، واتضح أثره، وظهرت إفادته في البيان النبوي الكريم، وذلك أن النفس البشرية مجبولة على حب ما خفي عنها، ومتطلعة إلى ما نُهيت عنه، والحذف وإن كان يعني إسقاط شيء من الكلام، أو بعض أجزائه، فإنه مع ذلك جليل النفع، عظيم الأثر في جو الخطاب العام، حيث يمنحه الحركة في البحث عن مرامي الحذف وأغراضه، و" ربّ حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التّجويد"<sup>3</sup>.

ولعل ختام هذا المبحث يكون بقول الرافعي عن هذا الأسلوب في ألفاظه ﷺ، حيث يقول: «وَأَمَّا الْقِصْدُ وَالْإِيجَازُ وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مَا هُوَ مِنْ طَبِيعَةِ الْمَعْنَى فِي أَلْفَاظِهِ وَمِنْ طَبِيعَةِ الْأَلْفَاظِ فِي مَعَانِيهَا، وَمِنْ طَبِيعَةِ النَّفْسِ فِي حِظِّهَا مِنَ الْكَلَامِ وَجِهَتَيْهِ (اللفظية والمعنوية)، فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية، حتى كأن الكلام لا يعدو فيها حركة النفس، وكأن الجملة تخلق في منطقهِ ﷺ خَلْقًا سَوِيًّا، أَوْ هِيَ تَنْزَعُ مِنْ نَفْسِهِ انْتِزَاعًا، وَهَذَا عَجِيبٌ حَتَّى مَا يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَهُ أَمْرٌ حِظَّهُ مِنَ التَّأَمُّلِ إِلَّا أَعْطَاهُ حِظَّ نَفْسِهِ مِنَ الْعَجَبِ، وَإِنَّمَا تَمَّ فِي بِلَاغَتِهِ ﷺ بِالْأَمْرِ الثَّلَاثِ، وَهُوَ الْإِسْتِفَاءُ؛ الَّذِي الَّذِي يُخْرِجُ بِهِ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ فَضُولِهِ، وَإِحْكَامِهِ وَوَجَازَتِهِ، مَبْسُوطِ الْمَعْنَى بِأَجْزَائِهِ، لَيْسَ فِيهَا خِدَاجٌ<sup>4</sup>، وَلَا إِحَالَةٌ وَلَا اضْطِرَابٌ..»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 6530، 7483، ومسلم: 222، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

<sup>2</sup> - فتح الباري، 11 ج، ص 473.

<sup>3</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 151.

<sup>4</sup> - أي: نقصان.

<sup>5</sup> - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 339.

# الفصل الرابع

## المستوى الدلالي

أولا : اختيار اللفظة وملاءمتها للسياق

ثانيا: الحقول الدلالية

اللغة هي مجموعة أصوات لها معاني ودلالات، تختلف باختلاف تركيب المادة المكونة لها، وهي وسيلة للاتصال وتوصيل الأفكار، في سياق يتحدد به معناها، الذي يلعب دوراً كبيراً في مستويات الاكتساب، التي تحدد نمط التفكير، «فاللغة هي النظام أو مجموعة القواعد والتعبير المستقرة بصورة تحديدية في ذهن الجماعة اللغوية، التي تسير عليها، والكلام على هذا الأساس سلوك فردي، واللغة تمثل قواعد ونظام هذا السلوك».<sup>1</sup>

فاللغة إذاً هي معنى في صوت، مجسد في لفظ، مركب من حروف، اتفقت في تواتره جماعة بشرية، لها سمة التواصل فيما بينها، فيصبح بذلك سلوك ذا دلالة عميقة المفاهيم، مستقر الصورة، رغم اختلاف حقول استخداماته بينها.

ف«علم الدلالة - وتضبط بفتح الدال وكسرهما- وبعضهم يسميه علم المعنى ولكن حذار من استخدام صيغة الجمع والقول: علم المعاني؛ لأن الأخير فرع من فروع البلاغة، وبعضهم يطلق عليه اسم "السيمانتيك" أخذاً من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية...، ويعرفه بعضهم بأنه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع في علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها، في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى»<sup>2</sup>، فهو يبحث في العلاقة بين الرموز في العالم الخارجي وبين مسمياتها، ويهتم كذلك «بكيفية دلالة الكلمات على معانيها، أو الصلة بين اللفظ وصورته في الذهن».<sup>3</sup>

وتعرض الفلاسفة اليونان لموضوعات في بحوثهم تعد من صميم علم الدلالة، فقد ميز أرسطو بين الكلام الخارجي والكلام الذي ينبثق من العقل وتعرض أفلاطون لموضوع العلاقة

<sup>1</sup> - كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي (إجراءاته ومناهجه)، دار غريب القاهرة، ج1، ص ب.

<sup>2</sup> - د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص11.

<sup>3</sup> - د. فوزي عيسى، د. رانيا فوزي عيسى، علم الدلالة (النظرية والتطبيق)، دار المعرفة الجامعية، سويتز الإسكندرية، ط1، 1430هـ-2008م، ص13.

القائمة بين اللفظ ومدلولاته، ولم يكن الهنود أقل اهتماماً، في بحوثهم عن أهمية السياق في تحقيق المعنى فمعالجتهم لها، كان من ناحية العلاقات الذهنية وقوانين التفكير السليم، وفهم الفعل، والإدراك المكتسب لوظيفته في الشعور واللاشعور.

«أما اللغويون فقد انصب اهتمامهم على دراسة المعنى من حيث دلالة المفردات والتراكيب»<sup>1</sup>.

ومن المعلوم أن اللغة قوامها الكلمات، فما من لغة من اللغات إلا وتشتمل على رصيد منها، متفاوت من حيث القلة والكثرة، وما دامت الكلمة هي عماد اللغة وقوامها، فلا بد من أن نتساءل: ما هي وظيفتها؟ وكيف تدل الكلمات على معانيها؟ أو الصلة بين اللفظ وبين صورته في الذهن؛ إذ هناك فكرة تنشأ في الذهن عند نطق الكلام، فما هي الصلة بين الفكرة وبين الكلمات؟

والحقيقة أن الكلمات حين وضعت، وضعت للدلالة على معنى أصلي، إلا أن الواقع اللغوي يثبت غير ذلك؛ إذ ليس للكلمات معنى معجمي فقط، وإنما لها استعمالات شتى بحسب السياق<sup>2</sup>، فهناك بعض الألفاظ تطلق على معنيين أو أكثر، مثل الفعل (قضى) الذي يفيد معنى (أمر)، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾<sup>3</sup>، ومعنى (صنع) كما في قوله تعالى: ﴿ص﴾<sup>4</sup>، ومعنى (حكم) المعنى المستفاد من

<sup>1</sup> - شاهين حسن، علم الدلالة السيمانتية والبرلمانية في اللغة العربية، دار الفكر، عمان ط1، 2001م، ص25.

<sup>2</sup> - ينظر، بيار غيرو: علم الدلالة، ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط1، 1986م، ص29.

<sup>3</sup> - سورة الإسراء، الآية 23.

<sup>4</sup> - سورة طه، الآية 72.

كلمتي (القاضي والقضاء)، ومعنى (مات) كما في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾<sup>1</sup>.

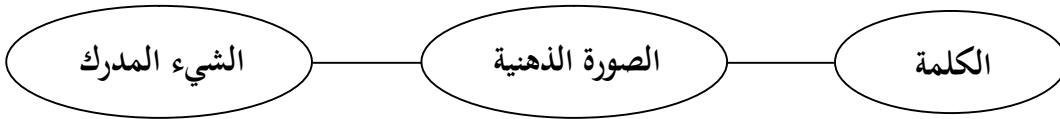
فإذا دلت الكلمات على معان أخرى غير المعنى الأصل، فتلك معان مستخلصة من السياق، إذ السياق هو الذي يدلنا على المقصود من الكلمة، لذا ينبغي فهم المقال في ضوء المقام.

«ومعنى هذا بالتالي أننا حين نفرغ من تحليل للوظائف على مستوى الصوتيات والصرف والنحو ومن تحليل العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها على مستوى المعجم، لا نستطيع أن ندعي أننا وصلنا إلى فهم المعنى الدلالي، لأن الوصول إلى هذا المعنى يتطلب فوق كل ما تقدم ملاحظة العنصر الاجتماعي، الذي هو المقام وهذا العنصر الاجتماعي ضروري جداً لفهم المعنى الدلالي، فالذي يقول لفرس عندما يراها «أهلاً بالجميلة» يختلف المقام معه عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته فمقام توجيه هذه العبارة للفرس، هو مقام الترويض، وربما صحب ذلك ربت على كتفها أو مسح على جبينها، أما بالنسبة للزوجة فالمعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي أيضاً، فقد تقال هذه العبارة في مقام الغزل أو في مقام التوبيخ أو التعبير بالدمامة، فالوقوف عند المعنى المعجمي لكلمتي «أهلاً» و «الجميلة» وعلى المعنى الوظيفي لهما وللباء الرابطة بينهما لا يصل بنا إلى المعنى الدلالي ولا يكون وصولنا إلى هذا المعنى الدلالي إلا بالكشف عن المقام الذي قيل فيه النص»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - سورة الأحزاب، الآية 23.

<sup>2</sup> - د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب القاهرة، ط3، 1418هـ-1998م، ص342.

إن السياق في قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾<sup>1</sup>، هو الذي يدلنا على أن المقصود من كلمة (صوم) ليس المعنى المعروف لدينا، وهو: الامتناع عن مفطرات البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، بل هو الامتناع عن الكلام، جاء في معان القرآن للفراء قوله: «نذرت للرحمن صوما»، أي صمتاً<sup>2</sup>.  
على هذا فلا تكاد الكلمة تذكر أمامنا، حتى ندركها من السياق في معناها الأصلي ومعناها الثاني، وعندئذ تستثير في أنفسنا صورة نفسية، هي الصورة التي كونها عن الشيء المدرك بالحواس أو بالتصور العقلي.



كما قد تنضاف إلى الصورة الذهنية ارتباطات أخرى خارجية تضيء جواً خاصاً على المفهوم الحاصل في ذهن الشخص المدرك، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾<sup>3</sup>، فالمعنى المستفاد من الاستفهام (وكيف تكفرون؟) هو التعجب والإنكار<sup>4</sup>.

ومما تقدم يمكن القول: إن الكلمات المستعملة أكثرها مشحون بقيم ومفاهيم أخرى مرتبطة بالمعنى الأصلي، وتعبّر عن نوايا المتكلم ومقصده، « وبهذا المعنى يصبح للعلم الجديد الذي يأتي من امتزاج النحو والمعاني، "مضمون" لأنه يصبح شديد الارتباط بمعاني الجمل ومواطن استعمالها وما يناط بكل جملة منها من "معنى"»<sup>5</sup>.

<sup>2</sup> - سورة مريم، الآية 26.

<sup>2</sup> - ينظر الفراء: معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، ج2، 1980م، ص166، والزحشري: الكشاف، تح. محمد موسى، دار المصنف، القاهرة، ط2، ج4، 1977، ص07.

<sup>3</sup> - سورة آل عمران، الآية 101.

<sup>4</sup> - ينظر الزحشري، الكشاف، ج1، ص190.

<sup>5</sup> - د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص337.

وتعد الدراسات المتعلقة بالمعنى والدلالة، الملتقى الذي يجتمع فيه الجمهور في شتى التخصصات، فهي -دراسة المعنى- لم تعد مقصورة على عالم اللغة فحسب بل هي في اتساعها وتشعبها وتعدد أوجهها، تمثل نقطة تقاطع لعدد كبير من العلوم الإنسانية، كعلم اللغة وعلم أصول الفقه، والفلسفة والمنطق، وعلم النفس وعلم الأجناس، وعلم الاجتماع وعلم الحيوان، وعلم التربية، والنقد الأدبي والبلاغة، وكل من هذه العلوم يتناول المعنى من زاوية تخصصه، وبحسب هدفه من تلك الدراسة. «كما استخدم اللغويون القدامى مصطلحات هي من لوازم الفقه الشرعي نذكر منها: مصطلح القياس والسمع والإجماع واستصحاب الحال والاستحسان، وما إلى ذلك، ولم يشد الدرس الدلالي في التراث العربي عن هذه الأسس النظرية باعتباره كان يدور في فلك العلوم التي كانت تهدف إلى فهم كتاب القرآن، بتذليل معانيه واستنباط دلالاته، واقتباس سننه في الإنشاء والتعبير ويمكن أن نلمس هذا الاهتمام بالدلالة... في ميادين مختلفة من المعارف والعلوم كالمنطق والفلسفة وأصول الفقه والتاريخ والنقد».<sup>1</sup>

إن دراسة المعنى والدلالة رغم تجذره في التاريخ، فقد اكتسب وزناً وازداد أهمية في الآونة الأخيرة نتيجة تطور الدرس اللغوي، وبتأثير النظريات التي ظهرت في العصر الحديث. ودلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول "تنحصر في ثلاثة أوجه هي: المطابقة والتضمن والالتزام، فإنَّ لفظ "البيت" يدل على معنى البيت بطريق المطابقة، ويدل على السقف وحده بطريق التضمن، لأن البيت يتضمن السقف...، وأما طريق الالتزام فهو كدلالة لفظ "السقف" على الحائط، فإنه غير موضوع للحائط، وضع لفظ "الحائط" للحائط حتى يكون مطابقاً، ولا هو متضمن إذ ليس الحائط، جزءاً من السقف، كما كان

<sup>1</sup> - منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص31.



السقف جزءاً من نفس البيت، وكما كان الحائط جزءاً من نفس البيت ، لكنه كالرفيق الملازم الخارج عن ذات السقف الذي لا ينفك السقف عنه.<sup>1</sup>

فالدلالة عند الأصوليين هي "كون اللفظ بحيث إذ أرسل علم منه المعنى للعلم بوضع ذلك اللفظ لهذا المعنى"<sup>2</sup>، ويشير هذا التعريف إلى قضيتين هامتين هما: قضية اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما، وتعد نظرية الوضع قمة الدراسات الدلالية عند الأصوليين و«هي الأساس الذي بنوا عليه فكرتهم في الألفاظ والمعاني، وربما نجد من أيسر التعريفات التي اصطالحوا عليها في (حد الوضع) ما نقله السيوطي عن التاج الشبكي في شرح منهاج البضاوي وهو قوله: «الوضع عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء، بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثاني...»<sup>3</sup>. وقضية اختلاف تعريف المناطقة واللغويين للدلالة وتعريف الأصوليين، إذ يرى المناطقة كما جاء في تعريف الشريف الجرجاني للدلالة: «هو كون الشيء...، فقد أورد في التعريفات: الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول الدال والثاني المدلول»<sup>4</sup>؛ بحيث لو حصل العلم به لزم منه العلم بشيء آخر، كصفرة الوجه الدالة على الخوف، فلو دل العلم بصفرة وجه شخص يلزم من ذلك حصول العلم بخوفه: «فالجرجاني يتجاوز بتعريفه الدلالة، ليشير إلى علم آخر أعم من الدلالة (Sémantique) وهو ما يعرف بعلم الرموز أو السيمياء (Sémiologie)... فذكره الشيء بدل اللفظ، يدل على إشارته إلى هذا العلم الذي يعني بالرموز والعلامات غير اللغوية»<sup>5</sup>، والمقصود بالشيء

<sup>1</sup> - ينظر أبو حامد الغزالي، المستقصى من علم الأصول، تح. محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج1، ص74.

<sup>2</sup> - محمود توفيق محمد سعد، دلالة الألفاظ عند الأصوليين، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط1، 1987م، ص11.

<sup>3</sup> - د. علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، 1986م، ص122.

<sup>4</sup> - الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، دط، دت، ص109.

<sup>5</sup> - منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص39.

هنا مطلق الأمر، في حين يقول الأصوليون، إن الدلالة هي "كون اللفظ"، والمقصود باللفظ ما تحقق نطقه وتأكد سماعه، والأشياء التي تدل على غيرها كثيرة ومتنوعة، منها اللفظية وغير اللفظية، فاللفظية أو الألفاظ معروفة، وغير الألفاظ مثل: الخط، الإشارة والعقد والنسبة أي الحال.

ويعد الجاحظ أول من حدد هذه الدوال وفصل القول فيها، إذ يقول في معرض حديثه في البيان: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولهما اللفظ ثم الإشارة ثم العقد<sup>1</sup> ثم الخط، ثم الحال التي تسمى النسبة»<sup>2</sup>، فالمقصود بالدلالة اللفظية هي دلالة اللفظ على معناه كدلالة لفظ الاسم (ذَهَب) على ذلك المعدن النفيس، وكذلك دلالة لفظ (ذهب) على الانتقال من مكان إلى آخر، بحسب ما استعمل له لفظ الفعل (ذَهَبَ) في الجملة.

ودلالة (الخط) هي دلالة الرموز المخطوطة على ما ترمز إليه، كدلالة خط (ق، ل، م) (قلم) على اللفظ المعبر عن تلك الأداة المستعملة في الكتابة، ودلالة (الإشارة) كبعض حركات أجزاء البدن: اليدين والرأس والشفقتين، والحاجبين والمنكبين، وكلها حركات تدل على معان معروفة بين أفراد المجتمع الواحد، فالإيماء بالرأس يدل على الموافقة أو الرفض ودلالة الإشارة شريكة دلالة اللفظ وعون له وترجمان عنه، وكثيرا ما ينوب الإيماء عن اللفظ. أما دلالة العقد فهي دلالة استعمالها العرب للحساب بالأصابع دون اللفظ والخط، أما دلالة النسبة فهي دلالة الحال وهيئة العامة للشخص أو الشيء على معنى، يقول الجاحظ في تعريفها: «وأما النسبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد»<sup>3</sup>، فدلالة

<sup>1</sup> - العقد، ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له حساب اليد.

<sup>2</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج1، ص81.

الحال هي دلالة التأمل والتدبر، الناقلة والمثيرة بغير اللفظ، الى ما في الكون والانسان والحياة، فالسماوات والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار الأنهار، واختلاف صور الناس مثلا كلها تشير إلى وجود الخالق عز وجل المدبر سبحانه، فهي (النسبة) وسيلة العقل الى الاستبانة والاستيضاح.

### بين الدلالة والمعنى:

إن التفريق بين الدلالة والمعنى لأمر عسير التحديد، لتداخل مباحثهما لدى العلماء قديما وحديثا، وقد أدى هذا التداخل إلى جواز استعمال اللفظين "الدلالة والمعنى" بمعنى واحد، كأنهما مترادفان متساويان، وهذا ما يقره **التهانوي** في مقدمة كتابه إذ يقول: «ولعلم علم الدلالة أو حقل المعنى من أدق العلوم في الدراسات اللغوية»<sup>1</sup>. فإذا كان علم الدلالة Semantics هو: «ذلك العلم الذي يدرس المعنى»<sup>2</sup>، فإن الدراسات الدلالية في الدرس اللغوي العربي مرتبطة أساسا بدراسة المعنى، إلا أننا لا نكاد نجد عند علماء العرب القدماء تعريفا واضحا ومحددا للمعنى، إلا بعض الأقوال المتفرقة، مثل ما جاء في كتاب الصاحبي لابن فارس أن المعنى هو: «القصد والمراد، يقال عنيت بالكلام كذا، أي قصدت وعمدت... وقال قوم: اشتقاق المعنى من الإظهار، يقال: عنت القربة إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته... قال الفراء: «لم تعن بلادنا بشيء» إذا لم تنبت، وحكى ابن السكيت: «لم تعن من عنت تعني. فإن كان هذا فإن المراد بالمعنى الشيء الذي يفيد اللفظ»<sup>3</sup>، وجاء في تاج العروس: «قال الفارابي: ومعنى الشيء ومعناته واحد، ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه، كله

<sup>1</sup> - التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: د. علي دحروج، تقديم وإشراف مراجعة: د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، ج1، المقدمة.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص11، ومحمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، ص261. وماريو باي، أسس علم اللغة، ص44.

<sup>3</sup> - ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح. مصطفى الشومري، المكتبة العربية، بيروت، لبنان، 1964م، ص192-193.

هو ما يدل عليه اللفظ...، ويجمع المعنى على المعاني، وينسب إليه فيقال: المعنوي، وهو ما لا يكون للسان فيه حظ، إنما هو المعنى يعرف بالقلب<sup>1</sup>. ومن ذلك فإن المعنى يطلق ويراد به معان عديدة، أهمها:

- المراد من الكلام والقصد منه.

- مضمون الكلام وما يقتضيه من دلالة.

- إن المعنى شيء غير اللفظ لأن اللسان ليس له فيه حظ.

- إن المعنى خفي لا يدرك إلا بالقلب أو العقل.

كما أورد الزبيدي عن المناوي في التوقيف أن: «المعاني هي الصور الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ»<sup>2</sup>، ثم يجعل لهذه الصور الذهنية أسماء اصطلاحية، تطلق عليها بحسب مراتب حصولها، فيقول: «والصورة الحاصلة من حيث أنها تقصد باللفظ تسمية معنى، ومن حيث حصولها من اللفظ في العقل تسمى مفهوما، ومن حيث أنها مقولة في الجواب. ما هو؟ تسمى ماهية، ومن حيث ثبوتها في الخارج تسمى الحقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأعيان تسمى هوية، ويمكننا بيان ذلك في الشكل الآتي:

<sup>1</sup> - السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح. عبد المجيد فطامش، راجعه د. عبد العزيز علي سفر و د. خالد عبد الكريم جمعة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، 1422هـ-

2001م، ج39، ص123.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج39، ص123.

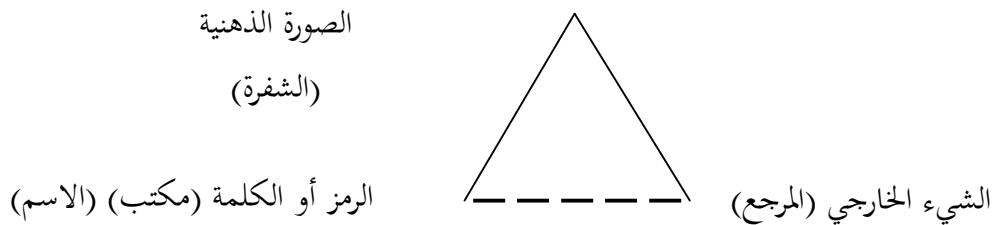
المعاني

=

الصور الذهنية

5	4	3	2	1
-----	-----	-----	-----	-----
↓	↓	↓	↓	↓
هوية	حقيقة	ماهية	مفهوم	معنى
عندما تميزها عن	من حيث ثبوتها	عندما تقع	عندما تحصل	عندما تقصد
الأعيان	في الخارج	في جواب	في العقل	باللفظ
		ما هو؟		

ولما كانت الدلالة هي: إثارة اللفظ للمعنى الذهني، كان: «كل شيء له وجود خارج  
الذهن، فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك  
الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به عن هيئة تلك الصورة  
الذهنية في أفهام السامعين وآذانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة  
الألفاظ»<sup>1</sup>. ويمكننا توضيح ذلك بالشكل الآتي:



<sup>1</sup> - أبو الحسن القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الطيب خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط2،  
1981م، ص18-19.

فلما كانت الكلمات مركبة من وحدات صوتية ضم بعضها إلى بعض، فولدت معنى يعبر عن شيء محسوس، والصورة الذهنية هي الربط بين اللفظ ومدلوله، كان لفظ "المكتب" هو الدال والشيء الخارجي هو المكتب نفسه، والصورة الحاصلة تمثل الفكرة، وهذا ما يعرف بنظرية مثلث المعنى، إذ يطلق مصطلح "الدال" على الاسم أي الرمز، كما يطلق مصطلح (المدلول) على الشيء أو المرجع كما يطلق مصطلح "معنى" على الفكرة المقصود التعبير عنها "أي مدلول الاسم"<sup>1</sup>.

وقد حدد عبد القاهر الجرجاني مفهوم المعنى مأخوذاً من وظيفة اللفظ أو دلالاته الوضعية، إذ يقول: «ويعني المعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة»<sup>2</sup>.

و مما تقدم، فإن المعنى هو موضوع البحث في علم الدلالة، إلا أنه يصعب تعريفه، مما أدى إلى اختلاف الدارسين في تحديده، وتوسع شقة الخلاف بين الآراء، وقد ساهم في ذلك اختلاف مناهج الباحثين، واختلاف مجالات بحوثهم المعرفية، مع كثرة المصطلحات المستعملة في هذا المجال المعرفي، والتي لم يحصل الاتفاق على معانيها.

فجاءت العلاقة بين الكلمة ومعناها، القائم بين ثنائية الدال والمدلول، مندرجة تحت علاقات اختلفت الآراء في وجودها؛ فمنهم من رفض فكرة التباين بين اللفظ ومعناه، على أساس أن الكلمة عنصر مكون للشيء، ولا يمكن فصل هذا الشيء المتصور عن وحدته الكلامية الدالة عليه.

<sup>1</sup> - ينظر عدنان بن ذريل، اللغة والدلالة، ص 48.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 203.

في حين هناك من يصرح بوجود علاقة بين اللفظ والمعنى قد تكون علاقة منطقية، ذات رابطة سببية مباشرة «نجد فيها نوعاً من الربط العقلي أو المنطقي بين ما يراه الإنسان ويعقله»<sup>1</sup>. وهي شبيهة بالعلاقة اللزومية التي نستحضر من خلالها المفهوم الذي نكونه عن هذا الشيء في أذهاننا.

وقد تكون العلاقة طبيعية ينشأ من خلالها ربط شعوري، لما يشعر به الفرد في شكل محاورة ومحاكاة للأصوات الموجودة في الطبيعة، والتي تقام على أساسها علاقات، تصنف الدلالات حسب الأصوات، إضافة إلى علاقة ثالثة عرفية، ناتجة عن اتفاق بين النوع الواحد والتي تختلف باختلاف الثقافة المتوارثة والمكتسبة الشاملة لأنظمة التواصل.

فالكلمة فسيفساء دلالية، لا يتحدد لها وجه بتعدد معانيها وصورها في الذهن، واختلاف علاقاتها المتمحورة في مجال التعبير الخفي الكثيف في الملفوظ الحاضر.

وفي علاقة اللفظ بمعناه نجد أن الجاحظ يستلهم بعض الصفات المتعلقة بالقضايا الاجتماعية، ليتمكن لها الحضور في علاقة اللفظ بمعناه فـ« من أراد معنى كريماً فيلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف»<sup>2</sup>، كما نجد يؤكد على تطابق اللفظ مع معناه وسياقه في قوله: «ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً، وتلك الحال له وفقاً»<sup>3</sup>، وما ذاك إلا لأنه يعلم أن التقصير في حق هذا الأصل يؤدي إلى اختلال التوازن بين الألفاظ والمعاني، فيمتد بعد ذلك أحد الطرفين على حساب الآخر، ونراه يشير إلى أن الكلام « لا يستحق اسم البلاغة حتى يطابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه

<sup>1</sup> - كريم زكي حسام الدين، (التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه)، ج1، ص51.

<sup>2</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص136.

<sup>3</sup> - المصدر السابق، ج1، ص52.

إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»<sup>1</sup>. وقد جاء المبرد (ت: 275هـ) بعده ليقرر: «أن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم؛ حتى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاوضة شكلها، وأن يقرب بها البعيد، ويحذف منها الفضول»<sup>2</sup>.

وقد كان الاحتفاء باللفظة عند العرب نابغاً، من علاقتها الشديدة بالمعنى، ذلك أنها تؤدي أثرها المهم في إبراز المقاصد الكامنة في النفس، وتستظهر المعاني المختزنة في الأذهان، وقد بين ابن جني (ت: 392هـ) ذلك بقوله عن عناية العرب بالألفاظ: «فأول ذلك عنايتها بالألفاظ، فإنها لما كانت عنوان معانيها، وطريقاً إلى إظهار أغراضها ومراميها، أصلحها ورتبها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها، ليكون ذلك أوقع في السمع، وأذهب في الدلالة على القصد»<sup>3</sup>، فقد أوضح سبب الاهتمام باللفظ باعتباره المنتج للسياق والدلالة على المعنى، كما يفيد مصطلح (الإصلاح) عنده مدلولاً بلاغياً، وملحاً أسلوبياً يتصل بالمعنى من جهة، والسياق من جهة أخرى، فيقول: «اعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمة، وعليها أدلة، وإليها موصولة، على المراد منها محصلة، عنيت العرب بها فأولتها صدرًا من تثقيفها وإصلاحها»<sup>4</sup>.

ويكشف التأمل في عناية العرب باللفظ واهتمامهم به، عن مدى العلاقة التلازمية التي بينه وبين المعنى، وفي ذلك قول لطيف لابن رشيق (ت: 456هـ) حيث يقول: «اللفظ

<sup>1</sup> - البيان والتبيين، ج1، ص115.

<sup>2</sup> - أبي العباس المبرد، البلاغة، حققها وقدم لها ووضع فهرسها: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1405هـ-1985م، ص81.

<sup>3</sup> - ابن جني، الخصائص، ج1، ص216-217.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص313.



جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه، ويقوى بقوته»<sup>1</sup>، وقد جعل أبو هلال العسكري (ت:395هـ) جودة اللفظ كامنة في مطابقتها للمعنى غير ناقصة عنه، ولا زائدة عليه<sup>2</sup>.

ومهما يكن فإن حسن اختيار اللفظة الجيدة، ووضعها في موضعها الملائم لها من السياق هو قطب الحديث عن عناية العرب بالألفاظ، وقد أفصح عن ذلك ابن الأثير (ت:637هـ) بقوله: «وذلك أن أرباب النظم والنثر غرّبوا اللغة باعتبار ألفاظها، وسبروا وقسموا، فاختروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه، ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه، فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها، واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانتها»<sup>3</sup>.

وينبغي القول بأن الالتفات إلى اللفظة وسياقها في البيان النبوي ضرورة تفرضها طبيعة الدرس البلاغي التحليلي لهذا البيان؛ وذلك لأمرين: «الأول: يتمثل في الحديث النبوي الشريف نفسه، بما له من خصوصية سياقية تتعلق بملازمات وجود النص، وملازمات تلقيه، وغير ذلك من التأسيسات السياقية لعملية التواصل بين طرفي الخطاب، ويتمثل الآخر: في أن الدراسات غير البلاغية التي توفرت على دراسة الحديث النبوي الشريف قد التفتت إلى الأبعاد السياقية، وإن التفتت إلى الأبعاد السياقية أسبق وأعمق من الرؤية من

<sup>1</sup> - أبي علي الحسين بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م، ج1، ص112.

<sup>2</sup> - ينظر، أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص36.

<sup>3</sup> - ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج1، ص65-66.

المنظور البلاغي للسياق... ولذلك فإن الحديث عن البعد السياقي في التحليل البلاغي للحديث النبوي الشريف يعد بلا أدنى شك إثراء للدرس البلاغي نفسه»<sup>1</sup>.

ومما يؤخذ بطرف هذا، أن الحديث عن سياق الحديث النبوي يتطلب الضرورة ذاتها في تحليل القصة النبوية، وفق المعطيات المحيطة بجو القصة؛ ذلك أن العلاقة بين اللفظ ومعناه في النص القصصي تُستنتق من خلال سياق القصة، وظروف قولها، وقائلها، والمتلقي لها<sup>2</sup>، وهو ما يعرف في علم الحديث بأسباب ورود الحديث<sup>3</sup>، كما أن استصحاب الجانب النفسي لدى المتكلم والمخاطب، قد يفتح لنا آفاقاً ندلف من خلالها إلى بعض عوالم القصة ندرك قيمة التأخي بين أهم عناصرها: المرسل والمرسل إليه، وينبغي أن يكون هذا حاضراً في تحليلنا للبيان النبوي، « إذ كانت طبيعته - صلى الله عليه وسلم - تظهر لنا أنه كان يصوغ عبارته، ويسوق ألفاظه وفقاً لطبيعة نفوس أصحابه، الذين كانوا يطلبون منه أن يقص عليهم، وما ذاك إلا لأنه يعلم أثر اللفظة البليغة إذا صادفت نفساً مهياً لقبولها»<sup>4</sup>.

ف« السياق هو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة، وتستمد أيضاً من السياق الاجتماعي، وسياق الموقف، وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره من متكلم ومستمع وغير ذلك من الظروف المحيطة والمناسبة التي فيها الكلام»<sup>5</sup>، فالظروف

<sup>1</sup> - د. عيد بلع، السياق وتوجيه دلالة النص، مقدمة لنظرية البلاغة النبوية، دار الكتب المصرية، مصر، ط1، 1429هـ-2008م، ص119.

<sup>2</sup> - ينظر: د. الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب، تونس، 2000م، ص39.

<sup>3</sup> - ينظر: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، لابن حمزة الحسيني، وعلم أسباب ورود الحديث، د. طارق الأسعد.

<sup>4</sup> - ينظر: د. محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1425هـ-2005م، ص174.

<sup>5</sup> - فوزي عيسى، علم الدلالة (النظرية والتطبيق)، ص111.

المحيطة، والزمان والمكان، إلى جانب شخصية المتكلم والمستمع كل تلك العناصر تساعد على كشف المعنى وتوضيحه.

وتتميز القصة النبوية بدلالات شرعية وأنظمة إنسانية جياشة متميزة، وذلك لكونها جاءت للعبارة والعظة، من خلال الدروس التي تستفاد من تاريخ السلف من أبناء آدم عليه السلام، وذلك لكون المسيرة الإنسانية واحدة في تعابيرها، متنوعة في معانيها وجريانها على حياة الناس، تعاقباً وضمناً... وهذا ما يحمل دلالة السرد القصصي، الذي يتتبع الأخبار ويقتفي الآثار، بعداً بعد، ونظماً بنظام في أنساق أسلوبية، تشهد بما وقائع الحياة وأدواتها ومتلازمتها، وذلك بدقة متميزة حين تعرض بعد المعرفة وبعد المعنى وبعد التلقي أيضاً، وكان من دواعي البراعة في هذه القصص أن انتقيت ألفاظها بما يتناسب مع الأحداث والمشاهد، خاصة وأن السياق مَنبَعٌ؛ عنده تجتمع دلالات النص، وجمالياتها ومنه تنطلق، وهو أساس حركة التواصل بين المتكلم والمتلقي، ليتقبل النص بسياقه هذا، ويتتبع مرامي المعاني فيه: «فالكلمة أو النص لا تحدد دلالاته بشكل مؤكد إلا إذا عُرِفَتْ علاقاته، الداخلية وعلاقاته الخارجية، أو البيئة المحيطة به، وهذا ما حدا بفندريس إلى القول بأن الذي يحدد معنى الكلمة هو السياق، وأن السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها... ولكن الكلمة بكل المعاني الكامنة توجد في الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها مستعدة للخروج والتشكل بحسب ظروفها التي تدعوها»<sup>1</sup>.

ففي قصة الإسراء والمعراج تتجلى دقته ﷺ في اصطفاء الكلمة الملائمة لسياق هذا الحدث العظيم، حيث يقول: { أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون

<sup>1</sup> - د. فوزي عيسى، علم الدلالة، النظرية والتطبيق، ص 113.

البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل (عليه السلام) بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة...<sup>1</sup>.

حادثة تجلّت فيها الخوارق الداعية للإيمان والنظر في عظمة الخالق عز وجل، ومشهد تبدت فيه مشاعر الإجلال والتعظيم التي تطل من ملامح هذه القصة، وتبدو على سماتها، ونحن في أول مطافها، وقد شرف (صلى الله عليه وسلم) بأن وصفه ربه في هذا المقام بالعبودية له، في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: 01). «قال ابن حزم: ثم كان الإسراء إلى بيت المقدس، ثم إلى السموات، ولقي من لقي من الأنبياء، ورأى جنة المأوى وسدرة المنتهى في السماء السادسة، وفرضت الصلاة في تلك الليلة، وعند الطبري: الإسراء وفرض الصلاة كان أول الوحي»<sup>2</sup>. قال ابن إسحاق: «وكان في مسراه، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله عز وجل في قدرته وسلطانه، فيه عبرة لأولي الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على

<sup>1</sup> - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، رقم الحديث 418، ص 77.

<sup>2</sup> - عبد الرحمان بن خلدون المغربي، تاريخ العلامة ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1981م، ج 4، ص 727.

يقين، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التي يصنع بها ما يريد»<sup>1</sup>.

وكان من دواعي البراعة في هذه القصة أن انتقيت ألفاظها بما يتناسب مع هذا الحديث في عظمته، وكثافة مشاهدته، ولعل التساؤل هنا يتجه حول اختياره لكلمة (الفطرة) دون غيرها من الألفاظ التي تؤدي المعنى نفسه في هذا السياق، إلا أننا من خلال إيماء بعض المعاجم وإشارتها إلى معنى الفطرة ندرك أنها هي اللفظة المناسبة لهذا المقام.

وقد جاءت (الفطرة) على امتداد معنوي واسع، عزز دلالتها ورودها في نصوص القرآن والسنة، إذ يذكر بعضهم أن: «الفطرة بالكسر هي الخلق»<sup>2</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ فِطْرًا عَلِيًّا﴾ (الروم:30)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿

**يُهودانِه**

**يولدُ**

**أَوْ يَنْصُرَانِهْ أَوْ يَمْجِسَانِهْ . . .**<sup>3</sup>، والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلة، وهي فطرة الله تعالى، وكونه متهيئاً مستهدفاً لقبول الحنيفية طوعاً لا إكراهاً، لو تركته الشياطين وما يختاره لم يختار إلا تلك الفطرة، ولم يلتفت إلى سواها<sup>4</sup>، كما أن من معاني الفطرة السنة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: {فإنك إن مت في ليلتك مت على

<sup>1</sup> - عبد الرحمان السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ومعه السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمان الوكيل، دار الكتب الحديثة، توفيق عفيفي عامر، ط1، 1387هـ-1967م، ج3، ص395-396.

<sup>2</sup> - الرازي، مختار الصحاح، ص425، مادة (ف ط ر).

<sup>3</sup> - رواه البخاري، رقم الحديث 1296 ورواه مسلم، رقم الحديث 4803، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>4</sup> - ينظر: جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م، ج3، ص126.

الفطرة...<sup>1</sup>، لكن المعاني لهذه اللفظة حين اختلفت لم يناسب هذا السياق إلا ما اختاره ﷺ، هي لفظة (الفطرة) دون الجبلة أو السنة أو الاستقامة مثلاً.

وقد بين النووي (ت: 676 هـ) أن المراد بالفطرة هنا: «الإسلام والاستقامة، ومعناه والله أعلم: اخترت علامة الإسلام والاستقامة، وجعل اللبن علامة لكونه سهلاً طيباً ظاهراً سائغاً للشاربين، سليم العاقبة، وأما الخمر فإنها أم الخبائث، وجالبة لأنواع الشر في الحال والمآل»<sup>2</sup>، وقد جاء هذا التعبير بهذا اللفظ دالاً على الفطرة التي أودعها الله عز وجل في قلب نبيه ﷺ حتى في اختيار اللبن من خلال هذا الموقف، فهو منذ نشأته وهو على تلك الفطرة التي رعاها الله عز وجل وتولاها بحفظه له، إلى أن جاء الوحي والبعث بالرسالة فقويت الفطرة في قلبه، ولعل مما يؤيد هذا قول جبريل عليه السلام له: «أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك»<sup>3</sup>، فكانت إصابته في اختيار هذا اللفظ، كإصابته في اختيار اللبن، الذي هو دليل الهدى والرشاد له ولأمته من بعده.

وقد جاء لفظ الفطرة في القرآن مضافاً إلى الله عز وجل في خطابه للنبي ﷺ بقوله: ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ اللَّهُ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (30) (الروم: 30)، فكأنه عزز اختياره لهذا اللفظ باعتبار القيمة التي يحظى بها، وهو بذلك يؤسس توافقاً بين هذه الوحدة المفردة وبعض الوحدات المشاركة في صياغة المشهد في سياقه هذا، يظهر ذلك من خلال ربط المخاطب بين قوله: (اخترت الفطرة) وقوله عز

<sup>1</sup> - رواه البخاري، 4885، ومسلم، 4884، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - شرح النووي، ج2، ص359.

<sup>3</sup> - رواه البخاري، 3143، ومسلم، 245، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وجل: ﴿فطرت الله﴾، ففي ذلك إحالة على لفظ له وقع استعماله سابقاً<sup>1</sup>، من خلال المعنى والسياق، أما من حيث المعنى فإن المقصود بالفطرة في الآية الإسلام والاستقامة<sup>2</sup>، وكذا هو في هذه القصة، وأما من حيث السياق فإن اللفظتين سيقتا في سياق الخطاب إلى النبي ﷺ لتوجيهه إلى الاستقامة والثبات على هذه الفطرة.

وفي القصة نفسها، يحملنا النظر في قول موسى (عليه السلام) مخاطباً نبينا صلى الله عليه وسلم: {فإني قد بلوتُ بني إسرائيلَ وخبرتهم...}. إلى إيجاء مناسب مع سياق التخاطب بين هذين النبيين في هذا المشهد، إذ المجال كما أنه تبليغ رسالة ودين، فهو أيضاً مجال اختبار واستشراق لمستقبل علمه عند الله عز وجل، فيما يتعلق باستجابة أمة محمد ﷺ لفريضة الصلوات الخمسين، فأراد موسى (عليه السلام) من خلال التعبير بلفظ (بلوت) و(خبرت) أن يستل من تجربته مع بني إسرائيل ما يمكن أن يتناسب مع حال تهيئ النبي ﷺ لتبليغ بعض مفردات رسالته، التي من كبرياتها الصلوات المفروضة، ويحيى المعنى المعجمي لهذين اللفظين، خطوة أولى لمعرفة الفرق بينهما، وهو الذي يأخذ بنا بعد ذلك إلى الكشف عن سر الجمال في اختيارها ومناسبتها لهذا السياق.

وقد ذكر مجد الدين ابن الأثير (ت: 606هـ) أنه حين يعبر عن البلاء في الخير، والاستجابة، ونحو ذلك مما هو متعلق به، فإنك تقول: أبليتة أبليه إبلاء، وحين يستعمل هذا

<sup>1</sup> - الإحالة: لون من ألوان التنفن في الخطاب وهو وسيلة من وسائل الربط اللفظي والاقتصاد اللغوي: «وهي قسمان: خفية، وجليية، فقوله تعالى مثلاً: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَلُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (النساء: 140)، إحالة على قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (الأنعام: 68)، وقوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوودَ (النساء: 163)، إحالة على قوله: ﴿(الأنبياء: 105)،

لتضمنه تفضيل محمد ﷺ. ينظر: حلية اللب المصون: 218.

<sup>2</sup> - ينظر، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م، ج18، ص493.

اللفظ في سياق الشر وعدم الاستجابة، فإنك تقول: بلوته أبلوه بلاء<sup>1</sup>، وهكذا نجد تعبيره عليه السلام عن دعوته لبني إسرائيل، وعدم استجابتهم له، ومعاناته معهم، جامعاً في ذلك بين التعبير عن دعوته: (بلوت بني إسرائيل)، ومعرفة تلك الأمة على حقيقتها في قوله: (خبرتهم)، ومن أصول الخبر: العلم بالشيء ومعرفته على حقيقته<sup>2</sup>، كما أن في قوله: (بلوت) ما يدل على خوف موسى عليه الصلاة والسلام على أمة محمد ﷺ، حيث خصه بمراجعة ربه عز وجل، وطلب التخفيف منه؛ « وهذا التخصيص إنما كان؛ لأن أمة موسى قد كلفت بما لم يكلف غيرها من الأمم بالصلوات، فثقلت عليهم، فخاف موسى (عليه السلام) على أمة محمد ﷺ مثل ذلك »<sup>3</sup>.

وفي قصة الوحي نجد أن التعبير فيها جاء نابغاً من عمق التجلي المثير بين جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك جاءت الألفاظ في هذه القصة محملة بألوان من القيم التعبيرية التي تصف أثر ذلك اللقاء على نفسه ﷺ: {بينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراءٍ جالس على كرسي بين السماء والأرض ففرقت منه...}<sup>4</sup>. وفي رواية مسلم: {فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًا...}<sup>5</sup>.

وبالنظر إلى هذا النص نجد أن الجانب النفسي قد أسهم في تآزر ألفاظ النص بعضها مع بعض، حتى جاء مشعراً بهذه البلاغة الآسرة، ولا غرو في ذلك، فالحالة خارجة عن سياق الاعتياد الإنساني المألوف، ويظهر لنا ذلك التناسب عند التأمل في معنى (الفرق).

<sup>1</sup> - مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت. طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، باب الباء، مادة (بلا)، ج1، ص155.

<sup>2</sup> - ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص239، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص252.

<sup>3</sup> - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ج1، ص392.

<sup>4</sup> - رواه البخاري، 4954، 3237، 4، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

<sup>5</sup> - رواه مسلم، 161، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.



تفيد المعاجم أن الفرق هو الخوف والفرع<sup>1</sup>، كما أن الفرق « أصل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين... والفارق من الناس: الذي يفرق بين الأمور، يفصلها، وفرق الصبح وفلقه واحد<sup>2</sup>»، فكأن هذه المعاني بمجموعها تومض -أو هكذا نجد- إلى شيء من التراسل الدلالي بين هذا اللفظ وهذين المعنيين، فحالة الخوف لديه ﷺ جلية، من خلال تصريحه بذلك (فَفَرِقْتُ) و(فَجُثْتُ منه فرقا)<sup>3</sup>، كما أن هذا المشهد جاء تمييزاً وفاضلاً بين عهدين من حياته ﷺ، وهذا ما يظهر جلياً في خاتمة القصة حين يقول ﷺ: « فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فدثروني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ وهي الأوثان، قال: ثم تتابع الوحي<sup>4</sup>».

« إنه الحادث الفذ في تلك اللحظة الفريدة الحادث الكوني الذي ابتدأ به عهد في هذه الأرض، وانتهى عهد، والذي كان فرقاناً بيناً في تاريخ البشر، لا في تاريخ أمة وجيل، والذي سجلته جنبات الوجود كله وهي تتجاوب معه، وسجله الضمير الإنساني. وبقي أن يتلفت هذا الضمير على تلك الذكرى العظيمة ولا ينساها، وأن يذكر دائماً أنه ميلاد جديد للإنسانية لم يشهد إلا مرة واحدة من الزمان<sup>5</sup>. وقد آثر البيان النبوي هذه اللفظة دون غيرها مما قد تؤدي المعنى نفسه مثل: (خفت) أو (فرعت) مثلاً، وهذا ما يجعل شأن الراوي في هذه القصة وهو الذي يمثله الرسول ﷺ متأثراً مع سياق موقفه الشخصي، بإعطاء هذا المعنى لوناً خاصاً من التعبير عن انفعال نفسي برز امتداده كما نراه إلى المخاطب.

<sup>1</sup> - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص171، مادة (فَرَق).

<sup>2</sup> - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص493-495.

<sup>3</sup> - يشير النووي إلى أن لفظة "فجثت" إنما هي غلط من بعض الرواة، وأن الصحيح قوله: "فجثت"، ينظر: شرح النووي، ج2، ص381.

<sup>4</sup> - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث: 413، ص77.

<sup>5</sup> - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3938.

« لأن هذه تجربة خاصة به ﷺ، وهو الذي عاناها وعالجها، وهو الذي يحدث عنها، وعن بلوغها منه الجهد، وفرق بين أن أقول: هذا الأمر ألم زيداً، وأن أقول: قال زيد: هذا الأمر آلمي، فرق بين أن أحكي عن زيد، وأن أحضر زيداً يحكي لك عما وجد، وليس هذا بالفرق الهين، وإنما بمثله تختلف المعاني، وتختلف الأساليب، ويختلف الكلام..»<sup>1</sup>.

وفي قصة اغتسال بني إسرائيل، وحال موسى عليه السلام معهم، نجد أن ملاءمة اللفظة لسياقها جاءت على قدر كبير من الدقة والتفنن، مما يجعل لغة النص تفيض بهذا الجمال، وتأخذ بمجامعه: « كانت بنو إسرائيل يغتسلون عُراً، ينظر بعضهم إلى بعض وكان موسى ﷺ يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره يقول: ثوبي يا حجر. حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً»<sup>2</sup>.

ففي هذه القصة إشارة إلى طهر موسى ﷺ، وجميل عفته ونزاهته، ظهر في حرصه بأن لا يطلع على عورته أحد، حين خالفه بنو إسرائيل في مخالفة هي من جملة المخالفات لهذا النبي ورسالته التي بُعث بها إليهم، « ثم لم يكفهم مخالفتهم له حتى آذوه بما نسبوا إليه من آفة الأُدرة، فأظهر الله براءته مما قالوا بطريق خارق للعادة، زيادة في أدلة صدق موسى عليه السلام، ومبالغة في قيام الحجة عليهم»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد محمد أبو موسى، شرح أحاديث من صحيح البخاري، دراسة في سمت الكلام الأول، مكتبة وهبة، ط2، 2001م، ص46.

<sup>2</sup> - رواه البخاري، 278، ومسلم، 339، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>3</sup> - أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج6، ص189.

ولعل في قوله: (فَجَمَحَ) ما يؤكد تلك القيمة لدى موسى، باعتباره لفظاً يحمل رداءً دلاليًا لهذا المعنى، يتمثل في تصورنا لسرعة موسى عليه السلام خلف هذا الحجر وهو: «ينادي: ثوبي حجر! ثوبي حجر! كل ذلك استعظام لكشف عورته»<sup>1</sup>، والمعنى المعجمي لهذا اللفظ يؤكد ذلك أيضاً، فالفعل «جمح أصل واحد مطرد، وهو ذهاب الشيء قُدماً بغلبة وقوة»<sup>2</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَعَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (التوبة: 57)، أي «يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء»<sup>3</sup>، ولذلك اصطفى هذا اللفظ دون غيره كـ (أسرع) مثلاً، وذلك لما ينجم عنه من مبالغة في السرعة والعدو من قبل موسى عليه السلام.

كما أن في قوله: (والله ما بموسى من بأس) ما ينبض بالاتساق ومناسبة السياق، إذ إن لفظة (بأس) تحمل عدة معان كالخوف والفقر، كما أنها من الألفاظ التي اتسعت دلالاتها فيما بعد حتى قيل: لا بأس، أي: لا خوف<sup>4</sup>، ومن ذلك قوله ﷺ للأعرابي الذي عاده في مرضه: {لا بأس عليك طهورٌ إن شاء الله...}<sup>5</sup>، ولعل ذلك يدعو إلى التقاء هذه المعاني مع هذا اللفظ في مربع واحد، عبر لون أسلوبي متسق يفيد كمال الخلق والخلق «إذ هو دليل على أن الله تعالى كَمَّلَ أنبياءه خَلْقًا وَخُلُقًا»<sup>6</sup>.

فسياق القصة يُدرج حادثة غريبة في عُرفنا الإسلامي، المبني على الحياء والعفة وعدم الجنوح للتمرد والاستهتار، وهتك عرض النفس بالإخلال بتوازنات الحياة، وهذا لم يرض عنه

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ج6، ص190.

<sup>2</sup> - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص476.

<sup>3</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص211.

<sup>4</sup> - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص8، مادة (بأس).

<sup>5</sup> - رواه البخاري: 2916، عن ابن عباس رضي الله عنه.

<sup>6</sup> - بدر الدين محمود العيني، عمدة القارئ لشرح صحيح البخاري، ج3، ص342.

النبي موسى عليه السلام، الذي كان يتعد ويرفض، مثل هذا المنطق والسلوك المهين والمشين من بني قومه، وبين لنا أسلوب القصة أيضاً، كيف لجأ بنو إسرائيل إلى نعت النبي موسى عليه السلام بما هو ليس فيه، نكايه وغيره وحسداً من أخلاقه وطهره، وكيف كانت معجزة الحجر، الذي ذهب بثيابه حتى يتبين قومه سفههم، وضلالتهم، حين أوصلوا خير من فيهم إلى هذا الموقف الغريب العجيب، تتداخل في مثل هذه المشاهد القصصية أساليب الوصف والحوار والمفاجآت، لخلق جو من التفاعل والتشويق مع أحداث القصة، التي برهن وصفها السردي على غرابة الحدث، وغرابة النتيجة، وصدق العبرة والموعظة المأخوذة منها.

وتتضافر مثل هذه السياقات التسلسلية، بأكثر الأساليب وضوحاً وبيانا، في قصة المرأة التي دخلت النار في هرة لا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض قال عليه السلام: {عذبت امرأة في هرة، سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض} <sup>1</sup>، مثل هذا الحدث يدل على إدراك ذاتي، يتفاعل مع الذوات الأخرى في استكناه معرفة الحالات والاشتغال بها، مروراً بدروب الحياة، ونهاية للمآل والمصير، الذي ينتظر من انتزعت من قلوبهم الرحمة، والذين طوت الحسابات مداركهم، وتصوراتهم الآنية والأزلية، وتتمحور آفاق القصة حول اللغة الواضحة السياق، المحكمة الأسلوب، والغائية البعد في طرح مشاهد الحياة ودواليبها، ومقام الآخر ومصائره...! إما جنة ونعيم مقيم... وإما سعي وسوء عاقبة ومصير.

<sup>1</sup> - أبي حسن مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها، رقم الحديث، 6709، ص 978.

إن لفظ النار يقابله في السياق مشهد النار، وبالمقابل مشهد الجنة؛ حيث يوحى الأول بالهزيمة والخسران والنكران؟! ودلالة الثاني (الجنة) السعادة وكل ما لا رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر... لأنها الجنة وكفى!!

ومثال ذلك التعلق بالدنيا، وطلب ملذاتها وأطاييها، ما روت لنا قصة الملك حين جاء موسى عليه السلام يريد أن يتوفاه، وما حصل من موقف تجاه الملك بما روت القصة، وكيف تعاقبت الأحداث في سرد وصفي دقيق، حيث حدثنا أبو هريرة، عن الرسول ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فقال له أجب ربك، قال: فلطم موسى ﷺ عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرجع الله إليه عينه وقال: ارجع إلى عبدي فقل الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعرة، فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب، قال ربي أمتني من الأرض المقدسة، رمية بحجر. قال رسول الله ﷺ: والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر<sup>1</sup>، حتى أن القارئ يقف عند العين وهي تُفقأ، والله تعالى يعيدها إلى حالتها؟ وكيف كان العرض للبقاء في الدنيا بعدد الشعرات وكيف انتهى مشهد القصة، بقول موسى ﷺ: رب أمتني من الأرض المقدسة... إن مشاهد القصة، عبارة عن لوحات بألفاظ دالة، من مثل: الملك - النبي موسى ﷺ - اللطمة - العين - الموت... إلخ وكلها تتضمن أسلوب الإرسال والتميز وصراع الحياة والموت.

ويظهر الإيجاز القصصي، وهو من الأساليب البلاغية التي تُميز القصة عن غيرها من الألوان الكتابية الأخرى، بما يتوافق مع منطوق الفقه والبيان وتلاحم النظم السردية مع

<sup>1</sup> - صحيح البخاري باب وفاة موسى عليه السلام من كتاب أحاديث الأنبياء رقم 3226.

السياقات الأسلوبية المتنوعة في قصة عيسى عليه السلام مع السارق، الذي رآه يسرق بأم عينه؟ وحيث أخبره بذلك! وسماعه منه يميناً مغلظة بحق الواحد الأحد؟ (والذي لا إله إلا هو)، أجابه عيسى عليه السلام بالإقرار بالوحدانية وتكذيب نفسه، لأنه أمام يمين وحلف بالله تعالى لا يقوم بعدها حساب لشيءٍ، دَلَّ عليها قوله (آمنت بالله، وكذبت نفسي). فقد حدث أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: {رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق، فقال له عيسى: سرقت؟ قال: كلاً، والذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت نفسي} <sup>1</sup>.

وفي قصة مرور الناس على الصراط يوم القيامة، نجد أن الألفاظ في توافقها مع سياق القصة جاءت بشكل لافت للنظر، يملأ ردهات النص يقول ﷺ: {يجمعُ الله الناسَ، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبَّعه، فيتبع من كان يعبد الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ. وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذُ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضربُ جسرُ جهنم. قال رسول الله ﷺ: فأكون أول من يجيزُ، ودعاء الرسل يومئذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وبه كالليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظيمها إلا الله. فتخطفُ الناسَ بأعمالهم، منهم الموبقُ بعمله ومنهم المُخرَدلُ ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يُخرجَ من النار من أراد أن يُخرجَ ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم

<sup>1</sup> - أبي حسين مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب، فضائل عيسى عليه السلام، رقم الحديث: 6162، ص 894.

فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتحشوا، فَيُصَبُّ عليهم ماءٌ يقال له ماء الحياة، فينبُتون نبات الحبة في حميل السيل، ويبقى رجل منهم مقبل بوجهه على النار، فيقول: يا رب قد قَشَبَنِي ريحها، وأحرقني ذكاؤها فاصرف وجهي عن النار<sup>1</sup>.

إن الوقوف على تصويره ﷺ لمشاهد ذلك اليوم، والتأمل في المبتكرات اللفظية الإيحائية فيه، كفيل بأن يقنع المتلقي ببراعة التعبير ودقة الاختيار النبوي. قوله: (قشبنى) أي سمني وأذاني وأهلكني، والمقصود بقوله: (ذكاؤها) أي: لها واشتعالها وشدة وهجها<sup>2</sup>، ولعل التساؤل هنا يدور حول اختياره للفظه (قشبنى) دون غيرها مثلاً كأذاني أو سمني، وعند التأمل في مدى الدلالة لهذا اللفظ، نجد أن غيرها لا تؤدي صورة المبالغة في التأذي من النار مثل مؤدى هذه اللفظة، إذ تفيدنا المعاجم أنه (القشبنى) هو «خلط السم وإصلاحه حتى ينجع في البدن ويعمل»<sup>3</sup>. قال ابن حجر: «قشبه الدخان إذا ملاً خياشيمه وأخذ يكظمه»<sup>4</sup>، فدل ذلك على أن في هذه اللفظة ما ينبئ عن تمكن دخان النار وريحها من هذا الرجل، تمكناً جمع له الإيذاء والهلكة من الريح، وهو كفيل بأن يجعل ما فوقه أعظم، وكأنه هنا يريد استدعاء مشاعر المخاطب وانتباهه ليتصور حال ذلك الرجل وشكواه ليس من النار، إنما من ريح النار.

وفي اختياره للفظه (ذكاؤها) قيمة بلاغية تكمن في معنى هذه اللفظة، فهو «أصل واحد مطرد منقاس يدل على حدة في الشيء ونفاذ. يقال: للشمس ذكاء؛ لأنها تذكو كما

<sup>1</sup> - رواه البخاري، 7437، ومسلم، 182، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - ينظر: شرح النووي، ج3، ص24.

<sup>3</sup> - لسان العرب، ج12، ص106، مادة (قشبنى).

<sup>4</sup> - فتح الباري، ج11، ص558، وينظر: شرح ابن بطال، ج2، ص426.

تذكو النار»<sup>1</sup>، ويقال: «ذكيت النار إذا أتممت إشعالها ورفعتها»<sup>2</sup>، وهو بذلك يشعل شغف المخاطب بأن يتصور حر النار وسمومها بين عينيه، وكأنه بهاتين اللفظتين جمع أهم ما يؤدي الإنسان من النار: الريح واللهب.

وفي هذا المسار يجد الباحث أن القصص النبوية المتعلقة بأحداث اليوم الآخر، وما يتضمنه من مشاهد، تتخذ صبغة دلالية خاصة؛ ذلك أنها الجسر الذي تعبر من خلاله مشاهد ذلك اليوم، بالتصوير الإخباري تارة، والقص تارة أخرى وهو الأغلب، وقد أكد ذلك أحد الباحثين بقوله: «ولعلنا ننظر نظرة في التعبير عن مواقف اليوم الآخر، واستخدام القصة أسلوباً من أساليب الدعوة والتوجيه، فيشدنا النظر إلى أن ذلك هو أقرب الأساليب استخداماً، وأن التحدث بهذا الأسلوب إنما هو مما تفترضه طبيعة الموقف والأحداث الجارية؛ لأنه نقل خبر غيبي، وهو أبعد قليلاً عن الاسترسال فيه بالطريقة التقليدية النظرية؛ لأن مجرى أحداثه يحتم على المتكلم أن يتابع الحدث تلو الحدث، فتتشكل من مجموعة قصة يضيف عليها أسلوب - النبي صلى الله عليه وسلم - كل زينة في اللفظ، وروعة في البلاغ والأداء، وفي هذا العرض تجسيد للمستقبل في صورة محسوسة نجد فيها الحيوية المتدفقة التي تنبض بالحركة وتحدد أبعاد الصور، ونشعر بقوة الإيقاع، واختلاف درجاته»<sup>3</sup>، وقد بُث ذلك عنه ﷺ من قبل أصحابه، ومن ذلك وصف حنظلة رضي الله عنه لحديث رسول الله ﷺ عن الجنة والنار في قوله: {نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكركم بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين...} <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - معجم مقاييس اللغة، ج2، ص357.

<sup>2</sup> - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص329.

<sup>3</sup> - د. أحمد العلي، مشاهد القيامة في الحديث النبوي، دار الوفاء، مصر، ط1، 1411هـ، 1991م، ص371.

<sup>4</sup> - رواه البخاري، 4937، ومسلم، 7143، عن حنظلة الأسدي رضي الله عنه.



ومن شواهد الجمال التلاؤمي بين اللفظة وسياقها ما جاء في قصة الثلاثة الذين تكلموا في المهد، حين قال ﷺ: { بَيْنَمَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارْهَةً وَشَارَةً حَسَنَةً فَقَالَتْ: أُمُّهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّوْدِي وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ، فَجَعَلَ يَرْضَعُ. قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى -رَسُولِ اللَّهِ ﷺ- وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمْصُهَا. قَالَ: وَمَرُوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقَتْ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرِّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَهَنَّاكَ تَرَاوَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلَقَى<sup>1</sup>، مَرَّ رَجُلٌ حَسَنَ الْهَيْئَةِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَمَرُوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقَتْ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. قَالَ: إِنْ ذَاكَ الرَّجُلُ كَانَ جِبَارًا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ وَلَمْ تَزِنْ، وَسَرَقَتْ وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا }<sup>2</sup>.

صورة استدعيت من ذاكرة الماضي، محتشدة بالدلالات التوجيهية واللغوية المشرقة، فـ» أم هذا الصبي الرضيع نظرت إلى الصورة الظاهرة فاستحسننت صورة الرجل وهياًته، فدعت لابنها بمثل هذا، واستقبحت صورة الأمة وحالتها، فدعت ألا يجعل ابنها في مثل حالتها،

<sup>1</sup> - حلقي: كلمة جرت في كلامهم مجرى المثل، وهي من الكلمات التي تجري على ألسنتهم في معرض الدعاء غير المقصود على الآخر، فهو مثل: تربت يداك. ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، 6/516.

<sup>2</sup> - رواه مسلم، 2550، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فأراد الله بلطفه تنبيهها بأن أنطق لها ابنها الرضيع بما تجب مراعاته من الأحوال الباطنة، والصفات القلبية»<sup>1</sup>.

وقد جاءت الدلالة اللغوية للفظ في هذا النص يتبادلها أمران، أول: ينصرف إلى الإشارة منه ﷺ، وهو يحكي حال ارتضاع الصبي من أمه، وثان: يمثله الفرق بين قوله: (يرضع من أمه)، وقوله: (فجعل يرتضع).

أما الأول فقد ظهر في قول الصحابي: «فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها»، وهو لون بلاغي ساهم في الاقتراب بالمتلقي إلى مستقر المعنى، وقد أشار الجاحظ إلى تلازم الإشارة واللفظ في إيصال الدلالة بقوله: «والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ»<sup>2</sup>. وقد أشار القاضي عياض (ت: 544هـ) إلى أن في تمثيل النبي ﷺ لحالة ارتضاع الصبي، زيادة فائدة، وتأكيذاً وبياناً مناسباً لمقام هذا النص<sup>3</sup>.

ثم يتلو هذا الأمر الفرق بين قوله: (يرضع من أمه)، وقوله: (فجعل يرتضع)؛ إذ إن دلالة المضارع (يرتضع) توحى بشيء من المبالغة في الرضاعة، وشدة الشره بالحليب<sup>4</sup>، وكأن شدة الالتصاق بالأم وتثديها بدا بعد رجوع هذا الرضيع إلى أمه مرة أخرى.

كما أن من أوجه الدقة في ألفاظ هذا النص ما جاء في قوله: (فمر رجل على دابة فارهة، وشارة حسنة) وفي هذا الاختيار ما يشير إلى ملمح دلالي متصل بلفظة (فارهة)

<sup>1</sup> - أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج6، ص516.

<sup>2</sup> - البيان والتبيين، ج1، ص78، ينظر: الخصائص، ج1، ص247.

<sup>3</sup> - ينظر: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج1، ص142.

<sup>4</sup> - ينظر: فتح الباري، ج7، ص577.

و(شارة)، فالدابة الفارهة: النشيطة الحادة القوية، والشارة: الهيئة واللباس<sup>1</sup>، والشارة تقع موقع الهيئة المزينة من لباس وغيره مما يشار إليه من حسنه<sup>2</sup>، فكأن هذا اللفظ جمع ألواناً من الزينة، دعت أم الصبي بنظرهما الظاهرة أن تدعو الله أن يجعل ابنها مثل صاحب هذه (الشارة)، كما ساهمت لفظة (فارهة) في دعم نشاط الدلالة اللفظية هنا، إذ هي تعني الحسن والزينة، كما تدل على النشاط والقوة<sup>3</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ (الشعراء:149) أي: بطيرين أو حاذقين من الفراهة، وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط، وطيب قلب<sup>4</sup>، والحديث في هذا المشهد جاء في سياق النظر إلى الزينة والجمال كما في نظر أم الصبي إلى الرجل والجارية، مما يكشف عن تلبية اللفظ لحاجة السياق، وهذا مما يساعدنا في توجيه دقة المعنى إلى هذا اللفظ، لمناسبته من خلال الموقف الخارجي له.

وبين يدي قصة الأبرص والأقرع والأعمى ما يثير بواعث المناسبة بين اللفظ وسياقه: {إِنَّ ثَلَاثَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أBRَصَ وَأقرَعَ وَأعمى، فأراد الله أن يتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عني الذي قد قدرني الناسُ. قال: فمسحه فذهب عنه قدره، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. قال: فأبي المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل. أو قال: البقر. شكَّ إسْحَقُ إلا أن الأبرصَ أو الأقرعَ قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر. قال: فأعطي ناقه عُشراء<sup>5</sup>، فقال:

<sup>1</sup> - ينظر: شرح النووي، ج6، ص323.

<sup>2</sup> - ينظر: أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج6، ص515.

<sup>3</sup> - ينظر، لسان العرب، ج11، ص175، مادة (فره)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، 704.

<sup>4</sup> - ينظر، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ج4، ص190.

<sup>5</sup> - الناقة العُشراء: هي الحامل التي أتى عليها في حملها عشرة أشهر، وقيل: يقال لها ذلك إلى أن تلد وبعد ما تضع. ينظر: فتح الباري، ج6، ص614.

بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قدرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرة حاملاً فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس. قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والداء، فأنتج هذان ووكد هذا. قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيداً أتبلغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقدرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله. فقال: أمسك مالك؛ فإنما ابتليتكم فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك<sup>1</sup>.

ففي تضاعيف هذا النص، نجد سنة من سنن الله في الحياة، وهي سنة الابتلاء، وقد جاءت عبر شخصيات النص، وأحداثه، وحواره، مما يجعل الداعي إلى الألفاظ المناسبة لكل ذلك أقوى، والاستدعاء لها أشد.

<sup>1</sup> - رواه البخاري، 806، ومسلم، 2964، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد استهل هذا النص بقوله: (إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً...)، ولعل السؤال يتجه إلى سر اختيار لفظة (يبتليهم) دون غيرها، مثل (يختبرهم) أو (يمتحنهم) أو (يفتنهم) مثلاً، وعند النظر في معنى الابتلاء نجد أنه أعم من الاختبار والامتحان، وذلك من مجيئه في سياق الخير والشر، « والله يُبلي العبد بلاء حسناً وبلاء سيئاً...؛ لأن ذلك يختبره في صبره وشكره »<sup>1</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: 35).

وقد قال زهير:

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو<sup>2</sup>

وقد جاء سياق الابتلاء لهؤلاء الثلاثة، متمثلاً في الإغداق عليهم بما تمنوه من أمانٍ متنوعة، تتمثل جميعها في الشفاء من تلك الآفات الخلقية، كما أن قوله: (يبتليهم) فيه مظهر من مظاهر القوة والمناسبة اللفظية للمعنى، إذ إن تجرد الإنسان من نفسه واعترافه بالنعمة ومجيئها من الله وحده أمر شاق إلا على ذوي النفوس الزكية، ومن المعلوم أن الابتلاء يكون بالسراء والضراء، وأن الابتلاء بالسراء يلزمه الشكر والابتلاء بالضراء يلزمه الصبر.

وقد وصف البلاء في القرآن بالعظمة والحسن والإبانة، أما الأول ففي قوله: ﴿نَجِّنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: 49)، وأما الثاني ففي قوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: 17)، الثالث في قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ (الدخان: 33)، وهي أوصاف تدل على شمولية هذا اللفظ واتساع أفق المعنى فيه.

<sup>1</sup> - معجم مقاييس اللغة، ج1، ص293.

<sup>2</sup> - ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه: حمدوا طماس، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م، ص50.

وقد أثر البيان النبوي لفظة (بعث) في قوله (عليه الصلاة والسلام): (فبعث إليهم ملكاً)، دون غيرها من مرادفاتهما، كـ (أرسل) أو (أوفد) أو (وجه) مثلاً؛ لأن هذا اللفظ له من الإيحاء المناسب ما يجعله جديراً بالاختيار لهذا السياق، إذ يذكر أهل اللغة أن «أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه يقال: بعثته فانبعث»<sup>1</sup>، وهو يختلف في السياق باختلاف ما علق به، كما أن الفرق بين بعثه وبعث به يلتقي مع ما ذكرت، فبعث "يبعثه بعثاً أي: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره"<sup>2</sup>، والسياق يفيد أن الله عز وجل، بعث إليهم هذا الملك وحده، دون غيره من رسالة أو رسول يساهم في إخبارهم بحقيقة هذا الابتلاء.

وفي قوله ﷺ على لسان الأبرص: (قدرني الناس)، ما يشير إلى تكثيف هذا الموقف من هذا الرجل، ف«القاف والذال والراء كلمة تدل على خلاف النظافة.. وقدرت الشيء: كرهته قدراً»<sup>3</sup>. وفي لسان العرب: "الْقَدْرُ ضِدُّ النِّظَافَةِ وَشَيْءٌ قَدِرٌ بَيْنَ الْقَدَارَةِ قَدِرٌ الشَّيْءُ قَدَرًا وَقَدِرٌ وَقَدِرٌ يَقْدُرُ قَدَارَةً فَهُوَ قَدِرٌ وَقَدِرٌ وَقَدِرٌ وَقَدِرٌ وَقَدِرٌ وَقَدِرٌ وَقَدِرٌ وَقَدِرٌ قَدَرًا وَتَقَدَّرَ وَاسْتَقَدَّرَ اللَّيْثُ يَقَالُ قَدِرْتُ الشَّيْءَ بِالْكَسْرِ إِذَا اسْتَقَدَّرْتَهُ وَتَقَدَّرْتُ مِنْهُ وَقَدِرٌ يَقَالُ لِلشَّيْءِ الْقَدِرِ قَدِرٌ أَيْضًا فَمَنْ قَالَ قَدِرٌ جَعَلَهُ عَلَى بِنَاءِ فَعَلٍ مِنْ قَدِرٍ يَقْدُرُ فَهُوَ قَدِرٌ وَمَنْ جَزَمَ قَالَ قَدِرٌ يَقْدُرُ قَدَارَةً فَهُوَ قَدِرٌ وَفِي الْحَدِيثِ اتَّقُوا هَذِهِ الْقَادُورَةَ الَّتِي نُحَى اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ خَالِدُ بْنُ جَنْبَةَ الْقَادُورَةُ الَّتِي نُحَى اللَّهُ عَنْهَا الْفِعْلُ الْقَبِيحُ وَاللَّفْظُ السَّيِّئُ وَرَجُلٌ قَدِرٌ وَقَدِرٌ وَيُقَالُ أَقْدَرْتَنِي يَا فُلَانٌ أَيْ أَضْحَرْتَنِي وَرَجُلٌ مَقْدَرٌ مُتَقَدِّرٌ وَالْقَدُورُ مِنَ النِّسَاءِ الْمُتَنَحِيَةِ مِنَ الرِّجَالِ قَالَ لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِسَمَاءٍ أَنَّهَا عَيُوفٌ لِإِصْهَارِ اللَّثَامِ قَدُورٌ وَالْقَدُورُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي تَنْزَعُ عَنِ الْأَقْدَارِ وَرَجُلٌ

<sup>1</sup> - محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج 2، ص 215.

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ص 230، مادة (بعث).

<sup>3</sup> - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 70.

مَقْدَرٌ يَحْتَنِبُهُ النَّاسُ وَهُوَ فِي شَعْرِ الْهَذَلِيِّ وَرَجُلٍ قَدُورٌ وَقَادُورٌ وَقَادُورَةٌ لَا يَخَالِطُ النَّاسَ<sup>1</sup> والمعنى في الحديث: كرهني الناس، واشتمأزوا مني<sup>2</sup>.

ومما يؤكد على جودة موقع هذا اللفظ أنه جاء بصورة تتقابل فيها المعاناة النفسية والجسدية، وتقودنا إلى نتيجة مؤداها الفرح بإزالة هذا المرض، وهو نوع من محاكاة الحال بالحال، الذي تحدث عنه حازم القرطاجني (ت: 684هـ) مبيناً أن هذا اللون يحسن في السياق القصصي، إذ يقول: « ولهذا نجد المحاكاة أبداً يتضح حسنها في الأوصاف الحسنة التناسق، المتشاكلة الاقتران، المليحة التفصيل وفي القصص الحسن الإطراء وفي الاستدلال بالتمثيلات والتعليقات، وفي التشبيهات والأمثال والحكم؛ لأن هذه أنحاء من الكلام قد جرت العادة في أن يُجهد في تحسين هيئات الألفاظ والمعاني وترتيباتها فيها<sup>3</sup>، وقد أُعيد لفظ (قذربي) في قوله ﷺ: (فذهبَ عنه قَدْرُهُ وَأَعْطَى لَوْنًا حَسَنًا)؛ ليظل هذا التقارب اللفظي وصلةً توحى بحسن الملاءمة، وكأنه « إنما أُعيد لفظ الأول لضرب من الإدلال والثقة بمحصول الحال<sup>4</sup> ».

فقصة "الأبرص والأقرع والأعمى" بدأت بتمهيد تعرضت فيه لثلاث نماذج بشرية تكشف موقف البشر من نعم الله عليهم، وصبرهم على الابتلاء أو العكس، ثم تبدأ بالتعقيد تدريجياً، لتكشف لنا عن الحجج الواهية التي يتعلل بها الجاحدون بقولهم "إنما ورثوا هذا المال كابرا عن كابر"؛ فهي تكشف عن الكبر الذي يتلبس النفس البشرية الجاحدة، ثم

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص47. (مادة قدر)

<sup>2</sup> - ينظر: عمدة القاري، ج16، ص67، وفتح الباري، ج6، ص614.

<sup>3</sup> - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد حبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

ط4، 2007م، ص91.

<sup>4</sup> - عبارة ابن جني في الخصائص، ج3، ص338.

تبدأ في الانفراج تدريجياً، وتنتهي القصة، بعقاب الأقرع والأبرص، والثواب والأجر للأعمى الشاكر للنعمة {أمسك مالك، فإنما ابتليتم رضي الله عنك وسخط عن صاحبك}.

ومن الألفاظ التي جاءت على قدر كبير من المناسبة بينها وبين السياق ما جاء في قصة المرأتين مع داود عليه السلام: {كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك. وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكما إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتا، فقال: اتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها فقضى به للصغرى<sup>1</sup>.

في هذه القصة مشهد من مشاهد الحكمة المودعة في نبي الله داود عليه السلام تتبين من خلال هذه المحاكمة، التي تبرز لنا مناسبة لفظة (قضى) دون (حكم) مثلاً، مع قوة التناسب اللفظي بين (حكم) و(تحاكما)، ولعل السبب يظهر في إبراز الفرق بين (حكم) و (قضى)، فقد ذكر أبو هلال العسكري أن الفرق يكمن في كون "القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام، من قولك: قضاه إذا أتمه وقطع عمله، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجْلًا﴾ (الأنعام: 02)، أي فصل الحكم به، بينما الحكم يقتضي المنع عن الخصومة، من قولك: أحكمته إذا منعته، ويستعمل الحكم في مواضع لا يستعمل فيها القضاء، كقولك: "حكم هذا كحكم هذا"، أي هما متماثلان في السبب أو العلة أو نحو ذلك"<sup>2</sup>.

وهذا التعبير بهذا اللفظ، هو بناء دقيق تناسب مع السياق، تمثل في إخفاء مظاهر العلة في الحكم للمرأة الكبرى من قبله (عليه السلام)، وبمراجعة السياق يتبين لنا أن المرأتين

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 3427، ومسلم: 6769، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الفروق اللغوية، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص215.



بحاجة إلى القضاء دون الحكم، فهما يريدان من يفصل الحكم وينهيه، لا من ينهي الخصومة ذاتها؛ إذ لا جدوى من إنهاء الخصومة دون الحكم على الولد لمن، كما أن الحكم يمنع الخصومة، وهو أمر بإمكانه أن يكون بوسع الناس، دون الرجوع إلى قاضٍ بمنزلة هذا النبي ﷺ.

«وهذا تأويل حسن جار على القواعد الشرعية وليس في السياق ما يباه ولا يمنعه، فإن قيل: فكيف ساغ لسليمان نقض حكمه؟ فالجواب أنه لم يعتمد إلى نقض الحكم، وإنما احتال بحيلة لطيفة أظهرت ما في نفس الأمر، وذلك أهما لما أخبرتا سليمان بالقصة فدعا بالسكين ليشقه بينهما، ولم يعزم على ذلك في الباطن، وإنما أراد استكشاف الأمر، فحصل مقصوده لذلك لجزع الصغرى الدال على عظيم الشفقة، ولم يلتفت إلى إقرارها بقولها هو ابن للكبرى؛ لأنه علم أنها آثرت حياته»<sup>1</sup>.

ومن جمال موقع اللفظة ما نجده في قول النبي ﷺ: {إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني. واني أنا النذير العريان، فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق}<sup>2</sup>.

نجد في هذه القصة أن الجانب التمثيلي هو المكون الأساسي لبنيتها، وقد هدف ﷺ عمد هذا التمثيل إلى تقريب المعقول -المتمثل في دعوته وصدقه-، ليكون في صورة المشاهد المحسوس، وذلك من أسمى الغايات التوجيهية للقصص التمثيلي، يشير إلى ذلك الدكتور التهامي نقرة في حديثه عنها فيقول: «ومن أغراضها: تقريب المعقول من المحسوس، أو أحد

<sup>1</sup> - فتح الباري، ج6، ص566.

<sup>2</sup> - رواه البخاري، 7283، ومسلم، 2283، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

المحسوسين من الآخر، واستخلاص سنن الله في خلقه، وعدله بينهم فيما تجلّى من نتائج الحكم الواحد لأمرين متماثلين، وإن تباعدا في الزمان والمكان»<sup>1</sup>.

وهنا نجد في قوله: (النذير) ما يحرك الحياة في هذا النص، وهو الذي تجلّى من خلاله البعد الغائي لإيثاره، حيث يقول ابن بطال (ت:449هـ): «فضرب ﷺ المثل لأمته، لأنه تجرد لإنذارهم، لما يصير إليه من اتبعه من كرامة الله، وبما يصير إليه من عصاه من نعمته وعذابه، تجرد من رأى الحقيقة، ما رأى النذير العريان»<sup>2</sup>، والناظر في هذا اللفظ يلمس تأثيره على مستوى الدلالة بشكل لافت، وقد استصحب مع ذلك كله حمولة من الألفاظ الأخرى الداعمة له في الدلالة على صدقه وتجرده (فأطاعه-كذبت-النجاء- فأهلكهم- اجتاحتهم) ، ليربط المخاطب بالمبدأ الأعظم المتمثل في طاعته وتصديقه، وليكون ذلك أيضاً «تقريباً لإفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه»<sup>3</sup> من ألفاظ.

ولعلنا نتساءل عن تخصيصه لفظ (العريان) دون غيره من الألفاظ المؤدية للدلالة ذاتها، وعن ذلك يجيب ابن الأثير بقوله: «خص العريان، لأنه أبين للعين، وأغرب وأشنع عن المبصر»<sup>4</sup>. وقال ابن حجر "قال ابن بطال ، النذير العريان رجل من خثعم حمل عليه رجل يوم ذي الخلفة فقطع يده ويد امرأته فانصرف إلى قومه فحذرهم فضرِب به المثل في تحقيق الخبر"<sup>5</sup> والنذير العريان عند العرب ، هو ذلك الرجل الذي كان يحتل أعلى الجبل أو الهضبة ، حتى اذا رأى الأعداء قد اقتربوا لمهاجمة قومه، خلع ملابسه ، ولوّح بها لهم

<sup>1</sup> - د. التهامي نقرة، سيكولوجيا القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1971، ص246.

<sup>2</sup> - شرح ابن بطال: ج10، ص195.

<sup>3</sup> - فتح الباري، ج11، ص384.

<sup>4</sup> - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 610.

<sup>5</sup> - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج11، ص223.

، لينذرهم ويحذرهم من اقتراب العدو، وكونه عريانا أبلغ من الانذار ليعلموا أن الأمر جد لا هزل فيه ، ويعتدوا للأمر عدته .. وصار ذلك مثلا عند العرب .

وفي قوله: (على مهلهم) ملمح آخر يكشف عن دقة الاختيار لهذا اللفظ، والمعنى أي: «على السكينة والتأني»<sup>1</sup>، وهو معنى يهدف إلى تمكين روح المبادرة والمصارعة في الاستجابة إلى دعوة النبي ﷺ، ويضاف إلى ذلك أنه في قوله: (على مهلهم) ما يشير إلى الراحة والاطمئنان اللتين سكتنا جوانح الذين اتبعوا هذا النذير وصدقوه، فلا عدو يلاحقهم، بخلاف ما لو كان العدو متربصا بهم، يريد الانقضاض عليهم<sup>2</sup>.

وقوله: (اجتاحهم) أي: استأصلهم، من جَحَتُ الشيءَ أَجْوَحُهُ إذا استأصلته، ومنه الجائحة وهي الهلاك<sup>3</sup>، وفي لسان العرب: "جَوَحٌ : الجَوْحُ: الاستئصال من الاجتياح. جاحتهم السنة جوحا وجياحة وأجاحتهم واجتاحتهم: استأصلت أموالهم، وهي تجوحهم جوحا وجياحة، وهي سنة جائحة : جدبة ، وجحت الشيءَ أَجْوَحُهُ. وفي الحديث: {إن أبي يريد أن يجتاح مالي}؛ أي: يستأصله ويأتي عليه أخذا وإنفاقا، قال ابن الأثير: قال الخطابي: يشبه أن يكون ما ذكره من اجتياح والده ماله، أن مقدار ما يحتاج إليه في النفقة شيء كثير لا يسعه ماله، إلا أن يجتاح أصله ، فلم يرخص له في ترك النفقة عليه ، وقال له: أنت ومالك لأبيك، على معنى أنه إذا احتاج إلى مالك أخذ منه قدر الحاجة، وإذا لم يكن لك مال وكان لك كسب لزمك أن تكتسب وتنفق عليه فأما أن يكون أراد به إباحة ماله له حتى يجتاحه، ويأتي عليه إسرافا وتبذيرا، فلا أعلم أحدا ذهب إليه، وفي الحديث: أعاذكم

<sup>1</sup> - العيني، عمدة القاري، ج23، ص116.

<sup>2</sup> - ينظر: د. عبد الرحمن حينكة الميداني، روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، دراسات أدبية ولغوية وفكرية، ص175.

<sup>3</sup> - ينظر: العيني، عمدة القاري، ج23، ص116.

الله من جوح الدهر. واجتاح العدو ماله: أتى عليه. والجوحة والجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة. وكل ما استأصله: فقد جاحه واجتاحه. وجاح الله ماله وأجاحه بمعنى؛ أي: أهلكه بالجائحة<sup>1</sup>. وفي إثاره لهذا التعبير دون غيره، إيذان بتلاحق الهلاك والاجتياح لمن خالفه وعصاه، وذلك ظاهر من خلال الاجتياح المشعر بالسرعة في الهلكة، ومن ذلك الجائحة وهي الآفة المفاجئة، وقد أطلقت على الآفة؛ لأنها مُهلكة، وقد شبه نفسه بالرجل وإنذاره بالعذاب القريب بإنذار الرجل قومه بالجيش المصبح، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه، بمن كذب الرجل في إنذاره ومن صدقه<sup>2</sup>.

وتأتي قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، لتبين أساليب عدم التثبت والتبصر من الأشياء والقضايا والحوادث والمواقف والمكان في حينها... حين تعرض هذه القصة، الكيفية التي عرف بها موسى عليه السلام مكانته المعرفية بين بني البشر حين سُئل عن أعلم الناس؟ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس إن نوقاً البوكالي يزعم أن موسى عليه السلام، صاحب بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر عليه السلام. فقال كذب عدو الله، سمعت أبي بن كعب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: { قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، قال: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: أي ربّ كيف لي به؟ فقيل له: احمل حوتاً في مِكتلٍ، فحيث تفقد الحوت فهو ثم، فانطلق وانطلق معه فتاه، وهو يوشع بن نون، فحمل موسى عليه السلام حوتاً في مِكتلٍ، وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة، فرقد موسى عليه السلام، وفتاه، فاضطرب

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص234، مادة (جوح).

<sup>2</sup> - ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ج11، ص324.

الحوث في مكتل حتى خرج من المكتل، فسقط في البحر، قال: وأمسك الله عنه جرية الماء، حتى كان مثل الطاق، فكان للحوث سرباً وكان لموسى وفتاه عجباً، فانطلقا بقية يومهما وليتتهما، ونسي صاحب موسى أن يخبره، فلما أصبح موسى عليه السلام قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. قال ولم ينصب حتى جاوز الذي أمر به قال: أرايت إذ أوبنا إلى الصخرة فأني نسيت الحوث وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً. قال موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتداً على آثارهما قصصاً.

قال: يقصان آثارهما، حتى أتيا الصخرة فرأى رجلاً مسجى عليه بثوب، فسلم عليه موسى، فقال له الخضر: أتني بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: إنك على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه. قال له موسى عليه السلام: {هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً} قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً. قال: {ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً} قال له الخضر: فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء: حتى أحدث لك منه ذكراً. قال: نعم. فانطلق موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة فكلماهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها. {لقد جئت شيء إمرأ} قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً، قال: {لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً} ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه، فأقتلعه بيده، فقتله، فقال موسى: {أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكراً قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً} قال: وهذه أشد من الأولى

قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، قد بلغت من لدي عذرا، فانطلقا حتى إذا أتيا قرية استطعما أهلها فأبو أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه، يقول مائل، قال الخضر بيده هكذا، فأقامه، قال له موسى: قوم أتيناكم فلم يضيفونا ولم يطعمونا، {لو شئت لتخذت عليه أجرا}. قال: هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبورا {قال ﷺ: {يرحم الله موسى، لو ددت أنه كان صبراً حتى يقص علينا من أخبارهما}. وقال ﷺ: {كانت الأولى من موسى نسياناً} قال: «وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة، ثم نقر في البحر. فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر»<sup>1</sup>.

فموسى عليه السلام، اعتقد أنه هو الذي، يتميز بذلك عن غيره! فذكر النبي ﷺ قصته مع الخضر عليه السلام، وتبين له فيها أن (فوق كل ذي علم عليم). وعرف حقيقة كان يجهلها، إلى أن هداه الله تبارك وتعالى لمعرفة، لقد كان أسلوب القصة، يحيل أكثر من استفهام وبعد للبحث عن اليقين، والإدراك؛ ولذلك جاءت مقامات القصة في عناصر تحمل دلالة الواقع، وتتضمن المعجزة في الحوت. الذي كان يتبعه موسى عليه السلام، للوصول إلى الحقيقة، ثم توالي الأحداث وظهور المفاجئات والعجائب والغرائب...

إن هذه القصة، تنوعت في الأحداث والمفاهيم والعبارات والأساليب والسرود والحوار والشخصيات الحاضرة والمتضمنة... مع ما تبع ذلك من مفاجآت وعرض شيق يوحي للقارئ بالتميز والاهتداء لحقائق هي الأصل في العبر والمواعظ التي تؤخذ في سياقات الفعل الأسلوبية، والمشاهد المصورة للأشخاص والأماكن والحالات، إنها رمزية البعد المعرفي، والبعد الجمالي، والبعد الإدراكي للسرود... الذي يحصل على مضامينه من الأسلوب المتميز

<sup>1</sup> - صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام، الحديث رقم: 6187، ص 898-899.

بالإيجائية والواقعية والغائية... من خلال المشاهد المثيرة في عجائبيتها وتلازمها لسياق الأحداث حتى النهاية.

### ثانياً: الحقول الدلالية:

السائد في طريقة تعريف معاني الكلمات هو الطريقة المعجمية، والتي من أهم سماتها أنها ترتب الكلمات ترتيباً حرفياً (هجائياً)، وأنها تنظر إلى معنى كل كلمة بصورة إفرادية، وهذه السمات تنافي ما استقر عند مجموعة من علماء اللغة المحدثين؛ من أن الكلمات لا توجد في الذهن متباينة، ولا بد لنا لكي ندرك مدلولها، أن نفهم معاني كلمات أخرى مرتبطة بها، إذ تجتمع المفردات المتصلة دلالياً في حقل (مجال) واحد، و«تعد نظرية الحقول الدلالية Semantictields إحدى النظريات الدلالية الحديثة، التي بدأت في الظهور في عشرينيات القرن العشرين تقريباً، وتأسست أسسها وتبلورت أفكارها مع مطالع الثلاثينيات، وبخاصة عن علماء اللغة السويسريين والألمان...»<sup>1</sup>.

والحقول الدلالية «حقول فهرسية دلالية، فهرسية لكونها مؤلفة من كلمات، ودلالية لارتدادها وإرجاعها إلى العلاقة بين الدال والمدلول»<sup>2</sup>، هذه العلاقة التي تقتضي تصنيف وجمع المادة اللغوية ثم توزيعها حسب المفاهيم التي تتناولها، وعليه فهي «عبارة عن مجموعة كلمات التي ترتب دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها مثال ذلك: كلمات الألوان في اللغة العربية فهي تقع تحت مصطلح الأم، لون، وتضم أفاضاً مثل: أحمر، أزرق،

<sup>1</sup> - د. حسام البهنساوي، علم الدلالية والنظريات الدلالية الحديثة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009م، ص73.

<sup>2</sup> - د. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1424هـ-2008م، ص466.

أصفر، أبيض... إلخ»<sup>1</sup>، ويعرفه أولمان Stephen Olmen بأنه (الحقل): «قطاع متكامل من المادة اللغوية، يعبر عن مجال معين من الخبرة»<sup>2</sup>.

وتنطلق هذه النظرية من تصور عام للغة، هو أنها تتكون من مجموعات من الكلمات، تغطي كل مجموعة قطاعاً (أو مجالاً) محدداً من المفاهيم أو الخبرات وتوجد الكلمات داخل كل حقل بصورة مترابطة متجاورة. «وعندما تنتقل الكلمة من المجال المعجمي إلى المجال الدلالي لا تكتسب معناها بمفردها فقط، ولكن عن طريق وجودها أو تقابلها مع غيرها من الكلمات في المجال الدلالي، ومن خلال وجود الكلمة الفسيفساء مع زميلاتها ندرك محتوى كل كلمة ومدى انتمائها إلى مجال ذهني كامل Total concetual field»<sup>3</sup>.

لقد سعى أهل الأدب والفكر إلى تفكيك هذه العملية ليجعلوا من ضمن المفاهيم والخبرات المحددة التي تشكل الحقول أو المجالات الدلالية ما يلي:

1- الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة، وقد كان A. Jolles أول من اعتبر ألفاظ الترادف والتضاد من الحقول الدلالية.

2- الأوزان الاشتقاقية، وأطلق عليها اسم الحقول الدلالية الصرفية Morpho semantic fields.

3- أجزاء الكلام، تصنيفاتها النحوية.

4- الحقول السنتجمائية Syntagmatic fields وتشمل مجموعة الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال، ولكنها لا تقع أبداً في نفس الموقع النحوي<sup>4</sup>. وفي إطار السعي

<sup>1</sup> - د. حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، ص 74.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص 107.

<sup>3</sup> - د. كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي لإجراءاته ومناهجه، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص 123.

<sup>4</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 80-81.



لإيضاح مفهوم هذه النظرية يشار إلى جملة من الأسس والمبادئ التي يتفق عليها العاملون في هذه النظرية.

1- لا وحدة معجمية Lexeme في أكثر من حقل.

2- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.

3- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

4- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي<sup>1</sup>.

والتركيب النحوي هو القواعد التي تحدد نظام الجملة في اللغة، ما يجعلها قادرة على أداء المعنى الذي يريده المتحدث أو الكاتب فيصل إلى المستمع أو القارئ.

وتراثنا العربي ينطوي على جهود علمية متميزة تصب في صلب الحقول الدلالية، منها الرسائل اللغوية كرسالة الخليل لمعمر بن المثنى، وكتاب النبات للأصمعي، كتاب الإبل للأصمعي، كتاب خلق الإنسان للأصمعي، الريح لابن خالويه، كتاب الملمع للنمري؛ وهو كتاب متخصص بالألوان.

ومن معاجم الموضوعات، نجد غريب المصنف للقاسم بن سلام، المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل، نظام الغريب في اللغة للربيعي؛ جمع فيه ألفاظ لغوية، وصنفها حسب معانيها، فكل كلمة متقاربة المعنى، وضع لها بابا يتضمنها جميعا، الألفاظ الكتابية للهمذاني، جواهر الألفاظ لقدماء بن جعفر؛ وهو كتاب وضع بلغة مسجوعة وموزونة، لمجموعة من الألفاظ والعبارات التي تصلح لتندرج تحت باب واحد، بحيث يفيد منها المتكلم والأديب، متحيز الألفاظ لابن فارس، وهذا الكتاب من معاجم المعاني، الذي جمع فيه ابن

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 80.

فارس كلمات انتقاها من كلام العرب، لتكون ذات فائدة لمن يرغب في تحسين كلامه وتحميله، فقه اللغة للثعالبي، « ويعد أبو منصور الثعالبي من أبرز اللغويين العرب ممن حاولوا تصنيف كلمات اللغة العربية على وفق حقول دلالية خاصة بالحيوانات والنباتات والشجر، والأمكنة والثياب والأطعمة وغير ذلك كثير من أسماء الموجودات والصفات والأشياء، والأحداث»<sup>1</sup>، والمخصص لابن سيده.

وعند علماء اللغة العرب المعاصرين: نجد كتاب الدلالة الاجتماعية واللغوية للعبارة في كتاب الفاخر في ضوء نظرية الحقول الدلالية لعطية سليمان، التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه، كريم زكي حسام الدين، وغيرها من المجهودات التي ألفت في هذا المجال.

وفي القصص النبوي تظهر سمات الحقول الدلالية في أكثر من مصطلح، يحمل دلالات معرفية تتناسب والرؤى التي تنبعث من معانيها وفق مقتضيات الحال، وما تفرضه الظروف والأصول ومنها:

### 1- حقل الإيمان:

الإيمان: لغة التصديق، « والإيمان: ضد الكفر، والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب، يقال: آمن به قوم وكذب به قوم »<sup>2</sup>.

والتصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح، وهكذا الإيمان الشرعي، عبارة عن تصديق مخصوص، وهذا التصديق وحده لا ينفع بل لا بد معه من الانقياد والاستسلام، وهو ما يسمى بعمل القلب ويلزم من ذلك قول اللسان، وعمل الجوارح، وهذه الأجزاء مترابطة لا غنى لواحدة منها عن الأخرى ومن آمن بالله عز وجل فقد أمن من عذابه ونجا بإذنه تعالى؛

<sup>1</sup> - د. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 469،

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب المحيط، ص 107.

ذلك لأن الإسلام هو الطريق إلى تنمية الملكات الإنسانية، وإعدادها خير إعداد لكسب الحياتين، « وحب المسلم لربه تعالى يمتد إلى ما يحبه المحبوب، جل جلاله، ولهذا يحب المسلم نبيه محمداً ﷺ لأنه حبيب الله ورسوله إلى الناس ومبلغهم الإسلام، وكذلك يحب المسلم القرآن وتعاليم الإسلام؛ لأنها رسالة الله ويجب المؤمنين لأنهم عباد الله المطيعين الذين يقومون بعبادة مولاهم وحب المسلم لله وما تعلق به يترك أثراً طيباً حلواً في نفس المسلم تحس بحلاوته وطيبه قال ﷺ: {ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر، بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار}»<sup>1</sup>؛ فالإيمان يرادف التصديق بوجود الله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره.

ومسألة الإيمان من مسائل العقيدة الجليلة التي وقع الاختلاف فيها، والافتراق عليها قديماً في المسلمين، بل لا يبعد إذا قيل إنها أول مسائل الاختلاف في هذه الأمة.

والقصة النبوية «وسيلة أساسية ورئيسية لنشر الدعوة الإسلامية، وجاء علماء التربية القدامى والمحدثون ليؤكدوا على هذه الحقيقة، وكذلك الفلاسفة وعلماء النفس، وخبراء الإعلام والساسة وغيرهم، وإذا كان هؤلاء الفلاسفة والعلماء الخبراء قد اختلفوا في توجهاتهم ومبادئهم وغاياتهم، إذ أن الجميع لم يختلفوا حول أهمية القصة كأداة للتربية والتأثير وتوجيه الرأي العام»<sup>2</sup>، وذلك بأسلوبها المعجز، لغة وسرداً وتصويراً ومعنى وهدفاً، ويشتمل المجال الدلالي العام الأول (الإيمان) على الوحدات الدلالية الدالة على لوازم الإيمان وأركانه، ويضم هذا المجال الدلالي العام الأول خمسة مجالات دلالية فرعية، هي:

<sup>1</sup> - عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، قصر الكتاب، البلدة، 1395هـ-1975م، ص337.

<sup>2</sup> - نجيب الكيلاني، حول القصة الإسلامية، ص49.

أولاً: الألفاظ المتعلقة بالخالق (الله) وأسمائه الحسنى: واحتلت مفردات هذا المجال حيزاً كبيراً في القصة النبوية، وفي مجملها تدعو إلى الإيمان بالله، وتوحيده.

1- لفظ الجلالة الله: واسم الله تفرد به الله سبحانه وتعالى، لا يشاركه أحد من خلقه في هذه التسمية قال الرازي: «فهذا اسم على الانفراد ممنوع من الخلق أجمعين»<sup>1</sup>، ولفظ الجلالة الله ليس مشتقاً من صفة، في حين أن الأسماء الحسنى مشتقة من صفات، فالحمد من الحمد، والقادر من القدرة، والرزاق من الرزق، والرحمان من الرحمة. واسم الله من حيث المعنى، يقول الزجاج: «ومعنى قولنا إله، إنما هو الذي يستحق العبادة، وهو تعالى المستحق لها دون سواه»<sup>2</sup>، وهو الاسم الأعظم، رغم الأغلب يرجحون أن أعظم أسماء الله، الله والرحمان. «ومن أسماء الله الفاضلة لفظ الجلالة (الله)؛ فإنه دال على جميع الأسماء الحسنى، مستلزم لجميع معانيها؛ فالأسماء الحسنى تفصيل وتبيين للصفات الإلهية التي اشتق منه اسم الله، واسم الله دال على كونه مألوهاً معبوداً، تأله الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً، وفضعاً إليه من الحوائج، والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد»<sup>3</sup>.

ولفظ الله ورد في أغلب القصص المحمدية، ومنها، قصة الرسول ﷺ مع جبريل عليه السلام، فعن أبي هريرة قال: {كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل، فقال: ما الإيمان، قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسوله. وتؤمن بالبعث. قال ما الإسلام، قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم

<sup>1</sup> - الرازي أبو حاتم أحمد بن حمدان، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تح. عبد الله سلوم السامرائي، 1957م، ج1، ص112.

<sup>2</sup> - أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، تح. أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2، 1399هـ-1979م، ص26.

<sup>3</sup> - عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن، أسماء الله الحسنى، دار الوطن، الرياض، ط1، 1417هـ، ص90.

رمضان. قال: ما الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك. قال: متى الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربّتها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهيم في البنيان في خمسٍ لا يعلمهن إلا الله ثم تلا النبي ﷺ إن الله عنده علم الساعة، ثم أدبر فقال: ردوه فلم يروا شيئاً فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم<sup>1</sup>.

وهكذا تنتقل هذه العبارات عبر ثنايا هذه القصة، وكلها معانٍ تدعو إلى الإيمان بالله. وفي قصة الأبرص والأقرع والأعمى، قال ﷺ في شأن الأعمى: {وقد كنت أعمى فردّ الله بصري، وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبك}<sup>2</sup>. وكلها معانٍ تدعو إلى تفويض الأشياء كلها إليه - سبحانه وتعالى - وأنه هو الذي يعطي ويمنع، ويغني ويفقر، بتقديره وحكمته، فمن التوحيد والأدب أن ننسب الشفاء والغنى إلى الله وحده (قد كنت أعمى فرد الله بصري).

2- اللهم: وقال السيوطي في لفظ (اللهم): «أصله الجلالة، زادت فيه الميم المشددة عوضاً من حروف النداء»<sup>3</sup>.

ففي قصة أصحاب الغار، بدأ الثلاثة بالتوسل بصالح أعمالهم، كلامهم بلفظ اللهم ومثال ذلك: «وقال آخر، اللهم إني كنت استأجرت أجييراً بفرق أرز، فلما قضى عمله،

<sup>1</sup> - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، باب الإيمان، ص 18-19.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري، رقم: 3464، وصحيح مسلم: 2964.

<sup>3</sup> - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1987م، ص 64.

قال: أعطني حقي، فعرضت عليه فرقه فرغب عنه، فلم أزل أزعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها، فجاءني فقال: إتقي الله ولا تظلمي حقي، قلت: اذهب إلى تلك البقر، ورعائها فخذها، فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، خذ ذلك البقر ورعاءها، فأخذه فذهب به، فإن كنت تعلم أي فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا ما بقي، ففرج الله ما بقي»<sup>1</sup>.

#### الحقل الدلالي المتضمن للفظ الجلالة:

3- الرب: اسم الله تعالى، وهو بمعنى المالك والسيد والمدبر وجاء في المقاييس، "رب" الراء والباء يدل على أصول فالأول إصلاح الشيء، والقيام عليه، فالرب المالك، والخالق والصاحب، "والرب": المصلح للشيء والله جل ثناؤه الرب، لأنه مصلح أحوال خلقه<sup>2</sup>. وتشارك في هذا الاصطلاح كل الأديان السماوية.

ولا يقال: "الرب إلا في الله وحده، وهو في غيره على التقييد بالإضافة، كقولهم، رب الدار، ورب الناقة، ورب الأمة، ورب البيت، وهن ربات الحجال، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ و ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾<sup>3</sup>، وجاء في لسان العرب، الرب هو الله عز وجل، هو رب كل شيء أي مالكة، وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك، ولا يقال الرب في غير الله، إلا بالإضافة، ويقال الرب بالألف واللام، لغير الله، وقد قالوه في الجاهلية للملك؛ قال الحرث بن حنظلة:

<sup>1</sup> - أبي حسين مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار، رقم الحديث: 6985.

<sup>2</sup> - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مج 1، ص 458.

<sup>3</sup> - سورة يوسف، الآية 23 و 50. وينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 14.

وهو الرب، والشهيد على يو م الحيارين، والبلاء بلاء.<sup>1</sup>

ومن القصص ما رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: {بينما أيوب يغتسل عربانا فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه، يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى، قال بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك}<sup>2</sup>.  
وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: {أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني، ثم أذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً، ما عذبه به أحداً، قال: ففعلوا ذلك به، فقال الله للأرض أدي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك علي ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب، فغفر له بذلك}<sup>3</sup>، وفي قصة أصحاب الأعدود: {... فقال الناس: آمنة برب الغلام. آمنة برب الغلام آمن برب الغلام}<sup>4</sup>، فهذه الصورة هي صورة من صور النصر العظيمة انتصار الإيمان. بالثبات عليه، والموت في سبيله؛ لأن العاقبة هي الفوز برضاء الله تعالى وجنته ما أكدته تكرار لفظة "رب" ثلاث مرات.

4- الأحد: أحد: في أسماء الله تعالى، الأحد وهو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، وهو اسم بني لنفي ما يذكر معه من العدد تقول ما جاءني أحد، والهمزة بدل من الواو وأصله وحد، لأنه من الوحدة، والأحد بمعنى الواحد وهو أول العدد<sup>5</sup>، وهو من أسماء الله تعالى.

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج6، ص69.

<sup>2</sup> - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب من اغتسل عربانا، ج1، ص61.

<sup>3</sup> - صلاح الدين محمود السعيد، صحيح القصص النبوي، ص26.

<sup>4</sup> - صحيح مسلم، رقم الحديث 3005.

<sup>5</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص27.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: {قال الله تعالى: كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفأ أحد} <sup>1</sup>.

5- الرحيم: خاص في رحمته لعباده المؤمنين؛ بأن هداهم إلى الإيمان، وهو يشيهم في الآخرة بالثواب الدائم الذي لا ينقطع.

6- الرؤوف: وهو من المعاني الدلالية التي تتضمن قولهم: «إن الرأفة، والرحمة واحد، وقد فرقوا بينهما أيضاً وذلك أن الرأفة هي المنزلة الثانية، يقال: فلان رحيم، فإذا اشتدت رحمته، فهو رؤوف» <sup>2</sup>.

ومن القصص التي جاءت في صحيح البخاري، تحوي الاسمين معاً الدالين على شديد رحمته بعباده فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت فيقول: نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله جل ذكره وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً والوسط العدل، وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم} <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب، قوله قل هو الله أحد، ج3، ص223.

<sup>2</sup> - الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص62.

<sup>3</sup> - صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب، وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه، ج3، ص100.



7- الرحمان: « يختص بالله سبحانه وتعالى، ولا يجوز إطلاقه في غيره، وقال بعض أهل التفسير: الرحمان، الذي رحم كافة خلقه، بأن خلقهم، وأوسع عليهم في رزقهم»<sup>1</sup>، ويروى في قصة الشفاعة عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { ... ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحي فيقول: ائتوا خليل الرحمان... }<sup>2</sup>.

8- العظيم: « المعظم في صفة الله تعالى يفيد عظم الشأن والسلطان، وليس المراد به، وصفه بعظم الأجزاء، لأن ذلك من صفات المخلوقين، تعالى الله عن ذكره علوا»<sup>3</sup>، ومنه حدثنا الحسن، قال سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة: {يقول الله تعالى وعزتي وجلالي. وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله }<sup>4</sup>.

9- الملك: « أصل الملك في الكلام، الربط والشد، يقال: ملكت العجين، أملكه ملكا إذا شددت عجنه، وإملاك المرأة، إنما هو ربطها بالزوج، وقال أصحاب المعاني: المَلِكُ النافذُ الأمر في مُلكه، فالمَلِكُ أعم من المَالِكِ، والله تعالى مالك المالكين كلهم»<sup>5</sup>، وجاء فيما روي في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن قيام الساعة: {إن الله يمسك السموات يوم القيامة على إصبع، والأراضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الملك }<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص 28.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري، كتاب التفسير، مج 3، ص 97.

<sup>3</sup> - الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص 46.

<sup>4</sup> - رواه البخاري، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء، ج 6، ص 2727-2728.

<sup>5</sup> - الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص 30.

<sup>6</sup> - رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم الحديث، 7081، ص 1039.

10- الشهيد: الذي لا يغيب عن علمه شيء، وقال ابن سيدة «الشاهد العالم الذي يتبين ما علمه»<sup>1</sup>.

والشاهد مبالغة في الشاهد، وهو مأخوذ من الحضور والمشاهدة، والشهادة ترجع إلى العلم مع الحضور، وورد هذا اللفظ في قصة رجل من بني إسرائيل الذي استلف ألف دينار: «... أن رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائني بالشهداء أشهدهم،... فقال: كفى بالله شهيداً قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً»<sup>2</sup>.

### ثانياً - ألفاظ متعلقة بالملائكة:

ورد لفظ الملائكة في مواضع عدة من القصص النبوي، والملائكة عالم غيبي خلقوا لعبادة الله عز وجل، خلقهم الله تعالى من نور، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يأمرهم، ولهم أعمال ومهمات معينة وكلهم بما الله ينفذونها، فمن أنكرهم ولم يؤمن بهم فقد كفر بما نزل في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ لِيهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>3</sup>.

« والمَلَكُ واحد الملائكة؛ إنما هو تخفيف الملاك، واجتمعوا على حذف الهمزة، وهو مفعَل من الألوک، وقد ذكرناه في المعتل، والمَلَك من الملائكة: واحد وجمع؛ قال الكسائي: أصله مَلَكٌ بتقدیم الهمزة، من الألوک، وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقليل مَلَكٌ؛ وفي الحديث: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة، قال ابن الأثير: أراد الملائكة السياحين غير الحفظة، وفي الحديث: لقد حكمت بحكم الملك، يريد الله تعالى، وقال ابن

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج2، ص629، مادة (شهد).

<sup>2</sup> - رواه البخاري، كتاب الكفالة في القرض والديون، ج2، ص701.

<sup>3</sup> - سورة النساء، الآية 136.

بري: ملاك مقلوب من مَالِك، ومَالِكٌ وزنه مفعل في الأصل من الألوكة؛ وحقه أن يذكر في فصل ألك لا في فصل ملك»<sup>1</sup>.

فملك تخفيفاً، بترك همزة فصارت ملاكا، لكثرة الاستعمال وطلباً للتخفيف، فلما جمعوها ردوها إليه فقالوا: ملائكة وملائك، وهو مشتق من الألوكة التي هي بمعنى الرسالة، فالمالك حامل الألوكة وهي الرسالة، فإن الملائكة عليهم السلام رسل الله تعالى، يتلقون رسالاته، يقول ابن منظور في مادة (ألك) «والمَلَكُ مشتق منه، وأصله مَأَلِكٌ، ثم قلبت الهمزة إلى موضع اللام فقيل، مَأَكٌ، ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها، فقيل مَلَكٌ والجمع ملائكة، ابن السكيت: هي المألُكة والمألُكة على القلب والملائكة جمع مألُكة ثم ترك الهمز فقيل ملك»<sup>2</sup>.

وجاء في مادة لأك في لسان العرب «لاك: المَلَأُ والمألُكة الرسالة، والمَلَأُ؛ الملك لأنه يبلغ الرسالة عن الله عز وجل، فحذفت الهمزة وألقت حركتها على الساكن قبلها، والجمع ملائكة جمعوه متمما وزادوا الهاء، للتأنيث، وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾؛ إنما عنى به الجنس، وفي المحكم لابن سيده، ترجمة ألك. مقدمة على ترجمة لأك، وقال في كتابه، ما نصه، «إنما قدمت باب مألُكة على باب مألُكه، لأن مألُكه أصل، ومألُكه فرع مقلوب عنها»<sup>3</sup>.

وإنما سمو الملائكة لإرسال الله إليهم إلى الأنبياء، على ما دلت عليه اللغة أنه مأخوذ من المألُكة وهي الرسالة.

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج14، ص128 مادة (ملك).

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، مج1، ص85، مادة (ألك).

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج13، ص152، مادة (لأك).

وقد ورد لفظ الملائكة في قصة التوبة. « فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب...»<sup>1</sup>. فلفظ الملائكة ورد بصيغة الجمع. وفي قصة خلق آدم عليه السلام، الدالة على مشروعية السلام، وأنه تحية أهل الإسلام، من آدم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام وأمته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك الملائكة فاستمع ما يحوونك؛ فهي تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله}.<sup>2</sup>

وفي قصة إبراهيم عليه السلام جاء لفظ " الملك " « فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غوث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء »<sup>3</sup>.

وفي قصة الأعمى والأقرع والأبرص، فبعث الله ملكا لاختبار عباده، وامتحانه لهم ليتبين الصادق من الكاذب، ويؤكد أنه هو، المعطي والمانع وكل شيء إنما يكون بتقديره وحكمته، فعلى المسلم أن يعلق قلبه بالله تعالى ، فلا يخاف إلا منه ولا يرجو إلا إياه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، أراد الله عز وجل أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا...}<sup>4</sup>. وفيما يلي جدول احصائي لأسماء الملائكة الواردة في القصص:

<sup>1</sup> - صحيح البخاري، الحديث رقم، 3470.

<sup>2</sup> - المصدر السابق، رقم الحديث، 3326.

<sup>3</sup> - صحيح البخاري، برقم 3364.

<sup>4</sup> - صحيح البخاري، برقم 3464.

المقصود	طرف الحديث	مصدر الحديث
جبريل.	وقال أنس قال عبد الله بن سلام للنبي ﷺ: {إن جبريل الملائكة عدو اليهود من الملائكة..}.	رواه البخاري، باب ذكر الملائكة، مج2، ص210.
جبريل.	{بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان وذكر بين الرجلين فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً فشق من النحر، إلى مرق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيماناً وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا...}.	رواه البخاري، باب ذكر الملائكة، مج2، ص210.
مفرد، نكرة الملائكة مطلقاً.	{إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له أكتب عمله ووزقه، وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح...}.	رواه البخاري، باب ذكر الملائكة، مج2، ص211.
جبريل.	{إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض}.	رواه البخاري، باب ذكر الملائكة، مج2، ص212.
جمع، معرفة الملائكة مطلقاً.	{إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب، فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم...}.	صحيح البخاري، باب ذكر الملائكة، ص212.
جمع، معرف بالإضافة	{احتج آدم وموسى عليهما السلام عند	رواه البخاري في كتاب

الملائكة مطلقاً.	رهبما، فحجَّ آدم وموسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته...}.	القدر، باب نجاح آدم وموسى
ملك الموت.	{ أرسل ملك الموت إلى موسى <small>عليه السلام</small> فلما جاءه صكَّه ففقا عينه، فرجع إلى ربه...}.	رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى <small>عليه السلام</small> . رقم الحديث 6160، ص 894.
خزنة الجنة.	{ من أنفق زوجين في سبيل الله دعتهم خزنة الجنة أي قل لهم...}.	رواه البخاري، باب ذكر الملائكة، ص 212.
جبريل.	{ فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل...}.	رواه البخاري، باب ذكر الملائكة، ص 213.
خازن النار جبريل ميكائيل.	{ رأيت الليلة رجلين أتياني، قالا الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل وهذا ميكائيل...}.	رواه البخاري، باب ذكر الملائكة، ص 215.
ملكا خازن النار.	{ رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربعاً مربعاً مربوعاً الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأيت ملكاً خازن النار والدجال...}.	رواه البخاري، باب ذكر الملائكة، ص 216.
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.	{ فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب...}.	صحيح مسلم 2766.
جبريل.	{ فقال جبريل: يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر، فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة...}.	رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة يونس، ج 4، ص 287.
خاصة لحراسة المدينة.	{ على أنقاب المدينة ملائكة...}.	صحيح مسلم، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون

		والدجال، رقم الحديث 3368، ص 495.
خاصة بالليل وخاصة بالنهار.	{تجمع ملائكة الليل وملائكة النهار}.	صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، مج 1، ص 120.
ملك الجبال والله أعلم.	بعث الله إليه ملك الجبال.	صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.
الملائكة مطلقاً.	{يأتي المسيح من قبل المشرق، هَمَّتْهُ المدينة حتى ينزل دُبرُ أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام...}.	صحيح مسلم، كتاب الحج، باب صيانة المدينة، رقم الحديث 3369، ص 495.
خازن النار.	{رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طووالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربعاً مربعاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط ..... ورأيت ملكاً خازن النار...}.	صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، مج 2، ص 216.

هذه الحقول الدلالية، الدالة على الملائكة وعالمها الذي سخرها الله تعالى له، إنما يأتي كنماذج معرفية، تصب في المفاهيم التي من أجلها كان لهذه التسمية الملائكة هذا النموذج للمعرفة ومشتقاتها المعرفية.

### ثالثاً- أَلْفَاظ دَالَّة عَلَى الْإِيمَانِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ:

الرسول: «الراء والسين واللام أصل واحد، مصرف منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد، فالرسل، السير السهل، والرسل اللين، ويقال أرسل القوم، إذا كان لهم رسل وهو اللين، ورسل الرجل: الذي يقف معه في نضال أو غيره، كأنه سمي بذلك، لأن إرساله

سهمه يكون مع إرسال الآخر، وتقول جاء القوم أرسالاً، يتبع بعضهم بعضاً؛ مأخوذ من هذا الواحد رَسَل، والرسول معروف، وإبل مراسيل أي سراع»<sup>1</sup>.

وجاء في لسان العرب لابن منظور: «الرسول بمعنى الرسالة، والرسول: معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذاً من قولهم: جاءت الإبل رَسَلاً: أي متتابعة، وفي قوله عز وجل حكاية عن موسى وأخيه: فقولا إنا رسول رب العالمين، معناه إنا رسالة رب العالمين، أي ذوا رسالة رب العالمين»<sup>2</sup>.

و الأنبياء: «جمع نبي والنبي من النبأ محرّكة: الخبر، ونبأ ونبأ: أخبر، ومنه اشتقت النبي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ خُذْ مَا أُتِيَكَ مِنَ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ﴾<sup>3</sup>؛ وعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل، قال تعالى: ﴿نُبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾<sup>4</sup>، وعلى هذا فهو فعيل بمعنى مفعول، غير أنهم تركوا الهمزة في النبي والبرية، والذرية... إلا أهل مكة... فإنهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها، ويخالفون العرب في ذلك، ويجمع نبي على نبيين وأنبياء، لأن الهمز لما أبدل وألزم الإبدال جمع ما أصل لامة حرف العلة، كعيد، وأعياد... ونبأته أبلغ من أنبأته، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نُبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾<sup>5</sup>، ولم يقل أنبأني بل عدل إلى نبأ الذي هو أبلغ، تنبيها على تحقيقه، وكونه من قبل الله»<sup>6</sup>.

وقد ذكر العلماء فروقا بين النبي والرسول وملخصها:

<sup>1</sup> - بنظم ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (رسل)، ج2، ص392.

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج2، ص1166.

<sup>3</sup> - سورة الحجر، الآية 49.

<sup>4</sup> - سورة التحريم، الآية 03.

<sup>5</sup> - سورة التحريم، الآية 03.

<sup>6</sup> - ينظر: الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، ج5، ص14-15.



أن النبي هو من أمر بشرع سواء أمر بتبليغه أم لم يؤمر، والرسول هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، وهذا يثير إشكالا لأنه لا يستقيم مع قوله تعالى: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

لأن قوله تعالى: (أرسلنا) يتعلق به (ولا نبي) وكأنه قال: وما أرسلنا من قبلك من رسول... وما أرسلنا من قبلك من نبي، وحيث تعلق به الإرسال صار مأموراً، والعقل يستبعد أن يوحي الله إلى نبي بشرع ثم لا يأمر بتبليغه، فما الفائدة من الإيحاء به إذا كان يكتمه ولا يبلغه؟.

وقيل الرسول من حمل الرسالة وبعث بكتاب، والنبي من بعث بغير كتاب، فالذين بعثوا بالكتاب هم إبراهيم، وداوود، وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، والذين بعثوا بغير كتاب، إسماعيل وشعيب ويونس، ولوط، وزكريا وغيرهم من الأنبياء. وفي القرآن الكريم وصف الله بعض الأنبياء الذين لم تنزل عليهم كتب بالرسول، فقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ وقال عن يونس عليه السلام: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وقيل: «الرسول من بعثه الله بشرع جديد يدعو الناس إليه، والنبي من بعث لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام»<sup>1</sup>. وإذا كان في القضية أقوال مختلفة لأهل العلم، فإن المتفق عليه بينهم هو أن الرسالة أعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة، فالرسالة أعم فكل رسول نبي لا العكس، واقتضت حكمته كذلك أن يرسل لكل أمة رسولا أو أكثر من ذلك، وقال في كتابه الكريم: ﴿

<sup>1</sup> - محمد الصالح الصديق، مقاصد القرآن، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط2، 1403هـ-1982م، ص428.

الطَّاعُونَ<sup>١</sup> فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴿ (النحل:36)، ﴿  
 أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا<sup>٢</sup> وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿ (فاطر:24)، وخاطب رسوله  
 الكريم فقال: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ<sup>٣</sup> وَكَلَّمَ اللَّهُ  
 مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ<sup>٤</sup> وَكَانَ  
 عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ (النساء:164-165)، ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ  
 فُؤَادَكَ<sup>٥</sup> وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ (هود:120).<sup>1</sup>

وقص النبي ﷺ، قصص الأنبياء والرسول، وقد كثر ورود ألفاظ "الرسول والأنبياء" بصيغ  
 مختلفة إفراداً وتثنية وجمعاً، وبصيغة المصدر، ذلك بناءً للعقيدة وإثباتاً للوحي، ففي حديث  
 رواه البخاري يروي قصة إسلام عبد الله بن سلام، جمع الحديث بين الكلمتين (نبي  
 ورسول).

{ حدثنا حميدٌ عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله ﷺ وهو  
 في أرض يخرت<sup>2</sup> فأتى النبي ﷺ، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي:  
 فما أول اشتراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى  
 أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفاً. قال: جبريل قال: نعم. قال: ذاك عدو اليهود من  
 الملائكة، فقرأ هذه الآية: "من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك"، أما أول  
 أشرط الساعة؛ فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة  
 فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة  
 نزع، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله؟ يا رسول الله... }<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد بن فريجة الغريسي، في الحياة الإسلامية، أصول الشريعة الإسلامية وأحكامها، ديوان المطبوعات الجامعية،  
 الجزائر، 2008م، ج2، ص33.

<sup>2</sup> - يجتني من الفواكه.

<sup>3</sup> - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، مج3، ص98.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: { يُدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب. فيقول: هل بلغت. فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك. فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً }، والوسط: العدل {وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم }<sup>1</sup>.

وورد ذكر لأسماء الأنبياء والرسل بصيغتها الحقيقية الفعلية في القصص النبوي كما في

الجدول الآتي:

اسم النبي	طرق الحديث (القصة)	مصدر الحديث (القصة)
آدم عليه السلام. نوح عليه السلام. إبراهيم عليه السلام. موسى عليه السلام. عيسى عليه السلام.	{ أتى رسول الله ﷺ بلحم فرجع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نَحْشَةً ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس: عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن	صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة بني إسرائيل، مج3 ص148.

<sup>1</sup> - صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، مج3، ص100.

	<p>فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا، فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه تخاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول إن ربي عز وجل قد غضب اليوم... فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض... فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس... فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبياً... فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك...}.</p>	
<p>رواه الترمذي في سننه في كتاب التفسير، باب من سورة الأعراف.</p>	<p>عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً<sup>1</sup> من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك. فرأى رجلاً منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من</p>	<p>آدم ﷺ و داود ﷺ.</p>

<sup>1</sup> - وبيصاً، الوبيص، البريق، البصيص.

<p>ذريتك يقال له داوود...}.</p>	<p>روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر، قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: { لا تسألوا الآيات، وقد سألها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، فكانت تشرب ماءهم يوماً، ويشربون لبنها يوماً، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهدم الله عز وجل من تحت أديم السماء منهم، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله عز وجل قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه }.</p>	<p>نبي الله صالح ﷺ.</p>
<p>رواه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحرابي وهبته وعنته رقم الحديث: 2217. كما رواه في مواضع منها: كتاب الإكراه، كتاب النكاح، كتاب الطلاق، كتاب الهبة. ورواه مسلم، في كتاب الفضائل باب فضائل إبراهيم ورقمه: 2371.</p>	<p>عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: { هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك،.... }.</p>	<p>إبراهيم ﷺ وسارة.</p>
<p>رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب «واتخذ الله</p>	<p>روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس « أول ما اتخذ النساء المنطق أم إسماعيل، اتخذت منطقاً<sup>1</sup> لتعفي، أثرها</p>	<p>إسماعيل و إبراهيم عليهما السلام وهاجر.</p>

<sup>1</sup> - المنطق: هو ما تشد به المرأة وسطها عند عمل الأشغال لترفع ثوبها، وهو أيضا النطاق.

<p>إبراهيم» (النساء: 125)، رقم الحديث: 3364.</p>	<p>علة سارة ثم جاء إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة<sup>1</sup>...».</p>	
<p>أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب التفسير تفسير سورة هود.</p>	<p>روى الحاكم في مستدرکه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لما جاءت رسل الله لوطا ظن أنهما ضيفان لقوة، فأدناهم حتى أقعدهم، قريباً...»</p>	<p>لوط <small>عليه السلام</small></p>
<p>رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله <small>ﷺ</small>: {احتج آدم وموسى عليهما السلام، عند رهبما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح، فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى بأربعين عاما...}.</p>	<p>رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله <small>ﷺ</small>: {احتج آدم وموسى عليهما السلام، عند رهبما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح، فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى بأربعين عاما...}.</p>	<p>آدم وموسى عليهما السلام.</p>
<p>هذا الحديث أخرجه الحاكم في مستدرکه، ورقمه: 4088.</p>	<p>روى الحاكم في مستدرکه عن أبي موسى: {أن رسول الله <small>ﷺ</small> نزل بأعرابي فأكرمه، فقال له (يا أعرابي سل حاجتك) قال: يا رسول الله ناقة برحلها، وأعنز يجلبها أهلي، قالها مرتين. فقال له رسول الله <small>ﷺ</small>: أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل فقال أصحابه: يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل؟ قال: إن موسى أراد أن يسير ببني إسرائيل فأضل</p>	<p>موسى ويوسف عليهما السلام.</p>

<sup>1</sup> - الدوحة: الشجرة العظيمة، وجمعها الدوح.

	<p>عن الطريق، فقال له علماء بني إسرائيل نحن نحدثك أن يوسف أخذ علينا موثيق الله، أن لا نخرج مصر، حتى ننقل عظامه معنا، قال: وأيكم يدري أين قبر يوسف؟ قالوا ما تدري قبر يوسف إلا عجوز بني إسرائيل، فأرسل إليها فقال: دليني على قبر يوسف...}.</p>	
<p>أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير، تفسير سورة طه، ورقمه: 3434.</p>	<p>{ لما تعجل موسى إلى ربه عمد السامري فجمع ما قدر عليه من الحلي حلي بني إسرائيل، فضربه عجلاً، ثم ألقى القبض في جوفه، فإذا هو عجل له خوار، فقال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى، فقال لهم هارون: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً؟...}.</p>	<p>سيدنا موسى وهارون</p>
<p>رواه البخاري، رقمه: 3424. ومسلم رقم: 1654.</p>	<p>عن أبي هريرة <small>رضي الله عنه</small> عن النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> قال: { قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل، ولم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو قالها لجاهدوا في سبيل الله }.</p>	<p>سليمان <small>عليه السلام</small>.</p>
<p>صحيح البخاري رقم: 6769. وصحيح مسلم رقم: 1720.</p>	<p>عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> قال: { كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود عليه السلام، ففضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتا، قال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى، لا تفعل يرحمك الله هو</p>	<p>داود وسليمان عليهما السلام.</p>

	ابنها، ففضى به للصغرى {.	
رواه أبو .... في مسنده (177-176/1) وأبو نعيم في الحلية، ج 3 375-374.	عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: {إن نبي الله أيوب عليه السلام لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يعدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما... {.	نبي الله أيوب عليه السلام.
رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿ مريم﴾ ورقمه: 3443. ورواه مسلم في كتاب الفضائل باب فضائل عيسى ورقمه: 6162.	« رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو، فقال: عيسى: آمنت بالله وكذبت نفسي».	عيسى عليه السلام.
رواه البخاري، باب قوله تعالى: ﴿ يونس لمن المرسلين﴾ ج 3، ص 1254-1255.	« لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، فإذا موسى أخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته...، أم بعث قبلي، ولا أقول: إن أحداً أفضل من يونس بن متى »	يونس عليه السلام.
صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء، مع 1، ص 73.	«فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم... فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه نسّم	آدم وإدريس وعيسى، وإبراهيم وموسى عليهم السلام.



<p>بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة عن شماله أهل النار... فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح قال أنس فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة... ثم مرت بموسى فقال: مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح...»</p>	
---	--

وهذه القصة الأخيرة هي حصيلة ما رآه صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج. وهي وغيرها من القصص، غرضها هو إثبات الوحي وتحقيق القناعة بأن النبى ﷺ مرسل من ربه، إذ كان يقص على قومه قصصاً لا يعلمها أحد من قومه، وهو الرسول الأمي الذي لم يكن يحسن قراءة ولا كتابة، وهذا يؤكد أنها وحي من الله تعالى: ﴿الغيب نوحياً إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ (هود: 49)، أي أن هذه القصص التي يوحىها الله هي من أنباء الغيب. ويمثل مصطلح الأنبياء بأسمائهم، دلالات الرسالة والوحي والدعوة إلى الله، وما يتعلق بذلك من معاني، ودلالات توحى بالإيمان والكفر.

#### 4- ألفاظ دالة على اليوم الآخر: (يوم القيامة).

-يوم القيامة أو اليوم الآخر، أو يوم الحساب، حسب المعتقد الإسلامي هو نهاية العالم والحياة الدنيا (ويشارك في هذا الاعتقاد اتباع ديانات أخرى مثل اليهود والمسيحيين)، وهو موعد الحساب، عند الله، أي: عندما يقوم الله عز وجل بجزاء المؤمنين بالجنة والكفار

المشركين بالنار، ويسمى بيوم القيامة، لقيام الأموات فيه من موتهم، أي بعثهم وذلك لحسابهم، وجزائهم، فالقيامة هي لفظ دال على اليوم المشهود الذي يجري فيه عدل الله وحكمه على العباد.

و« القيامة مأخوذ من قام يقوم، والمصدر منه قيام، ومثله صام يصوم صياما، والصوم اسم منه والقيامة هو فعل يكون من جميع الخلائق دفعة واحدة، فلذلك أدخل فيه الهاء، فقيل: يوم القيامة ولم يقل: يوم القيام»<sup>1</sup>.

وجاءت أحاديث عدة تضمنت لفظ القيامة منها: { إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع، والأراضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك... }<sup>2</sup>.

{ يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك، أين الجبارون }<sup>3</sup>.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: { كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة فُرفِع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة، وقال: أنا سيد القوم يوم القيامة هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع

<sup>1</sup> - الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الحمداني اليعبري الحرازي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1415هـ-1994م.

<sup>2</sup> - صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، الحديث رقم: 7081، ص1039.

<sup>3</sup> - صحيح مسلم، الحديث رقم: 7085، ص1040.

لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس أبوكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك...<sup>1</sup> }

وفي قصة الرجل الذي خسف به وهو يجر إزاره من الخيلاء، ورد في رواية للبخاري لفظ القيامة، وفي رواية لمسلم حتى تقوم الساعة.

فعن سالم بن عبد الله أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ قال: { بينما رجل يجر إزاره خسف به فهو يتجملجمل في الأرض إلى يوم القيامة }<sup>2</sup>.

وفي رواية مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: { بينما رجل يمشي، قد أعجبته جمته وبرأده، إذ خسف به الأرض، فهو يتجملجمل في الأرض حتى تقوم الساعة }<sup>3</sup>.

- ويعبر بالساعة عن يوم القيامة، تشبيهاً بذلك لسرعة حسابه، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾<sup>4</sup>، أو لما نبه عليه بقوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾<sup>5</sup>، فالأولى: القيامة، والثانية: الوقت اليسير.

- يوم البعث: قال النبي ﷺ مجيباً عن سؤال جبريل: ما الإيمان؟ { أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث }<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب "إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه"، مج2، ص230.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، مج4، ص24.

<sup>3</sup> - صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبخر في المشي، رقم الحديث: 5486، ص803.

<sup>4</sup> - سورة الأنعام، الآية: 62.

<sup>5</sup> - سورة الروم، الآية: 55.

<sup>6</sup> - رواه البخاري، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله، ج1، ص27.

وقال ﷺ: {يلقى إبراهيمُ أباهُ آزرَ يومَ القيامةِ، وعلى وجهِ آزرَ قترَةٌ وغبرةٌ، فيقول له إبراهيمُ: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فاليومَ لا أعصيك، فيقول إبراهيمُ: يا ربِّ إنَّك وعدتني أن لا تخزني يومَ يُبعثون،...} <sup>1</sup>.

فهي في الحديث وردت بصيغة الفعل الدال على يوم الدين، يوم الحساب، لأن كل أحد يحاسب فيجازى بعمله. إضافة الى انتشار دوال توحى باليوم الاخر منها دوال مكانية مثل:

- الصراط: وورد لفظ الصراط في معرض حديثه ﷺ، عن يوم الحشر {يحشرُ الناسُ يومَ القيامةِ، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبِعْ، فمنهم من يتَّبِعُ الشمسَ، ومنهم من يتَّبِعُ القمرَ، ومنهم من يتَّبِعُ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمةُ فيها منافقوها... فيأتيهم الله فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا، فيدعُوهم فيضربُ الصِّراطُ بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرُّسل بأمتِه} <sup>2</sup>.

و«الصراط طريق الحق، الصراط في كلام العرب هو الطريق، قال الله عز وجل: ﴿اهدنا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال المفسرون هو طريق الحق والهداية، ويقال: الصراط الذي في الآخرة هو جسر على النار يجوز عليه الخلائق، عليه سبع قناطر، وهو أحد من السيف وأدق من الشعر» <sup>3</sup>. فالآخرة هي دار القرار وفيها الجزاء إما الجنة أو النار، وتتكون من عدة مشاهد منها، البعث، الحشر، القيامة... يُحاسب كل شخص بما عمل في الدنيا، فإن كان محسناً فإنه يجد الإحسان، وإن كان مسيئاً فكذلك يكون جزاؤه، وهذا ما اصطلح عليه بمشاهد يوم القيامة، وبعد الحساب والعدل بين الخلق يصير المحسن إلى الجنة والمسيء إلى النار.

<sup>1</sup> - رواه البخاري، باب قوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾، ج3، ص1223.

<sup>2</sup> - رواه البخاري، باب فضل السجود، ج1، ص277-278.

<sup>3</sup> - أبي حاتم الرازي، الزينة، ج2، ص398.

## - الجنة والنار:

أ- الجنة: وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، والجنة في اللغة: "البستان"<sup>1</sup>، وجاء في لسان العرب: «الجنة: الحديقة، ذات الشجر والنخل، وجمعها جنان، وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيرها، وقال أبو علي في التذكرة، لا تكون الجنة في كلام العرب، إلا وفيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة، والجنة: هي دار النعيم في الدار الآخرة، من الاجْتِنَان: وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها»<sup>2</sup>؛ وإنما سميت الجنة بهذا الاسم، لأنها ثواب ادخره الله لعباده الصالحين وهو مستور عنهم، أما الجنة في الاصطلاح فهي: «الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرّة الأعين»<sup>3</sup>.

ونصوص القصة في الحديث النبوي، تعرضت للحديث عن الجنة والنار في معرض، الترغيب والترهيب، فالجنة المذكورة في القصص، هي الجنة يوم الآخر، التي هي دار الثواب، لا تقع تحت حسنا أو متناول إدراكنا. وجاء لفظ الغفران أو المغفرة الدالان على دخول الجنة، فشرط دخول الجنة هو نيل المغفرة من الله، وهذا في معرض الترغيب في فعل الخير، روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الشَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ،

<sup>1</sup> - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، ص 107.

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ص 518.

<sup>3</sup> - ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 65.

ثم رَقِيَ، فسقى الكلبَ، فشَكَرَ اللهَ له، فغُفِرَ له، قالوا: يا رسولَ الله، وإن لنا في البهائمِ أجراً؟ قال: في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ<sup>1</sup>.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: { أن امرأةً بغياً رأت كلباً في يومٍ حارٍ يُطيفُ ببئرٍ، قد أدلَعَ لسانَه من العطشِ، فنزعت له بموقها فغُفِرَ لها<sup>2</sup>، هاتان قصتان لرجل وامرأة، رأى كل منهما كلباً عطشاً فرحمه وسقاه، فغفر الله لهما. وهكذا الإحسان إلى الحيوان تغفر به الذنوب، ويقرب العبد إلى ربه فالمغفرة وفضائل الأعمال يعقبها ويليهها رضوان الله ومنه الجنة، فالمغفرة طريق لدخول الجنة. ففي لسان العرب "غفر: الغفور الغفار، جل ثناؤه، وهما من أبنية المبالغة، ومعناها الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم. يقال: اللهم اغفر لنا مغفرةً وغفراً وغفرانا، وإنك أنت الغفور الغفار، يا أهل المغفرة. وأصل الغفر التغطية والستر: غفر الله ذنوبه، أي: سترها؛ والغفر: الغفران"<sup>3</sup>، وما حصل هو أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- إنما أخبر عن دخول بعض الناس الجنة أو النار، بإخبار من الله أنهم سيدخلونها يقيناً، ولا غرابة في الإخبار بصيغة الماضي عمّا هو مجزوم بوقوعه في المستقبل، على غرار قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ<sup>4</sup> سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ<sup>4</sup>﴾.

وفي قصة رواها البخاري في صحيحه، أن رجلاً غرق في الذنوب طيلة حياته، ولم يفق إلا بعد دنو أجله، ففزع فزعاً شديداً من عذاب الله، وعلم أنه لن ينجو من ربه متى وقف

<sup>1</sup> - رواه البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، ورقمه: 2363.

\* - الموق: الخف (فارسي مُعَرَّب) ومعناه أي: استقت.

<sup>2</sup> - رواه مسلم في صحيحه، في كتاب قتل الحيات وغيرها، باب، فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، رقم الحديث: 5883، ص 856.

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 65.

<sup>4</sup> - سورة النحل، الآية: 1.

بين يديه، فذنوبه كثيرة، فأراد أن يهرب من عذاب الله، ولم يجد سبيلاً من تحقيق ذلك إلا بأن يأمر بنيه بحرقه بعد موته ثم يذرى رماده في البر والبحر، عظم خوفه من عذاب الله، وبسبب خشيته من لقاء ربه، تجاوز الله عن جهله، وغفر له ذنوبه.

فجاء في الصحيح: {حدثنا موسى حدثنا معتمر سمعتُ أبي حدثنا قتادة عن عقبه بن عبد الغافر عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ذكر رجلاً فيمن كان سلفاً أو قبلكم آتاه الله مالا وولداً -يعني أعطاه-، فلما حضر قال لبيه: أي أب كنت؟ قالوا خير أب، قال فإنه لم يبتئ عند الله خيراً -فسرها قتادة لم يدخر-؛ وإن يُقدم على الله يُعذبه، فانظروا فإذا متُّ فأحرقوني حتى إذا صرتُ فحماً فاسحقوني أو قال فاسهكوني ثم إذا كان ريح عاصف فأذروني فيها، فأخذ موثيقهم، على ذلك وربي. ففعلوا فقال الله: كن، فإذا رجلاً قائماً، ثم قال: أي عبي ما حملك على ما فعلت؟ قال مخافتك، فما تلافاه أن رحمة الله <sup>1</sup>. ففي القصة دلالة على أن الخوف من الله من أعلى مقامات الصالحين، يغفر الله به الذنوب الكثيرة، فقد غفر الله لهذا الرجل ذنوبه العظيمة، لما وقع في قلبه من مخافة ربه وما دل على ذلك هو لفظ الرحمة. فهو عز وجل يختص برحمته من يشاء، فالرجل دخل الجنة رحمة من الله.

ويظهر لفظ الجنة بدلالاته على دار النعيم، في قصة آسيا ملكة مصر، امرأة فرعون فقد تخلت عن الدنيا وصبرت على عذاب وأذى زوجها، لتنال رضوان الله ورحمته وجنته.

روى أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد، في يديها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة، فقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا

<sup>1</sup> - صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب، الخوف من الله، مج4، ص126.

فِي الْجَنَّةِ وَنَجَّيْنَا مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿التحریم: 11﴾، فكشف لها عن بيتها في الجنة <sup>1</sup>.

فامرأة فرعون، اختارت نعيم الآخرة على نعيم الدنيا، فهذه المرأة كانت المرأة الأولى في البلاط الملكي، في قصر فرعون، ولإيمانها كُشف لها عن المنزلة المعدة لها في جنات النعيم، وفي ذلك تثبيت لها على الإيمان.

وروى أحمد في مسنده عن أبي ابن كعب، قال: انتسب رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، فمن أنت لا أم لك؟

فقال رسول الله ﷺ: {انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، حتى عدت تسعة، فمن أنت لا أم لك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى (عليه السلام) أن هذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار، فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة} <sup>2</sup>.

هذه قصة رجلين افتخر أحدهما بأبائه الكفرة فضم إلى آباءه في النار، وانتسب الثاني لأبيه وللإسلام، فضم إلى آباءه في الجنة.

وذكر لفظ الجنة في قصة خلق آدم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: {خلق الله عز وجل آدم على صورته: طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يجيبونك، فإنها تحيتك وتحيّة ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك

<sup>1</sup> - عمر سليمان الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 279.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 331.



ورحمة الله، قال: فرأوه ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن<sup>1</sup>.

والملاحظ في عدة قصص جمع لفظي الجنة والنار، فالجنة ثواب وجزاء للمسلمين الموحدين لله، والنار عقاب وعذاب للكافرين، ومنها ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: {تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ أَوْثَرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجْزُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشْيَاءِ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أَعَذَّبُ بِكَ مِنْ أَشْيَاءِ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مَلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا، فَيَقُولُ: قَطِّ قَطِّ، فَهِنَا لِكَ تَمْتَلِي، وَيَزُودُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ<sup>2</sup>.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: {يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبِشٌ مَلْحٌ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيُشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: وَيَقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيُشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ. قَالَ: ثُمَّ يَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ<sup>3</sup>، قَالَ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: 39).

<sup>1</sup> - صحيح مسلم، كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام، أفدتهم مثل أفدة الطير، الحديث رقم: 7197، ص 1056.

<sup>2</sup> - صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، الحديث رقم: 7207، ص 1057.

<sup>3</sup> - صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، الحديث رقم: 7215، ص 1058-1059.

## ب - النار:

وفي قصة ساقها الرسول ﷺ وهو يروي مشاهد العذاب في النار؛ مشهد تقشعر له الأبدان وتثير في النفوس الرهبة والخشية من الخالق عز وجل، فإما جنة ونعيمها وإما نار وعذابها: {يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر. قال :كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ} <sup>1</sup>.

من خلال ما سبق ذكره، نصل إلى أن الرسول ﷺ، كان يسعى إلى إثبات قضية التوحيد، التي تعد من أهم القضايا التي سعى إلى تبليغها في قصصه وكل ما تعلق بالإيمان في النفوس من ذكر لصفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، وملائكته وحديث عن الرسل والأنبياء، رضوان الله عليهم، وذكر البعث والنشور والإيمان باليوم الآخر، وقد تصدى المشركون لهذه القضية بإنكار شديد، والقرآن في ذلك يسجل شيئاً من مواقفهم تجاه هذا الإنكار ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبِينُكُمْ إِذَا مَرَّقْتُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (سبأ: 07).

وإزاء هذا الإنكار كان لزاماً أن يقوم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالتأكيد على الإيمان بهذه القضية بكل ما يتاح له من أساليب، ومن هنا كانت القصة هي الأسلوب الأمثل، ونرى حضورها في حقل الإيمان واضحاً جلياً، بصور مختلفة تشير أحداثها ووقائعها إلى كل ما غاب عن الإنسان، كأحداث الموت والحياة وعذاب القبر، ومشاهد القيامة

<sup>1</sup> - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة، مج2، ص220.

المختلفة والجنة والنار، في عرض قصصي باهر للنفوس يجوس تأثيره في خفاياها ويجول سره في طواياها.

فمثلا حين انتقل الرسول ﷺ بالمخاطب إلى الجنة والنار وأحوال أهل الدارين، ففي قصة ذبح الموت بنجده يورد حال أهل الجنة والنار ليجعل المتلقي بين المخافة والرجاء، فيرجوا أن يكون من أهل الجنة، ويخشى أن يكون من أهل النار، وكلا الفريقين يقال له: خلود فلا موت.

وكثيرا ما بنجده ﷺ يغلب قصص أهل الجنة، وما أعد الله لهم من النعيم المقيم؛ لأنه يريد تعزيز جانب الرجاء في قلوب أصحابه الذين جاؤوا راغبين بما لديه من هدي وارشاد من ذلك مثلا قوله -عليه الصلاة والسلام-: {سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجلٌ يجيء بعدما أُدخل أهل الجنة فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: أي ربّ كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْكٍ مَلِكٍ من مُلُوكِ الدنيا؟ فيقول: رضيتُ ربّ. فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما أشتهت نفسك ولدّت عينك. فيقول رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ غرستُ كرامتهم بيدي وختمتُ عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر<sup>1</sup>، واحتلت دوال المكان بالنسبة للمجال الفرعي يوم القيامة الحيز الأكبر؛ لأنها دار المقام.

## 2- حقل مكارم الأخلاق:

<sup>1</sup> - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث: 471، ص 91.

واحتل هذا المجال حيزاً كبيراً في القصة النبوية، ومن خلاله يتضح ما للقصة النبوية من تأثير تربوي، حين نجد ذلك التأثير يواكب فطرة تلك النفوس، في شتى مدارج الحياة التربوية، حين تلتقي وتتعانق لتقرير القيم الخلقية لتمكينها في نفوس الناس: « واهتمت السنة النبوية بأسلوب القصة كوسيلة تربوية فعالة في التوجيه والإرشاد والموعظة والعبارة بما جرى "الأبطالها" وركزت السنة النبوية على "القصص" ذات التأثير الروحي والخلقي والاجتماعي والإنساني، مستهدفة غرس الخير والفضائل والقيم والمبادئ والمثل العليا في "النفوس" وترقية الوجدان، وتهذيب السلوك»<sup>1</sup>.

وسوف نرى من خلال نماذج متنوعة من هذا الحقل الدلالي، كيف جاءت القصة النبوية لكي « ترتقي بالنفوس الإنسانية إلى آفاق القيم السامية، والأخلاق الإسلامية الطاهرة، وإلى الدفاع عن كرامة الإنسان التي قررها خالق الوجود، وإلى التجرد، وإحقاق الحق، ونصرة الخير، وإشاعة الطهر»<sup>2</sup>.

ولعل من النماذج التي حوت قيماً تربوية متنوعة، قصة الثلاثة الذين آواهم الغار: { انطلق ثلاثة رهطٍ ممن كان قبلكم حتى أووا المبيتَ إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ من الجبلِ فسدت عليهم الغار فقالوا: إنَّه لا يُنجيكم من هذه الصخرةِ إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أعقبُ قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غبوقَهُما، فوجدتهما نائمين وكرهتُ أن أعقبَ قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثتُ والقِدْحُ على يدي أنتظر

<sup>1</sup> - د. عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في القصة النبوية، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، ط2، 1993م، ص218.

<sup>2</sup> - محمد حسن بريغش، دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، مع عرض ودراسة لعدد من قصص الدكتور نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994م، ص15.

استيقظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال النبي ﷺ: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى أَلَمَّتْ بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخَلِّيَ بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تُفُضَ الخاتم إلا بحقه. فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبي ﷺ: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراً فأعطيتهم أجرهم، غير رجلٍ واحدٍ ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ إلي أجري. فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي. فقلت: إني لا أستهزئ بك. فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون<sup>1</sup>، فهذه القصة ذات دلالات تربوية متعددة، ولكل جانب منها درس تربوي مستفاد، وبعض هذه الدروس يؤخذ من مجمل القصة، والبعض الآخر يؤخذ من تفاصيل المواقف والأحداث.

والقصة في بنائها الكلي توحى بمبدأ تربوي عميق، يتمثل في عدم خلو الحياة من الشدائد والضوائق، فسنة الله فيها قائمة على أن يظل المرء فيها بين العسر واليسر، والضيق والسعة، وإزاء هذه الشدائد، يبحث المرء عن منفذ مضيء، تتنفس منه روحه عقب الرضا والاطمئنان، ولن يجد المرء أفضل من أعماله الصالحة، التي صدق فيها مع الله، وأخلص له، وتوجه بها إليه.

<sup>1</sup> - رواه البخاري، 2333، ومسلم، 2743، عن ابن عمر رضي الله عنه.

والنص يضع هذا المعنى بين أيدينا بصورة واقعية مؤثرة، وفي عرض قصصي جميل لأناس اشتدت بهم الخطوب، ولم يكن لهم مغيث إلا أن يلجأوا إلى الله عز وجل بصالح أعمالهم التي عملوها وقت يسرهم، كما أن في تفاصيل أحداث القصة دروساً تؤخذ من كل شخصية من شخصياتها، باعتبارها مشعلاً تربوياً يضيء للسالكين المقتدين بمثل هذا الهدى.

ومن الدوال ذات الصلة بهذا الحقل: 1- البر بالوالدين وطاعتهما:

فالرجل الأول بار بوالديه، آثرهما على غيرهما من زوجة وأولاد، ورعاهما عند كبرهما، وذلك في قوله: (كان لي أبوان شيخان كبيران)، وفي ذلك إشارة إلى قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفًا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23)﴾ (الإسراء: 23) ويفيد هذا الموقف أن بر الوالدين ورعايتهما سبب لإجابة الدعاء وقبوله.

ومثل هذا جاء في قصة جريج العابد، هذا الرجل الصالح، الذي أغضب أمه، لأنها جاءت إليه عدة مرات لتراه، وتحدث معه، وفي كل مرة ترجع خائبة، لأنه كان مشغولاً بصلاته وعبادته، فدعت عليه دعوة استجاب الله لها فيها، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: {لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى، وكان من بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي جاءته أمه فدعته فقال: أجيئها أو أصلي فقالت: اللهم لا تمته حتى تراه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأنت راعيا فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً فقالت: من جريج فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام قال: الراعي. قالوا: نبي صومعته من ذهب قال: لا إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابناً لها، من بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمضه قال أبو هريرة: كأني

أنظر إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) يمصُ إصبعه، ثم مرَّ بأمةٍ فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه. فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها. فقالت: لم ذاك، فقال: الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون: سرقت زينة ولم تفعل<sup>1</sup>.

فلفظ دعته في أول الحديث: يدل على طلب الأم من ابنها أن يكلمها، لاشتياقها له ولفظ أجيئها أو أصلي، لم يجبه وفي هذا قال النووي: «قال العلماء في هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها؛ لأنه كان الصواب في حقه إجابتها لأنه كان في صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب، وعقوقها حرام»<sup>2</sup>.

وجاء في تعريف البر لغة. في التاج: «البر بالكسر للباء الصلة وبر الوالدين: التوسع في الإحسان إليهما... بر الوالدين هو في حقهما وحق الأقربين من الأهل: ضد العقوق، وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم... وبرته أي الوالد، أي أحسنت إليه ووصلته»<sup>3</sup>، ومن السياقات اللفظية في الحديث الدالة على العقوق: قوله: "أجيئها أو أصلي"، فاختار الصلاة. فهي لم ترد منه سوى أن تسمع صوته وتحذته لأنها كلما زارته وجدته على الحال نفسه، ويقول ابن الأثير: «العقوق... مشتق من العق وهو القطع، والمراد به صدور ما يتأذى به الوالد من ولده، من قول أو فعل إلا في شرك أو معصية، ما لم يتعنن الوالد»<sup>4</sup>، فالعقوق دال ضده البر، وفي اللسان: «عقَّ والده... شق عصا طاعته، وعق والديه: قطعهما ولم يصل رحمه منهما، وقد يعم بلفظ العقوق جميع الرحم»<sup>5</sup>، فالبر هو الصلة والعقوق قطع الصلة، فالرسول ﷺ أخبرنا - في الحديث السابق - أن الذين تكلموا في المهدي

<sup>1</sup> - صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: وأذكر في الكتاب مريم، مج2، ص254.

<sup>2</sup> - شرح النووي على صحيح مسلم، المطبعة المصرية، ج16، ص105.

<sup>3</sup> - ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج10، ص151، مادة(بر).

<sup>4</sup> - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، ص276.

<sup>5</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقق).

في تاريخ البشرية ثلاثة، الأول عيسى عليه السلام، والثاني غلام الراعي في قصة جريح، والثالث قصة الطفل الذي خالف أمه فيما دعت به، فهو لم يرض أن يكون مثل الجبار، "والجبار" بالفتح مشددا الذي يقتل على الغضب<sup>1</sup>. ودافع عن الأمة التي اتهموها بالزنا والسرقه وأخبرهم أنها لم تفعل.

فألفاظ الجبار والزنا والسرقه دوال تدل على أخلاق منهي عنها شرعاً.

كما أن القصة النبوية حثت على الرأفة بالحيوان في قصص منها، الذي سقى كلبا، فغفر له، والتي دخلت النار في هرة، وسبق ذكر القصتين، ففي قصة رواها أبو هريرة رضي الله عنه، قال صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس، فقال: {بينما رجلٌ يسوقُ بقرةً إذ ركبها فضرَبها، فقالت: إنا لم نُخلق لهذا، إنَّما خُلِقنا للحرثِ، فقال الناس: سُبْحَانَ اللَّهِ} <sup>2</sup>.

فالبقرة استنكرت ركوب الرجل على ظهرها مخالفا سنة الله في خلقه، «وكأنها تقول له: أنت ظالم لي بركوبك لي لأنك استعملتني فيما لم يخلقني الله له، ذلك أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه» <sup>3</sup>.

ونعود لقصة أصحاب الغار بالتحديد مع الرجل الثاني قصته تبين فضل العفاف والكف عن الحرام، خصوصاً عند القدرة عليه، وكون الرجل باشر مع المرأة مقدمات المعصية، فقعد منها مقعد الرجل من المرأة، ثم قام عنها خوفاً من الله عز وجل، ووقوفاً عند

<sup>1</sup> - الرازي، مختار الصحاح، ص 89، مادة (ج ب ر).

<sup>2</sup> - صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ج 6، ص 512، ورقمه: 3471.

<sup>3</sup> - عمر سليمان الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 193.



حدوده، فأكرمه الله بهذه النجاة، وفي فعل هذا الرجل دلالة على أن التوبة تجب ما قبلها، وأن ترك المعصية يحو مقدمات طلبها.<sup>1</sup>

وتمضي بنا القصة مع الرجل الثالث في أمانته، وحسن عهده وسماحته، وفي اتجار الرجل في مال الأجير واستثماره له، ومحاولة استثمار هذا المال عنده، وقد ترجم البخاري لهذه القصة في أحد أبوابه بقوله: «باب إذا اشترى شيئاً بغير إذنه فرضي»<sup>2</sup>.

ففي بعض قصص السنة، نجد أن النص يأتي ممثلاً لقيمة تربية معينة، أراد أن يبقى عليه الصلاة والسلام، أثرها بشكل أعمق عن طريق العرض القصي، فمن ذلك تربيته ﷺ لأصحابه على الثبات على مبدأ الإيمان، وبث روح العزيمة في نفوس المخاطبين على مواجهة رياح الفتن العاتية التي تحاول إزاحة الإيمان من قلوب أصحابه، ونجد أن ذلك يتجلى في عرضه لبعض مواقف الثابتين من السابقين.

فحين جاءه خباب بن الأرت رضي الله عنه يشكو إليه جور قريش في مكة، قال صلى الله عليه وسلم: {كان الرجلُ فيمن قبلكم يُحفرُ له في الأرضِ فيجعلُ فيه، فيجاءُ بالمنشار، فيوضعُ على رأسه فيشَقُّ باثنتين، وما يصُدُّه ذلك عن دينه، ويمشطُ بأمشاطِ الحديد، ما دون لحمه من عظمٍ أو عصب، وما يصُدُّه ذلك عن دينه، والله ليُتَمَّنَّ هذا الأمرُ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخافُ إلا الله أو الذئبُ على غنمه، ولكنكم تستعجلون}<sup>3</sup>. فقد رسم جزئيات هذا المشهد، بكل تفاصيله، فهناك حفرة، ومنشار، وأمشاط من حديد، ليصحب المخاطب إلى مشاهد لم تعدها مداركه، ويسكب في قلبه الأمل بنصر الله تعالى، واليقين بوعدده.

<sup>1</sup> - ينظر: فتح الباري، ج13، ص276.

<sup>2</sup> - صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه، مج2، ص25.

<sup>3</sup> - رواه البخاري، 3612، عن خباب بن الأرت رضي الله عنه.

ومثل ذلك أيضاً قصة الأخدود، ذات الصراع الديني بين قوى الحق والباطل، في تنقل سريع في المشاهد والأحداث، التي تعكس العواطف والانفعالات، دون نبوة أو فجوة، في طريق الوصول إلى الخاتمة المفضية إلى انتصار الحق، وقوة الإيمان، في صورة واقعية، وخاتمة القصة تكشف عن النتائج: {حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقاع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري، فإنك على الحق}.<sup>1</sup> فلفظة الحق «الحق»: نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق، ... والحق أمر النبي ﷺ وما أتى به من القرآن»<sup>2</sup>.

ويدعو(عليه الصلاة والسلام) المخاطب إلى الصدق مع الله عز وجل ، فيما يقول ويفعل، وذلك عبر عرض مشهد الرجل الذي يلتقى في النار: {يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أفتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأناهم عن المنكر وآتية}<sup>3</sup>.

فهذه «صورة أخروية، ومشهد من مشاهد العذاب يصورها البيان النبوي ذلك التصوير الكامل الذي يروع السامع، لما جعله أمامه رأي العين من جزاء المرئي»<sup>4</sup>. الذي يأمر بالمعروف ولا يعمل به، وينهى عن المنكر ويرتكبه.

وترشدنا قصة السحابة المأمورة إلى وصية من الوصايا المهمة، تتمثل في التربية على بذل الصدقة، فالنص يشير إلى أن الصدقة لا تنقص المال شيئاً، بل تزيده وتباركه، ﴿

<sup>1</sup> - صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود، رقم الحديث: 17، ص 10107.

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ص 680، مادة (حقق).

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 3267، ومسلم: 2989، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

<sup>4</sup> - د. كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، ص 168.

هُوَ يُخْلِيفُهُ وَهُوَ خَيْرٌ

قَيْن ﴿سبأ: 39﴾.

يقول صلى الله عليه وسلم: {بينما رجلٌ بفلاةٍ من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان. فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرةٍ فإذا شرجةٌ من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتبع الماء فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك قال فلان. للاسم الذي سمع في السحابة فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه وأكل أنا وعيالي ثلثاً وأردُّ فيها ثلثه<sup>1</sup>.

والقصة ترشد إلى أن الرجل كان يتعامل مع ما يخرج من الأرض باستثناء الجزء الذي يعود فيها بإنفاقه في جهتين: التصدق بالثلث، وإنفاق الثلث الباقي على عياله، وفي هذا الفعل، ما يدل على أن المرء مأجور فيما ينفقه على عياله، كما أن فيه استغلالاً لخيرات الله المبثوثة في الأرض، التي لولا العمل لضاعت الفائدة منها<sup>2</sup>. وهذا ما دلت عليه الأفعال (أصدق، أكل، أرد).

إن مثل هذه الدوال الضديه من (خيروشر) و (بر وعقوق) و (حق وباطل) و (معروف ومنكر) و (صدق وكذب) و (سرقة و أمانة)... في النماذج القصصية السابقة؛ تدل دلالة واضحة على أن القصص تدل السامع على إمكانية انتهاج السلوك الخير اقتداء ببعض

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 2984، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - ينظر: محمد بن يوسف الكرمانى شمس الدين، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، (البخاري بشرح الكرمانى)، ج9، ص198.

أبطال القصة من البشر ذوي القدرات الخاصة، وهذا الجانب يدل على عبقرية النبي ﷺ في مجال التربية.

وقد كان من أهم الجوانب المتعلقة بالقصص المحمدي الجانب الاجتماعي، وذلك بغرس قيم المحبة، ورفع حجب الجفاء، ووضع آصار الغلظة، عن نفوس المجتمع الإسلامي، وتبعاً لذلك جاءت وسائل المحافظة على هذا الجانب متنوعة، فأثمرت مجتمعاً متماسكاً، المسلم فيه أخو المسلم لا يحقره، ولا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يخذله، لا فضل فيه لأحد على أحد إلا بالتقوى. ولننظر كيف جسدت مثل هذه الصور في بعض شواهد القصص النبوي .

يروى لنا عليه الصلاة والسلام: {أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال من ذا الذي يتألى علي أن لا أعفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحببت عملك} <sup>1</sup>.

ففي تضاعيف هذا النص درس في حسن التعامل الاجتماعي بين الأخ وأخيه، ونموذج لحسن التوجيه الديني، فالأسلوب الحسن هو الوسيلة الفضلى لكسب قلوب الناس. وهذا الرجل قد علت نفسه عنده، وغاب ضميره عنه، فحكم وتألى على الله ألا يغفر لأخيه، فجاء الجزاء في أسلوب نبوي رادع يقوم ثقافة التعامل مع الناس مهما كانت درجة السوء لديهم، ويعدل من أودها. فالأخوة دال ظهر بشكل واضح من خلال مفردات النص التي ترمي إليه.

<sup>1</sup> - رواه مسلم: 2621، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

ومثل هذا الدال ذكر بلفظه الصريح في نص آخر يزخر بالحث على التزاور في الله، والحب فيه، إذ يذكر لنا عليه الصلاة والسلام: {أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة ترثها؟ قال: لا غير أني أحبته في الله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه} <sup>1</sup>.

فهي «قصة تصور المحبة الخالصة والنية الصادقة... انظر إلى هذا الحوار الجميل الذي يبرز نية الرجل في زيارة أخيه، فلم تكن له عليه نعمة يريها غير أنه أحبه في الله عز وجل، فكان جزاؤه أن الله قد أحبه وما أعظمه من جزاء!! وما أجلها من مكافأة» <sup>2</sup>.

وقد علق النووي على قوله الملك: (أن الله قد أحبك كما أحبته فيه) بقوله: «قال العلماء: محبة الله عبده هي رحمته له، ورضاه عنه، وإرادته له الخير، وأن يفعل به فعل المحب من الخير، وأصل المحبة في حق العباد ميل القلب... في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى، وأنها سبب لحب الله تعالى العبد، وفيه فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب، وفيه أن الآدميين قد يرون الملائكة» <sup>3</sup>. فالأول لم يرد لأخيه الخير، بينما القصة الثانية ففيها دلت لفظة أخ على الحب والوفاء.

وبعد، ففي اشتمال القصص المحمدية على هذه الأهداف المتنوعة، دليل واضح على «أن الدعوة إلى تجنيد القصص لخدمة العقيدة، وجعل القصة مطية ذلواً للتربية والتوجيه، ليست فكرة استحدثتها طبيعة هذا العصر، أو أمراً طارئاً على المسلمين اقتضته ظروف

<sup>1</sup> - رواه مسلم: 2567، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - د. محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1409هـ، ص507.

<sup>3</sup> - شرح النووي، ج16، ص340.

الحياة الجديدة، إنما هي أمر قديم عرفه المسلمون منذ كان الإسلام وليداً في مكة<sup>1</sup>. إنَّ تتبعنا لمعجم القصص النبوي يميلنا إلى أن الالفاظ جاءت وفق تنسيق محكم مطلق (مثالي) غير نسبي، لما يتضمنه من معاني قُدسية وعقائدية.

---

<sup>1</sup> - د. عبد الرحمان رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الادب الاسلامي، ط4، 1418هـ-  
1998م، ص217.

# الفصل الخامس:

## المستوى البلاغي

أولاً : الإيجاز

ثانياً : الصورة الفنية

ثالثاً : الصورة البيانية

1- التشبيه

2- التمثيل

3- المجاز

4- الكناية

عني العلماء قديما وحديثا بعلوم البلاغة، فألفوا فيها مؤلفات، ضمن قواعدها، وشرحت أساليبها، وضربت لها الشواهد، من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وشعر العرب ونثرهم.

غير أن النصيب الأكبر من الشواهد كان يعتمد على الكتاب الكريم، وأشعار العرب، أما الاستشهاد بكلام النبي ﷺ، فكان أقل، مع كونه يقع في ذروة البيان، بعد كلام الله عز وجل، فالنبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، فقد «انفرد ﷺ، بأنه أوتي من الفصاحة والبلاغة، ما استطاع أن يخاطب به جميع القبائل العربية كل واحدة بلهجتها، وعلى مذهبها، وكان في خطابه إياهم بلهجاتهم ولحونهم، أحسن بيانا وأقومهم منطلقا»<sup>1</sup>.

وقد سمت أحاديثه بأسلوب فريد، تمثل في إيجاز العبارة مع فصاحتها وبيانتها، حيث اجتمعت له المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة.

والبلاغة النبوية تقع في أعلى طبقات البلاغة الإنسانية، وهي تقع بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء، فكلامه ﷺ، يتميز بحسن الإفهام، وبخلوه من الكلفة والغموض والصنعة، وأيضا خلوه من الحشو والتكرار والزيادة مع اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار؛ إن بلاغة النبي الكريم ﷺ تقع على القنطرة الواصلة بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء، بل بلاغة المرسلين، يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: «كان محمد ﷺ فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء، وكان بليغا مبلغا على أسس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين، بل قدوة المرسلين»<sup>2</sup>، فهو ﷺ مشرع و قدوة ومثل أعلى إلى يوم الدين فـ« ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن

<sup>1</sup> - محمد الصالح الصديق، مع الرسول ﷺ، في بلاغته وهجرته وإسرائه ومعراجه، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، ص28.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، دار الكتب العربي 1969م، ص 119.



بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفصول حتى ليس فيها كلمة مفصولة، وكأنما في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره ﷺ<sup>1</sup>.

ومن الوسائل التي استخدمها ﷺ للتأثير والتي تخاطب العقل تارة والعاطفة تارة أخرى، كما تساهم في إيصال المعنى:

### أولاً- الإيجاز:

جاءت القصة النبوية على أوجه مختلفة متفاوتة في الطول والقصر، « فمنها الطويلة ومنها القصيرة، ومنها التي اقتضت على ذكر موقف، وهي إما حكاية واقع تاريخ مضى وانقضى وإما حكاية واقع سيكون في آخر الزمان، وربما كانت عن الحيوان والإنسان، وربما كانت خاصة بأحدهما إلى غير ذلك»<sup>2</sup>، وهذا التنوع الذي يجده الناظر في صفحات قصص النبوة، إنما هو تعبير بقدر الحاجة التي دعا إليها مقام القصة، وحين نتأمل مظاهر الإيجاز بالقصر في القصص النبوي، نجد أنها جاءت على وجوه مختلفة تجمع بين الاقتصاد اللفظي مع مراعاة حق المعنى وتوصيله للمخاطب على أفضل وجه.

ومن أهم تلك المظاهر ما نراه من جملة قصصه ﷺ حيث نجده يكتفي بذكر العناصر الأساسية للنص التي من شأنها أن تقوم بإيصال الهدف الذي تحمله القصة، دون اللجوء إلى ما لا تعلق له به، كل ذلك في لوحة متماسكة الأطراف، لا يستغني فيها عنصر عن عنصر.

<sup>1</sup> - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 194.

<sup>2</sup> - د. محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1409هـ، ص 499.

ومن شواهد هذا المظهر ما جاء في قصة الرجل المتكبر: {بينما رجلٌ يجرُّ إزاره من الخيلاء خُسِفَ به، فهو يتجلجلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامة} <sup>1</sup>.

فقد جاء هذا النص مختصراً ، بعيداً كلَّ البعد عن تفاصيل حياة هذا الرجل، قبل أن يعرض علينا من حياته هذا المشهد، الذي اكتفى فيه ﷺ بذكر ما يخدم الغاية التوجيهية لهذا النص، وهي الحث على التواضع، ولين الجانب للخلق، والبعد عن التبختر والإعجاب بالنفس، الذي يولد هذا الانحسار الموضح في النص في مفاجأته المذهلة.

وقد علّق الدكتور محمد الصباغ على هذا النص بقوله: «لم يعرض علينا من حياة هذا الرجل إلا هذه القصة التي جاءت بهذه المفاجأة الأليمة القاسية، رجل يمشي أعجبه نفسه وحلته وشعره، فهو يخال، إذ خسف الله به الأرض، فنال الجزاء الأليم الطويل» <sup>2</sup>.

ولننظر هنا إلى التسارع والقصر في ألفاظ هذا النص، حين ذكر حالة هذا الرجل وهو المشي، فلم يذكر تفاصيل المكان لذلك المشي ولا من حول هذا الرجل من الناس، ولا تفاصيل الزمان له أيضاً، وإنما اكتفى بذكر مشيه على الأرض التي هي محل العقوبة، ونحن نلاحظ أنه في التعبير عن العقوبة، ذكر النتيجة وما بعدها مما يساندها في تعزيز إيصال الهدف العام للنص، وذلك في قوله: (خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة)، فأنتج لنا هذا التعبير دلالتين. دلالة بصرية: وهي الانتقال السريع في قوله: (إذا خسف الله به)، ودلالة صوتية: في قوله: (فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة).

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله ﷺ: {بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ وجد غصنَ شوكٍ على الطريقِ فأخره، فشكرَ الله له،

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 3485، ومسلم: 2088، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، 510.

فغفر له<sup>1</sup>. هذا الرجل دخل الجنة وغفر له بسبب إزالة غصن عن طريق المارة، لكي لا يؤذي أحدا فشكر الله له ذلك وأدخله الجنة.

فقد وضعنا هذا النص أمام مبدأ من مبادئ الإحسان، تمثل في شخصية هذا الرجل الذي ركز البيان النبوي على إبراز الصفات المهمة فيه، التي من شأنها أن تساعد على تجسيد صورة هذا المبدأ في تضاعيف النص الذي سيق من أجله، فاكتفى بقوله: (رجل) وأعرض عن تفاصيل صفاته واسمه؛ لعدم تعلقهما بهدف النص، وفي قوله: (على الطريق) إيجاز اقتصر فيه على ذكر الطريق دون الأمور والأوصاف المتعلقة به، ولنا أيضا أن نتأمل في تلاحق العبارات التي ختم بها النص (فأخره، فشكر الله له، فغفر له) فقد جاءت هذه الألفاظ رغم قلتها مبنية على فعل هذا الرجل في قوله: (فأخره)، ونتاجه في قوله: (فشكر الله له فغفر له).

فكانت فصاحته وبلاغته (عليه السلام)، وجهها من وجوه الأداء والتبليغ في رسالة جاءت معجزتها "بيانا"، فكان من تمام الصورة أن يكون الرسول ﷺ أفصح الناس لسانا وأبلغهم بيانا فتتسق صورة الفصاحة والبيان والبلاغة والإبلاغ.

### ثانياً- الصورة الفنية:

والصورة في لغة العرب هي الهيئة والشكل والصفة، فابن فارس يرى أن الجذر اللغوي (ص و ر) « الصاد والواو والراء كلمات كثيرة متباينة... ومن ذلك الصورة صورة كل مخلوق، والجمع صور، وهي هيئة خلقته والله تعالى البارئ المصور.»<sup>2</sup> ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ (غافر: 64)، «فالمراد صوركم أحسن تصوير، حيث خلق

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 652، ومسلم: 1914، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>2</sup> - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مج 2، ص 25.

كلا منكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء، والتخطيطات ، متهيأ لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات»<sup>1</sup>.

وابن منظور ينطلق في تحديده لمعنى اللفظ من أحد أسماء الله الحسنى: «المصوّر: وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها...»<sup>2</sup>، وفي الصحاح للجوهري: «الصُّورُ: القَرْنُ ومنه قوله تعالى: ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ (الأنعام 73)، أي ينفخ في صورِ الموتى الأرواح»<sup>3</sup>.  
والصورة في تاج العروس: «الشكل والهيئة والحقيقة والصفة، جمع صُور، بضم ففتح وصُورٌ، كعنب... وقد صَوَّرَهُ صُورَةً حَسَنَةً، فَتَصَوَّرَ: تشكّل، وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة...»<sup>4</sup>.

وقد نقل الزبيدي (ت:1205هـ) أيضا أن الصورة هي: « ما ينتقش به الإنسان، ويتميز بها عن غيره، وذلك ضربان: ضرب محسوس يدركه الخاصة والعامة، بل يدركها الإنسان وكثير من الحيوانات، كصورة الإنسان والفرس والحمار، والثاني معقول يدركه الخاصة دون العامة، كالصورة التي اختص الإنسان بها، من العقل والروية والمعاني التي مُيزَ بها»<sup>5</sup>؛ وبهذا يتبين أن التصوير لا يقتصر على الشكل بل يشمل المضمون والشكل معا، أو ما أدرك بالبصيرة والعين الباصرة، وهذا ملمح مهم في علاقة الصورة بالمعنى، فلها وظيفة مهمة في تجسيد المعنى وليس في تزيينه فحسب.

<sup>1</sup> - أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مج24، ص83.

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص438، مادة (صوّر).

<sup>3</sup> - الرازي، مختار الصحاح، ص318، مادة ( صور).

<sup>4</sup> - الزبيدي، تاج العروس، مادة ( صَوَّرَ ) ج12، ص358.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج12، ص358-359.

فالتصوير « استحضار صورة شيء ليكون قريباً أو معروضاً عرضاً فنياً بديعاً يوحي بالمعنى ويؤثر في النفوس »<sup>1</sup>.

ومفهوم التصوير قديم في تراثنا البلاغي، إذ يذكر الجاحظ شيئاً من معالم هذا الباب ووظيفته، ويشير - تبعاً لذلك - إلى أهميته بالنسبة لمضمون النص، بما يراه لائقاً بالأدب والشعر، وما عده مناطاً للحسن والجودة، وذلك في تعريفه للشعر: « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الأعجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير.»<sup>2</sup>، فلا جدوى للمعاني، وهي مشاعة بين الناس إن كانت خلوا مما يعرضها في معرض الحسن والرونق، ففي مقولة الجاحظ هذه تجسيد لقوة حضور التصوير بجانب المضمون، وإعلاء لشأنه بجانب الفكرة.

وهو في هذا يشير ضمن إشارات أخرى للبلاغيين والنقاد إلى الطابع الحسي لهذا المصطلح، وقدرته الأسلوبية وهو - أي هذا المصطلح - وإن حدد في وقت متأخر، إلا أن المتقدمين قد عنوا به، ودرسوا جزئيات الصورة تحت عناوين متعددة منها: التشبيه، الاستعارة، الكناية، التمثيل، المجاز، وأبدوا نظريات ثاقبة، تنبئ عن دقة البحث وبعد التأمل، وما صاحب ذلك من إشكالات وقضايا نظرية حول اللفظ والمعنى.

فالدكتور. عبد اللطيف عيسى يرى أن: « أقدم نص ورد فيه ذكر الصورة فهو قول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175هـ): الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أثناء شاءوا، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتقييده... فيقربون البعيد ويبعدون القريب ويحتج بهم ولا يحتج عليهم، ويصورون الباطل في صورة الحق والحق في

<sup>1</sup> - أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989، ج1، ص348.

<sup>2</sup> - الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1385هـ-

1965م، ج3، ص132.

صورة الباطل»<sup>1</sup>؛ ويفهم من قول الخليل بن أحمد أن الشعراء يتمتعون بقدرة في التعبير والتصوير ما مكنهم من استمالة المتلقي، من خلال الخيال والتشخيص للوصول إلى المعنى المراد الوصول إليه بواسطة أدوات تعبيرية وصياغة فنية.

وقد عبر عبد القاهر عن فهمه للصورة من خلال أثرها النفسي وأبعادها على مستوى الخطاب، يقول: «اعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نتعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان بين إنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة في ذلك، وليست العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكر منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ: وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير»<sup>2</sup>.

ويؤكد بعده الزملاكاني (ت: 651هـ) أن: «التخييل تصوير حقيقة الشيء، حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد، وأنه مما يظهر في العيان»<sup>3</sup>، فهي أي الصورة تعتمد على التخييل الذي ينقل المجرد اللاحسوس إلى أشياء كأنها تحس وتشاهد.

وهي عند مصطفى ناصف: «المنهج فوق المنطق لبيان حقائق الأشياء»<sup>4</sup>؛ أي أن الصورة تتطلب إدراكا يتجاوز الإدراك لاستكشاف خبايا تلك الحقائق، كما يرى أنها تستعمل عادة «للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عد اللطيف عيسى، الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، دراسة نقدية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ - 2011م، ص 20-21.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 381.

<sup>3</sup> - التبيان في علم البيان، ص 178.

<sup>4</sup> - مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1981م، ص 08.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 03.

ويعقب الأستاذ أحمد علي دهمان على تعريف د. مصطفى ناصف، للصورة قائلاً: «أنه قصر الدلالة على الاستعمال المجازي، مع أن كثيراً من الصور لا نصيب للمجاز فيها وهي مع ذلك صور رائعة خصبة الخيال، ثرة العاطفة، وتدل على قدرة الأديب على الخلق أيضاً»<sup>1</sup>. فالصورة عند مصطفى ناصف هي إما حسية مباشرة، وإما لها علاقة أكثر بما هو مجازي عقلي ويشير إلى ذلك بقوله: «ولئن كانت الصورة بمحتواها البلاغي القديم تشتمل على التشبيه وضروب المجاز خصوصاً الاستعارة، فإنها اكتسبت حديثاً أبعاداً ذهنية مجردة ومناحي رمزية ومن ثم أسطورية، وأتيح لها أن تتحرر من ضرورة إيراد طرفين للمماثلة أو ربطها بالمشافهة، وبذلك أصبح جمالها أيضاً داخلياً نابعاً من كونها صورة فحسب»<sup>2</sup>.

وبذلك يحيل استقراء تاريخ تطور مصطلح الصورة الفنية إلى مفهومين عبر عنهما أحد الدارسين بقوله: قديم يقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز، وحديث يضم إلى الصورة البلاغية نوعين آخرين هما: الصورة الذهنية والصورة باعتبارها رمزا حيث يمثل كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة اتجاهها، قائماً بذاته في دراسة الأدب الحديث»<sup>3</sup>، ويقترّب هذا التصنيف إلى ما ذهب إليه الدكتور مصطفى ناصف.

والمتمعن لما كتبه مصطفى ناصف يدرك أن الناقد له إلمام واسع بالجانب النظري للنقد الأدبي، وخصوصاً فرضيات النقاد الإنجليز من أمثال: (إيفورأرمسترونغ رتشاردز - I A Richards و (ستانلي هايمن ) و (نورثروب فراي-N.T.Frye) ، وغيرهم ... فقد هضم تلك الفرضيات وتمثلها ثم تبناها وكأنها مسلّمات لا يتطرق إليها أدنى شك، وهو في

<sup>1</sup> - أحمد علي دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، منهجا وتطبيقا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1986م، ص269-270.

<sup>2</sup> - مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ص254.

<sup>3</sup> - علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - دراسة في أصولها وتطورها - دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983م، ص15.

تنبه لتلك الفرضيات يعن في إنكار جهود النقاد والبلاغيين العرب القدامى، وينفي عنهم كل معرفة بالصورة، وحجته في ذلك أن النقد عندهم: «لم يعرف الاحتفال بالقوى النفسية ذات الشأن في إنتاج الشعر»<sup>1</sup>، كما ينكر أيضا اهتمام النقاد العرب القدامى بالخيال، على الرغم من أهميته كعنصر أساسي في توليد الصور، إذ لا يمكن الاستغناء عنه بأية حال من الأحوال، فهو يقول: "والحق أن لدينا قرائن أخرى تكشف عن إهمال الخيال في النقد العربي"<sup>2</sup>.

وتكمن أهمية الصورة عند جابر عصفور فيما تكسبه المعاني من خصوصية تعبيرية فهي: «طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، لكن أيا كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير، فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه، وكيفية تقديمه»<sup>3</sup>، بحيث يكتمل المعنى بمعزل عن الصورة، ثم تأتي هذه الأخيرة، فتوشحه بوشاحها، وتنتشله من عزلته الذاتية، وتحدث فيه تأثيرا فائنا، وتكسبه خصوصية مميزة وكثافة إيجابية أقوى؛ وهذا معناه أن الصورة خادمة للمعنى، غايتها إيصاله إلى المتلقي بأية طريقة، غير أننا نلاحظ أن الدكتور جابر عصفور قد أغفل أهمية الشكل الذي يتمثل في المظهر الخارجي الذي يحيل على المعنى، ويؤكد جابر عصفور على أن الصورة تقوم على أساس حسي مكين وبذلك يتخذ من الحس مرتكزا للتصوير لأن: «مدركات الحس هي المادة الخام التي يبنى بها الشاعر تجاربه، وكل أثر رائع من آثار الفن، -فيما يقال- ليست إلا تعبيرا بلغة حسية عن

<sup>1</sup> - محمد ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1984م، ص9.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - د. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م،



معنى رفيع، ولكن هذه الحسية لا تعني الانحسار في إطار حاسة بعينها، ولا تعني محاكاة الاحساسات بشكل عام، فهذا يجعل الصورة الفنية طرازاً رديئاً من طرز المحاكاة»<sup>1</sup>.

كما أن الدكتور جابر عصفور يرفض أن تغدوا الصورة مجرد زينة للمعنى، أو أمراً ثانوياً يمكن الاستغناء عنه، بل هي أداة حيوية حتمية تتيح للشاعر استكناه تجربته، وإضفاء صبغة النظام عليها، والتعبير عن حالات تستعصي على اللغة العادية تمثلها وتبلغها إلى المتلقي فهي: «الجوهر الثابت والدائم في الشعر، قد تتغير مفاهيم الشعر ونظرياته، فتتغير بالتالي مفاهيم الصورة الفنية ونظرياتها، ولكن الاهتمام بما يظل قائماً ما دام هناك شعراء يبدعون ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه وإدراكه، والحكم عليه»<sup>2</sup>، فهذا التعريف يجعل من الصورة الفنية الروح النابضة في الإبداع الشعري، فالصورة بهذا الشكل تبقى فنية من فنيات النص الشعري، لا غنى للشاعر عنها، لأنه الذي يستثمره من أجل إيصال تجاربه الواقعية والعاطفية والنفسية وغيرها إلى متلقيه الذي يحاول جاهداً إشراكهم فيها.

وإذا انتقلنا إلى ماهر فهمي، نجد أنه يحدد مفهوم الصورة بأنها: «

خيالي، يتخذ اللفظ أداة له، وهناك بالإضافة إلى التجسيم، اللون والظل أو الإيحاء والإطار، وكلها عوامل لها قيمتها في تشكيل الصورة وتقويمها»<sup>3</sup>.

لها، وترتكز على عوامل شتى منها اللون والظلال والإيحاءات والأطر، والتي لها وزنها في

ويحاكي رأي ماهر فهمي آراء زميلاه:

التي تتشكل منها الصورة، إذ يعتبرها تشكيلاً فنياً يترجم التجربة الشعرية وذلك بالاستعانة

1- 309.

2- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص7.

3- صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الشهاب الجزائر، 1988، 75.

بمختلف وسائل التعبير البياني، وهذا ما يصب فيه رأي عبد القادر القط ؛ حين يجعل الصورة كلا متكاملًا من أساليب اللغة ووسائلها وطاقاتها التعبيرية، يقول: « الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القص اللغة وإمكاناتها، في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس، وغيرها من وسائل التعبير الفني»<sup>1</sup>، ويقصد بهذا أن الألفاظ والعبارات التي يتم

. غنيمي هلال إلى أنه ينبغي التطرق إلى الصور الأدبية من حيث

المعاني الجمالية التي تمتلئ بها، فضلا عن مبدأ الأصالة والخلق الفني، لأن: «

الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة، في معناها الجزئي والكلي ، فما التجربة الشعرية إلا صورة كبيرة ذات أجزاء

الحدث الأساسي في المسرحية والقصة.»<sup>2</sup> :»

(الجمع في

بـ

) دون نظر إلى ربط هذا التشابه الحسي بجوهر الشعور والفكرة في الموقف»<sup>3</sup>

جاءت القصيدة حسب رأيه خلوا من التصوير وما يقتضيه من إيجاء، فإنها تصوير مجرد نظم ، وتفقد إذاك روح الشعر، ولا يعدم التصوير في تضاعيف النثر أيضا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط2 1981 391.

<sup>2</sup> - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص417.

<sup>3</sup> - 420.

<sup>4</sup> - : 377.

. عز الدين إسماعيل أن: «الشعور يظل مبهما في نفس الشاعر فلا

بعد أن يتشكل في صورة»<sup>1</sup> «: الصورة الشعرية رمز مصدره

«<sup>2</sup> فهي بالتالي، تركيبية وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان، كما ربط بين

الصورة والمكان النفسي؛ إذ أنها تعنى بتمثيله هو لا المكان الفيزيائي المعيش.

بشرى الصالح بقولها: «والصورة في الأدب هي المسوغ اللساني

المختص، الذي بواسطته يجري تمثل المعاني تمثلا جديدا ومبتكرا بما يحيلها إلى صورة مرئية

معبرة»<sup>3</sup>، وعن هدف هذه الصورة تقول: «وهي تهدف إلى تحويل غير المرئي من المعاني إلى

المحسوس، وتعويم الغائب إلى ضرب من الحضور، ولكن بما يثير الاختلاف ويستدعي

" " بقرينة أو دليل، الأمر الذي يغذي المعنى الأدبي بفرادته المخصوصة لدى المتلقي،

إذ تنحرف الألفاظ في التشكيل الصوري عن دلالتها المعجمية إلى دلالات خطافية حافة

وجديدة، ومن ثم يمنح النص هويته التي تتجدد دائما مع ك «<sup>4</sup>.

وبذلك يتأكد أن الصورة ليست عالما حسيا، بل تداخل مع العالم الذهني والروحي،

لها فاعليتها في إثارة عاطفة المتلقي، تعتمد الخيال في تركيبها المنفرد، وتختلف عن النص

التقريري المباشر، وبذلك يكون وعيها جماليا عند المبدع والمتلقي.

»:

في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن

الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي

<sup>1</sup> - حسني عبد الجليل يوسف، التصوير البياني، بين القدماء والمحدثين، دراسة نظرية تطبيقية، دار الآفاق العربية

.10

<sup>2</sup> - عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة بيروت، ط4 1988 74.

<sup>3</sup> - بشرى موسى الصالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط1

.3 1994

<sup>4</sup> - .3

بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرتبة، فأما الحوادث والمشاهد والقصص، والمناظر فيردها شاخصة ليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر

التخييل، فما يكاد يبدأ العرض حتى يجيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأولى الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات، وينسى

فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدوا، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات المنبعثة من الموقف المتساوقة مع الحوادث، وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة، فتنم عن الأحاسيس  
نه<sup>1</sup>، فالقرآن الكريم اعتلى الذروة في تفننه الأسلوبي

في باب التصوير هذا الأخير الذي يعمل على ترسيخ المعنى؛ لإيصال الرسالة، فهو نظام بياني رباني لا خلل فيه ولا تعقيد.

»:

الصورة كمبدأ هي مصدر جمال الصورة»<sup>2</sup> نه

وذلك لكونها لوحة يتخذها المبدع لرسم حالات المجتمع الذي يتحدث عنه، أو لنقل حمل النفس والعقل على التطابق مع الرغبة والاعتقاد، حتى تتشكل المثل التي من أجلها قام الأديب بالتعبير، ومن ثم التصوير الذي يكون في أساسه متخيل، ثم حين ينقل إلى صورة ية من نمط الواقع، فإنه يتهيأ لخلق جو من التراكمات التي تحدث الاهتزاز والتقبل؛ نتيجة

النضج البلاغي التي تتشكل منه تلك الوقائع، »

<sup>1</sup> - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن، ص36.

<sup>2</sup> - علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - دراسة في أصولها وتطورها - 30.

وتشبيه أو تقدم إلينا في تعبير أو فقرة هي حسب الظواهر وصفية خالصة للوصف، ولكنها توصل إلى خيالنا شيئاً هو أكثر من مجرد الانعكاس الدقيق للواقع الخارجي»<sup>1</sup>.

فالصورة غرض أسلوبية: « يحافظ على سلامة النص من التشويه ويقدم المعنى بتعبير رتيب؛ بحيث تعد طريقة لاستحداث خصوصية التأثير في ذهن المتلقي، بمختلف وجوه الدلالة التي يستقيها من النص، في منهج تقديمه، وكيفية تلقيه، وما يحدثه ذلك عنده من متعة ذهنية، أو تصور تخيلي نتيجة لهذا الغرض السليم»<sup>2</sup>.

وضوح المعنى في ذهن المتلقي، وكانت الصورة الفنية وسيلة لهذا التوضيح من أجل الإقناع والتأثير، فكان الفن في خدمة الدين ، فالقصة النبوية »

محافظة على التسلسل الزماني والمكاني كما يكون في فن الخيالة ( )

والعقدة والحل، ويتخلل هذه النقاط مشاهد توازي فن الرسم وتتجاوز الوصف إلى رصد الحركة المكانية والزمانية، ويج

أقوى ما تكون من التماسك فلا يستغني عن عنصر فيها، بل الانتباه مستقر مثار من أولها إلى آخرها شأن التصوير والفن النبوي كله، فالفاعل فيما بين العناصر ضروري حتى تتم اللذة ويتوج بها النص في الخاتمة»<sup>3</sup>.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تمكن السرد النبوي، في قصصه من نقل ذهن القارئ للعيش معه بكل أبعاده، فكأنه ينظر إلى شاشة فنية ماثلة أمامه، تعرض مشاهد متحركة لشخص هذه القصة الرائعة الهادفة أحداثها.

<sup>1</sup> - محمد محسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، 1987 29.

<sup>2</sup> -

2006-2007 29.

<sup>3</sup> - أحمد ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، دار المكتبة دمشق، ط 1 2001 729-733.

. أحمد ياسوف أن علاقة الصورة الفنية بالقصة النبوية ق

جنسا من التصوير يستغني فيها عن القول المباشر: «

ناشطة الحركة، عميقة الإحساس ، هادفة إلى تقرير الأسس الدينية، وذلك لأن ميراث

ر والسرد بدلاً من النزعة الخطابية، ويجب أن نفرق بين التصوير في القصة

الحديثية وبين التصوير القصصي في الحديث النبوي، إذ الأخير يدخل في نطاق التشبيه وقد

وردت نماذج حديثية كثيرة جاء فيها هذا المشبه به قصة لها أحداث وعقدة وشخصيات

صورة قصصية تعمد إلى تفصيل لدقائق المشبه به وتثير

الخيال بربطه بالمشبه، وهذه الصورة القصصية في الحديث ذات مؤشر إلى عدم تأريخيتها،

» "«<sup>1</sup>.

. أحمد ياسوف: «

تصوير حقيقي لا يقوم على خيال، وخبر صادق يردف صدق الخبر القرآني في القصص فلا

جنوح إلى خيال شارذ ولا تلوين كاذب للوقائع، إن هي إلا أحداث جاءت موافقة للأصل

اللغوي لمعنى القصة، ففي المعجم: " : إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء"<sup>2</sup>

وعلى هذا تكون الشخصيات كائنات حية واقعية نشطة في الحدث كما كانت في حقيقتها،

فهي نماذج حقيقية وليست خيالية، وعمق هذه الشخصيات والأحداث إذاً ليس فلسفة

«<sup>3</sup>.

»:

النفوس الكائنة الحية، فلا تعالج أنماطاً منها في عالم مجهول، فإن جنحت إلى عالم غير

<sup>1</sup> - 790.

<sup>2</sup> - ( ) .

<sup>3</sup> - أحمد ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، ص731.

منظور بنته من تباشير الحاضر الشاهد به، فربطت بينهما بسببية ، وهي في ذلك كله وفي غيره الوسيلة المشتهاة للنفس الطلقة والأسلوب الرائع المؤثر في الوجدان»<sup>1</sup>.

وعدم الجنوح إلى الخيال، فالقصة النبوية:»  
الأفكار وترسيخ المفاهيم الدينية والذي يلحظ في القصة النبوية أن عنصر الفكرة الهادفة هو السائد في القصة؛ لأنها تخدم المجتمع الإنساني على أكمل وجه من حيث الحث على الفرد والأسرة والمجتمع، فالقصة النبوية لها شرف السبق؛ لاشتمالها على صفات فنية رائعة»<sup>2</sup>.

: « أحداث التي تصورها القصة النبوية عن العالم

ﷺ

طريق الوحي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، وفي ظل الأحداث الغيبية تبئنا القصة النبوية عن أمور تحدث عند قرب نهاية العالم في الحياة الدنيا - أعني: - والقصة تعرض ذلك منذرة ومحدرة من مغبة ما يقع فيه الناس محن وابتلاء»<sup>3</sup> « عملا فنيا مستقلا في موضوعه

1971

- 1

.442

1 2009 39-40.

<sup>2</sup> - غالب محمد الشويش، البلاغة النبوية ؛

<sup>3</sup> - فوزية عبد الله سند ، الوجوه البيانية في القصة النبوية وأسرارها الدقيقة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية

1420 15.

يقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الحال في القصة الأدبية الفنية التي ترمي إلى أداء غرض في مجرد قوامه الخيال وهدفه الإمتاع، ذلك أنّها ذات هدف خاص ومصدر خاص»<sup>1</sup>.

لا يمكن للخيال أن يتسرب إلى القصة النبوية؛ لأن مواقفها وأحداثها كشف عنها عن طريق إخبار الذات الإلهية لني الهدى ﷺ

نه

أن هناك مواطن يمكن للتخييل أن يبرز ولكنه « يأتي هنا محكما في اقتصاره على إثارة لمقي تعين على تصور أمور غيبية فيما يتعلق بالجزاء على الأعمال في الآخرة أو التحذير من أمور غيبية في المستقبل في عالم الشهادة»<sup>2</sup>.

ومثال ذلك قول النبي ﷺ: {لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فياس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، بينما هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ يخاطبها ثم قال من شدة الفرح، اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح}<sup>3</sup>.

فهذا الحديث جاء في صورة تخيلية، وبلاغته ﷺ فيه لا تتجلى في ذلك المثل الذي ضربه فحسب، بل تتجلى في الأسلوب المحكم الذي صاغ به هذا المثل « إذ لم يأت هذا المثل في صيغة التشبيه المعهودة بل صاغه النبي ﷺ في صيغة أسلوب التفضيل، وقد يكون الإنسان قاصراً عن تصور مدى فرحة الله بإقبال عبده المؤمن عليه بالتوبة والإقلاع عن المعصية، فحاء النبي ﷺ بصورة تخيلية تبين مدى إقبال الله عز وجل على عبده المقبل عليه، ومدى فرحته سبحانه وتعالى بتوبة عبده، فالأمر هنا لا يقتصر

<sup>1</sup> - 17.

<sup>2</sup> - عيد بليغ، مقدمة في نظرية

1 1429 - 2008 228.

<sup>3</sup> - أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث 2747.



الأسلوب لا يفقد فاعليته في نفس المتلقي تأثيراً وإقناعاً حتى تطمئن نفس المسلم فيقبل في ثقة ويقين كاملين على ربه عز وجل، وتتماهى فاعلية التأثير هنا في سياق الاستطراد في ذكر العناصر المتعلقة بالفضل عليه، حتى يتحول الأمر إلى صورة محكمة نافذة الدلالة<sup>1</sup> فالتخييل في هذه القصة يبرز القدرة الأسلوبية البلاغية التصويرية التي جعلت المتلقي يستشعر مقدار فرح الله عز وجل بتوبة عبده ورجوعه إليه.

»

يجعل المتلقي يعيش هذا الموقف بوجوده وانفعالاته بتصوره لما يمكن أن يكون من خطأ في الكلام يدفعه إليه شدة الفرح التي عصفت بقلبه، ثم ينعكس ذلك المشهد التصويري البديع عنان في محاولة لتصور مدى فرحة الحق

تبارك وتعالى بتوبة عبده المؤمن العائد إلى رحابه، وبذلك يفتح النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف باب الأمل والرجاء وحسن الظن بالله عز وجل للمسلمين، كما يمهّد لهم سبيل التوبة، تحفيزاً لهم ودفعاً عن مهاوي المعصية ليلجوا باب الطهر والنق<sup>2</sup>

اختار هذه القصة؛ فهي تلامس أفئدتهم فهم أهل بادية وخيل وجمال فكان حري بهذه الصورة أن ترسخ في عقول أصحابه لأنها لامست واقعهم.

ولجوء أسلوب القصة النبوية إلى التصوير في بعض القصص، هو نأيٌ بشخصياتها

ح صورة، فالتصوير في القصة النبوية يهدف إلى

غاية واحدة هي إرساء قواعد الخير والحق والفضيلة في المجتمعات، واقتلاع جذور الشر

.623

-1

.625-623

-2

والرذيلة منها، بمشاهد رائعة، تميزت ببراعة التصوير، وإحياء المعنى، وجعله مفعماً بالحياة

.

:

1: الصورة الجزئية: وتسمى أيضا الصورة المفردة وهي أصغر وحدة تعبيرية تمثل جزءاً

تصويرياً له دلالاته النفسية وتصنف إلى صور فنية كثيرة ومتنوعة وهي:

أ- الصور الحسية: ولها أهمية بالغة إذ تصنف بحسب مادتها إلى صور بصرية،

ذوقية، شمعية وسمعية و...

الصور الجزئية الفردية في النص وتُحدّد من كل تعبير يثير إحساس المتلقي، «

الرئيسي بإظهار الشكل أو اللون أو الحركة أو أي شيء يدرك بالبصر، صنفت ضمن

«...»<sup>1</sup>

...

وعليه يمكن القول أن الصورة الحسية تقسم إلى:

- ( ) :

- (السمعية الصاخبة والسمعية الهادئة).

- ( ) : (...).

- ( ) : (...).

- ( ) :

وغير الزكية)، فهناك فرق بين هذه الصور.

<sup>1</sup> - زيد بن غانم الجهني، الصورة الفنية في المفضليات، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط 1 1425 202.

ويحاول البحث تصنيف واقع الصورة الحسية في القص النبوية وأكثر الواقع حاستا السمع والبصر، ويظهر أن الصورة التي تعتمد حاسة البصر تغطي أكبر

### أ-1- الصورة البصرية:

« تنصدر حاسة البصر حواس الإنسان من حيث الأهمية، إذ تمكن الرائي من إدراك أدق تفاصيل محيطه الخارجي وما يدور حوله، وتعد من أكثر الحواس تعاملًا مع الواقع إلى

1 «

...

: « دخلت على النبي ﷺ :

. إنك توعك وعكاً شديداً، قال: أجل إني أوعك كما يوعك<sup>2</sup> :

؟ قال: أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، وحطت ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها<sup>3</sup>. الحديث بجوار الرسول

ﷺ هذا الأخير الذي يبدو من خلال الحديث أنه يريد الاطمئنان على

ﷺ وبإيجاز محكم إيصال المعنى كاملاً، ليكون شاملاً،

للمجتمع الإسلامي كله في أي زمان ومكان في قوله ﷺ: (ما من مسلم يصيبه أذى شوكة

فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، وحطت ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها)

<sup>1</sup> - شيماء عثمان محمد، الصورة الحسية في شعر فهد العسكر، مجلة أبحاث البصرة ( ) مج 36

1 2011 70.

<sup>2</sup> - الوعك:

<sup>3</sup> - رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المرض، باب قول المريض إني وجع أو ورأساه أو اشتد بي الوجع، رقم

5343.

( ) ( ) ساهم في اختزال المعنى وتكثيفه ( )

( : « حال المريض وإصابة المرض جسده؛ ثم محو السيئات عنه سريعاً بحالة الشجرة

، لأن كل مسلم لا يخلو عن كونه :

متأذياً<sup>1</sup>، إذ جعل المعنى ( ) ( )

؛ ألا وهو تكفير الذنوب، فلكي تكون الصورة ماثلة أمام عيني المسلم صور ﷺ

حطّ الذنوب (وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها)

تنفض أوراقها اليابسة ومن خلال ذلك تعريف المسلم مقدار رحمة ربه، وهو المغزى والهدف من هذه القصة الواردة في الحديث الـ .

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه : صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم: {أول زمرة تلج الجنة، صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا ينصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها، أنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم من الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم، من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً<sup>2</sup>.}

فهذه صورة أول زمرة تدخل الجنة ، وجوههم كصورة القمر ليلة البدر في وضاءته

هـ

الله، فهم أهل الاستقامة، والتقوى، لهذا جاء صلى الله عليه وسلم بصورة بصرية تنبهر العين برؤيتها، وهي

<sup>1</sup> - علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر للطباعة والنشر، ج 3 1129.

<sup>2</sup> - في صفات الجنة وأهلها وتسييحهم فيها بكرة وعشياً رقم

جمال القمر ليلة البدر حيث يكون في شدة الإضاءة والبياض، وقد وصف ﷺ بأحسن الصفات، وحلاهن بأحسن الحلي، حتى كأنهم يروهن رؤية العين. ولألوان دلالات معينة محددة في الحديث النبوي الشريف، فلم تأت اعتباراً، بل جاءت محكمة معبرة عما تحمله من دلالات تعين على فهم المراد، يبصرها المتلقي في غاية «تكثر في الحديث النبوي صور البياض والسواد تبعاً لثنائية الخير والشر التي بينها الحديث، وفي هذا اقتداء بمنهج القرآن، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ( : 106)، فيأتي اللون الأبيض رمز البيان و الحجة والسنة المحمدية الواضحة، قال النبي ﷺ: { قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ }<sup>1</sup>، والهدف لفت نظر المتلقي إلى المعنى المطلوب والدلالة المقصودة عن طريق السياق الذي يتضمن اللفظ الدال على اللون.

ومن الصور البصرية الملونة، التي غلب اللون على جزئياتها، ما جاء في حديث رواه الترميذي: حدثنا عباس الدوري البغدادي حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا شر هو ابن بحدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: { أَوْقَدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فِيهَا سُودَاءٌ مُظْلِمَةٌ }<sup>2</sup>.

وهنا يتدرج اللون حسب الحديث من الأحمر إلى الأبيض الحديث على أن المرحلة النهائية هي الظلمات، وهذه لانراها في الدنيا، فهي عمليات إحماء للنار أي تسخين مستمر، وبالتالي تغير في الألوان وهذا ما يطابق قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، وَجُوهٌ يُؤْمَنُ خَاشِعَةً عَامِلَةً نَاصِبَةً، تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ ( : )

<sup>1</sup> - أحمد ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، ص 604.

<sup>2</sup> - أخرجه الترميذي في جامعه، 2591

« تسقى من عين بالغة الحرارة لا تبرد ولا

(4-1)

«<sup>1</sup>، وهذا يؤكد صدق الحديث النبوي الذي اعتبره العلماء ضعيفا،

إلى تغير اللون مع تغير درجة الحرارة؛ فاللون الأحمر هو أبرد

اليوم، أما اللون الأبيض فهو اللون المركزي أو اللون المعتدل، بينما الألوان القائمة تكون درجة

ته

وفي حديث آخر، عن حذيفة، قال: ﷺ : أيكم سمع رسول الله

ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وماله

وجاره؟ قالوا: . : تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة؛ ولكن أيكم سمع رسول

ﷺ : {تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عَوْدًا عَوْدًا؛ فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا ،

نَكَتَ فِيهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نَكَتَ فِيهِ نَكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى

قَلْبَيْنِ: عَلَى أبيضٍ مِثْلِ الصَّفَا؛ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ

أَسْوَدٌ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا؛ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُ مَنْكِرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ

هواه<sup>2</sup>، فبداية الحديث صورة بصرية تعرض وصفا دقيقا للفتن ، وأنها كالحصير؛ فالحصير

أعواد كثيرة وهذا تشبيه دقيق جدا، وكذلك الفتن لو عددناها قد لا تنتهي، وأي قلب

خالط الفتن واختلط بها، نقط في قلبه نقطة سوداء وأصل النكت ضرب الأرض بقضيب

فيؤثر فيه، ومن امتنع عن قبولها كان قلبه أبيضاً مثل الصفا، والصفا حجر المرمر الأملس في

غاية البياض، واختيار هذا النوع من الأحجار اختيار في محله، فعليه السلام على دراية بأن

هي تعني: « ذلك البناء الواسع الذي تتحرك فيه

<sup>1</sup> - مشاهد القيامة في القرآن، دار الشرو 14 1423 - 2002 186.

<sup>2</sup> - المحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، مختصر صحيح مسلم، ص 623\_624 .

مجموعة من الصور المفردة بعلاقتها المتعددة حتى تصيره متشابك الحلقات والأجزاء ، بخيوط دقيقة مضمومة، بعضها إلى بعض <sup>1</sup>.

نه

به أعماله إما إلى النعيم أو يتردى في هاوية الجحيم فهو: «  
وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنعمة تقوم مقام اللون في التمثيل... فالمعاني ترسم وهي  
اعل في نفوس آدمية حية، أو مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة <sup>2</sup>» ﷺ  
جعلنا بتصويره نرسم عن طريق الخيال صورتين، صورة قلب أبيض ناصع وصورة أخرى

ومن الصور البصرية المتحركة الواردة في القصة النبوية في حديثه ﷺ من أبي موسى  
عن النبي ﷺ: {إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ  
أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبَلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ،  
وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا،  
وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً، فَذَلِكَ مَثَلٌ  
مَنْ فَهَّمَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ  
رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ} <sup>3</sup>.

اشتمل هذا الحديث الشريف على التنبيه على شرف العلم والتعليم، وعظم مكانته،  
وشقاء من ليس من أهله، مثلها وصورها بصورة بصرية فيها دلالة على أن حاجة العباد

<sup>1</sup> - عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان،  
1 1430 - 2009 .10

<sup>2</sup> - التصوير الفني في القرآن، ص 37-38.

<sup>3</sup> - صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم، حديث رقم: 5977  
.871

للعلم كحاجتهم إلى المطر بل أعظم وإنهم إذا فقدوا العلم فهم بمنزلة الأرض التي فقدت

## أ-2- الصورة السمعية:

وهي الصورة التي اعتمد في رسمها على حاسة السمع، ويمكن أن تشاركها حاسة

أخرى ، في مثل ما جاء في الحديث النبوي الشريف:

- ﷺ : ﷺ -

. ﷺ انا يأتيني مثل صلصلة<sup>1</sup> الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني

وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة

- ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن

«<sup>2</sup>، فالصورة الأولى سمعية، المشبه فيها مجهول، يصدر إثره صوت مثل

صلصلة الجرس، والمقصود بذلك الصوت الشديد، وفي هذا دليل على شدة الحدث وصعوبة

تحمله، فتلك الصورة السمعية بما فيها من تردد واهتزاز هي توافق وانعكاس مع الحالة التي

ﷺ.

: ثل له الملك رجلا أي في صورة رجل، فيكلمه فيعي

عنه ما يقول، فيرى ويسمع، يرى الصورة ويسمع الكلام ، فيحفظ ذلك الذي تكلم به

وفي حديث أخرجه الترمذي والإمام أحمد وابن ماجه، وأخرجه الحاكم في المستدرک

وصححه، عن أبي ذر ﷺ : ﷺ : {إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا

<sup>1</sup> - في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على صوت له طنين.

<sup>2</sup> - ج 1 6.



تَسْمَعُونَ أَطَّتْ<sup>1</sup> السماءَ وحقَّ لها أن تتط، ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى<sup>2</sup>، سمع النبي عليه الصلاة والسلام أظيت السماء لاذحام الملائكة على السجود لله تبارك وتعالى، حديث دال على أن هناك فرق بين سمع الناس وسمع النبي ﷺ أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أظت تعظيماً لله تعالى، فالرحل إذا جلس عليها الراكب، كان لها صوت يسمى الأظيت

### 3- الصورة اللمسية:

هي كل صورة اعتمدت في بنائها على حاسة اللمس، ولو تلمسنا هذه الصور في

فعن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ: {تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَبْزَةً وَاحِدَةً يَكْفُوها الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفُو أَحَدُكُمْ خَبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نَزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ}. قال: فأتى رجلٌ من اليهودِ فقال: بَارِكْ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ، أبا القاسمِ، ألا أَخْبِرُكَ بِنُزْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: (بلى)، قال: تكون الأرضُ خَبْزَةً وَاحِدَةً. كما قال رسولُ الله ﷺ. قال: فنظرَ إلينا رسولُ الله ﷺ ثم ضحك حتى بدت نواجذُه. قال: ألا أَخْبِرُكُمْ بِإِدَامِهِمْ؟ قال: (بلى)، قال: إِدَامِهِمْ بِالْأَمِّ وَنُونٍ. قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون . يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - : : .

<sup>2</sup> - رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

<sup>3</sup> - رواه مسلم: : : نزل أهل الجنة 7039 1041.

ﷺ الأرض يوم القيامة بخبزة المسافر يميلها من يد إلى يد حتى تستوي، وقال

: « إن الله تعالى يجعل الأرض كالظلمة و

«<sup>1</sup>.

هذه الصورة الحسية اللمسية بينت لنا حال الأرض يوم القيامة هي صورة واحدة، على هيئة واحدة، إنها خبزة واحدة لا ترى فيها عوجا، لقد قلبت قلبا؛ يقلبها الجبار تبارك وتعالى كما يقلب أحدنا خبز الملة، ثم تأتي صورة حسية أخرى، الغالب عليها أنها صورة ذوقية، في قوله: "زائدة كبدهما"

ولذلك خص بأكلها سبعون ألفا، ويحتمل أن هؤلاء هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، هي صور حسية قربت أمرا غيبيا سيحصل لهذه الأرض، ويغير معالمها.

ومن الصور اللمسية التي وردت في أحاديث تقص أهوال يوم القيامة، الحديث عن الشمس في ذلك اليوم، فعن المقداد بن الأسود، قال: سمعت رسول الله ﷺ : { تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ، قَالَ سَلِيمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تَكْتَحِلُ بِهِ الْعَيْنُ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رِكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْجَمُهُ الْعَرَقُ إِجَامًا، وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فَمِهِ }<sup>2</sup>.

أهل المحشر وهم واقفون تحت الشمس التي اقتربت منهم، حتى لامست رؤوسهم، فالشمس حرارتها قوية بالرغم من بعدها عنا مسافات طويلة، فكيف يكون حال من كان تحتها وبينه وبينها ميل؟ إنه مشهد مرعب ومخيف، ويزيد الحديث في ق ، ويصل في البعض الآخر

<sup>1</sup> - صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة دار إحياء العربي، بيروت، ط3 1404 - 1984م، ج 17 135.

<sup>2</sup> - صحيح مسلم بشرح النووي، مج 17 196.

إلى حقويه ومنهم إلى ركبته ومنهم إلى كعبيه، فيكون قليل العرق كثير الأعمال الصالحة

الموقف ممن لامست الشمس رؤوسهم، ما عدا السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه

{إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ؛ فَتُهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَجْتُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَقَدْ أَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ: وَاللَّهِ أَزِدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ أَزِدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا} <sup>1</sup>

الشمال ازدادوا حسنا وجمالا، وهذه أدلة على أن المؤمن لا يدخل الجنة على صورته التي كان عليها في الدنيا، بل على صورة حسنة جميلة.

#### أ-4- الصورة الشمية:

وهي التي تعتمد على حاسة الشم في المقام الأول، وهذه الصور قليلة الورد في القصص النبوي، وما جاء منها في القصص كان في معرض وصف الجنة وذكر رائحتها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه : {صَنَفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبَخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدَ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا} <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب، في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال، رقم

: 7180 1054.

<sup>2</sup> - صحيح مسلم بشرح النووي، ج14 109-110.

فالرجال الذين في أيديهم سياط كأذنان البقر هم من يتولون ضرب الناس بغير حق في الدنيا ، وأما قوله ﷺ :

«قيل معناه كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها، وقيل معناه: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا بحالها ونحوه. وقيل معناه: نه

: أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم :

: يمشين متبخترات مميلات ، لأكتافهن ، وقيل:

«...»<sup>1</sup>، وجزاؤهم لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريجها ، ومعنى لا يجدن ريجها أن

هذه الأصناف من الناس تكون مخلدة في النار لا تدخل الجنة - -

( ) في هذه القصة، شدّة رائحة الجنة الطيبة التي تبلغ مسافات الله

به .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . { إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى

صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يُلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّي فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً. لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ وَلَا يَتَفَلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمْ

المسك... }<sup>2</sup>، حديث في صفة أهل الجنة ، أورد صورتين حسيّتين دلل فيهما على كثرة الطيب في الجنة وأصنافه، من رائحة عود تفوح، وعرق كالمسك في طيب رائحته، فريحهم أطيب من المسك، هي لذات متتالية ونعم متوالية لا انقطاع لها.

ختاماً يمكن القول أن الصورة الحسية في القصص النبوي، كانت حاضرة بكل أنواعها

لأهميتها ودورها الفاعل في التأثير، غير أن الملاحظ هو غلبة الصور البصرية، وهذا يعد أمراً التقاطاً للصور، وأغلب هذه الصور جاءت في خضم

<sup>1</sup> - المصدر نفسه ج14 110 "الهامش".

أحداث لم تقع، وإنما كان توظيفها لتقريب الصورة للإفهام  
نه .

### ثالثا- الصورة البيانية:

نهج الرسول ﷺ طرقا متعددة في التعبير ، هدف من خلالها إلى توجيه المسلم تربويا وأخلاقيا وعقائديا، ومن بينها التعبير بواسطة التصوير الذي تستخدم فيه وسائل متعددة منها، التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، وهي أساليب تعمل على إبراز المعاني في هيئة مجسمة وصور حية متماسكة وم : « طرائق خاصة في التعبير تكسب المعاني فضل  
«<sup>1</sup> ، وجمالية هذا التصوير تكمن في كونه يتجاوز اللغة التقريرية المباشرة إلى لغة مجازية انزياحية تعتمد التخيل فعلم البيان: « علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه»<sup>2</sup> بل المبتدأ في هذا المبحث يكون من التشبيه بذكر شواهدة ولوامع التعبير النبوي فيه.

### 01- التشبيه ودوره في تشكيل الصورة:

جاء في المعاجم اللغوية: « شبه، الشَّبهُ والشَّبَهُ: المثل والجمع أشباه وأشبه الشيء  
: ... «<sup>3</sup>.

وقد عرفه القزويني ب : « : الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى»<sup>4</sup>

تعددت تعريفات علماء البلاغة للتشبيه، وكلها تصب في معنى مشترك على أنها:

<sup>1</sup> - جابر عصفور، الصور الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، ص333.

<sup>2</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح، ص163.

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 7 ص 23.

<sup>4</sup> - القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص164.

مشاركة بين شيئين في صفة مشتركة بأداة مذكورة أو مقدرة لغرض يقصده المتكلم عندما يريد إبراز وصف شيء ما ، فيعمد إلى اختيار شئ فيجعله مشبهاً به، ويأتي الجمال فيما ينقل من الصورة الكامنة وحسن الاختيار للطرف الثاني ( ) ، وما ينتج من وجه الشبه من دلالة على قوة النفاذ إلى عمق الشيء.

ومن ذلك ما ذكره الرماني حين عرفه بقوله: «ي أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس»<sup>1</sup>. وقد سبقه المبرد حيث قال: «والتشبيه جار كثيراً في الكلام أعني كلام العرب، حتى لو قال قائل إنه أكثر كلامهم لم يبعد»<sup>2</sup>.

المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً،  
ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه، وقد جاء  
«<sup>3</sup>.

»:

كثيرة، لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه»<sup>4</sup>.  
وتناوله عبد القاهر الجرجاني باهتمام، وفصل في مزاياه، ومراتبه وأغراضه ومما أورده: «وهكذا إذا استقرت التشبيهات، وحدث التباعد بين الشيئين كلما كان أشد، كانت إلى

<sup>1</sup> - النكت في إعجاز القرآن، ص 80.

<sup>2</sup> - المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1406هـ، ج 2، 996.

<sup>3</sup> - - - 265.

<sup>4</sup> - ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة الجيل، 1981 5

انت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب، وذلك أن موضع الاستحسان ، ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح، والمتألف للنافر من المسرة والمؤلف لأطراف البهجة أنك ترى بها الشيعين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين»<sup>1</sup>.

غة التشبيه باعتباره ذكر الأداة وحذفها إلى قسمين:

- :
- "2"

وينقسم التشبيه باعتباره ذكر وجه الشبه وحذفه إلى قسمين<sup>3</sup>:

- لـ : وهو ما لم يذكر وجهه، فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد، حتى العامة، ومنه ما يحتاج إلى تأويل.

- :

وتبعاً لمسار الفائدة لهذا الفن نجد أن البلاغيين ذكروا أنواعاً للتشبيه، دلت على أنه يمثل لجوءاً لا مندوحة عنه في الجانب الفني المتعلق بفائدة التشبيه، وذلك بإخراج الصورة إلى فس من الأغمض إلى الأظهر، إذ إن النفس تنفر من الغموض، فيأتي التشبيه بظلاله الكاشفة ليظهر لها ما خفي « ولذلك نلاحظ أن الطرفين في التشبيه لا يتحدان، فيظل

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 99.

<sup>2</sup> - محمد بن عبد الرحمان القزويني، تلخيص المفتاح، ط1، بيروت، 1302 .288.

<sup>3</sup> - : الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 191.

لكل منهما شخصيته المستقلة، ولهذا فإن التشبيه يفيد الغيرية ولا يفيد العينية، ويوقع  
«<sup>1</sup>.

وفي البيان النبوي يمثل التشبيه أحد أهم وجوه البراعة البيانية والتعبيرية ، ولما كانت  
الوظيفة الرئيسة لهذا البيان هي الهداية والإرشاد، والكشف عن حقائق التوجيه في سماوات  
الحياة كان لسان التشبيه هو أقدر لسان على أداء هذه الوظيفة، « حاضرًا زاهرًا في  
بيان النبوة، وكانت أمثاله وتشبيهاته كثيرة عدداً، بديعة تصويراً، نافذة في سويداء القلوب،  
أخذة بمجامع العقول، آسرة من يستمع فيبصر ما يسمع، إذ تتحول الصورة الصوتية في  
بيانه إلى صورة مبصرة في بصر وبصيرة من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»<sup>2</sup>.

صفة النبوية إنما هي نص تجاوز فنون القول البشرية الأخرى، وتعدى خطها  
الأسلوبي باعتبار القيم التوجيهية التي يحتوي عليها، والإشارات التربوية التي تسكن مشاهدته،  
ولعل التشبيه خير ما يؤدي مثل هذه القيم، إما ترغيباً فيها، وحثاً عليها، أو تنفيراً وترهيباً  
منها في صورة تتسم بجذب العاطفة، وهز الوجدان، والتغلغل في أعماق القلوب.

فحين ينتهي المسلمون في آخر الزمان من فتنة الدجال ويحمدون الله على ذلك،  
تفجؤهم فتنة يأجوج ومأجوج وقد بين النبي ﷺ مصيرهم وكيفية هلاكهم في مشهد قصصي  
غبي بليغ: { وَبَعَثَ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلَهُمْ عَلَى  
بَحِيرَةٍ طَبْرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرَهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيَحْصُرُ  
نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّورِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ  
الْيَوْمَ، فَيُرْغَبُ نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغْفَ<sup>3</sup> فِي رِقَابِهِمْ

137.

1 - جابر عصفور، الصورة الفنية في التر

2 - عبد الباري طه سعيد، أثر التشبيه في تصوير المعنى - قراءة في صحيح مسلم - 1412 - 1992 - 12.

3 - : دود يكون في أنوف الإبل والغنم.



فِيصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ<sup>1</sup> وَنَتْنُهُمْ، فَيُرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ<sup>2</sup> فَتَحْمَلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطْرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبْرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرَكَهَا كَالزَّلْفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبَتِي ثَمْرَتَكَ وَرَدِي بِرِكَتِكَ...<sup>3</sup>.

فيأجوج ومأجوج قوم لهم من القوة العظيمة مالا يقوى أحد على التصدي لهم، فيفر الناس منهم حينئذ إلى الجبال والحصون، إلقاء لشركهم، ومع كل هذه القوة العظيمة إلا أن

جبروته، يرسل عليهم سبحانه النغف، فيأخذ بأعناقهم ورقابهم فيهلكون، فصار هذا المخلوق الضعيف سببا لهلاكهم، وقد شبه هلاكهم بهلاك نفس واحدة، وفي ذلك إشعار على عظيم قوة الله، وأن ذلك أمر ميسور له عز وجل، ثم بين أن الله يغسل الأرض بإنزال المطر الغزير الذي يزيل آثارهم، حيث يرسل طيرا تحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

وقد شبه هذه الطير بأعناق البخت، فقرب بهذا التشبيه المرسل الجمل صورة هذه الطير التي هي من جنود الله بصورة البخت، وذلك مما يعرفه المخاطبون ويألفونه في بيئتهم، ولعل الجامع بين طرفي التشبيه هنا هو الشكل والصورة، أو سرعة الانطلاق ثم بين أن المطر ينزل بغزارة حتى تنظف الأرض من نتن جثثهم، وقد عبر عن غزارتها بأن بيوت الوبر والمدر

<sup>1</sup> - الزهم بالتحريك: مصدر زهمت يده ترهم من رائحة اللحم، والزهمة: رائحة

: أن الأرض تنتن من رائحة

<sup>2</sup> - هي جمال طوال الأعناق، وتجمع على بخت وبخاتي.

<sup>3</sup> - رواه مسلم: 2937 572، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

تكن ولا تمنع من نزول الماء إليها ولا تحمي سكانها، حتى تصبح الأرض نظيفة نقية، كالزُلفَة أو كالزُلفَة<sup>1</sup>.

وقد اختلف في المراد بالمشبه به هنا، ف قيل معناه:

: : :

: أن المطر ينزل في الأرض ويستنقع فيها، حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء<sup>2</sup>.

والمأمل في جميع هذه التشبيهات يجد أنها على براعتها نقلت السامعين والمخاطبين من خفي المشاهد إلى جليها، في اندفاع دلالي سريع نبصره في مشاهد النص.

وفي قصة الإسراء والمعراج نرى امتداد التقريب للأمور الغيبية ظاهرا في وصف سدره

{فإذا نَبَّهَا<sup>3</sup> كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار

نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت جبريل، فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران النيل والفرات...}<sup>4</sup>.

فقد جاء هذا التشبيه مقربا صورة تلك السدرة العظيمة التي ينتهي عندها علم

الملائكة، وهو تقريب يمتد من العالم الغيبي العلوي إلى العالم المحسوس المشاهد، في صورة

مكتملة الأركان من حيث الطرفان والوجه والأداء، فالمشبه هو ثمر هذه السدرة العظيمة،

هجر، ويبدو لنا وجه الشبه حين نتأمل سعة القلة التي هي الجرة الكبيرة

التي تحمل الماء، وقد كانت معروفة مألوفة عند المخاطبين، وتلك هي طريقة البيان النبوي في

<sup>1</sup> - ينظر شرح النووي، ج 18 272.

<sup>2</sup> - : شرح النووي، ج 18 272

<sup>3</sup> - : بفتح النون وكسر الباء، هو ثمر السدر، واحدته. نَبَقَة، ونَبَقَة، وأشبه شيء به العناب قبل أن تشتد حمرة.

<sup>4</sup> - رواه البخاري: 3207

تقريب مثل هذه الصور العظيمة، فلم يكن مبدعها يعتمد التراسل من خلف الأستار، إنما جاءت بإحكام ورصف يتنبه من خلاله المخاطب إلى مظاهر العظمة في وصف هذه السدرة، كما أن من جمال هذا التشبيه أن بدأ بالثمر أولاً فوصفه، ثم انتقل إلى أوراق السدرة لتكتمل بذلك دائرة التصور، وبصمة الإبداع في المشهد.

ﷺ في مشهد من مشاهد النص إلى التشبيه باعتباره طريقاً من طرق الإيجاز في ذكر المشهد، وعدم الإطالة في ذكر تفاصيله.

ومن ذلك الصورة التشبيهية التي جاءت في حديث بين فيه الرسول عليه الصلاة

ﷺ : حدثني أبي

{بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، طلع علينا رجل

شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدق، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك...} <sup>1</sup>.

والإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها وأهله هم المستكملون لها السابقون

للخيرات، المقربون في علو الدرجات، لأنه تحسين للظاهر والباطن.

<sup>1</sup> - صحيح مسلم بشرح النووي، ج 1 156-160.

د في قوله ﷺ أن تعبد الله كأنك تراه. ﷺ  
 فلو قام أحدنا في عبادة من العبادات، يخلص لله كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، على وجه الحضور والمراقبة؛ فإنه لن يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخشوع، والخضوع وإتقان

ﷺ

في الحديث عن الإخلاص في العبادة قال النووي: «

ودأب الصالحين، وتلخيص معناه، أن نعبد الله عبادة من يرى الله تعالى ويراه الله تعالى، فإنه لا يستبقي شيئاً من الخضوع والإخلاص وحفظ القلب والجوارح، ومراعاة الآداب مادام في : فإن لم تكن تراه فإنه يراك، يعني أنك إنما تراعي الآداب إذا رأيته وراك لكونه

يراك لا لكونه تراه، وهذا المعنى موجود وإن لم تره لأنه يراك، وحاصلة الحث على كمال الإخلاص في العبادة ونهاية المراقبة فيها، وقال: «...»<sup>1</sup>

مسافة الشرح، بهذه الصورة التشبيهية، التي أفادت الإيجاز بالإضافة إلى التعبير بالتبادل. }  
 أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك. :

...

وأحياناً نجد بعض التشبيهات تسلك سبيل الاعتماد على عنصر الحركة، فقد يكون المشتبه به حركة أو إشارة أو رسماً بيانياً، حتى تستوعب الأذهان المعاني، فربما أدت الإشارة ما لم تؤده الكلمة أو العبارة « فهناك قصدية واضحة في هذه الحركات من لدن الرسول ﷺ إذ عمد إليها بغية إقرار أمرها فضلاً عن تأكيده في نفس المتلقي، زد على ذلك إضفاء

<sup>1</sup> - العيني، عمدة القارئ، شرح البخاري، ج 1 330-331.

الجمالية على المعنى وترسيخه في ذهنه»<sup>1</sup>؛ فهذه الإشارات والرسوم جاءت موضحة للمعنى المقصود إيصاله إلى المتلقي و« معلوم لدينا أن إشراك أكثر من حاسة في استقبال التوجيه يكون أكثر تأثيراً من التركيز في حاسة واحد حاسة السمع فقط، أما إذا أضيف إلى التوجيه اللفظي مخاطبة حاسة البصر أيضاً بما تراه من عند ذلك يكون التأثير مضاعفاً، وهو المقصود من التوجيهات النبوية في النفس البشرية في كل زمان ومكان»<sup>2</sup>.

ﷺ: {بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ، قَالَ: وَضَمَّ السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى} <sup>3</sup>.

ﷺ على الإشارة بدل اللفظ ،

والوسطى وتلازمها

: كهاتين والمراد أنه بعث والساعة قريبة منه، وجمع بين السبابة والوسطى، حتى يقرب الصورة إلى الأذهان، فكانت أوضح بيانا وأكثر تأثيراً.

ومن الشواهد في القصص ما جاء في قصة استراق السمع، حين وصف ﷺ اصطفاً المسترقين للسمع، الواحد فوق الآخر، في قوله: {إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسَّلْسَلَةِ عَلَى صَفْوَانَ - قَالَ عَلِيٌّ وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانَ - يَنْفِذُهُمْ ذَلِكَ فَإِذَا فَرَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرْقِقًا السَّمْعَ، وَمُسْتَرْقِقًا السَّمْعَ هَكَذَا

<sup>1</sup> - رميض مطر حمد الدليمي، عبد الكريم محمد خلف الجنابي، جهود الباحثين المحدثين في دراسة الحديث النبوي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، تشرين الثاني 2013م، مج 4، 17، 553.

<sup>2</sup> - 554.

<sup>3</sup> - أخرجه مسلم في صحيحه، 2951.

واحد فوق آخر - ووصف سفيان بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض...<sup>1</sup>.

وشاهدنا في هذه القصة هو قوله: ( هكذا بعضه فوق بعض ). قال الطيبي: " :  
"بعضه فوق بعض" توضيح أو بدل وفيه معنى التشبيه، أي مسترقوا السمع بعضهم راكب  
فوق بعض مردفين، ركوب أصابعي هذه بعضها فوق بعض"<sup>2</sup>.

فهو هنا يسعى إلى تقريب هذه الصورة لخبائثها وغيابها عن عالم الشهادة بهذه  
الإشارة، ولو جد الإنسان في التعبير عن مثل هذا الاصطفاة والتأزر الشيطاني فلن  
يستطيع أن يطبع المعنى في نفوس المخاطبين إلا بمثل هذه الإشارة ، فهو تصوؤ  
الشياطين وتعاضدهم في الشر من أجل غواية الإنسان وصدده عن سبيل الله »  
الطيبي إلى قيمة عنصر الحركة في التشبيه الوارد في الحديث وهي التخويف والردع<sup>3</sup>  
التشبيه هنا تحمل دلالة تعليمية، تحرص على إنتاج سلوك عملي إيجابي.

ومن أنواع التشبيه الواردة في القصص التشبيه الضمني في قوله ﷺ: { عُرِضت علي  
الأمم، فجعل النبي والنيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه أحد، حتى رُفِع لي  
سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه، قيل: أنظر إلى  
الأفق، فإذا سوادٌ يملأ الأفق، ثم قيل لي: أنظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء، فإذا  
سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك }<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 4800 4701، عن أبي هريرة ؓ.

<sup>2</sup> - محمد رفعت زنجير، دراسات في البيان النبوي، دار اقرأ دمشق، 1428 - 2007 .78

<sup>3</sup> - .78

<sup>4</sup> - أخرجه البخاري في صحيحه، 5705.

أتباعه بسواد سد الأفق، واختار اللون الأسود، كدلالة أورها في زاوية المشبه به ليعرف السامعين بكثرة الحشود، وهذا من باب التشبيه الضمني.

وهكذا وجدنا في تشبيهاته عليه السلام صوراً ذات عقب تفيض بالصور البيانية، البعيدة عن التعقيد والتكلف، على أكمل صيغة وأجمل حلة.

## 2- التمثيل ودوره في تشكيل الصورة:

عرفه الخطيب القزويني بقوله: « التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدّد أمرين أو <sup>1</sup>»، وهو من وسائل التبليغ الهامة في إيصال الفكرة وتجسيدها وتفصيلها حتى تكون قريبة إلى الأذهان.

ويعتبر التمثيل باباً من أبواب البلاغة أشاد به البيانون وجعلوه قريناً للتشبيه فمدحه عبد القاهر الجرجاني بقوله: « واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستشار لها من أقاصي الأفعدة صباية وكلفا وقسر الطباع على أن تعطيهما <sup>2</sup>».

: « شبيه شئ بشيء

في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما <sup>3</sup> «: كل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً، وثبتَّ وجه الفرق بينهما <sup>1</sup>

<sup>1</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح، ص 190.

<sup>2</sup> - 115.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي بكر قيم الجوزية، أمثال القرآن، ت:

1402- 1982 17.

النوعين يتمثل في جهة وجه الشبه؛ لأن وجه الشبه قد يكون حسيا وقد يكون عقليا ظاهرا، لا يحتاج إلى تأويل، أو لا يكون كذلك، فأخرج من التمثيل ما كان وجه الشبه فيه حسيا وعقليا وحقيقيا، وأدخل ما كان وجه الشبه فيه عقليا غير حقيقي، يحتاج إلى

ويقول في موضع آخر:»

المشاهدة، وذلك أنك بالتمثيل في حكم من يرى صورة واحدة إلا أنه يراها تارة في المرأة، وتارة على ظاهر الأمر، وأما في التشبيه الصريح، فإنك ترى صورتين على الحقيقة<sup>2</sup> القاهر الجرجاني يعتبر في التشبيه التمثيلي وجهها غير حقيقي، ولو كان مفردا، ولا بد عنده

وقد سار السكاكي على خطأ عبد القاهر فجاء موافقا له في التفرقة، بيد أن نظرة عبد القاهر كانت أوسع، حيث لم يقيده بشرطين كما قيده السكاكي، وهما: الشبه فيه عقليا غير حقيقي، وأن يكون مركبا.

ك جمع من البلاغيين لا يرون تفرقا بين التشبيه والتمثيل، ومن أولئك جاز الله الزمخشري، والرازي وابن رشيق وابن الأثير.

وقوام التمثيل أنه يقوم على رسم صورة فنية مكونة من عدة أجزاء، تجمع هذه اللوحة بين حالتين تتفقان في وجوه جمالية كثيرة، وأشار الدكتور بن عيسى طاهر، إلى أن هذا النوع: «من أرقى أنواع التشبيهات، وأكثرها استعمالا في الكلام، المنظوم والمنثور، فهو من أكثر التشبيهات استعمالا في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وفي كلام العرب شعرا

1 - القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 151.

2 - 173.



ونثرا، والسبب في ذلك راجع إلى بلاغته، وقدرته الفنية على استمالة المخاطبين والتأثير في «<sup>1</sup>، وهذا التأثير يحتاج إلى فكر وروية في استنباط الجامع والمشارك بين المشبه والمشبه به، وتدعو القارئ للتفكير والتفاعل مع الموقف لهذا شغل حيزا هاما في القرآن، والحديث النبوي الشريف وأدى دورا فاعلا في تبليغ الرسالة ونقل المعاني وتصوير : « يعمل على وجود تلك المعاني والإحساسات الرائقة، لما يحدثه في النفس في رواج فكري بلح . . . وهو أسلوب بليغ عظيم الأثر، عرفه العرب في أشعارهم وكلامهم وتوسلوا بهذا اللون البياني في رسم صورهم الفنية وإثبات ما يريدون إثباته من معنى «<sup>2</sup>، ولما ضرب الله تعالى للناس في القرآن من كل مثل دل هذا على أن المثل يشمل كل القيم العليا ومحاسنها ومراتبها ويشمل أضدادها فيجلي الصور، ويعطي العبر، ويوضح سبيل الهدى والفلاح بتعبيرات جمالية تضيء الطريق ، وهذا ما جعل ابن القيم في آخر كتابه يج : «

هذا وأجل منه، ولاسيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون»<sup>3</sup>

نه . 4

وفي القصة النبوية يتخذ التمثيل كأداة مهمة لإيصال الرسالة، بأسلوب يثير شعور المخاطب ويلفت انتباهه، فلا جموح في العبارة، ولا إخفاق في الصورة، ولا إسفاف في

<sup>1</sup> - محمد السيد عبد الرزاق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، من خلال صحيح البخاري، كلية التربية ، 2008 1 227.

<sup>2</sup> - محمد السيد عبد الرزاق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، من خلال صحيح البخاري، كلية التربية ، 6.

<sup>3</sup> - ابن القيم الجوزية الأمثال في القرآن الكريم، ت: فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، ط1 1434 - 2013 213.

<sup>4</sup> - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسبوري، مجمع الأمثال، ت: محمد محي الدين عبد المجيد، دار المعرفة بيروت، ج1 07. ( ) .

الدلالة؛ لأن من أنس النفس بالمعاني الذهنية أن تأتي ممثلة فتكسب المعنى إقرارا في النفس

مثلة هذا النوع من التشبيه قول النبي ﷺ: {مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم تؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا} <sup>1</sup>.

أيضا في حدود الله بفعل المنكر وترك المعروف، بأصحاب سفينة تسير في لجة الماء، وقد إلى قسمين: قسم في أعلى السفينة يمثلون هؤلاء المؤمنين الصالحين، وقسم في أسفلها يمثلون المفسدين وهم الواقعون في حدود الله، محرومون من النور ومن التمتع بأسباب الحياة حتى الماء يجلبونه من الأعلى، وتسبب ذلك في إيذاء أصحاب القسم الأعلى.

م لهذا الفعل، عندئذ لاحت فكرة لسكان أسفل السفينة، عبروا عنها بقولهم: «لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم تؤذ من فوقنا» فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا، »  
في القصة إلى آلة لنسج خيوط الخطاب فيغدو الخ

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 7493، عن النعمان بن بشير.

المترابطة التي ترسم الشكل الدلالي للنص، بل إن التمثيل يعد أداة لتماسك النص وانسجامه، فتمثيل حقيقة ما يعني إعادة صياغتها وتشكيلها تشكيلا جماليا مؤثرا<sup>1</sup>.

لج: »:

وهي ترشد في مجملها إلى أن نجات المجتمع الإسلامي وسلامته من الأخطار مرهونان بالحفاظ على حماية المسلمين، والأخذ على أيدي العصاة العابثين بقيم المجتمع وقوانينه بدافع الحرية<sup>2</sup>.

وفي هذا التمثيل جمع بين شيئين متباعيين، وهما تشبيه الشيء المعقول، و على الحدود والواقعون فيها، بالشيء المحسوس وهم المستهزمون في السفينة، وو يرسل لوامع الهداية هنا؛ فتقصير القائمين على حدود الله يؤدي إلى فساد المجتمع، كما أن تقصير الذين أرادوا حرق السفينة، يؤدي إلى غرقهم وهلاكهم جميعا، » من التمثيل دون ملاحظته في تركيبة النص، لأن هذه التركيبة توحى بالوظيفة الإثارية له، ولذلك اقترنت البراعة فيه بالتفطن إلى العلاقات الخفية الرابطة بين عناصر موجودات<sup>3</sup>.

فيأتي المشبه مبهما لا يتضح في الكلام؛ وتأتي صورة المشبه به لتوضيحه، كما في قوله ﷺ: {إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجلٍ استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبهن، فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها}<sup>4</sup> )

<sup>1</sup> - أسماء الخطاب، علي يونس، القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف، قراءة أسلوبية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ( ) مج 27 2013 1708.

<sup>2</sup> - 228.

<sup>3</sup> - 175.

<sup>4</sup> - رواه البخاري: 6482 : 2284، عن أبي هريرة.

( )  
 متة ورحمته بهم، وسعيه الدائم في زجرهم عن الإقدام عن  
 المعاصي، وشدة جذب الشيطان وفتنته لهم، فيضرب لحاله معهم مثلاً، بحال رجل أوقد ناراً،  
 فاجذبت الفراشات والحشرات إليها وألقت بنفسها فيها دون هوادة وتبصر، أغراها  
 واستهواها ضوء النار فساقها إلى التهلكة.

رة الأولى ( ) "

( ) ( )

( ) على أمتة ورحمته بها، ودعوته إلى الكف عن ارتكاب المعاصي واتباع

« قال الطيبي: واعلم أن تحقيق هذا التشبيه موقوف على معرفة معنى قوله:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

: (229)، وذلك أن حدود الله هي محارمه ونواهيه، كما ورد (ألا وإن حمى الله

محارمه) «<sup>1</sup>.

فالقصة التمثيلية في الحديث النبوي جاءت نمطاً أسلوبياً، استخدمه الرسول ﷺ  
 لإيصال رسالة الخطاب الديني وهدفه، كما نلاحظ أن مكونات الصورة جاءت مما يعرفه  
 المخاطبون ويألفوه من بيئتهم، وهذا أيضاً أدعى لرسوخ المعاني، وتقريبها للأفهام، وكشف  
 ﷺ

الناحية التاريخية أو لم يقع، فهي قصص أقرب إلى النموذج والمثال، فهي مثل صالح للتطبيق  
 على امتداد العصور وتباين الأمكنة وتعدددها، واختلاف البيئات وأنماطها»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - محمد رفعت زنجير، دراسات في البيان النبوي، ص181.

<sup>2</sup> - صابر عبد الدايم، الحديث النبوي- رؤية فنية جمالية-

## 3 - المجاز:

بج ( )

وشغل حيزا مهما في ميادينها، و« لقد كان القرآن بسحر بيانه وجمال بلاغته، ونوادير استعمالاته، في فن القول نقلة متأصلة أمدت البلاغيين بحاسة نقدية متمكنة، اتجهت بموكب البلاغة العربية نحو الزخم الدلالي المتطور الذي حواه القرآن الكريم»<sup>1</sup>

الكريم هو القاعدة الأساسية التي انطلق منها العلماء، وقد تناثرت الرؤى في هذا الموضوع

عالج موضوع المجاز بأسلوبه الخاص، فاتسع الحديث وتعددت الرؤى والمناهج وانقسم العلماء تجاه هذا الموضوع إلى قسمين، من يثبت المجاز ويعلي من شأنه، ومن ينفيه ولا يقول

بج

## 1- تعريف الحقيقة:

أ- لغة: في الصح: "الحقُّ ... والحاقة القيامة سميت بذلك لأن

حَاقُ

الشيء يحق بالكسر حقا أي وجب وأحقه غيره  
الخبر صح وحقق قوله وظنه تحقيقا أي صدقه  
وتحقق عنده  
محقق أي رصين والحقيقة ضد لج<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - الصورة البيانية في المدحة النبوية عند حسان بن ثابت الأنصاري،

2003-2004 (ماجستير) 160.

<sup>2</sup> - الرازي، مختار الصحاح، ج1، 62. ( ) .

" : الحق نقيض الباطل، وليس له بناء أدنى عدد وفي حديث غير باطل وهو مصدر مؤكد لغيره أي أنه أكد به معنى ألزم

وحق الأمر يحق و يحق حقا و حقوقا صار حقا وثبت قال الأزهري: معناه وجب يجب وجوبا.

والحق من أسماء الله عز وجل وقيل من صفاته. قال ابن الأثير هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته.<sup>1</sup>

- إذا المعنى اللغوي للحق ينحصر في: نه -  
 وحق الشيء يحق بالكسر حقا أي وجب-  
 مؤكد لغيره أي أنه أكد به- لـ .

### ب- تعريفها اصطلاحاً:

يعرفها عبد القاهر الجرجاني نه: « كل كلمة أريد بها ما وَقَعَتْ له في وضع واضح، وإن شئت قلت: في مواضع وقوعا لا يستند فيه إلى غيره فهي حقيقة»<sup>2</sup>.

( ) : « وسميت الحقيقة حقيقة لمكان التناسب وهو أن  
 ( ) بمعنى ( )  
 ( ) من حق الشيء، يحق:

المستعملة فيما هي موضوعة له ثابتة في موضعها الأصلي، واجب لها ذلك»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن منظور ، لسان العرب، ج 10 49 ( ) .

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص303.

<sup>3</sup> - 154.

وقيل إن التاء في لفظة حقيقة للنقل من الوصفية إلى الاسمية يقول صاحب الإيضاح:  
 « : هي عندي للتأنيث في الوجهين، لتقدير لفظ الحقيقة،  
 قبل التسمية صفة مؤنث غير مجرأة على الموصوف وهو الكلمة وفيه نظر، وقيل:  
 اللفظ إلى الاسمية الصرفة، كما قيل في " " " " :  
 الوصفية إلى الاسمية فلذلك لا به : «<sup>1</sup>  
 القول بأن التاء في لفظ الحقيقة لنقل من الوصفية إلى الاسمية أقرب إلى النفس؛ وذلك لأنه  
 : « لفظ حقيقة».

: «الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع، كاستعمال  
 الأسد في الهيكل المخصوص، فلفظ الأسد موضوع له بالتحقيق ولا تأويل فيه»<sup>2</sup>.

## 2- تعريف المجاز:

أ- لغة: :<sup>3</sup>  
 : إن المجاز بمعنى التعدي فهو: « مشتق من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه»<sup>4</sup>

ب- وفي الإصطلاح: " المستعملة في ما هي موضوعة له بالتحقيق،  
 استعمالا في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك

<sup>1</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح، ص 205.

<sup>2</sup> - 151-152.

<sup>3</sup> - : معجم مقاييس اللغة، ج 1 494 ( ).

<sup>4</sup> - بير دراتي، الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،

<sup>1</sup>، فالكلمة عند السكاكي إذا استعملت في غير ما هي موضوعة له، وهو ما تدل  
إلى ما هو مجازي.

وقد عرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: «كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له، في وضع  
... فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جُزّت بها ما وقعت له في وضع الواضع  
إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً، لملاحظة بين ما جُوزَّ بها إليه،  
أصلها الذي وضعت له فيوضع واضعها فهي مجاز، ومعنى ( ) هو أنها تستند في  
الجملة إلى غيرها الذي تريده بها الآن، إلا أن هذا الاستناد يقوى ويضعف.»<sup>2</sup>  
عبد القاهر الجرجاني في تعريفه للمجاز: « ( ) من جاز الشيء يجوز به إذا  
تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به،  
»<sup>3</sup>.

وقد حدده الخطيب القزويني بأنه: «الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، في  
»<sup>4</sup>؛ فالجواز هو استناد في  
غير محله، على علاقة غير المشابهة، ففيه انتقال للفظ من محل إلى محل، مع قرينة مانعة من  
إرادة المعنى الحقيقي.

إذن هناك علاقة وثيقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة المجاز وهو الانتقال،  
فالمعنى اللغوي يدور حول قطع الشيء، وحقيقته الانتقال من مكان إلى مكان والمعنى  
الاصطلاحي يشمل انتقال اللفظ من معنى إلى آخر.

<sup>1</sup> - 468.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 249.

<sup>3</sup> - 342.

<sup>4</sup> - الخطيب القزويني، الايضاح، ص 264.



ونستخلص من هذه التعريفات شروط المجاز الآتية.

- وجوب توافر علاقة تسوُّغ نقل اللفظ من معناه الحقيقي إلى معناه غير الحقيقي.
- إمكانية قيام هذه العلاقة على المشابهة أو على غير المشابهة.
- توافر قرينة لفظية أو معنوية تساعد على تمييز المعنى الحقيقي من المعنى المجازي<sup>1</sup>.

وإن لم يكن في المجاز زيادة فائدة على الحقيقة لا يعدل إليه، ولكن فائدته هي إثبات الغرض المقصود في نفس السامع ذلك أنه يُكسب الأسلوب بهاء ورونقا وجمالا، ويعطي المعنى اتساعا: «التغيير الأصيل الذي لا يغني غناه في رسم الصورة المرادة سواه، وفي هذا لا يكون المجاز تجاوزا للحقيقة، وإنما يكون هو الطريق للوقوف على صورة الفكر والشعور اللذين يراد التعبير عنها»<sup>2</sup>.

وقد أشار ضياء الدين ابن الأثير إلى أن: «أعجب ما في العبارة المجازية أنها تنقل السامع من خلقه الطبيعي في بعض الأحوال، حتى أنها ليسمح بها البخيل، ويشجع بها الجبان، ويحكم بها الطائش المتسرع، ويجد المخاطب عند سماعها نشوة كنشوة الخمر، حتى أو ترك عقوبة أو إقدام على أمر مهول، وهذا هو فحوى السحر الحلال، المستغني عن إلقاء العصا والحبل»<sup>3</sup>. ولهذا يقال أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في الفصاحة والبلاغة، لما له من فائدة عظيمة تتجلى في إثبات الغرض المقصود عن طريق التصوير والتجسيم للمعنى، حتى يـ

<sup>1</sup> - محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة (البدع والبيان والمعاني)

1 2003 186.

<sup>2</sup> - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 433.

<sup>3</sup> - ابن الأثير، المثل السائر، ج 1 136.

عيانا للسامع والقارئ، يحرك ذهن المخاطب حين ينقله من وادي الحقيقة إلى وادي المجاز، ليصبح وكأنه في بيئة كلامية جديدة، لها خصائصها، ومؤثراتها على النفس البشرية.

هذا وقد قسم اللغويون المجاز إلى قسمين: مجاز لغوي ومجاز عقلي، أما المجاز اللغوي: ويكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومناسبة، وهذا المجاز يكون في المفرد، كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له، وهذا المجاز اللغوي :

- الاستعارة: هي مجاز لغوي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي

بـ .

- المجاز المرسل: وهو مجاز تكون العلاقة فيه غير المشابهة وسمي مرسلًا؛ لأنه لم

يقيد بعلاقة المشابهة، أو لأن له علاقات شتى<sup>1</sup>.

أما عن المجاز العقلي قال عبد القاهر الجرجاني: « كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها

«<sup>2</sup>، فهو من قسمه إلى مجاز لغوي ومجاز عقلي

: مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى والمعقول،

: اليد مجاز في النعمة، والأسد مجاز في الإنسان، وكل

ما ليس بالسبع المعروف كان حكما أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللد

أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداء في اللغة وأوقعها على غير ذلك:

إما تشبيها، وإما لصلة وملاسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه، ومتى وصفنا بالمجاز الجملة

من الكلام كان مجازا من طريق المعقول دون اللغة»<sup>3</sup>.

109 2004 - 1464

1 - :

2 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص272.

3 - 355.

ويبي بأنه: «إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له

«<sup>1</sup>.

وفي القصص النبوي جاء المجاز بكل أنواعه، مشرقاً بصوره الرائعة، كاشفاً عن حقيقة المعاني، قريباً من فهم المخاطبين، والبداية بالمجاز المرسل وعلاقاته.

### أ- المجاز المرسل:

بج: «الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة

غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي، ويعرفه الخطيب القزويني: «كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه، وذلك مثل لفظة اليد إذا استعملت في معنى النعمة؛ لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى به» وسمي بالمجاز المرسل؛ لإرساله أو إطلاقه على التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة وله علاقات مخصوصة كثيرة»<sup>2</sup>.

1- الكلية: بج وتعني أننا إذا أطلقنا الكل ونريد الجزء

. ومن أمثلة هذه العلاقة في المجاز القصصي النبوي ما جاء في قصة الإسراء والمعراج حين وصل ﷺ إلى بيت المقدس يقول عليه الصلاة والسلام: {حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ - قَالَ - فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ...}<sup>3</sup>.

: ربطته بالحلقة؛ يقصد جزء من الدابة وليس كل الدابة، فهو مجاز مرسل

. حيث أطلق لفظ ( )، وأراد جزء من الدابة، وفي قوله: ( )، مجاز

( )

<sup>1</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح، ج 1 82.

<sup>2</sup> - زوبير دراقي، الإحاطة في علوم البلاغة، ص 138.

<sup>3</sup> - رواه مسلم: 162-163.

حلقة بيت المقدس، ولذلك جاء تعبيره بضمير المذكر في قوله: (فربطته بالحلقة التي يربط بها (، وفي ربطه البراق هنا أخذ بالاحتياط في الأمور، وتعاطي الأسباب، وذلك لا يقدح في التوكل.<sup>1</sup>

{بَيْنَمَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بئراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبئْرَ فَمَلَأَ خِفَّهُ مَاءً، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ، فَغَفَرَ لَهُ}.<sup>2</sup>

ففي هذا النص القصصي، تظهر لنا صورتان تبرزان شأن المعاناة من شدة العطش، الأولى تتعلق بالرجل، حين عبَّرَ ﷺ ( ) : ( ) ، والتعبير عن بهذا الحيوان، الذي عبَّرَ عن حالته أيضا بقوله: ( ) ، ( ) : ( ) : مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث عبَّرَ بالكل وأراد الجزء وأظهر هذا المجاز شدة ظمأ الكلب؛ حتى كأنه يأكل ثرى يمر به، من شدة عطشه.

2- الجزئية: والمقصود بها إطلاق الجزء وإرادة الكل، وتكون هذه العلاقة إذا كان اللفظ المستعمل في الكلام جزءا من المعنى المراد، وقد أشار الدكتور محمد أبو موسى إلى أن هذه العلاقة تتطلب دقة في النظر « فليس كل جزء صالحاً لأن يراد به الكل وإنما لا بد أن يكون جزءا مهما وأساسيا في هذا الكل، فالقرآن الكريم يسمى الصلاة قياما، لأن القيام ركن من أركانها، ويسمى أيضا الذكر والركوع والسجود، وكل هذه أساسيات في الصلاة،

<sup>1</sup> - : نووي، ج 1 385.

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 2363 : 2244، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يكون من محضه وصميمه»<sup>1</sup>، فيشترط: أن يكون لهذا الجزء أهمية بالنسبة للكل ومن أمثلة  
 {كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ تِسْعِينَ

نَفْسًا...} <sup>2</sup>، في الحديث مجاز في قوله: «...»

، ولاختيار كلمة نفس دلالة عميقة ؛ لأن النفس هي الروح، فقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى  
 الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا...﴾ (42)، فالأولى  
 هي التي تزول بزوال الحياة ، والنفس الثانية التي تزول بزوال العقل، ما منح هذا الجزء

وارتكب كبيرة، بوصوله إلى هذه النفس وقتلها.

وفي القصة نفسها ورد مجاز بعلاقة جزئية أيضا وذلك حين قوله عليه

{...} ثم جعل يسأل ثم خرج من قرية إلى قرية فيها قوم صالحون فلما كان في  
 بعض الطريق أدركه الموت فنأى بصدرة ثم مات فاخصمت فيه ملائكة الرحمة  
 وملائكة العذاب، فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر، فجعل من أهلها.  
 : (فنأى بصدرة)؛ إذ عبر بالجزء الذي هو الصدر، وأريد منه الكل -

- ولكون صدر هذا الرجل يتجه إلى هذه القرية يعني أنه مقبل عليها، راغب

فيها ، فالإقبال بالصدر دليل على رغبة وشوق إلى التوبة ، فالجواز قرب المعنى وأبان .

### 3- السببية:

<sup>1</sup> - محمد محمد أبو موسى، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط5 1425 -

2004 364.

<sup>2</sup> - 3470 : 2766.

وهذه العلاقة يتم فيها تسمية المسبب باسم السبب؛ فتدل بالسبب على المسبب؛ وذلك بأن تكون الكلمة المذكورة سببا في المعنى المراد.

ومن ذلك ما جاء في قصة سيدنا إسماعيل ( )

جبريل لها: {فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتٌ ، يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ...} <sup>1</sup>، وقد عبر هنا بالضيغة التي هي سبب الهلاك، فأطلق السبب وأريد المسبب، أي لا تخافوا الهلاك، وفيه دلالة على حالة الضعف التي تعيشها المرأة وولدها؛ بمعنى لا تخافوا من أن ينفذ الماء و إذا فقد الماء كان الهلاك الحتمي.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ : { إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ

أَيْسَ مِنْ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمَصْلُونُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ } <sup>2</sup>؛ بمعنى أيس أن يعبد أهل جزيرة العرب، ولكنه سعى في التحريش بينهم والحروب والفتن ونحوها.

وقال الطيبي: : إن الشيطان؛ تكلم في الحديث الشارحون ، واختصره القاضي

: عبادة الشيطان عبادة الصنم، بدليل قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدْ

الشَّيْطَانَ ﴾ (سورة مريم: 44)، وإنما جعل عبادة الصنم

3.

<sup>1</sup> - رواه البخاري، كتاب أحاديث 3364.

<sup>2</sup> - صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، لفتنة الناس و أن مع كل

<sup>3</sup> - : علي بن سلطان محمد القاري، مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق:

بيروت، 1414 - 1994م، ج 1 141.

فمن المستحيلات أن يعبد شيطان، أو أن يتخذ صنم، في بلاد العرب، على الأقل نظرياً مستحيل، لكن هناك شرك عملي، وكفر عملي، فالتحريش بين المؤمنين، يجعلهم

#### 4- المسببية:

هذه العلاقة

المسببية تتجه إلى المسبب وتذكره لتدل به على السبب، أي إطلاق المسبب وإرادة السبب.

ومن أمثله في البيان القصصي النبوي، عن النواس بن سمعان قال:

الدجال ذات غداة، فحفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه

: «ما شأنكم؟» :

فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل. : غير الدجال أخوفي عليكم. إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج، ولست فيكم، فأمرؤ حجيح نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طائفة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه سورة الكهف، إنه خارج خلّة بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله، فاثبتوا». قلنا يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: «

: «

الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: {لَا، أَقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ}.

إسراعه في الأرض؟ قال: {كَالْغَيْثِ إِسْتَدْبَرَّتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ. فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَيَمْطُرُ، وَالْأَرْضَ فَتَنْبِتُ} <sup>1</sup>.

( ) : مجاز علاقته المسببية إطلاقاً للمسبب، أي:

أسرع في الأرض إسراع الغيم إذا اشتت  
 بج  
 ة إسراع الدجال في الأرض، بالغيم حين تدفعه الرياح، وهذا ما يجسد  
 شدة فتنة الدجال وهولها لدى المتلقي.

#### 5- اعتبار ما كان:

أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه ، نحو قوله ﷺ: {أبو بكر وعمر سيدا كهول  
 الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين} <sup>1</sup>، فقوله سيدا كهول الجنة مجاز  
 مرسل، اعتبر ﷺ ما كانا عليه في الدنيا، و إلا لم يكن في الجنة كهول.

#### 6- اعتبار ما يكون:

المراد بهذه العلاقة تسمية الشيء باعتبار ما يؤول إليه ، ومن أمثلتها هذه القصة التي  
 نجد فيها هذه العلاقة ، وتظهر في قوله عز وجل للنبي ﷺ: {يا محمد إنهن خمس صلوات  
 كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها  
 كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب  
 شيئًا فإن عملها كتبت سيئة واحدة} <sup>2</sup>.

{من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا،

ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا وإن عملها كتبت سيئة واحدة}

خطاب الخالق عز وجل لنبيه باعتبار ما سيؤول إليه حال أمة محمد ﷺ، وفي ذلك ترغيب  
 في فعل الحسنات خاصة وأن الحسنة بعشر أمثالها ، وأن الصلاة الواحدة بعشر صلوات،

<sup>1</sup> - رواه الترمذي وابن ماجه عن علي ﷺ : المشكاة، ج3 1709 6050.

<sup>2</sup> - رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، إلى السموات وفرض الصلاة.



وكان ذلك أدعى لأداء هذه الفريضة والقيام بما حق القيام، وذلك أدعى في الترغيب بالحسنات والبعد عن السيئات.

ب- الصورة الاستعارية: وهي النوع الثاني من أنواع المجاز :

### 1- الاستعارة لغة:

(عَوْرَ) : « تَعَوَّرَ واستعارَ:

واستعاره منه، طلب منه أن يعيره إياه... واعتوروا الشيء وتعوروه، تداولوه فيما بينهم... : أعرته الشيء أعيّره إعاره وعارةً، واستعاره ثوبا فأعاره إياه»<sup>1</sup>.

وفي لسان العرب:» :

يتعاورون العوّاري، ويتعورونها بالواو، كأنهم أرادوا تفرقة ما بين ما يتردد من ذات نفسه، وبين ما يردّد، قال: والعارية منسوبة إلى العارة، وهو اسم من الإعاره، تقول: ء، أعيّره إعارهً وعارةً ويقال: ... واستعاره ثوبا، فأعاره إياه»<sup>2</sup>.

### 2- اصطلاحاً:

عند الاطلاع على التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، نلاحظ عنايتهم بالصورة الاستعارية وحرصهم على تعريفها وضبط حدودها، فالجاحظ يرى أنها: « باسم غيره إذا قام مقامه.»<sup>3</sup>؛ والمتأمل لتعريف الجاحظ للإستعارة: « يجده لا يبعد بها عن التعريف اللغوي، فهي عنده، نقل لفظ من معنى عُرف به في أصل اللغة إلى معنى آخر لم يعرف به، والجدير بالذكر أن الجاحظ لم يقيد هذا النقل بقيد أو شرط، ولم يوضح الغرض

<sup>1</sup> - وهري، الصحاح، ج 2 761. ( )

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 2 927.

<sup>3</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1 153.

ولم يبين علاقة الاستعارة بأصلها الذي هو التشبيه، كما أن الجاحظ لم يخص الاستعارة بعلم البيان أو البديع، لأن التخصيص العلمي لم يكن قد وجد في عصره<sup>1</sup>.

بينما المبرد عدّها أن ألفاظا استعملت ونقلت من معنى إلى معنى آخر، يقول: «نقل اللفظ من معنى إلى معنى»<sup>2</sup>، وكان معيار الجمال عند الجاحظ والمبرد هو إيضاح المعنى لا غير.

والاستعارة عند الرماني: «تعليق العبارة على غير ما وضعت له، في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة»<sup>3</sup>.

ويذكر ابن رشيق تعريفا للاستعارة في كتابه العمدة، يقول: «  
وأول أبواب البديع، وليس حلى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام، إذا وقعت  
ج»<sup>4</sup>

ويعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: «  
أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله  
الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية»<sup>5</sup>  
فقد أبان عن فضلها وبيّن أن المسألة في الاستعارة ليست نقلا واستخداما للفظ في غير ما  
وضع له، في الأصل فحسب، إنما تتأزر الكلمة المستعارة في النص مع غيرها لتحقيق قدرا

<sup>1</sup> - حميد قبائلي، الصورة البيانية في المدحة النبوية عند حسان بن ثابت الأنصاري، ص 34.

<sup>2</sup> - محمد السيد شيخون، الاستعارة نشأتها وتطورها، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2 1994 7.

<sup>3</sup> - علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمود خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام-

- 1968 18.

<sup>4</sup> - ابن رشيق، العمدة، ج 1 235.

<sup>5</sup> - الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 31.

من انبثاق المعاني، وتدفق الدلالات، ولهذه اللغة عند عبد القاهر صلة بنظرية النظم، ولذلك لم يقصر النظم عنده على المعاني، وإنما امتد إلى بعض مسائل علم البيان، ومن ذلك رأيه في حقيقة الاستعارة، وفي موضع آخر أشار إلى أن الاستعارة قائمة على التشابه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في صفة من الصفات: «

«<sup>1</sup>، ولذلك وجدنا عبد القاهر جاء بإيضاح هذه الفكرة بطريقة علمية ينقلنا من رؤيته في أسرار البلاغة إلى دلائل الإعجاز، فهي كذلك «ادعاء معنى الاسم للشيء لا»<sup>2</sup>، فبعد القاهر الجرجاني يعود له الفضل في إبراز جمالية الاستعارة ودورها في توضيح المعنى.

كما أنه قسم الاستعارة إلى استعارة: مفيدة وغير مفيدة، والمفيدة قسمها إلى قسمين: استعارة تصريحية واستعارة مكنية، وإن لم يشر إلى التسمية بقوله: «مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجربه عليه متناولاً له تناول الصفة مثلاً ( )»، وأنت تعني رجلاً شجاعاً، ( ) تعني امرأة ( ) وتعني هدى وبيانا وحجة، وما شاكل ذلك، فالاسم في هذا كله كما تراه، متناولاً شيئاً معلوماً يمكن أن ينص عليه، فإنه يقال: عني بالاسم وكفى به عنه، ونقل عن مسماه الأصلي، فجعل اسماً له على سبيل الاستعارة والمبالغة في التشبيه»<sup>3</sup> إلى الثانية بقوله: «عن حقيقته، ويوضع موضعاً لا يبين شيء يُشار إليه، : هذا هو المراد بالاسم، والذي استعير له، وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائباً منابه»<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - 48.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 333.

<sup>3</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 33.

<sup>4</sup> - 34.

واشترط في وجه الشبه وهو الرابط بين المستعار منه والمستعار له، أن يكون أوضح في

وقد حدّدها السكاكي بقوله: « أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه  
1. »

واختصاص الاستعارة بعلاقة التشبيه دعم لأسباب القرب بينهما، ولا بد في الاستعارة من اشتراك بين المشبه والمشبه به بوجه من الوجوه؛ لأن الاستعارة أصلها التشبيه، وكما أن الثوب المستعار حينما يلبسه المستعير لا يكون فيه إلا شخص واحد، وكذلك في الاستعارة لا يوجد إلا لفظ واحد، إما المشبه أو المشبه به، فلا يجتمعان.

: « علاقة لغوية تقوم على المقارنة، شأنها في ذلك شأن

هـ

لمعنى الحرفي إلى المعنى

2»

لج « لا يصح ولا يتم إلا إذا قام على علاقة عقلية تربط بين الأطراف وتيسر عملية  
قال من ظاهر الاستعارة إلى حقيقتها وأصلها»<sup>3</sup>.

فالصورة الاستعارية تستمد قيمتها مما تتيحه من امكانات جديدة للتعبير عن طريق تجاوز المعنى الموضوع للفظ واكسابه دلالات جديدة، لائقة وقريبة من الحقيقة تلي حاجة  
: « وذلك ما قرره أرسطو من قبل حينما ذهب إلى أن امتلاك ناصية الاستعارة

<sup>1</sup> - السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ( . ) 156.

<sup>2</sup> - في التراث النقدي والبلاغي، ص 220.

<sup>3</sup> - 223.

؛ لأنها الشيء الوحيد الذي لا يلقن، وهي أيضا سمة العبقرية

«<sup>1</sup>.

وهكذا تبدو الاستعارة واحدة من أهم ألوان التعبير المجازي، وينظر إليها بالمفهوم

الجديد على أنها اعتداء وجرح لشفرة اللغة، أي انحراف عن الاستخدام

الانحراف بطبيعة الحال يشد المتلقي وينفي الرتبة عن النص، ويمده بوسائل طريفة ومدهشة

في التعبير، وما يميزها أنها تحرك الجماد وتخلع عليه صفات الأحياء، وتجسم المعنوتجسده

: « ترينا المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسمت، حتى

رأها العيون، وتلطف الأوصاف الجسمانية، حتى تعود روحانية لا تراها إلا الظنون»<sup>2</sup>.

وفي الأمثلة الآتية ما يستوقف المتأمل في القصص النبوي، من جمال وقع الاستعارات

:

ما ذكره النبي ﷺ في قصة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وهي قصة ذات مشاهد

نه

ﷺ

خصبة في بيانه التصويري الاستعاري.

ولنا أن نتأمل الاستعارة التصريحية في وصفه لنزول عيسى عليه السلام: {بينما هو كذلك إذ

بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودين

واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان

كاللؤلؤ...}<sup>3</sup>. (السن التي رفع

<sup>1</sup> - مدلتون موري، الاستعارة، ترجمة: عبد الوهاب المسيري، مجلة المجلة، 1971، 42.

<sup>2</sup> - ابن عبد الله شعيب، الميسر في البلاغة العربية، دار الهدى للطباعة، والنشر والتوزيع، ( . ) 122.

<sup>3</sup> - رواه مسلم: 2937، عن النواس بن سميان رضي الله عنه.

( أي بين الطويل والقصير) أبيض أحمر سبط الشعر )

مسترسله) تضرب لُمته بين منكبيه كأنه خارج من ديماس (أي حمام)

ينزل لابساً مهودتين ( )

( ) يلان إلى الصفرة، ينزل واضعاً كفيه على أجنحة ملكين.

والاستعارة هنا في قوله: (جمان) جمع جمانة هي في الأصل اللؤلؤة المتخذة من الفضة<sup>1</sup>

وقد استعيرت هذه الكلمة في هذا النص للماء، إذ المراد: "يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤة

في صفائه، فسمي الماء جمانة لشبهه به في"<sup>2</sup>.

فالجملة مركبة من أمرين، هما: التشبيه الذي قَرَّب صورة هذا المشهد القصصي الغيبي

إلى أذهان المخاطبين، حيث شبه الماء الذي يتحدر من رأس عيسى عليه السلام باللؤلؤ في صفائه

والأمر الثاني: الاستعارة التي جاءت في أحد طرفي التشبيه، وهو المشبه، حُذِف

وُصِرَ بالمشبه به في قوله: (جمان) وكلاهما ( )

ومن مقامات الاستعارة ما جاء في قول النبي ﷺ: {تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ

الْأَسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ. وَيَجِيءُ الْقَاطِعِ

فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحْمِي. وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي ثُمَّ

يَدْعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا}<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص 167.

<sup>2</sup> - شرح النووي، ج 18، ص 271.

<sup>3</sup> - رواه مسلم: 1013، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي هذا المشهد الغيبي استعارة رائعة مكنية تشخيصية شبه -  
الأرض بشخص يقيء، لها عواطف آدمية ومشاعر إنسانية، فتراها تلقي كل ما في داخلها

: « ترتفع فيها الأشياء إلى مرتبة الإنسان مستعيرة صفاته

ومشاعره».<sup>1</sup>

( ) ن ه ن ه

وبذلك خسروا الدنيا والآخرة، ويؤكد هذا نهاية الحديث ونهاية الآية القرآنية يقول

تعالى: ﴿الْحَيْدُ نِيَا لَعْبُ هُ

يَذُ

يَنُكْمُ وَتَكَائُ

ه

غِيثُ

ا ثَمَّ يَ

يَهِيْجُ

الله

يَدُ، وَمَغْ

) ﴿

نِيَا إِلا مَتَّ

يَدُ

(20).

ومن الشواهد أيضا ما جاء في قصة الأقرع والأعمى والأبرص، ففي مشهد مجيء  
الملك على صورة المسكين استعارة، وذلك في قول الملك لكل واحد منهم: {رَجُلٌ مِسْكِينٌ  
وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك  
بالذي ردّ عليك بصرَكَ شاةً أتبلّغ بها في سفري...}<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن 1 2009

<sup>2</sup> - رواه البخاري: 3464، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد عبر عن حاجته إلى الأسباب بأسلوب الاستعارة التصريحية وذلك في قوله:  
(تقطعت بي الحَبَّ) :

وهذا من أبلغ الكلام، فلم يؤثر الصورة التعبيرية المباشرة، ولكن جعل المعنى المجرد والذي يتمثل في عقبات السفر ووعثائه في صورة محسوسة، ملموسة، وهي صورة الحبال ، وهي استعارة تجسيدية حيث تجسدت الطرق في القرينة اللفظية المتمثلة في صورة المشبه به ألا

وعليه استعملت الاستعارة بمختلف أنواعها في القصة النبوية لتقرير الفكرة في النفس إما ترغيباً وإما ترهيباً، وبذلك تبلغ التربية الدينية هدفها وغايتها، فيحدث في أسلوب القصة التأنق البلاغي عفويا من غير تكلف.

كما أن معظم الصور الاستعارية الواردة في القصة النبوية جسدت المعنوي وقرنته من المخاطب حتى يدرك الرسالة ويقتنع بها، وقد كان أسلوب التصوير حاضرا في القرآن الكريم « فالتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحوادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية»<sup>1</sup>.

### ج- المجاز العقلي:

وهذا النوع من المجاز سبق تعريفه في فاتحة الحديث عن المجاز.

وهو ليس كسابقه اللغوي، إنما هو من طريق العقل، لا شأن للوضع اللغوي فيه، كما هو الشأن في المجاز السابق الواقع في ذوات الألفاظ، وأنفس الكلمات، عرفه السكاكي  
»:

<sup>1</sup> - سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص53.



: أنبت الربيع البقل، وشفى الطبيب المريض، وكسا

الخليفة الكعبة، وهزم الأمير الجند وبنى الوزير القصر»<sup>1</sup>.

أما عبد القاهر الجرجاني فيسمي هذا الضرب من (لج )

أنه يقصد به المجاز الذي لا يكون في ذات الكلمة ونفس اللفظ ففي قولك: "نهارك صائم

" ليس المجاز في نفس صائم وقائم" ولكن في إجرائهما خبرين على

" وكذلك في قوله تعالى: "فما ربحت تجارتهم" ليس المجاز في لفظة "ربحت"

ولكن في إسنادها إلى التجارة " به

- بصائم غير الصوم- ولا بقائم غير القيام ولا بربحت غير الربح".<sup>2</sup>

فهو لون من ألوان التأكيد للمعنى، والمبالغة في تجسيده وتقريبه وتقوية صدوره عن

:

لج ه من الأصل أكد؛ فهو إسناد الفعل أو ما في معناه

كاسم الفاعل واسم المفعول والمصدر إلى ما هو غير ظاهر له، مثل: نه

تحتهم، فالأنهار لا تجري، وفلان جنّ جنونه، فأسند الفعل إلى المصدر.

والمبالغة أحد الأغراض البلاغية للإسناد المجازي، ولأجلها يسند الفعل أو الاسم إلى

غير ما حقه أن يسند إليه، تبعا لأحوال معنوية ونفسية تقتضي ذلك الإسناد، فنرى سبب

المسند أو زمانه أو مكانه أو آله قد ارتقى إلى مرتبة المسند إليه... به

تتحقق معنى المبالغة، كما يتحقق من خلالها تأكيد المعنى الحقيقي وتقريبه في ا

لج .

<sup>1</sup> -208

<sup>2</sup> -110 2004- 1424



وشاهده ما جاء في قصة أصحاب الغار الثلاثة حين قال أحدهم: {اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين...}<sup>1</sup>. ( ) به ( أي وقعت في سنة قحط، وقد أسند الفعل هنا إلى السنة وهو مجاز عقلي علاقته الزمانية حين شبه السنة بالشيء المحيط ( .. ) .

وفي قوله في قصة أصحاب الأخدود حين ذكر حال الغلام: {وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء...}<sup>2</sup> ( يبرئ الأكمه والأبرص... ) مجاز عقلي، أسند فيه الفعل إلى السبب وهو الغلام، والمسبب الحقيقي هو الله عز وجل، وهي ضمن الخوارق التي أيد الله سبحانه وتعالى بها الغلام لتكون آية للناس، على

#### 4- الكناية ودورها في تشكيل الصورة:

##### أ- تعريفها لغة:

جاء في معجم لسان العرب، في مادة كَنَّ: "الْكُنُّ وَالْكِنَّةُ وَالْكِنَانُ: وستره، وَكَنَّ الشيءَ يَكْنُهُ كُنًّا وَكُنُونًا وَأَكْنَهُ وَكَنَّهُ: ستره، وَكَنَّ أمره عنه: أخفاه، وَاسْتَكَنَّ: استتر، وفي التنزيل العزيز: أو أكنتم في أنفسكم ؛ أي أخفيتم. وَكَنَّتُ الشيءَ: سترته وصننته من الشمس، وأكننته في نفسي: . والأكنة: «<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 2272 : 2743 .

<sup>2</sup> - رواه مسلم: 3005 .

<sup>3</sup> - 4 2005 122 ( ) .

وفي مادة: كَنِيَ في المعجم ذاته، قال ابن منظور:»

غيره، وكنى عن الأمر، بغيره يكنى كناية، يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه وقد تكنى وتحجى أي تستر من كنى عنه إذا ورى<sup>1</sup>.

فالكناية مشتقة المعنى من التستر، ومنه سميت الكناية بهذا الاسم: لأن فيها ستر معنى وإظهار غير

وفي معجم المقاييس:» كَنُو:

بغيره، يقال: كَنَيْتُ عن كذا، إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه، وَكَنَوْتُ أيضا.

:

وإني لأكنو عن قُدُورَ بغيرها وأعرِبُ أحيانا بها فأصاح

راه جعل الكناية مقابلة للمصارحة، ولذلك تسمى الكنية كنية

سمة<sup>2</sup>، كما تدخل الكنية في الكناية، فقولنا: "أبو عبد الرحمن"

#### ب- اصطلاحا:

الكناية في اصطلاح البلاغيين هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به إليه ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: ( ) تعني طويل القامة، و(كثير رماد القدر) يعنون كثير القرى كريم مضياف، ويرى عبد القاهر الجرجاني:»

نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب

<sup>1</sup> - 124 (كني).

<sup>2</sup> - : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2

1429 - 2008م، مج2 425.

الكناية والتعريض، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب. هناك محاسن تملأ الطرف،

وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق والخطيب المـ كما أن الصفة إذا لم

ولكن مدلولاً عليها بغيرها،

نـ نـ كذلك إثباتك الصفة للشئ تثبتها له، إذا لم تلقه الى السامع صريحاً، وحثت إليه من جانب التعريض والناية والرمز والإشارة،

ولا يُجهل موضع الفضيلة فيه»<sup>1</sup>؛ فهي تعبير لا يقصد

منه المعنى الحقيقي، وإنما يقصد به معنى ملازم للمعنى الحقيقي؛ أو هي تعبير استعمل في غير معناه الأصلي، الذي وُضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي ( . ) .

»

مقاتل علم البيان العربي، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، وطريق جميل من طرق التعبير الفني، يلجأ إليها الأدباء للتعبير عما يدور في نفوسهم من المعاني، ويجيش في صدورهم من الخواطر، ووسيلة قوية من وسائل التأثير والإقناع ولها أثر كبير في تحسين الأسلوب، وتزيين الفكرة، فهي في العبارة الأدبية كالدرة اليتيمة في العقد»<sup>2</sup> فالأسلوب الكنائي يتضمن بلاغة وبراعة في الكلام، لا تتحقق بالتعبير المباشر، فهي أبلغ كون هذه الفائدة، المبالغة أو الرغبة في العدول عما يفحش ذكره صريحاً، أو التعبير عن حال معينة، أو عن صاحب الحال، أو قصد القصر والاختصار أو غير ذلك.

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، 306.

<sup>2</sup> - محمود شيخون، الأسلوب الكنائي، نشأته وتطوره وبلاغته، دار الهداية، ( . ) 87.

كما أنها ترتقي بالخطاب؛ لأنها أبلغ في تأدية المعنى وتثبيتته في النفس، وإلى ذلك أشار  
 «: فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح  
 أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد  
 في وجودها، أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا، وذلك  
 والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يشك فيه، ولا  
 يُظنَّ بالمنخر التجوز والغلط»<sup>1</sup>.

ونظرا لأن المعنى الكنائي يكون مختلفا وراء المعنى الأصلي، فمن الواجب فهمه وإدراك  
 دلالاته وهذا يستدعي التمهّل والتأمل ومعاودة النظر والاستعانة بالعقل، وفي ذلك قال عبد  
 القاهر الجرجاني: «وإذ قد عرفت هذه الجملة فهانها عبارة مختصرة، وهي أن تقول: المعنى،  
 ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى  
 المعنى، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر»<sup>2</sup>.  
 هذا والكناية عند البلاغيين تنقسم إلى ثلا :

-1

.

-2

.

-3

.

والكناية في البيان النبوي جاءت دالة على المعنى، بأبلغ دلالة، وأقوى عبارة، وهي في  
 ذلك أوجز من دلالة الحقيقة المحضة، في مقامات عدة وموضوعات متنوعة، تدل على ثراء  
 نصوص البيان القصصي النبوي بهذا الأسلوب، ولهذا نجد ابن أبي الأصعب يشير إلى ذلك

-1 .72

-2 .263



: « يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها

بادية مشوه خلقها تشرف على الخلائق، فيقال: تعرفون هذه؟ فيقولون:

هذه فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بما تقاطعتم وبما تحاسدتم وتباغضتم واغترتم ثم

تقذف في جهنم فتنادي أي ربّ أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول:

«<sup>1</sup>.

كنى عن الدنيا بالعجوز الشمطاء:

هـ

- الكناية عن موصوف: وهي الكناية التي:» به

أن تكون الكناية محتصة بالمكنى عنه، لا تتعداه، وذلك ليحصل الانتقال منها إليه»<sup>2</sup>.

ومن شواهد هذا النوع ما جاء في قصة ساقى الكلب: {بينما رجلٌ بطريقٍ، اشتدَّ

عليه العطش فوجدَ بئراً فنزلَ فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلبٌ يلَهثُ الثرى من

العطش، فقال الرجلُ: لقد بلغَ هذا الكلبُ من العطشِ مثل الذي كان بلغَ مني، فنزلَ

البئرَ، فملاً خفه ماءً، فسقى الكلبَ، فشكرَ الله له، فغفرَ له. قالوا يا رسولَ الله: وإن

لنا في البهائمِ لأجراً فقال: في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجراً<sup>3</sup>.

لإحسان، وبذل الخير للخلق، سواء أكانوا أناساً أم

حيوانات، وهذا الفعل في هذا النص مرآة صادقة لما ينبغي أن يكون عليه المسلم من الرفق

البالغ، والشعور بالرحمة الفياضة.

<sup>1</sup> - ج ١ ، 226.

<sup>2</sup> - 215.

<sup>3</sup> - رواه البخاري: 2324-6009 : 2244، عن أبي هريرة رضي الله عنه.





فاقروني عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك...<sup>1</sup>.

( ) : " كناية عن المرأة، وسماها بذلك لما فيهما من الصفات الموافقة لها وهو حفظ الباب وصون ما هو داخله وكونها محل الوطء"<sup>2</sup>.

فهو يريد الحفاظ على الاستقرار النفسي في هذه اللحظة لدى كل من الزوجتين، فلم يصرح بلفظ الطلاق، وإنما عرف فراسة ولده فأرسل هذه الرسالة الكنائية في كلا المشهدين، (يغير) ( )، ويلحظ من خلال السياق تخفي إبراهيم العليّة ورغبته في عدم معرفة المرأتين له وأنه والد زوجهما.

وبهذا يتبين لنا الأثر النفسي الذي تحدثه مثل هذه الكنايات، بالإضافة إلى مقدار

بج

بج

الذي يسهل على متلقيه تفسيره، وتجرع أثره النفسي بعد ذلك، ولعل هذا يشبه ما ذهب إليه: «إذا سمي الشيء باسمه فقد أفقد القصيدة ثلاثة أرباع، المتعة، وما

هذه إلا أثر السعادة التي يشعر بها القارئ وهو يضرب رويدا رويدا في أود»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - رواه البخاري: 3364

<sup>2</sup> - فتح الباري، ج 6، 489.

<sup>3</sup> - بدوي طبانة، علم البيان، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، ط 3، 1977، 229.

"

ج- الكناية عن النسبة: به

أن يصرح فيها بالصفة والموصوف ولا يصرح بالنسبة التي بينهما، ولكن يذكر مكانها نسبة أخرى تدل عليها، كقوله تعالى: ﴿

﴿الرحمن:46﴾

القيامة، وأراد بذلك الخوف من الله سبحانه وتعالى، وترك المعاصي، ويراد هيمنة ربه عليه ومراقبته له، وعلمه بما يسره وما يخفيه، فيتجنب المعصية ويتعد عن اقتراف الاثم.<sup>1</sup>

النسبة تتمثل في « ل عن نسبة الصفة إلى الموصوف مباشرة ونسبتها إلى ما له اتصال به وأظهر علامة لهذه الكناية أن يصرح فيها بالصفة»<sup>2</sup> نحو قول النبي ﷺ حينما سئل عن {الخيَلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}<sup>3</sup>.

يريد النبي ﷺ أن يبين للناس أن اتخاذ الخيول وإعدادها للجهاد في سبيل الله فضل لا يدانيه فضل وثواب ليس بعده ثواب ، فالخير كله ملازم للخيَل ملازمة شديدة، فلا يكون الخير إلا حيث تكون الخيَل ، كما ورد في رواية أخرى لمسلم: {الخيَلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ}<sup>4</sup>.

فكنى النبي ﷺ بقوله الكريم: {الخيَلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ} عن ثبوت الخير وملازمته للخيَل، والصفة هنا مذكورة بلفظها الصريح، وإنما وقعت الكناية في نسبتها، فالخيَل المعدة للجهاد في سبيل الله قد اقترن بها الخير ولازمها إلى يوم القيامة، لإعانتها على

<sup>1</sup> - الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، ص36.

<sup>2</sup> - 218.

<sup>3</sup> - رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب الخيَل في نواصيها الخير، 4868: 725.

<sup>4</sup> -

جهاد أعداء الدين، وقمع شر الكافرين وعدم قيام غيرها مقامها في الإجلاب و

وفي عقد الخير بناصية الخيل إشارة إلى إقدامها على العدو، وتظهر بلاغة الكناية في تصوير المعنى في هذه الصورة الحسية، علاوة على ما في اللفظ من البلاغة والعدوبة مع المجانسة بين الخيل والخير.

من خلال ما سبق نصل إلى أن الحديث النبوي بعامته والقصة الحديثية بخاصة من ، ولعل ذلك ما حدا بالدكتور محمد شاكر أن : « إن اتساع الفكرة في هذا النص ثم ببساطتها، ثم خفاء موضع الفلسفة العالية فيها ، ثم تغلغل النظرة الفلسفية إلى أعماق الحقيقة الحية في الكون هو رأس ما يمتاز به كبار ... وليس في العربية من هذا النوع إلا معجزتان إحداهما القرآن والأخرى ما ﷺ ففيهما وحدهما تبليغ الفكرة في نفسها ثم بتعبيرها وألفاظها

ته به

هو ذروة البلاغة البشرية التي تنقطع دونهما أعناق الرجال»<sup>1</sup>، فهذه

أذهل النفوس، إنما هي منحة إلهية به به ﷺ

عن طريق الإلهام والوحي مصداقا لقوله تعالى: ﴿

اللَّهُ يَكْتُبُ لَكُمْ أَسْمَاءَ كَمَا كَتَبَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۗ إِنَّكُمْ لَعِندَهُ لَخَالِدُونَ ۝﴾<sup>2</sup>.

فهو النص النموذج بعد القرآن الكريم؛ لأنه صادر من نبي لا من رجل عادي: « قيل لتصير به المعاني إلى حقائقها فهو من لسان وراءه قلب، وراءه نور، وراءه جل

<sup>1</sup> - محمد شاكر، بلاغة الأسلوب النبوي، مجلة الأزهر، العدد 5 .89

<sup>2</sup> - :113.

المعاني هو السبيل الذي يعتمد عليه الرسول ﷺ في الإقناع والاستجابة والتأثير، ولهذا السبب تنوعت وسائل التصوير في القصة النبوية فمن تمثيل إلى تشبيه فاستعارة وكناية، كلها مصطلحات بلاغية حملت صورا متنوعة، عبرت عن رغبته ﷺ في التأثير في المخاطب، ومعظم الصور منتزعة من حياة العرب اليومية، عن طريق تجسيد المعاني وبث الحياة فيها، كي تحدث في المتلقي أثرا يتجدد كلما استحضر الصورة أو جال في ذهنه ما يستدعيها.

لهذا توفر التصوير في القصة النبوية توفرا يؤكد دوره البارز في إقامة عملية الاتصال بين الملقى والمتلقي، بين الدال والمدلول، بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي، بين الحسي والمعنوي،

<sup>1</sup> - مالك ابن نبي، الظاهرة القرآنية، المركز الثقافي بيروت، 2007، 180.

خاتمة:

ترتبت بعد عملية البحث والاستقصاء المتواضعة، ومن خلال ما تطرقنا إليه في مجمل المحطات الرئيسية والفرعية، مجموعة من النتائج، خصت الجانب النظري وكذا التطبيقي، والتي يمكن رصدها فيما يلي:

- 1- أنَّ من أساليب الدعوة في القول النبوي، تلك النماذج القصصية التي كانت لها المكانة في التأثير على المخاطب المتلقي.
- 2- القصة نموذج من تلك القوالب الثرية التي شغلت اهتمام العرب قديماً تزامناً والقول الشعري؛ لما تتضمنه من أساليب تعبيرية وضروب تركيبية.
- 3- أنَّ مكانة القصة النبوية مقارنة مع القصة القرآنية وكذا الأدبية وما تضمنته من زاد دعوي، وبيان وحكمة، أضفياً بها إلى الارتقاء عن كل نموذج بشري في مقاصدها وغاياتها في موضوعها وأسلوب أدائها.
- 4- المميزات والخصائص الفنية للقصة النبوية، جمعت قوة البيان وحسن البلاغ والبعد عن التكلف والتعقيد والمتطابق مع صدق القول وحسن التصرف فيه.
- 5- القصة النبوية زاد دعوي، يستطيع الداعية من خلالها أن ينفذ إلى أفئدة المدعويين، ليدهم على مقاصد هذه القصص ويرشدهم إلى غاياتها النبيلة.
- 6- إنَّ القصص القرآني والنبوي، وسيلة عظيمة من وسائل تربية الأمة وتثبيتها على طريق الحق، لما تحويه من عرض لحقائق العقيدة والتصور الإيماني والصبر والثبات على دين الحق.
- 7- مصطلح القصة النبوية، لا يعني القصة التي جرت للنبي ﷺ فقط كقصة الإسراء والمعراج، بل تعني كل القصص التي رواها (عليه الصلاة والسلام) لأصحابه من قصص الجنة والنار واليوم الآخر، وقصص الأنبياء والأقوام السابقة، قصد مواجهة الابتلاءات والشدائد، فجاء بها لتثبيت قلوبهم تارة، ولتوضيح أمور غيبية تارة أخرى.

- 8- مضامين القصة النبوية هي: مضامين تربوية تعليمية إسلامية هادفة، تسعى إلى بناء عقلية الفرد المسلم السوي.
- 9- اختار الرسول ﷺ من الألفاظ والتعابير كل ما يناسب المتلقي.
- 10- تمتاز القصة النبوية بالدقة وجمالية التعبير في وصف طبيعة الشخصيات البشرية والكشف عن حقيقتها.
- 11- جاء القصص النبوي، سهل الأسلوب، واضح البيان، متنوع الطرح، ليس فيه تعقيد في التعبير، ولا فلسفة في العرض، ولا خيالية في التمثيل.
- 12- القصة النبوية صورة من الصور الواقعية التي تحدها الموضوعية والصدق في أعلى مقاماتها.
- 13- توافق التركيب الدلالي مع المستوى الصوتي المدروس، من حيث مخارج الحروف، وسياقاتها الجهرية والهمسية، والتكرار الحرفي والبديع اللفظي الذي لم يأت تنميكا؛ وإنما جاء صنعة وإبداعاً.
- 14- المترابطة اللفظية جاءت وفق الدلالات النصية المقصودة، وهذه من خلال شمولية الحقول المفاهيمية للفظ، المدرجة ضمن ثنائيات (الجنة والنار)، (العقاب والثواب)، (الإيمان والكفر)، وكذا مكارم الأخلاق (الصدق، الكذب)، (البر والعقوق)، (الخير والشر)...
- 15- ساهمت الدراسة الصوتية في الكشف عن جماليات التعبير النبوي، وذلك من خلال جرس الألفاظ، وتكرارها، واستخدام السجع والجناس.
- 16- تتمركز الظواهر الدلالية في القصص النبوي، حول حقيقة الوجدانية والبعث والحساب والعقاب والثواب، فإما جنة أو نار، والصبر، والصدق والأمانة، وصلة الرحم، والأخوة... وقد ارتبطت هذه الدوال بمجموعة من الحقول الدلالية التي كان



من أبرزها حقل الإيمان لأهمية العقيدة الصحيحة في الحياة والتي لا تضاهيها أهمية على الإطلاق.

17- تنوع الأساليب الإنشائية وتعدد أغراضها.

18- غنى النص القصصي النبوي، بالأسلوب الخبري، قصد تبليغ الأحداث القصصية؛ وتبيين من خلال تحليلها مدى العلاقة بين القصة وغرضها الديني، والمتمثل في الدعوة إلى الحق.

19- هناك هندسة رائعة متعلقة بالألفاظ والمعاني، وهندسة صوتية متعلقة بالمقاصد والمباني.

20- استخدام الخيال في حدود المعقول ولا يتعدى رحاب الواقع، وتلك هي المقاربة الصعبة التي حققها القصص النبوي، في تشبيهاته وتمثيلاته، وبيانه، وبراعته في التصوير بكل انسجام وإتقان، وعلى وجه التمام والتجانس والتكامل.

21- الصورة في القصة النبوية كاملة التأثير، بما ترسمه من كلمات تتوفر فيها عناصر اللون والحركة والصوت.

22- كمالية الصورة البلاغية، ترجمت في مجموع القصص النبوية المتناولة في العرض.

23- جاء التمثيل في قصص قليلة الألفاظ موجزة المبني، في الوقت الذي لا ينضب معينها، ولا ينبجس ماؤها الفوار إلا بالمعاني المتدفقة الموحية.

هذا ما أبانت عليه الدراسة، وأرجو أن أكون قد وفقت في قصدي والله من وراء

القصد، والهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله من قبل ومن بعد.

## قائمة المصادر والمراجع

## - المصادر و المراجع:

- \* القرآن الكريم: برواية ورش (عن نافع) .
- 1- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1984.
  - 2- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية.
  - 3- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، دار القلم، بيروت، ط4، 1972م.
  - 4- إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 1429هـ-2008م.
  - 5- إبراهيم عبد الله عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن.
  - 6- ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: فواز أحمد زمري، دار ابن حزم، ط1، 1434هـ-2013م.
  - 7- ابن أبي الأصبع العدواني المصري، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: د. حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، 1416هـ-1995م.
  - 8- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، مكتبة هضبة، القاهرة، مصر، ط1.
  - 9- ابن الاصبع السَّماتي الاشبيلي المعروف بابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق: د. محمد يعقوب التركستاني، ط2، 1412هـ-1991م.
  - 10- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، كتاب القصَّاص والمذكرين، قدَّم له وحققه وعلق عليه وأعدَّ فهرسه: د. محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م.
  - 11- ابن الشيخ الحسين، المعجزة القرآنية، دار المعارف بيروت، ط1، 1405هـ-1985م.
  - 12- ابن القيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت.

- 13- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ضبطه وعلق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ-2000م.
- 14- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق وتعليق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية.
- 15- ابن حازم القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، 1966م.
- 16- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، عني بإخراجه سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز، دار السلام، الرياض، ط1، 1421هـ-2000م
- 17- ابن رجب الحنبلي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: طارق بن عوض عبد الله، دار بن الجوزي، الدمام، ط3، 1425هـ.
- 18- ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الجيل، سوريا، ط5، 1981م.
- 19- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ-1982م.
- 20- ابن عبد الله شعيب، الميسر في البلاغة العربية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
- 21- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، نشر محمد عبد الحميد، القاهرة، 1961م.
- 22- ابن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.
- 23- ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشومري، المكتبة العربية، بيروت، لبنان، 1964م.
- 24- ابن قنبر الكوفي الدينوري، أدب الكاتب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط4، 1382هـ.
- 25- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، ط1.

- 26- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1992م .
- 27- أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق: عبد الجليل شبلني، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ- 1977م .
- 28- أبو البركات ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق ودراسة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002م .
- 29- أبو الحسن القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الطيب خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1981م .
- 30- أبو الخطاب بن دحية، الابتهاج في أحاديث المعراج، حققه وخرج أحاديثه: د. رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1417هـ- 1996م .
- 31- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، 1415هـ- 1994م .
- 32- أبو الفتح ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي، دار الكتب العربية، بيروت، ط1، 1421هـ- 2000م .
- 33- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية .
- 34- أبو القاسم الشاطبي، إدرار الشروق على أنواء الفروق، دار إحياء الكتب العربية مصر، 1374هـ .
- 35- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ- 1999م .
- 36- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1427هـ- 2006م .

- 37- أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر المشهور بسبيويه، الكتاب، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ-1999م .
- 38- أبو بكر حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام شعيتو، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1987م .
- 39- أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط1.
- 40- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ-1991م.
- 41- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت-لبنان، ط1، 1427هـ-2006م.
- 42- أبو يوسف بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
- 43- أبو العباس المبرد، البلاغة، حققها وقدم لها ووضع فهارسها: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1405هـ-1985م.
- 44- أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2، 1399هـ-1979م.
- 45- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: أ.د. عباد بن عبد النبي، مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، ط1، 1428هـ-2007م.
- 46- أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه وعلق عليه وقدم له: محي الدين مستو، وأحمد محمد السيد يوسف، علي بدوي ومحمود بزال، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 1417هـ-1996م.

- 47- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- 48- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م
- 49- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري (بمحاوية السندي)، دار المعرفة بيروت لبنان.
- 50- أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت .
- 51- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلق عليه: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1410هـ-1989م.
- 52- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، دراسة وشرح وتحقيق: الدكتورة عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
- 53- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الفروق اللغوية، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
- 54- أحمد أبو أسعد، الفنون الأدبية (فن القصة)، منشورات دار الشروق الجديد، بيروت.
- 55- أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط7، القاهرة، 1976م.
- 56- أحمد العلي، مشاهد القيامة في الحديث النبوي، دار الوفاء، مصر، ط1، 1411هـ، 1991م.
- 57- أحمد الكرمانى، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1401هـ-1981م .
- 58- أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 59- أحمد أمين، النقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1371هـ-1952م .
- 60- أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط10، 1969.

- 61- أحمد بن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط3، 1423هـ-2002م.
- 62- أحمد بن فريجة الغريسي، في الحياة الإسلامية (أصول الشريعة الإسلامية وأحكامها)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.
- 63- أحمد مجت، أنبياء الله، دار الشروق بيروت، القاهرة، ط11، 1403هـ-1983م.
- 64- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات المتحدة، ط2، 1434هـ-2013م.
- 65- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، بيروت، ط4.
- 66- أحمد عبد الله العلي، مشاهد القيامة في الحديث النبوي، دار الوفاء، مصر، ط1، 1411هـ-1991م.
- 67- أحمد علي دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني - منهجا وتطبيقا- دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق، ط1، 1986م.
- 68- أحمد محمد جمال، القصص الرمزي في القرآن، مكتبة رحاب، الجزائر، ط5، 1407هـ-1987م.
- 69- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.
- 70- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان المعاني، البديع)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 1414هـ-1993م.
- 71- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات الكويت، ط1، 1980.
- 72- أحمد ياسوف، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، دار المكتبة دمشق، ط1، 2001م.
- 73- أدونيس: النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، 1993.
- 74- أسامة عبد العزيز جاب الله، جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013.



- 75- الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: أ.د. أحمد بن محمد الخراط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر.
- 76- أماني سليمان داود، الأسلوبية والصوفية، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار الحوار سورية اللاذقية، ط6، 2011م.
- 77- امرئ القيس، الديوان، طبعه وصححه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط5، 1425هـ-2004م.
- 78- بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، دار الفكر .
- 79- بدر الدين بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: د. زكي محمد أبو سريع، دار الحضارة، الرياض، ط1، 1427هـ-2006م .
- 80- بدوي طبانة، علم البيان، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، ط3، 1977.
- 81- بسيوني عبد الفتاح فيود ، التشويق في الحديث النبوي (طرقه وأغراضه)، مطبعة الحسن الإسلامية، القاهرة، ط1، 1414هـ-1993م.
- 82- بشرى موسى الصالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط1، 1994م .
- 83- البغوي الحسن بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ .
- 84- بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط4، 1400هـ-1980م.
- 85- بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني)، دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 2004م .
- 86- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان، ط1، 2008م.

- 87- هاء الدين السبكي، عروس الأفراح في تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 1423هـ-2003م .
- 88- تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، اللاذقية.
- 89- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: د.علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون.
- 90- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م.
- 91- الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1385هـ-1965م .
- 92- جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م .
- 93- جلال الدين أبو عبد الله محمد القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، ط4، سنة 1998.
- 94- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية .
- 95- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي البجاوي، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت .
- 96- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، 1412هـ-1992م.
- 97- حسام البهنساوي، علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009م.
- 98- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب، 1998.

- 99- حسن ناظم، البنى الأسلوبية في شعر السياب -دراسة في أنشودة المطر- دار التنوير لطباعة والنشر، لبنان، مصر، تونس، ط2، 2015م.
- 100- حسني عبد الجليل يوسف، التصوير البياني، بين القدماء والمحدثين (دراسة نظرية تطبيقية)، دار الآفاق العربية القاهرة.
- 101- حسين جمعة، جماليات الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م.
- 102- حمدو طماس، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م.
- 103- حميد آدم ثويني، فن الأسلوب (دراسة وتطبيق حسب العصور الأدبية)، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427هـ-2006م.
- 104- خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية (منهجها وأسس بنائها)، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.
- 105- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1988.
- 106- خليل بنان الحسون، النحويون والحديث الشريف، دار جرير، عمان-الأردن، ط1، 1436هـ-2016م.
- 107- الرازي أبو حاتم أحمد بن حمدان، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تح: عبد الله سلوم السامرائي، 1957م .
- 108- رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، د.ط، الإسكندرية، مصر.
- 109- رضي الدين محمد الاسترابادي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م .
- 110- الزبيدي، مختصر صحيح البخاري، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر العاصمة، ط1، 1428هـ-2007م.

- 111- زيد بن غانم الجهني، الصورة الفنية في المفضليات، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط1، 1425هـ.
- 112- سعد الدين مسعود بن عمر التفتزاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م.
- 113- سعيد جبار، الخبر في السرد العربي (الثوابت والمتغيرات)، شركة النشر والتوزيع الدار البيضاء، ط1، 1424هـ-2004م.
- 114- سعيد عطية علي مطاوع، الإعجاز القصصي في القرآن، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006.
- 115- سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1997.
- 116- سليمان عشراقي، الخطاب القرآني: مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.
- 117- سليمان فياض، استخدامات الحروف العربية، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ-1998م.
- 118- سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط6، 1410-1990.
- 119- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط13، 1407هـ-1987م.
- 120- سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق القاهرة، ط14، 1423هـ-2002م.
- 121- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1987م.

- 122- شاهين حسن، علم الدلالة السيمانتية والبرلمانية في اللغة العربية، دار الفكر، عمان ط1، 2001م.
- 123- الشحات محمد أبو ستيت، دراسات منهجية في علم البديع، دار خفاجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1414هـ-1994م.
- 124- شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، المسمى بالكاشف عن حقائق السنن، تحقيق، د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط2، 1425هـ-2004م .
- 125- الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- 126- شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار المريخ الرياض، ط1 1982م.
- 127- شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م.
- 128- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف بمصر، ط5، 1997.
- 129- الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمذاني العبدي الحارزي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1.
- 130- الشيخ زكريا عميرات، الأحاديث القدسية الصحيحة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1.
- 131- صابر عبد الدايم، الحديث النبوي-رؤية فنية جمالية- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
- 132- الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب، تونس، 2000م.
- 133- صلاح الدين الصفدي، جنان الجناس في علم البديع، تحقيق: سمير حسين حلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ-1987م.

- 134- صلاح الدين محمود السعيد، **صحيح القصص النبوي**، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1434هـ-2013م.
- 135- صلاح عبد الفتاح الخالدي، **مع قصص السابقين في القرآن**، دار القلم دمشق، ط5.
- 136- صلاح عبد الفتاح الخالدي، **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**، دار الشهاب، الجزائر، 1988م.
- 137- طاهر بن عيسى، **البلاغة العربية**، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد، ط1، 2008م.
- 138- طلعت محمد عفيفي سالم، **القصص الصحيح في السنة النبوية**، دراسة تحليلية تربوية، مكتبة الإيمان العجوزة، ط1، 2002م.
- 139- طول محمد، **البنية السردية في القصص القرآني**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر.
- 140- عباس حسن، **النحو الوافي**، دار المعارف، مصر، ط8، (د.ط) .
- 141- عباس محمود العقاد، **اللغة الشاعرة**، دار نهضة مصر، القاهرة، 2004م.
- 142- عبد الباري طه سعيد، **أثر التشبيه في تصوير المعنى-قراءة في صحيح مسلم-**، 1412هـ-1992م.
- 143- عبد الجليل العشاوي، **الحجاج في الخطابة النبوية**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م.
- 144- عبد الجواد المحص، **أباطيل الخصوم حول القصص القرآني**، الدار المصرية الإسكندرية، 2000م.
- 145- عبد الحافظ عبد ربه، **بحوث في قصص القرآن**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1972.
- 146- عبد الحق طه، **القصة العربية في العصر الجاهلي**، دار المعارف، بيروت.
- 147- عبد الحليم محمود، **القصة العربية في العصر الجاهلي**، دار المعارف، ط2، 1979.

- 148- عبد الحميد إبراهيم، قصص العشاق النثرية في العصر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987.
- 149- عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في القصة النبوية، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، ط2، 1993م.
- 150- عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
- 151- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط5، 1402هـ-1982م.
- 152- عبد الرحمان السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ومعه السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمان الوكيل، دار الكتب الحديثة، ط1، 1387هـ-1967م.
- 153- عبد الرحمان السيوطي، المرشدي على عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1348هـ.
- 154- عبد الرحمان المصطفاوي، ديوان المتنبي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م.
- 155- عبد الرحمان حجازي، الخطاب السياسي في الشعر الفاطمي (دراسة أسلوبية)، المجلس الأعلى للثقافة، الجيزة، القاهرة، ط1، 2005م.
- 156- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط1، 1416هـ-1996م.
- 157- عبد الرحمان رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الادب الاسلامي، ط4، 1418هـ-1998م.
- 158- عبد الرحمن حبنكة الميداني، روائع من أقوال الرسول ﷺ، دراسة أدبية ولغوية وفكرية، دار إقرأ، دمشق، ط11، 1427هـ-2006م.

- 159- عبد الرحيم بن علي القرشي، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.
- 160- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا / تونس، ط3.
- 161- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1399هـ-1979م.
- 162- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار الآفاق العربية القاهرة، ط، 1424هـ-2004م.
- 163- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، (علم المعاني، البيان، البديع)، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ-2009م.
- 164- عبد العظيم المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 1420هـ-1999م.
- 165- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، دراسة في النظرية والتطبيق، دار جريب للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1430هـ-2009م.
- 166- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2009م.
- 167- عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1981م.
- 168- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه الشيخ محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني جدة، ط1، 1412هـ-1991م.
- 169- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده، محمد محمود الشنقيطي، علق على حواشيه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ت).
- 170- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، قصر الكتاب، البليدة، 1395هـ-1975م.



- 171- عبد اللطيف شريف، زبير دراقي، الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2004.
- 172- عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن، أسماء الله الحسنى، دار الوطن، الرياض، ط1، 1417هـ.
- 173- عبد اللطيف عيسى، الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، دراسة نقدية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ-2011م.
- 174- عبد الملك مرتاض، القصة في الأدب العربي القديم، دار مكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1969، 1.
- 175- العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004.
- 176- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة بيروت، ط4، 1988م.
- 177- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، تحقيق: محمد بن الحسن إسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1416هـ-1995م.
- 178- عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1407هـ-1986م.
- 179- عزة الغنام، الفن القصصي العربي القديم من القرن الرابع إلى القرن السابع، الدار الفنية للنشر، القاهرة، 1411هـ-1991م.
- 180- عزيز أركيبي، مخارج الحروف عند القراء واللسانيين - دراسة مقارنة - دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1433هـ-2012م.
- 181- عصام الدين الصباطي، جامع الأحاديث القدسية، دار الحديث للطباعة والنشر.
- 182- علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - دراسة في أصولها وتطورها - دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983م.

- 183- علي بن جابر الحربي، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر .
- 184- علي بن خلف الكاتب، موارد البيان، تحقيق: أ.د حاتم صالح الضامن، دار البشائر دمشق سوريا، ط1، 1424هـ-2003م.
- 185- علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمود خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام- دار المعارف- القاهرة، 1968م.
- 186- علي بن محمد القاري، مرقاة المفاتيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م.
- 187- علي بوملحم، في الأدب وفنونه، المطبعة العصرية، صيدا، لبنان، 1970.
- 188- علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، الدار العلمية الدولية، ودار الثقافة للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2002.
- 189- علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، 1986م.
- 190- علي نجيب عطوي، تطور فن القصة اللبنانية والعربية بعد الحرب العالمية الثانية، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1402هـ-1982م.
- 191- عمر سليمان الأشقر، قصص الرسول ﷺ وأصحابه في صحيح الحديث النبوي، دار النفائس، عمان الأردن، ط1، 1427هـ-2007م.
- 192- عمر سليمان عبد الله الأشقر، صحيح القصص النبوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1418-1997.
- 193- عودة خليل أبو عودة، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، دار البشير، عمان، الأردن، 1990م.
- 194- عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص، مقدمة لنظرية البلاغة النبوية، دار الكتب المصرية، مصر، ط1، 1429هـ-2008م.

- 195- عيد بلبع، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، السياق وتوجيه دلالة النص، بلنسية للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط1، 1429هـ-2008م.
- 196- غالب محمد الشويش، البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2009م.
- 197- فاروق خورشيد، في الرواية العربية: عصر التجميع، دار الشروق، بيروت-القاهرة، ط3، 1402هـ-1982م.
- 198- فضل حسن عباس، القصص القرآني (إيحاءؤه ونفحاته)، شركة الشهاب للنشر والتوزيع الجزائر.
- 199- فوزي عيسى- د. رانيا فوزي عيسى، علم الدلالة (النظرية والتطبيق)، دار المعرفة الجامعية، سويتز الإسكندرية، ط1، 1430هـ-2008م.
- 200- الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
- 201- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006.
- 202- القسطلاني، من إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية، ط9، 1325هـ .
- 203- كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة العربية، ط3، 2001م.
- 204- كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي لإجراءاته ومناهجه، دار غريب، القاهرة، 2000م.
- 205- كمال عز الدين السيد، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار إقرأ، (د.ط)، (د.ت).
- 206- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، المركز الثقافي، بيروت، 2007م.

- مأمون فريز جرار، خصائص القصة الإسلامية، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة - السعودية، ط1، 1988.
- 207- المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406هـ.
- 208- محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، يليه عرض وتحليل بقلم: خليل عبد الكريم، سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي، لندن، بيروت، القاهرة، ط4، 1999.
- 209- محمد أحمد سحلول، من بلاغة الحديث النبوي، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت.
- 210- محمد أحمد قاسم، علوم البلاغة (البديع، البيان، المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م.
- 211- محمد التومي، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1407هـ-1986م.
- 212- محمد السيد شيخون، الاستعارة نشأها وتطورها، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1994م.
- 213- محمد السيد عبد الرزاق موسى، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي، من خلال صحيح البخاري، كلية التربية، جامعة المنصورة.
- 214- محمد الصالح الصديق، مع الرسول ﷺ، في بلاغته وهجرته وإسرائئه ومعاجزه، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر.
- 215- محمد الصالح الصديق، مقاصد القرآن، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط2، 1403هـ-1982م.
- 216- محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1409هـ.
- 217- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

- 218- محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1419هـ-1997م.
- 219- محمد بلوحي، الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحديثة، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع95، سبتمبر 2004م.
- 220- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، أمثال القرآن، ت: ناصر بن سعد الرشيد، مطابع الصف، مكة السعودية، ط2، 1402هـ-1982م.
- 221- محمد بن سليمان البلخي المقدسي، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبدع وإعجاز القرآن، تحقيق: د. زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1415هـ-1995م.
- 222- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، جزء عم، دار الثريا للنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط2، 1424هـ-2003م.
- 223- محمد بن عبد الرحمان القزويني، تلخيص المفتاح، ط1، بيروت، 1302هـ.
- 224- محمد بن عثيمين، شرح صحيح البخاري، مكتبة الطبري القاهرة، ط1، ج3، 1429هـ-2008م.
- 225- محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار الكتاب العربي بيروت لبنان .
- 226- محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب مصر، 1418هـ-1997م.
- 227- محمد بن محمود حوّا، الشرح العصري على مقدمة ابن الجزري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1429هـ-2008م.
- 228- محمد بن مشبب حبتز، الأسلوب الخبري وأثره في الاستدلال واستنباط الأحكام الشرعية، دار المحدثين القاهرة، 2007م.
- 229- محمد حسن بريغش، دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، مع عرض ودراسة لعدد من قصص الدكتور نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994م.

- 230- محمد حسنين هيكل، ثورة الأدب، دار المعارف القاهرة، 1978.
- 231- محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مكتبة وهبة القاهرة، ط2، 1408هـ-1988م.
- 232- محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2003م.
- 233- محمد خان: اللغة العربية والقراءات القرآنية، دار الفجر للنشر والتوزيع، المغرب، 2002.
- 234- محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، إفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2010م.
- 235- محمد رشدي حسن، أثر المقامة في نشأة القصة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.
- 236- محمد رفعت زنجير، دراسات في البيان النبوي، دار اقرأ دمشق، 1428هـ-2007م.
- 237- محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، أصولها، اتجاهاتها، أعلامها، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987.
- 238- محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مكتبة الفارابي دمشق، ط5، 1977.
- 239- محمد شكر قاسم مقداد، البنية الإيقاعية في شعر الجواهري، دار دجلة، عمان، ط1، 2001م.
- 240- محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض الغدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ-1994م.
- 241- محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1425هـ-2005م.

- 242- محمد علوان، من بلاغة القرآن الكريم (المعاني والبيان والبديع)، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998م.
- 243- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1987.
- 244- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1997.
- 245- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط8، 1413هـ-1993م.
- 246- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، ط6، 1403هـ-1983م.
- 247- محمد كامل حسن، القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية، ط1.
- 248- محمد محسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، 1987م.
- 249- محمد محمد أبو موسى، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط5، 1425هـ-2004م.
- 250- محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1416هـ-1996م.
- 251- محمد محمد أبو موسى، دلالة التراكيب، دراسة بلاغية، ط2، 1408هـ-1987م.
- 252- محمد محمد أبو موسى، شرح أحاديث من صحيح البخاري، دراسة في سمت الكلام الأول، مكتبة وهبة، ط2، 2001م.
- 253- محمد مصطفى هدارة، دراسات في الشعر العربي، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1983م.
- 254- محمد مفيد الشوباشي، القصة العربية القديمة، دار القلم القاهرة، 1964.
- 255- محمد ناصر الدين الالباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الاسلامي، بيروت-دمشق، ط3، 1407-1988.
- 256- محمد ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1984م.

- 257- محمد نايف الدليمي (دراسة وتحقيق)، جمهرة وصايا العرب، وصايا صدر الإسلام والدولة الأموية، دار النضال، بيروت، ط2 .
- 258- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت.
- 259- محمود السيد حسن، روائع الإعجاز في القصص القرآني، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط2، 2003.
- 260- محمود توفيق محمد سعد، دلالة الألفاظ عند الأصوليين، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط1، 1987م.
- 261- محمود تيمور، القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى، منشورات المكتبة العصرية، لبنان.
- 262- محمود تيمور، دراسات في القصة والمسرح، مكتبة الآداب ومطبعتها، مصر.
- 263- محمود تيمور، محاضرات في القصص في آداب العرب ماضيه وحاضره، معهد الدراسات العربية العالية القاهرة، 1958.
- 264- محمود شينخون، الأسلوب الكنائسي، نشأته وتطوره وبلاغته، دار الهداية، (د.ت).
- 265- مسعود بودوخة- د. مختار ملاس- د. حسين تروش- أ. صافية دراجي، الأسلوبية مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2015م.
- 266- مصطفى الشكعة، البيان المحمدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1416هـ-1995م.
- 267- مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر، عمان الأردن، ط1، 2009م.
- 268- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، 1393هـ-1973م.
- 269- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، راجعه واعتنى به د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا بيروت .
- 270- مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1981م.



- 271- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002م.
- 272- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990م.
- 273- منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.
- 274- منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، مصر، ط3، 1996م.
- 275- موفق الدين أبو البقاء بن يعيش الموصلية، شرح المفصل للزمنخشي، دار عالم الكتب، بيروت، د.ت .
- 276- ميشال عاصي، الفن والأدب، مؤسسة نوفل بيروت، ط3، 1980.
- 277- نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي، الإكسير في علم التفسير، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب القاهرة، (د.ت).
- 278- نجيب الكيلاني، حول القصة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1412-1992.
- 279- نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء منهاج النظر اللغوي الحديث، دار البشير عمان، ط2، 1408هـ-1987م.
- 280- الهادي الجطلاوي، مدخل إلى الأسلوبية تنظيراً وتطبيقاً، منشورات عيون، الدار البيضاء، ط1، 1922.
- 281- هادي هجر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1424هـ-2008م.
- 282- يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مكتبة المعارف، الرياض، د.ت .
- 283- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية (الرؤيا والتطبيق)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 1427هـ-2007م.

284- يوسف وغليسي، **مناهج النقد الأدبي**، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائرية، ط2، 1430هـ-2009م.

### المراجع المترجمة:

- 1- بيار غيرو: علم الدلالة، ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط1، 1986م.
- 2- جون مدلتون موري، الاستعارة، ترجمة: عبد الوهاب المسيري، مجلة المحلة، 1971م.
- 3- كراهم هاف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة: كاظم سعد الدين، دار آفاق العربية للصحافة والنشر، بغداد، 1985م.
- 4- ميشيل زيرافا، الرواية - ضمن كتاب الأدب والأنواع الأدبية - مجموعة من الأساتذة، ترجمة: طاهر حجار، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1985.
- 5- هيدن وايت: ميتافيزيقا السردية، الزمان والرمز في فلسفة التاريخ عند ريكور، ضمن كتاب: الوجود والزمان والسرد - فلسفة بول ريكور، ترجمة وتقديم: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1999.

### :

- 1- ابن فارس، مقاييس اللغة، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ-2008م.
- 2- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية 2000.
- 3- ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت، ط1، 1405هـ-1985م.
- 4- أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989.
- 5- سماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1399هـ-1979م.

- 6- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد المجيد فطامش، راجعه د. عبد العزيز علي سفر و د. خالد عبد الكريم جمعة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، 1422هـ-2001م.
- 7- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار العلم للملايين، بيروت.
- 8- محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1969.
- 9- إيميل يعقوب، بسام بركة، مي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1 1987.
- 10- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
- 11- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان.

## المجلات والدوريات:

- 1- - أسماء الخطاب، علي يونس، القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف، قراءة أسلوبية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 27، 2013م.
- 2- رميض مطر حمد الدليمي، عبد الكريم محمد خلف الجنابي، جهود الباحثين المحدثين في دراسة الحديث النبوي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، تشرين الثاني 2013م، مج4، العدد 17
- 3- غالب الشاويش، تصوير المعنى بجرس اللفظ في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، العدد 13، ذو القعدة 1415هـ.
- 4- شيماء عثمان محمد، الصورة الحسية في شعر فهد العسكر، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)، المجلد 36، العدد 1، السنة 2011.

- 5- محمد بكر إسماعيل (عن مقال له بعنوان): تأملات في قصص القرآن، مجلة منبر الإسلام، العدد 1، شعبان 1414هـ - ديسمبر 1996م.
- 6- محمد حجازي، المظاهر السردية والسيمائية في القصص النبوي (دراسة في المباني والمعاني)، مجموعة مقالات الندوة الدولية، 2012، جامعة كيرالا قسم اللغة العربية، الهند.
- 7- عبد الحميد بو منجل، لغة الحديث الشريف وفلسفته ودراسته، مجموعة مقالات الندوة الدولية، قسم العربية، جامعة كيرالا، الهند.

### - الرسائل الجامعية -

- 1- التهامي نقرة، سيكولوجيا القصة في القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1971.
- 2- خالد بوزيان، الصورة البيانية وخصائصها اللغوية بين البلاغيين والأسلوبيين، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، 2006-2007م.
- 3- سهام سديرة، بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف، ماجستير، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، 2006.
- 4- عبد الحفيظ أديميج، أساليب التشويق البلاغية في الأحاديث النبوية، من خلال الصحيحين، دراسة تطبيقية تحليلية، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1423هـ.
- 5- عبد الحميد قبائلي الصورة البيانية في المدحة النبوية عند حسان بن ثابت الأنصاري، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، 2003-2004 (ماجستير).

- 6- عبد العزيز العمار، الاستفهام في الصحيحين - خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية - دراسة بلاغية تحليلية-، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1424هـ.
- 7- فوزية عبد الله سند، الوجوه البيانية في القصة النبوية وأسرارها الدقيقة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1420هـ.
- 8- لخضر بلخير، البنية اللغوية لروميات أبي فراس الحمداني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2004-2005م.
- 9- محمد بن حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، دراسة فنية وموضوعية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1405هـ-1985م.

# فهرس الموضوعات

-	.
22-09	تمهيد: مقام القصة في الحديث النبوي الشريف.
23	: مسار القصة وأهدافها في القرآن والسنة.
24	: تعريف القصة
29-24	-
29	-
30	1- مفهوم القصة عند الكتاب العرب
32	2- مفهومها عند الغرب
36	ثانياً:
49	:
52	1- القصة البشرية
53	2- القصة القرآنية
64	3- القصة النبوية
67	3- خصائص القصة النبوية
80	3- أهدافها
84	3- أنواع القصة النبوية
84	: التاريخية
85	ثانياً: الغيبية
86	: التمثيلية
87	: الواقعية
87	: القصة النبوية القصيرة
88	: القصة النبوية الطويلة
92-88	- موضوعات القصة النبوية
	:
93	: الأسلوب والأسلوبية
93	1-
93	1- تعريفه لغة
93	1-
94	2- الأسلوبية: تعريفها
96	3- نشأة الأسلوبية
98	4- والأسلوبية عند العرب
104	5- الفرق بين الأسلوب والأسلوبية
108	ثانياً: الصوت في القصة النبوية
117	1-
118	1- الجهر والهمس
142	1-
147	2-
147	2--

149	- 2 -
150	3- البديع اللفظي
150	--3
153	-1-3
155	-2--3
156	-3-3
157	-4-3
158	-5-3
159	-6-3
161	-
169-162	-
	: المستوى التركيبي
171	: الجملة في القصة القصيرة
176	1- الجملة الإسمية
179	2- الجملة الفعلية
191	ثانياً:
192	1- الجملة الخبرية
193	1- : أغراضه، أضرابه، ومؤكداته
193	-1
204	-2
206	--2
208	- 2 -
212	- 2 -
215	-3
216	-1-3
217	3-2- نون التوكيد
217	-3-3
219	3-4- التأكيد بقد
220	- 2 -
220	-1-
221	-1-1-
229	-1-2- النهي
233	-1-3- الاستفهام
242	-1-4-
247	-1-5-
250	2- الإنشاء غير الطلبي
251	--2
252	- 2 -
253	- 2 -
	: الإنزياح التركيبي وتحولات الرتبة
256	1- التقديم والتأخير
280-269	2- إيجاز الحذف



	:
282	: اختيار اللفظة وملاءمتها للسياق
325	ثانيا: الحقول الدلالية
329	1- حقل الإيمان
373-362	2-
	:
376	: الإيجاز
378	ثانيا: الصورة الفنية
393	1- الصورة الجزئية
393	1- - الصورة الحسية
394	1- -1- الصورة البصرية
399	1- -2- الصورة السمعية
401	1- -3- الصورة للمسية
403	1- -4- الصورة الشمية
404	: البيانية
405	1- التشبيه ودوره في تشكيل الصورة
415	2- التمثيل ودوره في تشكيل الصورة
420	3-
427	-
427	علاقاته:1- الكلية
428	2 - الجزئية
429	3 - السببية
431	4 - المسببية
432	5 -
432	6 - اعتبار ما يكون
433	- الصورة الاستعارية
441	-
443	4- الكناية ودورها في تشكيل الصورة
447	- الكناية عن صفة
448	- الكناية عن موصوف
453-451	- الكناية عن النسبة
455457	
483-457	
487-485	فهرس الموضوعات